الجـــمهورية الجـــزائرية الـــديمقراطية الشـــعبية:

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة منتوري قسنطينة
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم التاريخ والآثار

# المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي 1830 – 1962

## مساهمة في التاريخ الثقافي والفكري

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ المعاصر

إعداد الطالب:
فارس كعوان

إشراف:
أ.د عبد الكريم بوصفصاف

السنة الجامعية: 2011– 2012

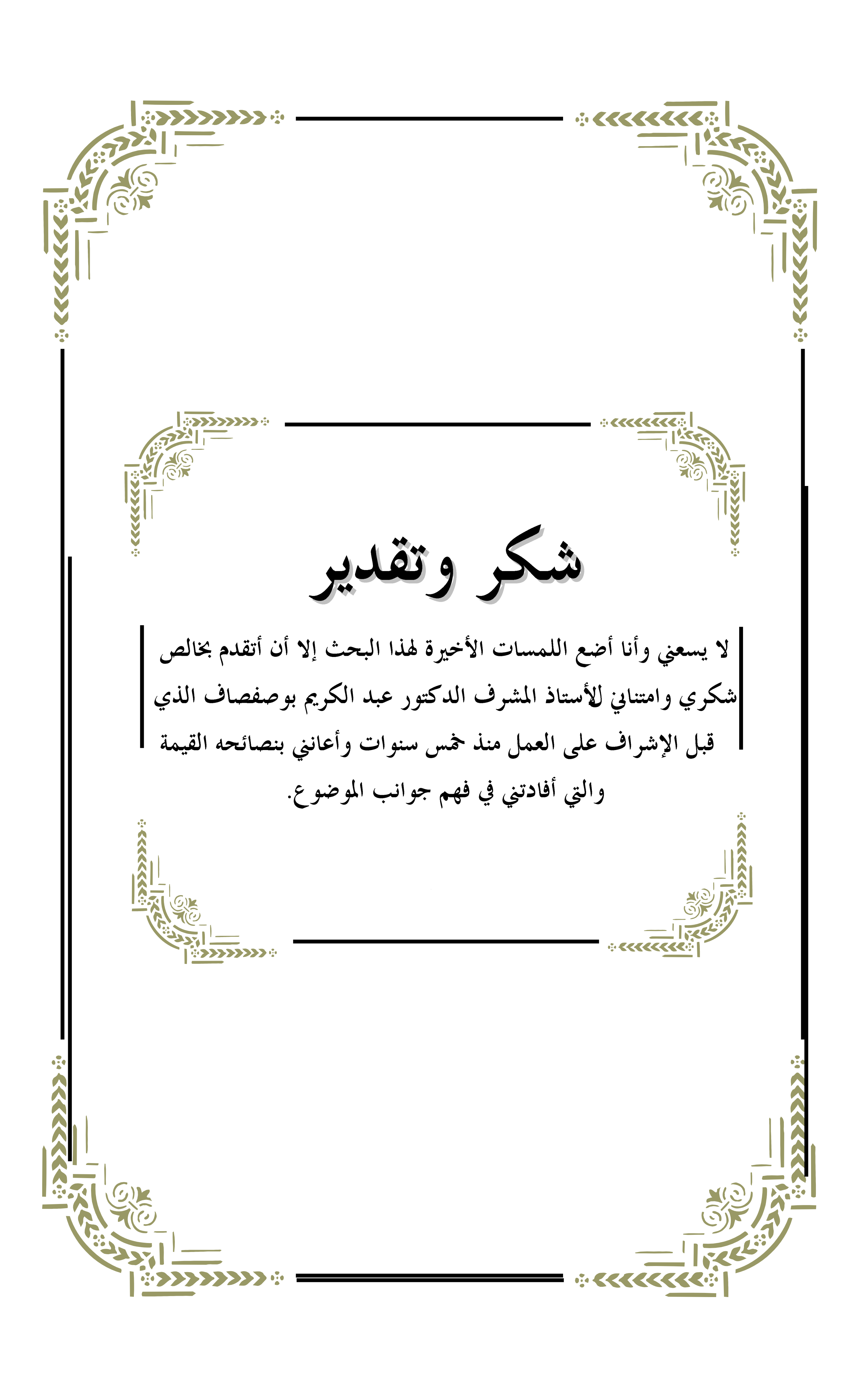


# إهداء

إلى الوالدين الكريمين أطال الله عمرهما

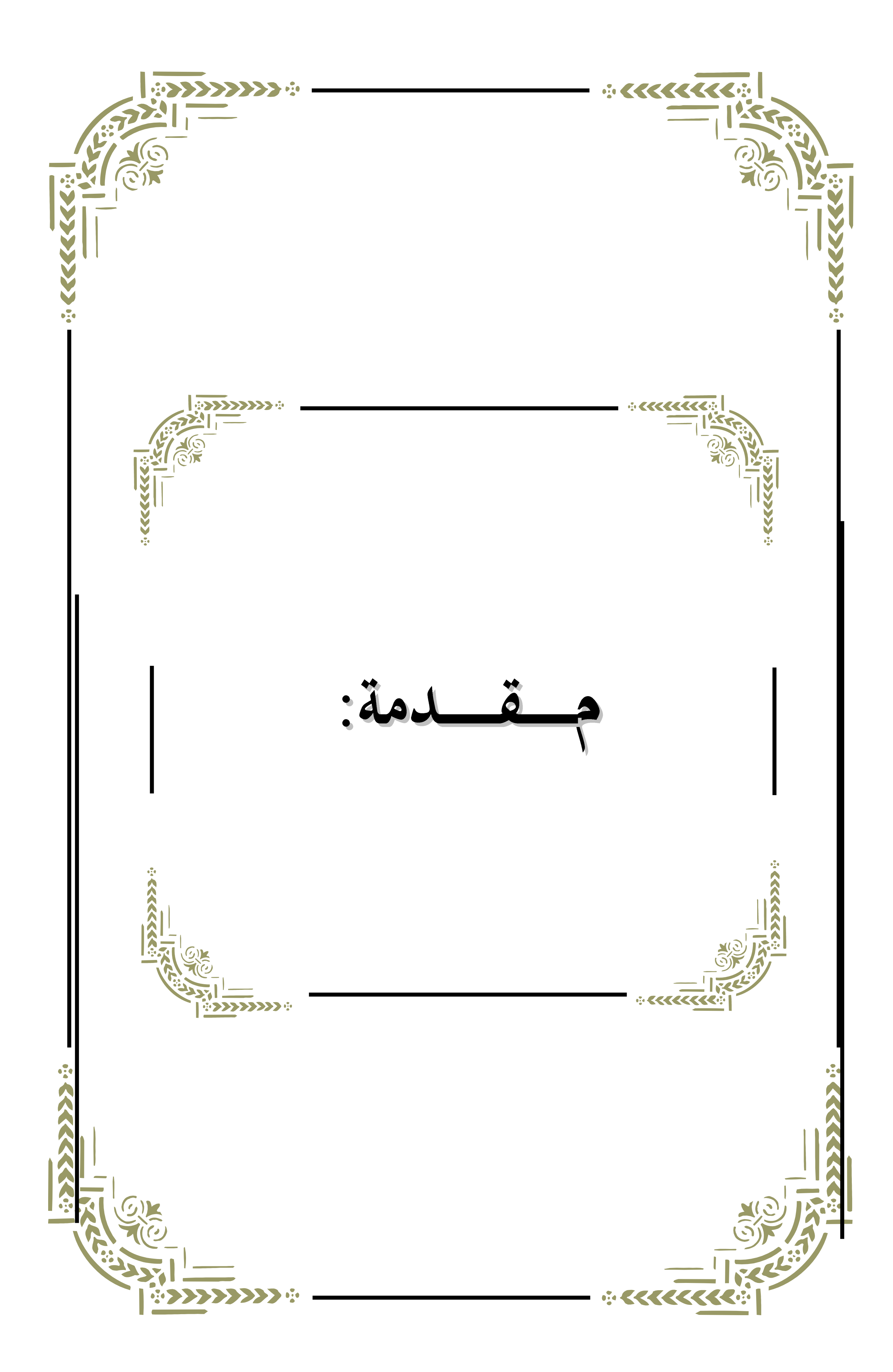
أهدي هذا العمل المتواضع

عرفانا وتقديرا



# شكر وتقدير

لا يسعني وأنا أضع اللمسات الأخيرة لهذا البحث إلا أن أتقدم بخالص شكري وامتناني للأستاذ المشرف الدكتور عبد الكريم بوصفصاف الذي قبل الإشراف على العمل منذ خمس سنوات وأعانني بنصائحه القيمة والتي أفادتني في فهم جوانب الموضوع.



# مقـــــدمة:

## مقدمة:

عرفت الجزائر خلال مختلف مراحل تاريخها حركة واسعة لتدوين التاريخ، فظهر مؤرخون تعدّدت توجهاتهم بتعدد ثقافاتهم، وفي الفترة الاستعمارية من تاريخ الجزائر كان للتاريخ مكانة متميزة باعتباره يعبّر عن ثقافة ذلك العصر، ويعدّ حماية للهوية الوطنية التي ترفض الانسلاخ عن ماضيها والاندماج في المجتمع الفرنسي .

و قد عكف بعض الجزائريين خلال هذه الحقبة الحرجة من التاريخ الجزائري على تدوين تاريخ بلادهم لأسباب شتى، فظهرت كتابات كثيرة في هذا المجال، وإن كانت تتفاوت في الأهمية التاريخية والقيمة العلمية، ولكنها كتابات عبّرت عن تصورات كتابها وآرائهم، وهي مصادر محلية لا يمكن الاستغناء عنها بحجة عدم خضوعها لمنهج البحث الأكاديمي.

ونشير في هذا المجال إلى أن الكتابات التاريخية الجزائرية تعرّضت منذ ظهورها لحملات من التشويه والمسخ من قبل الكُتّاب الفرنسيين، وحتى بعض الأقلام الجزائرية التي اتهمت هؤلاء المؤرخين الجزائريين بالتقصير وغياب المنهجية في كتاباتهم التاريخية، وهذا رغم أننا وجدنا أن تلك الأقلام التي هاجمت الكتابات التاريخية الجزائرية هي نفسها قد انتحلت منها عبارات بل صفحات كاملة في إعداد بحوثها.

وإذا عدنا لكتابات الكُتّاب الفرنسيين الأوائل الذين أرّخوا للجزائر بمختلف مناطقها وهم في الغالب من الضباط والإداريين أمثال فيرو Féraud و ميرسيي Mércier وروبان Robin وغيرهم لوجدنا أن مادتهم التاريخية في غالبيتها مستقاة من كتابات محلية، أو روايات شفوية جزائرية، وإن كان الكُتّاب الفرنسيون أحيانا لا يذكرون أسماء الكتاب الجزائريين، ولا أسماء مصنفاتهم، إلا أن طبيعة المواضيع التي كتبوا فيها وهي أخبار المرابطين والعلماء، وأحوال الأعيان وأنساب القبائل وتاريخ العائلات، وتاريخ المدن والأقاليم،كانت تُحتّم على هؤلاء الكُتّاب الاتصال بالأهالي لاستقاء الأخبار التاريخية منهم، وفي هذا الصدد بدأ الضباط الإداريون الفرنسيون حملة بحث واسعة عن المخطوطات التاريخية الجزائرية نظرا لأهميتها البالغة التي بدأت تتضح لهم شيئا فشيئا، وقام الكثير منهم بنشر هذه المخطوطات مترجمة للفرنسية في عدد من المجلات بعد أن عرفوا قيمتها التاريخية الكبيرة كمصادر أساسية لتلك الفترة من تاريخ الجزائر كما ساهم عدد منهم في حث بعض الجزائريين على كتابات تواريخ لمدنهم وعائلاتهم.

كما ظهرت في هذه الفترة كتابات تاريخية لم تكن بإيعاز من الضباط الفرنسيين وهي كتابات تؤرخ للزوايا وشيوخها، وبعض المواضيع التاريخية الأخرى التي عاصرها أصحابها.

و بغض النظر عن المواقف السياسية لعدد من مؤرخي هذه المرحلة، والذين وجدنا منهم من تعاون مع الاستعمار ضد المقاومة كالمازري وأحمد ولد قادي، ومنهم من قبل بالوظيفة الإدارية كالعنتري، أو القضائية كالشيخ حمزة بن رحال، مقابل بعض الشروط والمزايا، فإننا لن نركّز في هذا المجال سوى على كتاباتهم التاريخية ومكانتها كمصادر لا يمكن الاستغناء عنها لكتابة تاريخ الجزائر المعاصر.

ومن هذا المنطلق فإن موضوع الكتابات التاريخية الجزائرية يكتسي أهمية بالغة إذ أنه يشكل جزءا هاما من التاريخ الثقافي لهذه الأمة، ولذا رأيت من الواجب المساهمة في تسليط الضوء على هذا الجانب الهام والمنسي من تاريخنا الوطني، باختيار موضوع: "المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي من 1830 إلى 1962 : مساهمة في التاريخ الثقافي والفكري " .

## دوافع اختيار الموضوع:

تناولت بعض الدراسات جوانب من موضوع الكتابات التاريخية خلال المرحلة الاستعمارية وركزت بالخصوص على الكتابات المتأخرة منها التي دونها المنتمون للحركة الإصلاحية، وهم مبارك الميلي وتوفيق المدني وعبد الرحمن الجيلالي، غير أن دراسة الموضوع بقيت دراسة عامة لم تتناولها أقلام الباحثين الأكاديميين دراسة معمقة، ولا شك أن هذه الدراسة التي أقدمها لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم تختلف بشكل واضح عن الدراسات الأكاديمية التي عالجت بعض الجزئيات فقط من هذا الموضوع، وقد قسّمت دوافع اختيار الموضوع إلى قسمين اثنين:

### 1 - دوافع موضوعية علمية:

- أهمية الموضوع ورغبتي في الخروج عن دائرة التاريخ السياسي وأخبار الحروب والمعارك التي لطالما تعرّض لها الكُتّاب في كتاباتهم التاريخية عن الجزائر.

- التعريف بنخبة من المؤرخين الجزائريين و مصنفاتهم المجهولة من قبل الكثير من الباحثين والمثقفين عموما.

- قلة الكتابات حول هذا الموضوع، فهي لا تغطي كل جوانبه، وبالتالي تولّدت لديّ رغبة معرفية للمساهمة ولو بنزر ضئيل في نفض الغبار عن التراث التاريخي الجزائري الذي بقي

الكثير منه بعيدا عن متناول أقلام الباحثين الجزائريين، ولعل السبب في ذلك أن بعضه أصبح اليوم في حكم المفقود، وبعضه الآخر لا يزال حكرا على بعض الأشخاص والهيئات، وقسم ثالث منه ضاعت أصوله العربية و لم تبق منه إلا ترجمات ونقول فرنسية.

**2 – دوافع ذاتية:**

– تتمثل في الرغبة في دحض المقولة التي تزعم أن الجزائريين لم يساهموا إلا بالنزر القليل في كتابة تاريخ بلادهم، وأن كل الفضل يعود للكتاب الفرنسيين.

## إشكالية البحث:

تتمثل إشكالية هذه الأطروحة في توضيح مدى مساهمة المؤرخين الجزائريين في تدوين وكتابة التاريخ الجزائري خلال الحقبة الاستعمارية، و لمّ شتات التراث الوطني في مجال التاريخ، وسأحاول في هذه الأطروحة الإجابة عن جملة من التساؤلات من خلال فصول البحث ومباحثه وهذه التساؤلات هي:

من هم المؤرخون الجزائريون الذين ظهروا في فترة الدراسة ؟ و ما هو المنهج التاريخي المعتمد في كتاباتهم؟و ما هي قيمة إسهاماتهم في مجال إحياء دراسة التاريخ الوطني ؟ و ما هو مستوى الوعي بالتاريخ وقيمته لدى مؤرخي تلك الفترة 1830–1962.

## حدود البحث:

سأتناول بالدراسة الفترة الممتدة ما بين 1830 — 1962 وهي الفترة المحددة باحتلال الجزائر واستقلالها، وهذه المرحلة غنية بالأحداث التاريخية، تمثل بدايتها انهيار نظام الحكم التركي بالجزائر ونهاية مرحلة تاريخية هامة عرفت ظهور عدد من المصنفات التاريخية التي أثرت المكتبة التاريخية الجزائرية، كما تمثل بداية مرحلة جديدة من تاريخ الجزائر ومنعطفا حاسما في مسار الكتابات التاريخية الجزائرية التي بدأت تأخذ في هذه المرحلة سمة مغايرة لما سبق، حيث بدأ ينتشر الوعي في صفوف الكُتّاب والمؤرخين، هذا الوعي الذي نمى مع مرور الزمن ليشكّل إحدى الركائز الأساسية لانبثاق الشعور بالذات والانتماء للوطن الجزائري.

وتمثل سنة 1962 نهاية المرحلة الاستعمارية في الجزائر وبداية مرحلة جديدة ارتفعت فيها عدد من الأصوات داعية لإعادة كتابة التاريخ الجزائري، ووضع لبنة لتأسيس مدرسة تاريخية جزائرية، وإن كانت تلك الدعوات لا تزال تمثل أحلاما لدى عدد من المؤرخين المعاصرين باعتبار

أن الجزائر لا بد أن تحتل مكانتها الطبيعي ة في هذا المجال، نظرا للثراء الثقافي الذي تتميز به رغم مخلّفات الحقبة الاستعمارية التي لا تزال تلقي بتداعياتها على مختلف شؤون الحياة ولا سيما الشؤون الثقافية والفكرية.

## مناهج البحث:

لجأت في دراسة هذا الموضوع إلى اعتماد مناهج علمية معروفة وهي:

أولا: المنهج الوصفي: الذي حاولت من خلاله وصف واستعراض الإرث التاريخي الجزائري وترجمة حياة مصنفيه وطريقة تصنيفهم.

ثانيا: المنهج التحليلي: وهو الذي سلكته لمحاولة استقراء المادة الخبرية التي تتضمنها هذه الكتابات والخروج منها بفوائد تثري البحث التاريخي.

ثالثا : المنهج المقارن: الذي اعتمدته للمقارنة بين بعض هذه الكتابات التاريخية الجزائرية ومعرفة مستوى التطور الحاصل في الوعي التاريخي لمؤلفيها.

## صعوبات البحث:

لقد واجهتني في لم شتات أطراف هذا الموضوع صعوبات جمة أهمها:

- تبعثر المصنفات التاريخية الجزائرية في عدد كبير من المكتبات العامة والخاصة سواء داخل الوطن أو خارجه .

- فقدان النصوص الأصلية لعدد من الكتابات التاريخية الجزائرية وضرورة التعامل مع النصوص المترجمة إلى الفرنسية، مع ما فيها من دس وتضليل وتزييف للحقائق.

- صعوبة الحصول على بعض المصنفات التاريخية الجزائرية سواء لندرتها أو وجودها في أماكن يصعب الوصول إليها.

- تشعّب الموضوع وطول فترته الزمنية مما شكّل عائقا أمام تصنيف المادة الخبرية وتبويبها.

## الدراسات السابقة:

فيما يتعلق بالدراسات السابقة إنا قد وجدنا بعض الدراسات التي تناولت جوانب من هذا الموضوع، ومن هذه الدراسات الأكاديمية أخص بالذكر ما خصه الدكتور أبو القاسم سعد الله في

كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي" للحديث عن الكتابات التاريخية الجزائرية في الفترة الاستعمارية حيث قدّم عرضا تحليليا للبعض منها واكتفى بذكر عناوين بعضها.

وما أوردته الباحثة الفرنسية إيزابيل قرانقو Isabelle Grangaud في دراستها الأكاديمية التاريخ الاجتماعي لقسنطينة: " Histoire sociale de Constantine " حيث تطرّقت لثلاث مؤرخين من قسنطينة وهم: العنتري وابن المبارك والنقاد، و اعتمدت أيضا على كتاب: "المدرسة التاريخية الجزائرية"وهو وقائع أشغال الملتقى الوطني الأول حول المدرسة التاريخية الجزائرية ودراسات أخرى ليحي بوعزيز وناصر الدين سعيدوني، وكل هؤلاء اهتموا بدراسة بعض المصنفات التاريخية الجزائرية العائدة لهذه الفترة.

## وصف أهم مصادر البحث ومراجعه:

تنوعت وتعددت مصادر الأطروحة ومراجعها، وهي تختلف في قيمتها العلمية وأهميتها الفكرية حسب صلتها بالموضوع والأفكار التي تطرحها أهمها:

**أولا: المصادر**: وقد قسّمتها إلى قسمين أولا المصادر المخطوطة، و ثانيا كتب معاصرة عايش كتابها فترة الدراسة وألفوا عنها كتبا تاريخية مثّلت لي مصادر هامة وحيوية للموضوع، وأذكر بعض النماذج من المخطوطات المعتمدة في الأطروحة وهي:

**أ: المصادر المخطوطة:**

لهذه الدراسة عدد من المصادر التي لم تنشر بعد ولا تزال مخطوطة سواء في المكتبات العامة أو مكتبات الزوايا، ومن هذه الكتابات نجد مؤلفات أبي حامد العربي المشرفي التاريخية وعلى رأسها كتابه المخطوط :" ياقوتة النسب الوهاجة في التعريف بمولاي محمد بن علي مولى مجاجة" وهو مخطوط في الأنساب تحدث فيه المشرفي عن أصل عائلته وترجم فيه لعدد من علمائها كما خص محمد بن علي المجاجي جانبا هاما من الدراسة.

ومن الذين ألفوا في التاريخ ولا تزال مؤلفاتهم مخطوطة حسن خوجة التركي الذي عاصر أواخر الفترة العثمانية وبداية الاحتلال الفرنسي ووضع كتابا بعنوان"در الأعيان في أخبار مدينة وهران"وهو مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم 1637 وقد حاولنا المقارنة بين هذا التأليف ومخطوط أنيس الغريب والمسافر الذي حققه و نشره رابح بونار فوجدنا تطابقا يكاد يكون تاما.

كما اعتمدنا على مخطوطات تاريخية حول إقليم توات بأدرار منها: كتاب" درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام" الذي لا يتناسب عنوانه مع مضمونه، فهو يبدو للوهلة الأولى وكأنه يؤرخ لتاريخ المغرب العربي في العهد الإسلامي، ولكنه في الواقع يؤرخ لإقليم توات، وكتاب "جوهرة المعاني فيما ثبت لدي من علماء الألف الثاني" وهو مخطوط في تراجم علماء توات في القرنين 11 هـ/ 17 م و 12 هـ/ 18 م وهما مخطوطان ألفا في الفترة الاستعمارية ومؤلفهما هو محمد بن عبد الكريم البكراوي التواتي.

واعتمدت على مخطوط محمد السعيد بن محي الدين الذي يحمل عنوان:" سيرة محي الدين" الذي يؤرخ لحياة الأمير عبد القادر وجهاده حتى نهاية المقاومة، وأسره ونفيه لفرنسا.

**ب:المصادر العربية المطبوعة:**

من هذه المصادر كتابات العنتري:"الفريدة المؤنسة" الذي يؤرخ لبايات قسنطينة في العهد العثماني و"مجاعات قسنطينة" وهو في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي لقسنطينة، وكتاب ابن المبارك " تاريخ حاضرة قسنطينة " وهو تاريخ مختصر للمدينة، وكتاب مسلم بن عبد القادر الوهراني:"أنيس الغريب والمسافر" وهو في تاريخ وهران أواخر العهد العثماني، وكتاب الزياني "دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران" و كتاب "طلوع سعد السعود" للآغا بن عودة المزاري وكتاب الشقراني:"القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط"وغيرها من المصنفات التاريخية التي عكف على تحقيقها باحثون جزائريون.

**ت:المصادر التي ضاعت أصولها العربية:**

نتيجة للحملة الفرنسية وأعمال النهب التي تعرضت لها مختلف المدن الجزائرية، فإن عددا من المصنفات التاريخية الجزائرية قد فُقدت أصولها العربية، و لم تبق إلا ترجماتها الفرنسية، ومن هذه الكتابات كتاب المرآة لحمدان خوجة الذي تناول فيه أخبار الجزائر خلال العهد التركي وأخبار الحملة الفرنسية، كما وضع الحاج أحمد باي مذكراته التي ترجمت للفرنسية، وكتب عدد من الجزائريين تقاييد تاريخية عكف على ترجمتها بعض الضباط الفرنسيين، ونشرت هذه الترجمات دون أصولها العربية ومن ذلك مثلا ما كتبه كل من الشيخ مصطفى بن جلول والبابوري عن تاريخ

قسنطينة، وما كتبه الشيخ حمزة بن رحال عن تاريخ ندرومة، وغيرها من الكتابات التاريخية الجزائرية.

**ثانيا – المراجع:** تتميز بالوفرة والتنوع وهي موظفة في كل مباحث الأطروحة ومصنفة إلى صنفين:

**أ – المراجع العربية:**

اعتمدت في إعداد هذه الدراسة على عدد من المراجع في محاولة للإلمام بجوانب الموضوع ومن هذه المراجع كتابات الدكتور أبو القاسم سعد الله " أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر"، وكتاب ناصر الدين سعيدوني : "من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي" وكتاب بوعزة بوضرساية "رواد المدرسة التاريخية الجزائرية" وغيره من المراجع الهامة .

**ب – المراجع باللغة الأجنبية:**

أما المراجع باللغة الأجنبية فقد أضفى الاعتماد عليها تعدد الرؤى الفكرية، وقد كان لها دور مهم في تغطية المباحث التي تفتقر إلى المادة باللغة الوطنية، إذ استطعت من خلالها سد العجز في المادة العلمية وأذكر منها كتاب: أعيان المغاربة لإدموند ومارتة قوفيون.

- Marthe et Edmond Gouvion : Kitab Aaayane el Marhariba, Imprimerie Fontana frères, Alger 1920 (4 vol).

والكتاب به عدد من التراجم الهامة لمؤرخي المرحلة كالزهار والحفناوي وبن محاية وأحمد ولد قادي وغيرهم.

وكتاب الباحث الفرنسي جيلبير قرانقيوم: ندرومة ، تطور مدينة.

-Gilbert Granguillome Nedroma ,l'evolution d'une medina ,edition Brill, Leyden,1976

وبالكتاب دراسة وثائقية هامة عن المؤرخ حمزة بن رحال الندرومي.

**ج– المقالات:**

وهي مقالات لباحثين جزائريين وأجانب، و تتميز في مجملها بعرض تحليلي دقيق لبعض المصنفات التاريخية الجزائرية، ولجوانب هامة من الموضوع، مثل دراسة الدكتور بوصفصاف في المجلة التاريخية المغربية بعنوان: "المؤرخون الجزائريون ومنهجية الكتابة في الحركة الوطنية الجزائرية في عهدي الاحتلال والاستقلال " الذي نشر ضمن أعمال المؤتمر الأول لمنتدى التاريخ المعاصر حول: منهجية كتابة تاريخ الحركات الوطنية في المغرب العربي.

وكذلك مقال لهواري التواتي عن:" التأريخ الجزائري من القرن التاسع عشر إلى النصف الأول من القرن العشرين:من الخبر إلى التاريخ "ضمن كتاب انتلجنسيا أم مثقفون في الجزائر، وما كتبته الباحثة الفرنسية إيزابيل قرانقو بالفرنسية بعنوان: وجهة نظر محلية حول بيئة القرن 19 عند مؤرخي الاحتلال.

- Isabelle Grangaud : Un point de vue local sur le milieu du XIX siècle : A propos d'historiens de la conquête.

وما كتبه الباحث حسن رمعون في مقاله الذي يحمل عنوان :"المؤرخون الجزائريون المنبتون من الحركة الوطنية".

-Les historiens algériens issus du mouvement national .

**د – الأطروحات الجامعية:**

حضي موضوع الكتابات التاريخية في المغرب العربي باهتمام كبير منذ فترة مبكرة ففي المغرب أعد المستشرق الفرنسي ليفي بروفنصال رسالة دكتوراه في التاريخ بعنوان:"مؤرخو الشرفاء" درس فيها الكتابات التاريخية العائدة للعهدين السعدي والعلوي في المغرب الأقصى، ورغم مضي زمن طويل على هذه الدراسة، إلا أنها لا تزال مرجعا هاما لمن يتطرق لمثل هذا الموضوع.

وفي تونس وضع الباحث أحمد عبد السلام أطروحة جامعية بعنوان: "المؤرخون التونسيون في القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر:رسالة في تاريخ الثقافة "، وفي ليبيا وضع الباحث علي مصطفى المصراتي دراسة بعنوان:"مؤرخون من ليبيا".

وقد حاولت الاستفادة من هذه الكتابات في الجانب المنهجي، وإن كان المنهج الذي اعتمدته في النهاية يختلف عن منهج تلك الكتابات، لاختلاف الظروف التاريخية لكل قطر من أقطار المغرب العربي، فالجزائر نتيجة الاحتلال الفرنسي وُجدت فيها – على عكس بلدان المغرب – كثير من الكتابات التاريخية المترجمة للفرنسية كمظهر من مظاهر الاستلاب الثقافي وسياسة المسخ والتشويه المتعمدة من جانب الإدارة الاستعمارية، وهو ما جعلنا نتعامل بحذر شديد مع هذا الواقع بإخضاع تلك الكتابات للتمحيص والمقارنة لتبيان مكانتها الحقيقية بين الكتابات التاريخية.

**خطة البحث:**

تتكون الأطروحة من مقدمة ومدخل وسبعة فصول وخاتمة، وملاحق مرتبطة بمضمون البحث، وفهارس الأعلام والأماكن، وقد تضمنت المقدمة التعريف بالموضوع و أسباب اختياره، وإشكالية البحث وإطاره ثم صعوباته علاوة على وصف المصادر والمراجع.

**الفصل الأول:** " **مؤرخو الأنساب والأشراف** " يتناول المؤرخين الذين دوّنوا مؤلفات عن الأشراف وأنساب القبائل الجزائرية وشمل أربعة مباحث هي:

- المبحث الأول: " **أهمية الكتابة عن الأنساب في الجزائر** " تطرقت فيه للأهمية التي كان يوليها الجزائريون لعلم الأنساب.

- المبحث الثاني: " **مفهوم الشرف ومكانة الأشراف** " تناولت فيه التعريف بظاهرة الشرف ومختلف أبعادها.

- المبحث الثالث: " **مؤرخو أنساب القبائل** " وتعرضت فيه لدراسة عدد من المؤلفات حول أنساب بعض القبائل الجزائرية.

-المبحث الرابع: "**مؤرخو الأشراف**" أدرجت فيه المؤلفات التي تطرق أصحابها للتأريخ للأسر والشخصيات الشريفة في الجزائر.

**الفصل الثاني:** "**مؤلفو المناقب و التراجم والسّير والمذكرات**" أبرزت في أربعة مباحث المؤلفات التي تناولت التأريخ للشخصيات ومناقبها وتراجمها وسيرها.

- المبحث الأول: " **مؤلفو المناقب**" تعرضت فيه لهذا الصنف من الكتب التاريخية التي طغى على أصحابها النزعة الصوفية.

- المبحث الثاني: " **مؤلفو التراجم**" وتناولت فيه المؤلفات التي عني فيها أصحابها بالترجمة لمشايخهم وبعض من عرفوهم أو سمعوا بهم من العلماء.

- المبحث الثالث: " **مؤلفو السّير** " درست فيه المؤلفات التي كتبها أصحابها لتقييد سيرهم الذاتية وهي شبيهة بالمذكرات ، فجاءت تأريخا لحياتهم بمختلف أطوارها.

- المبحث الرابع: " **مؤلفو المذكرات** " درست فيه بعض مذكرات القادة السياسيين والعسكريين كالحاج أحمد باي، وسي عزيز بن الحداد وبعض المثقفين أمثال الطاهر بن عبد السلام.

**الفصل الثالث:** " **مؤرخو الحوادث والمواضيع الخاصة** " جاء هذا الفصل في أربعة مباحث، ليوضح بعض الأصناف الأخرى التي كتب فيها المؤرخون الجزائريون خلال الحقبة الاستعمارية.

المبحث الأول: "**التأريخ للحروب والمعارك**": تعرضت فيه للمؤلفات التي تناول أصحابها التأريخ لبعض المعارك والحروب والثورات وهي من المميزات الرئيسية لفترة للاحتلال وما صاحبها من أعمال مقاومة أثارت هؤلاء المؤرخين للكتابة عنها كل من وجهة نظره الخاصة.

المبحث الثاني :" **التأريخ للمجاعات والأوبئة** " وهي ظاهرة عرفتها الجزائر في الفترة الاستعمارية خصوصا أواخر الستينات من القرن التاسع عشر، وقد وجدنا تأليفين هامين الأول للعنتري يؤرخ فيه لمجاعات قسنطينة، والثاني للقاضي المسيسني يؤرخ فيه للمجاعات التي أصابت بلاد زواوة في تلك الفترة.

المبحث الثالث:" **التأريخ للزوايا** "وخصصته لمصنفات ألفها أصحابها للتأريخ لبعض زوايا العلم بالجزائر وترجمة شيوخها وذكر دورها الثقافي.

المبحث الرابع:" **التأريخ للعائلات**" وهي ظاهرة ملفتة، حيث أن بعض العائلات التي كانت تحظى في الفترة العثمانية بالنفوذ فقدته خلال العهد الاستعماري فلجأ أفراد منها لتدوين تاريخ عائلاتهم واستعراضه لتذكّر أمجاد الماضي.

المبحث الخامس:" **التأريخ لحكام الجزائر وبعض الحوادث العارضة**" وقد درسنا فيه مؤلفين أحدهما لكاتب مجهول عن حكام الجزائر في العهد العثماني، والثاني عن زيارة الوفد المغربي لجزائر التي أرخ لها الشيخ مصطفى بن الخوجة.

**الفصل الرابع:** " **مؤرخو الشرق الجزائري** " عالجت في ثلاثة مباحث مختلف المؤلفات التاريخية التي اهتمت بالتاريخ المحلي لمدن ما كان يعرف ببايلك الشرق.

- المبحث الأول: " **مؤرخو مدينة قسنطينة** " درست فيه المؤلفات التاريخية التي تناول أصحابها التأريخ لقسنطينة وهي كلها تناول المدينة في العهد العثماني وقسم من العهد الفرنسي ولا تطرق لعهدها الإسلامي.

- المبحث الثاني: "**مؤرخو منطقة زواوة** " حللت فيه المصنفات التي وضعها بعض المؤرخين عن هذه المنطقة الهامة.

- المبحث الثالث:" **مؤرخو المدن والمناطق أخرى.**" تناولت فيها تقييدا وضعه القايد قابة عن منطقته وهي منطقة الشريعة بتبسة.

**الفصل الخامس:** " **مؤرخو الغرب الجزائري** " استعرضت في ثلاثة مباحث أعمال مؤرخي هذه المنطقة حول تاريخ وهران وعدد من مدن الغرب الجزائري.

- المبحث الأول: " **مؤرخو مدينة وهران** " تناولت فيه المؤرخين الذين أفردوا لمدينة وهران تآليف خاصة.

- المبحث الثاني: " **مؤرخو الإقليم الغربي عامة** " أدرجت فيه بعض المصنفات التاريخية التي تطرق أصحابها لحوادث إقليم الغرب الجزائري عامة.

- المبحث الثالث: " **مؤرخو المدن والمناطق أخرى**" ودرست فيه مؤلفات تطرق فيها أصحابها للتأريخ لمدن ندرومة ومازونة ومنطقة ريغة بمليانة.

**الفصل السادس:** " **مؤرخو الصحراء** " في ثلاثة مباحث حللت فيه مصنفات مؤرخي هذه المنطقة.

- المبحث الأول: " **مؤرخو وارجلان** " وتعرضت فيه لنماذج من مؤرخي هذه المنطقة التي كانت بها حتى العهد الفرنسي إمارة هامة هي إمارة بني جلاب.

- المبحث الثاني: " **مؤرخو ميزاب**" تطرقت فيه لبعض المؤلفات حول هذه المنطقة والتطور الذي حصل فيها بعد الاحتلال الفرنسي.

- المبحث الثالث: " **مؤرخو توات** " عرضت فيه المصنفات التاريخية حول إقليم توات وهي مؤلفات هامة وغير معروفة إلا على نطاق ضيق.

- المبحث الرابع: " **مؤرخو سوف** " تطرقت فيه للمؤلفات حول هذه المنطقة من الصحراء الجزائرية.

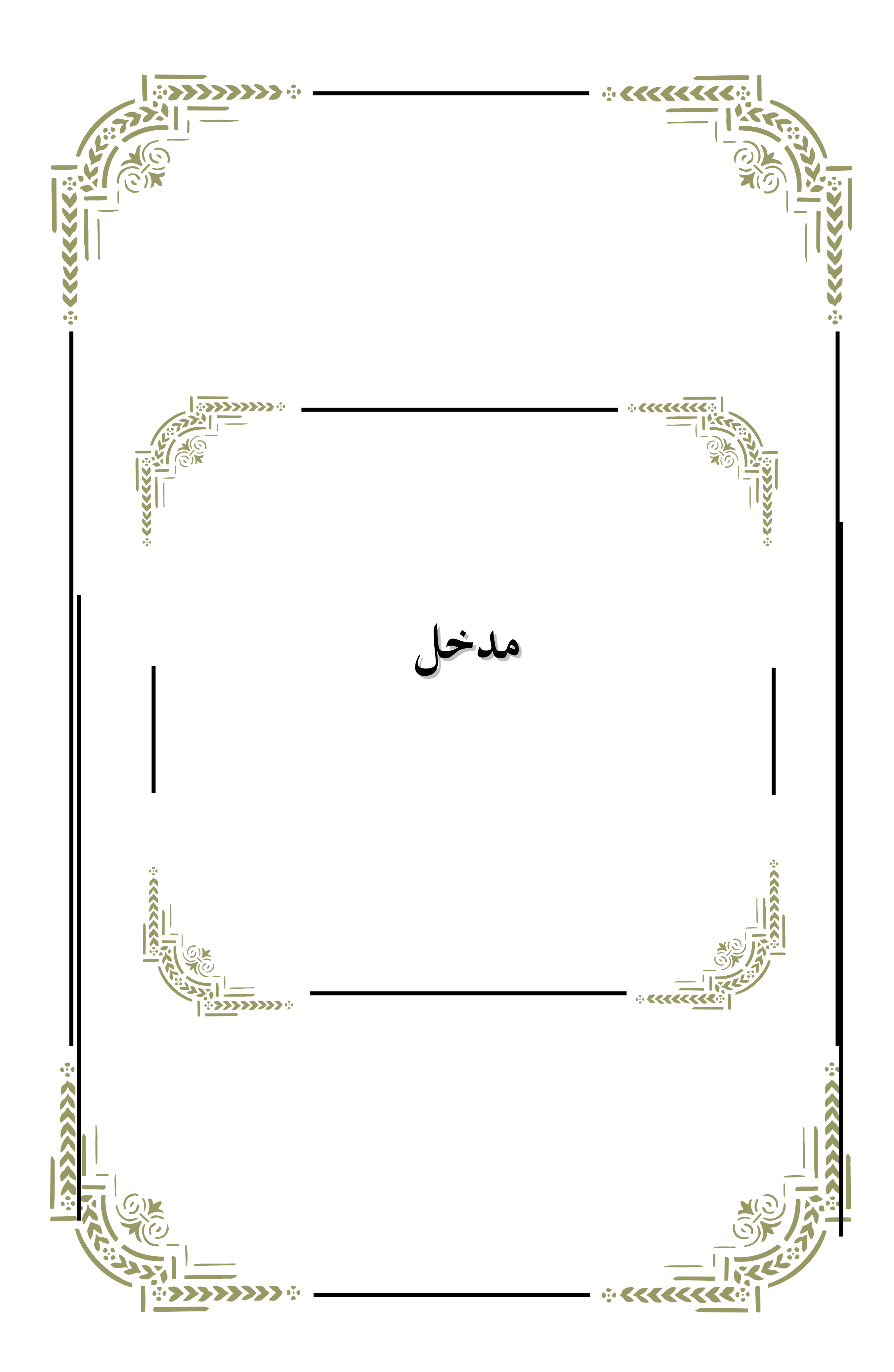
**الفصل السابع:** " **التأريخ العام للقطر الجزائري**": وبه ثلاث مباحث:

-المبحث الأول: " **مؤرخو ما قبل ظهور الحركة الوطنية**" وتعرّضت فيه لكل من المؤرخ حمدان خوجة وكتابه المرآة، والمؤرخ أحمد الشريف الزهار وكتابه.

- المبحث الثاني: " **مؤرخو الحركة الوطنية الإصلاحية** " وتعرضت فيه للمؤرخين الذين ظهرت مؤلفاتهم مع ظهور الحركة الوطنية الإصلاحية، وهم مبارك الميلي وأحمد توفيق المدني وعبد الرحمن الجيلالي.

- المبحث الثالث:" **لمحة عن حركة التدوين التاريخي بعد الاستقلال** " قدمت فيه نظرة الدولة الجزائرية المستقلة للتاريخ، ونظرة بعض مثقفي تلك المرحلة له مع تقديم نبذة عن بعض ما تم تأليفه في تلك الحقبة.

أما الخاتمة فقد بينت فيها النتائج التي توصلت إليها في كل فصول الأطروحة، والمراحل التي مرت بها، ثم دعمت الأطروحة بمجموعة من الملاحق التي تثري الموضوع.



# مدخل

# مدخل:

## المبحث الأول: التاريخ بين المفهوم العام ونظرة المؤرخين الجزائريين له:

يحتل التاريخ مكانة متميزة بين العلوم الاجتماعية، وهو أحد العلوم التي ظل الجدل يدور حول ماهيته ومنهجيته لكثير من الوقت [1]، وتدل لفظة تاريخ على معان متفاوتة فيعتبره البعض يشتمل على المعلومات التي يمكن معرفتها عن نشأة الكون كله، و يقصره أغلب المؤرخين على بحث واستقصاء حوادث الماضي، كما يدل على ذلك لفظ "Historia" المستمد من الأصل اليوناني القديم، أي كل ما يتعلق بالإنسان منذ بدأ يترك على الصخر والأرض بتسجيل أو وصف أخبار الحوادث التي ألمت بالشعوب و الأفراد [2].

و التاريخ هو دلالة على مطلق مجرى الحوادث الفعلي الذي يصنعه الأفراد والشعوب، و التي وقعت منذ أقدم العصور، و استمرت و تطورت في الزمان و المكان حتى الوقت الحاضر،و في اللغة العربية التاريخ أو التأريخ يعني الإعلام بالوقت، وقد يدل تاريخ الشيء على غايته و وقته الذي ينتهي إليه زمنه و يلتحق به ما يتفق من الحوادث و الوقائع الجليلة، وهو فن يبحث عن وقائع الزمان من ناحية التعيين و التوقيت و موضوعه الإنسان و الزمان[3].

وقد وجدنا أن هذا المفهوم العام للتاريخ قد التبس عند المؤرخين الجزائريين في العهد الاستعماري بفعل السياسة الاستعمارية، التي عملت على تغييب الذاكرة الجماعية للجزائريين وتاريخهم، فإلى غاية السبعينات من القرن التاسع عشر كان بعض المؤرخين الجزائريين يعتبرون التاريخ هو نفسه علم الجغرافية، فهذا أبو حامد المشرفي يقول في كتابه " ذخيرة الأواخر والأول" وهو يتحدث عما كانت تقدمه مدرسة تلمسان العربية - الفرنسية سنة 1877 إنهم "يدرسون الجغرافية، أعني علم التاريخ."[4]

---

[1]- عبد الكريم إبراهيم دوحان: دراسات في منهج البحث التاريخي والأدبي، مؤسسة المختار، ط1، بيروت: 2009، ص 45.

[2]- فاطمة قدورة الشامي: علم التاريخ: تطور مناهج الفكر وكتابة البحث العلمي من أ قدم العصور إلى القرن العشرين ، دار النهضة العربية، بيروت: 2001، ص 27.

[3]- بليسنر: "مادة تاريخ" في دائرة المعارف الإسلامية،مج4، دار المعرفة بيروت: بلا تاريخ، ص 473.

[4]- أبو حامد المشرفي :ذخيرة الأواخر والأوائل ، نقلا عن أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ، ج7، دار الغرب الإسلامي،ط1، بيروت: 1998، ص 302.

وهذا على الرغم من أن المشرفي نفسه رجع ونوّه بقيمة التاريخ، وعرّف بفضله في صفحات عديدة من كتابه "الحسام المشرفي لقطع لسان العجرفي" إذ خصّص قرابة أربع عشرة صفحة منه لهذه المسألة، وفي الجزء الأول من " ذخيرة الأواخر والأول" وضع مقدمة عرّف فيها أيضا بالتاريخ، وفي آخر الجزء الثاني منه خاتمة تضمنت الحديث عن أهمية علم التاريخ[1].

واعتبر الزياني أن : " علم التاريخ والأخبار من العلوم التي ينبغي الاعتناء بها ولا تجعل في زوايا الأدفار [2]" وقال المازري في طلوع سعد السعود عن التاريخ أنه :"...تكفّل بأخبار القرون والأمم ودولها ومن مضى منها أو رحل، أو هو آت في المستقبل، فحقه الاعتناء به بتدوينه كي لا يضيع فيهمل". [3]

وكتب أبو يعلى الزواوي يقول في فضل التاريخ:"إن فضل علم التاريخ لا يُنكر وفوائده تُذكر فتُشْكر، وقد نوه به جميع المؤرخين في كتبهم، و لم أرد استيعاب ذلك لشهرته، وقصدي الاختصار..."[4]

وأضاف الزواوي معاتبا من ينكرون هذا الفضل قائلا :" وبالجملة إن نكراننا علم التاريخ لإحدى الكبائر في هذا العصر، نذيرا للبشر لمن شاء منهم أن يتقدم أو يتأخر، إذ من الفطرة السليمة التشوق وحب الاطلاع إلى بدء الخليقة وإلى انتهائها..." [5]

ونوّه القاضي حشلاف بأهمية علم التاريخ الذي يرتبط به علم الأنساب فقال : "ورد في علم التاريخ المشتمل على علم الأنساب آثار وروايات وأخبار، مما هو متعارف مشهور في كتبه مدوّن مسطور." [6]

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 302.

[2]- محمد بن يوسف الزياني : دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران ،تقديم وتعليق المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر:1979، ص 23.

[3]- المازري: طلوع سعد السعود، ج1، تح: يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي،ط1، بيروت:1990 ، ص 51.

[4]- أبو يعلى الزواوي: تاريخ الزواوة، مراجعة وتعليق سهيل الخالدي،منشورات وزارة الثقافة،ط1، الجزائر:2005، ص 84.

[5]- المصدر نفسه، ص 86.

[6] - عبد الله حشلاف: سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، المطبعة التونسية، تونس: 1929، ص5.

وعلى الرغم من أن المؤرخ إبراهيم العوامر السوفي لم يقم بتعريف التاريخ تعريفا شاملا إلا أنه يستفاد مما كتبه في مقدمة كتابه أن التاريخ هو في نظره :" بيان أحوال الأمم والشعوب وما تشتمل عليه من الحوادث والصروف." [1]

و عرّف مبارك الميلي التاريخ بأنه:" مرآة الغابر ومرقاة الحاضر، فهو دليل وجود الأمم وديوان عزها، ومبعث شعورها وسبيل اتحادها وسلم رقيها" ووضّح أن دراسة التاريخ تحفظ الأمة من الاستلاب الذي تحاول أمة أخرى فرضه عليها، واعتبر أن دراسة الماضي تتيح للمرء تطوير الحاضر بالاستفادة من أخطاء الماضي وتفاديها في المستقبل.[2]

واعتبر المدني أن أبناء العربية في الجزائر يجهلون عن الوطن الجزائري كل شيء بما في ذلك تاريخه:" فكأنهم بذلك يعيشون في ديار غير ديارهم، وأرض لم تنبت آبائهم وأجدادهم أو كأنهم خلقوا على أرض مبتورة الأصل مجهولة النسب، فاقدة كل مقومات الحياة، فهم لا يبحثون عن حوادث أمسها، ولا يهتمون بحالة يومها، ولا يتساءلون عن مستقبل غدها."[3]

و أورد الشيخ عبد الرحمن الجيلالي طائفة من أقوال العلماء في تعريف التاريخ وأهميته وقال عن التاريخ بأنه:" علم تعرف به أحوال الماضين من الأمم الخالية، من حيث معيشتهم وسيرتهم ولغتهم وعاداتهم، ونظمهم وسياستهم واعتقاداتهم وآدابهم، حتى يتم بذلك معرفة أسباب الرقي والانحطاط في كل أمة وجيل." [4]

وأما محمد بن عبد الكريم التواتي صاحب درة الأقلام فكتب يقول: " فلما كان علم التاريخ من أجل العلوم قدرا، و أفضلها ذخرا، وأطيبها وأسناها نبراسا ونشرا، تنافس فيه أهل كل عصر، في كل قطر ومصر، فتسارعوا لصيده بجياد الأفكار، واستسرعوا لقيده خيل يراع الأسفار، وألحقوا طارفه بتالده، ومؤلّفه بشارده، فكان لديهم نعم المقتنى والمدّخر، لمن بالأهم اعتنى، لما

---

[1]- إبراهيم بن محمد الساسي العوامر: الصروف في تاريخ الصحراء وسوف،الدار التونسية للنشر، تونس:1977، ص25.
[2]- مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر:2007، ص 17.
[3]- أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، ط2، دار الكتاب، البليدة:1963، ص 5.
[4]- عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام، ج1، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 1994، ص 16.

احتوى عليه من الفوائد العديدة و الفضائل الحميدة، إذ به يَعْتَبِرُ الآخر بالأول، ويتحرّى السبيل الذي عليه المعوّل"[1].

وهكذا فإن التاريخ قد حضي بمكانة هامة عند هؤلاء المؤرخين الجزائريين، وإن كان كل منهم قد عرّفه انطلاقا من الموضوع الذي أراد الكتابة فيه، فالمشرفي ربطه بالجغرافيا لأنه كان بصدد وضع كتاب يؤرخ فيه لرحلته للقطر الجزائري ، والاطلاع على بعض أحواله، والقاضي حشلاف ربطه بعلم الأنساب، لأنه كان مهتما بالكتابة التاريخية في هذا الموضوع.

و لم يتضح مفهوم التاريخ الوطني إلا مع رواد لتاريخ الوطني وهم: مبارك الميلي وأحمد توفيق المدني و عبد الرحمن الجيلالي، الذين تعد كتاباتهم التاريخية ذروة تطور الوعي التاريخي الجزائري في تلك المرحلة.

عمل هؤلاء المؤرخون إلى جانب إصلاح العقيدة والمجتمع على كتابة التاريخ الوطني، وعلى رأس هؤلاء الشيخ مبارك الميلي، فقد روى أنه لم يكن قد درس التاريخ صغيرا ولا كبيرا، ولكنه كان مهتما بتراجم الماضين وتاريخ صدر الإسلام والتاريخ الحديث، فقرأ واستوعب، ورأى كيف زيّف الفرنسيون تاريخ بلاده، وأثّروا بذلك على عقول فئة من الجزائريين كان يعرفها ويختلط بها، وكانت هذه الفئة تنكر أن للجزائر تاريخا جديرا بالدراسة والإطلاع، فعزم على كتابة تاريخ لوطنه يسد به الفراغ في انتظار ظهور مؤرخين أكفاء[2].

وكان منهج البحث التاريخي الحديث من الاعتماد على المراجع، ونقد الدراسات السابقة وذكر محتوى الكتاب، وغير ذلك من تقنيات البحث، قد ظهر عند بعض مؤرخي الجزائر خصوصا منهم المحتكين بالأوروبيين كبوليفة مثلا، ولكن كتاب التراجم الذي أصدره أبو القاسم الحفناوي في بداية القرن العشرين لم يظهر عليه التأثر بالأوروبيين على الرغم من اختلاط المؤلف بهم والعمل معهم سنوات طويلة، كما شهد على ذلك بنفسه حين قال إنه ظل في رفقة آرنوا قرابة أربعين سنة كما لم يتضح لديه الوعي بالتاريخ الوطني[3].

---

[1]- محمد بن عبد الكريم البكري : درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط بخزانة الشيخ باي بأدرار، ص 13-14.

[2]- مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، 2007، ص 32.

[3]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 305.

## المبحث الثاني: المؤرخون الجزائريون،إشكالية المصطلح:

يوصف المؤرخ بأنه:" باحث والبحث يقوم على الوثائق والأرشيفات" [1] وتقتضي وظيفة المؤرخ الارتباط المعنوي بالزمن الذي يكتب عنه لسبر أغواره.

ولا يشتمل التاريخ على دراسة ذكرى الماضي المثقلة بالبغضاء، أو الهويات المنقسمة نهائيا وإنما هو سعي لفهم ما جرى ولماذا جرى، فهو إلى جانب البحث عن تفسيرات، يبحث عن تعريف للأسباب والنتائج، ولكي يقوم بذلك فهو يحتضن بالضرورة زمنا أطول من زمن الحادثة ذاتها.[2]

وتبقى مهمة المؤرخ الأساسية الحفاظ على الوثيقة بتدوينها لتبقى شاهدة على العصر الذي كتبت فيه[3] و تظل علاقة المؤرخ بمصادره جزءا من التساؤلات المعرفية المتواترة للمعرفة التاريخية.[4]

وهكذا فإن التعريف النظري يجعل مهمة المؤرخ الأساسية هي المحافظة على الوثيقة ومحاولة استثمارها في أبحاثه التاريخية، وهي المهمة التي ظلت منوطة به على الرغم من التقدم الذي طرأ على وسائل البحث العلمي.

و لم تخرج مهمة المؤرخين الجزائريين في الفترة الاستعمارية عن هذا المجال، فقد وجدناهم يصرحون في كتاباتهم التاريخية أن هدفهم الأسمى هو الحفاظ على ذكرى الحوادث التاريخية وتدوينها كيلا تضيع.

ولعل أهم ما واجهنا في هذا الموضوع هو مشكلة تصنيف المؤرخين من بين هواة الكتابة التاريخية، لكننا اعتمدنا على مراجع تناولت دراسة مشابهة مثل دراسة بروفنصال عن مؤرخي الشرفاء بالمغرب الأقصى، وقد لاحظنا أن الباحث أطلق كلمة مؤرخ على كل من ساهم بالكتابة التاريخية، و لم يستثن من ذلك كتب البرامج والأسانيد والإجازات وأصحاب التقاييد الصغيرة حول الحوادث والمدن والأقاليم، منطلقا في ذلك من نظرة المغاربة أنفسهم للتاريخ باعتباره جمعا وتوثيقا

---

[1] - Pierre Asouline :Quest ce qu'un historien ? in Vingtieme siecle,revue d'histoire,année 1987,vol15,n°1,p 110.

[2]-Antoine Prost : Comment L'histoire fait-elle l'historien ? in Vingtième siècle,revue d'histoire,année 2000,vol 65,n°1,p 3-7.

[3]- Oleg Hievnjuk : L'historien et le document, in les cahiers du monde russe, année 1999, vol 40, n°11, p109.

[4] - Ibid,p 110.

للحوادث، وليس بالضرورة استخدام التقنيات الحديثة للدراسة والبحث، وهو الشيء الذي قمنا به في هذه الدراسة حيث أن نظرة الجزائريين في هذه الفترة للتاريخ لم تكن تختلف عن نظرة جيرانهم المغاربة، باعتبار المؤرخ كل من يكتب في السير والمناقب والحوادث، وقد استثنينا من هذا الكتابات التي يغلب عليها الطابع السياسي البحت ككتابات الأمير خالد وفرحات عباس.

وجاء الجيلالي بما يشترط في المؤرخ أيضا، وهو في نظره "العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الأمم والبقاع والأ مصار... والإحاطة بالحاضر من ذلك ومماثلة بينه وبين الغائب... وتعليل المتفق منه والمختلف"[1] وهو تعريف مقتبس من تعريف ابن خلدون.

وقد تعددت أشكال الكتابة التاريخية في تلك الفترة رغم أن عددا من أصحاب هذه الكتابات كانوا لا يدركون أهمية كتاباتهم تلك التي ستصبح مصادر تاريخية لا غنى عنها لأي دارس لتاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، لكن من الإنصاف اعتبار هؤلاء الكتاب مؤرخين بما أن الفرنسيين أنفسهم قد اهتموا بكتاباتهم وترجموها للغتهم واستفادوا منها في جل أبحاثهم التاريخية.

## المبحث الثالث : الوعي التاريخي بين المفهوم الغربي والتصور المحلي:

يُعرّف الوعي التاريخي بأنه التبصر الدائم والهادف بالتاريخ القريب والبعيد الذاتي والموضوعي الحاصل- أي التبصر- من خلال التوغل المركز في قراءة صفحات التجارب البشرية الكثيرة والمتنوعة وفحصها وتدبر أبعادها وخلفياتها واكتشاف المؤثرات والسنن التي ساهمت في بعثها وإيجادها قصد التزود والاعتبار ومحاولة تفهم الأسس النفسية للكثير من الأحداث والصراعات والانفعالات والتأثيرات والحروب، الحاصلة والمتولدة عبر الأيام في تاريخ البشرية الحافل والطويل[2].

والوعي التاريخي قد ارتبط بمرحلة تاريخية حاسمة في تاريخ البشرية وهي القرن التاسع عشر ففي هذا القرن ظهرت الدولة المعاصرة بمقوماتها الأساسية ومهامها الجديدة التي تضطلع بها والأهداف الأساسية التي حددتها لتطوير مجتمعاتها، وليس مجرد صدفة أن نسجل في مستهل القرن 19 م من ناحية أخرى بداية ذلك الوعي الذي طرأ على الكتابة التاريخية وعلى التاريخ الذي كان

[1] - عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج1، ص 23-24.

[2]- فاطمة قدورة الشامي:المرجع السابق، ص 175.

حتى ذلك الوقت مجرد فن من الفنون الأدبية ليصبح بعد ذلك علما قائما بذاته يتوفر على منهج خاص به وأدوات بحث تميزه عن فروع المعرفة الأخرى.[1]

وقيمة الوعي التاريخي بهذا المفهوم ترجع أساسا إلى كون علم التاريخ ومعرفته تجربة وعبرة أو كما يعبر عنه ابن خلدون : " فن التاريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا..."[2]

و التاريخ في حقيقته " خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال[3] " ثم في كونه أيضا تجربة عطاء في شتى مجالات المعرفة والحركة الإنسانية، وأنه حصيلة سنن تحكم الطبيعة والإنسان والعالم، فالمسائل التاريخية- إذن- المتعلقة بالشعوب السابقة وبمصير الأمم وأحوالها وعلاقاتها الحضارية ثم أسباب سقوطها وانهيار الحضارات السالفة متوافرة ومطروحة في دراسة التاريخ.[4]

وفي الجزائر و مع الاحتلال الفرنسي، وأعمال الإبادة والمسخ الثقافي، راح المؤرخون بالظهور، وكان من الطبيعي أن تكون الكتب التي تؤرخ للأشراف والأعيان من الشخصيات العلمية والصوفية هي الأولى من حيث المكانة لدى هؤلاء المؤرخين، باعتبار فضل هؤلاء المشايخ عليهم وعلى أمتهم كبير، ثم توالت كتب التاريخ التي تسرد تاريخ المدن والأقاليم، وبعض المعارك والحروب، ولقد ترك لنا المؤرخون الجزائريون في هذه المرحلة مادة تاريخية في غاية الثراء صالحة للنظر لا في الوقائع فحسب، بل وفي الأفكار والوعي والأماكن والاتجاهات السياسية والإيديولوجية، ذلك أن مؤرخي المرحلة لم يتركوا ما هو قابل للتأريخ إلا و أثبتوه بالتقييد في مؤلفاتهم.

ولعل أول مظهر من مظاهر الوعي التاريخي للمؤرخ الجزائري هو اتحاد الرواية بالحدث، والنقل عن الرواة، لتأكيد صحة رواية ما أو للإشارة إلى الاختلاف في الروايات، وفي كل الأحوال

---

[1]– جمال قنان: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر: 1994، ص 311.

[2]– عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، الهيأة العامة لقصور الثقافة، القاهرة:2007، ص 7.

[3]– ابن خلدون: المقدمة، ص 13.

[4]– عثمان موافي: منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الأوروبي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية:1984، ص180.

ظلت الرواية الشفهية أو الكتابية الطريقة الأكثر حضوراً في إيراد الخبر عند المؤرخين المسلمين عامة و لم يكن المؤرخون الجزائريون بمنأى عن ذلك.[1]

و لاحظنا اعتماد التدوين التاريخي الجزائري في بداياته على الروايات الشفهية لحفظها من الاندثار، وهو ما عبر عنه المازري كما نقلناه سابقا ، ويرى البعض أن المؤرخين الجزائريين الأوائل في فترة الاحتلال كانوا رواة أكثر منهم مؤرخين، والحق أن استمرار الرواية ناتج عن غياب التأريخ الكتابي، و لم تنته عملية التأريخ عبر الرواية، إذ ظلت المسألة في التاريخ هي الإخبار نقلاً عن الرواة الثقاة[2].

وفي كل الأحوال لم يُعمِل المؤرخ عقله في نقد الرواية، بل تعامل معها كحجة لصدق الخبر، ومما يزيد من تعقيد الأمور أن المؤرخ الجزائري وهو يحكي عن تاريخ قديم جداً كالفتح الإسلامي اعتمد أيضاً على رواة تناقلوا الخبر بينهم وبين الخبر الذي رووه مئات السنين، وبالتالي لم يكن الراوي شاهداً دائماً على الحدث.

و لم ينفصل الوعي التاريخي عند مؤرخي المرحلة عن وعيهم الديني، فكما قال هواري التواتي:" ظلت الأصول المنطقية التي بني عليها علم التاريخ عندنا، هي نفسها التي بنى عليها المؤرخون المسلمون نتاجهم الفكري في العصر الكلاسيكي القديم، فالتاريخ هو إذن وقبل كل شيء عرض لزمن ديني، و التاريخ الذي يخضع لقدرة إلهية مطلقة، نجد تفسيره في الإشارات التي شاء الله أن يظهر فيها قدرته، فالخسارة العسكرية هي دليل على الغضب الإلهي وأما الانتصار فهو دليل على العناية الإلهية."[3]

و تعرضت كثير من الوقائع الصحيحة لمثل هذه الأسطرة، والملاحظ أنه كلما بعد الزمن عن الأصل، صار المؤرخ أقرب إلى الواقعية، وزالت الحوادث المتخيلة[4].

---

[1]- جان فنسيتا: التراث الشعبي المروي: منهجية الجمع والتصنيف ، تر: عبد الرحمن أيوب، مجلة الثقافة العربية، ع 7، يوليو 1978، ص 30-31.

[2]- الهواري التواتي: التأريخ الجزائري من القرن التاسع عشر إلى النصف الأول من القرن العشرين من الخبر إلى التأريخ، ضمن كتاب انتلجانسيا أم مثقفون في الجزائر ، دار الحداثة ، بيروت: 1986، ص 143.

[3]- المرجع نفسه، ص 138.

[4]- شمس الدين الكيلاني: من العود الأبدي إلى الوعي التاريخي،دار الكنوز الأبدية،ط1، بيروت: 1998، ص 10.

سجل لنا هؤلاء المؤرخون وقائع كثيرة تختلف قيمتها وأهميتها، لكن التاريخ ظلّ في البداية بمجمله سرديا، وهو تاريخ إجابة على سؤال: كيف جرت الحوادث أو الوقائع ؟ و لم جرت على هذا النحو؟

وقد حشد المؤرخ الجزائري ما شاء له في كتب التاريخ، فلم يقف عند الوقائع الحاسمة الأساسية بل راح يسرد ما هو ثانوي من قصص حصلت مع هذا أو ذاك، واستطرد كثيرا في أخبار لا تمت بصلة لموضوعه التاريخي.

وإذا كان التأريخ منطبعا دوما بالوعي الإيديولوجي، وليس الوعي الإيديولوجي هنا سوى الانحياز والنظر إلى التاريخ نظرة تعبّر عن موقف مسبق ومحاكمة الوقائع أو الأفراد انطلاقاً من هذه النظرية المسبقة، وبخاصة إذا عرفنا أن المؤرخ عموماً هو دائماً متهم شاء أم أبى [1]، فكيف إذا تأملنا وضع المؤرخ في الفترة الاستعمارية، وبخاصة المؤرخ الذي تقاذفته الأهواء وانحيازياته السلطوية؟ حيث أظهر المؤرخ الجزائري موقفه الإيديولوجي بأكثر من مظهر.

ولا يجب محاكمة المؤرخ الجزائري كما قلنا وفق معيار المنهج التاريخي المعاصر، ولكن من الضروري تبيان مستوى الوعي التاريخي لديه وطبيعته، فإذا كان المؤرخون الجزائريون يكتبون الآن تاريخ الجزائر مبتعدين عن سلبيات ومساوئ الوعي التاريخي القديم، إلا أننا ما زلنا في مرحلة بناء لمدرسة تاريخية جزائرية محضة غير مؤدلجة بإيديولوجيات سياسية.

ونود أن نشير أن منهج الكتابة التاريخية في الفترة الاستعمارية قد عرف تطورا ملحوظا بفعل الاحتكاك بالكتاب والمثقفين الفرنسيين، فبعد أن كان التدوين التاريخي يعتمد في البداية على الملاحظات ونقل الروايات من الذاكرة فقط، صار المؤرخون بعد فترة ينقلون عن جملة من المصادر يحيلون إليها في أبحاثهم، وهو منهج أوروبي حديث استفاد منه عدد من المؤرخين خصوصا منهم الذين كانوا قد انضووا في النشاط الإصلاحي.

ومع تطور مسار الحركة الوطنية الجزائرية تطور مسار الكتابة التاريخية لصالح خدمة القضية الوطنية باعتبار التاريخ أحد المقومات والركائز الرئيسية للمقاومة الثقافية، والدفاع عن الهوية

---

[1] – فتحي التريكي: العقل والنقل في فلسفة التاريخ عند العرب، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع 88-89، ماي – جوان 1991، ص 35.

الوطنية أمام حملات التشويه والتحريف التي شنتها الأقلام الفرنسية على ماضي الجزائر وهو ما تجسّد في المؤتمر التاريخي الذي عقد سنة 1930 وصدر في مجلدين بعنوان تاريخ ومؤرخو الجزائر[1].

## المبحث الرابع: عوائق الكتابة التاريخية الجزائرية خلال الحقبة الاستعمارية:

اعترضت عملية التدوين التاريخي الجزائري عدد من المصاعب التي أثرت على الكتابة التاريخية الجزائرية منها انهيار الحكم العثماني المسلم ومجيء الأوروبي الكافر للجزائر، فالتاريخ كان دوما تاريخا للسلطان[2]، خصوصا في تلك الفترة و لم يعد أمام المؤرخين الجزائريين من موضوعات يطرقونها سوى موضوعات الماضي، وهكذا وجدنا مؤرخي المرحلة الاستعمارية يؤرخون لبعض الحكام العثمانيين السابقين كصالح باي قسنطينة أو محمد الكبير باي الغرب، و لم نجد من بينهم من أرّخ مثلا لحاكم فرنسي رغم اشتغال الكثير من المؤرخين مع الضباط الفرنسيين وهذا كله نتيجة النظرة الدينية.

والعامل الآخر المهم هو عمليات السلب والنهب التي طالت عددا من الوثائق والمخطوطات التاريخية الجزائرية، فالمصادر التي أرخت لتلك المرحلة ومنها حتى الفرنسية، تؤكد أن الضباط وجنود الاحتلال عند قيامهم باحتلال الجزائر استولوا على خزانة الوثائق العثمانية وظل عدد كبير من هذه الوثائق عرضة للإهمال .

وخلال الحملة الفرنسية للاستيلاء على قسنطينة قامت قوات الاحتلال بنفس العمل يساندهم في ذلك عدد من اليهود، وحسبما ذكر ديسلان فلم ينج من هذه الأعمال سوى بعض المكتبات الخاصة التي حاول أصحابها على قدر المستطاع وضعها في منأى عن الفرنسيين، ومن هذه المكتبات نذكر مكتبة حمودة الفكون ومكتبة السعيد باشتارزي اللتان كانتا تضمان عددا هاما من الوثائق والمخطوطات.

وقد ذكرنا هذا لنعلم أن المؤرخ الجزائري خلال فترة الاحتلال لم يبق أمامه عدد كاف من المصادر التي تعينه في تدوين التاريخ، بعد أن استولى الضباط الفرنسيون على عدد من المكتبات

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 306.

[2]- أنظر مثلا : العربي أكنينح، التأريخ والسلطان السياسي:نموذج المصادر المؤرخة للأدارسة ومدينة فاس، مجلة فكر ونقد ديسمبر 2000 ع34، ص ص 8-17.

التي تعود ملكيتها لبعض الأعيان الجزائريين وبالتالي حرموا المؤرخ الجزائري من مادة خصبة يستطيع أن ينطلق منها لتدوين تاريخ بلاده[1]

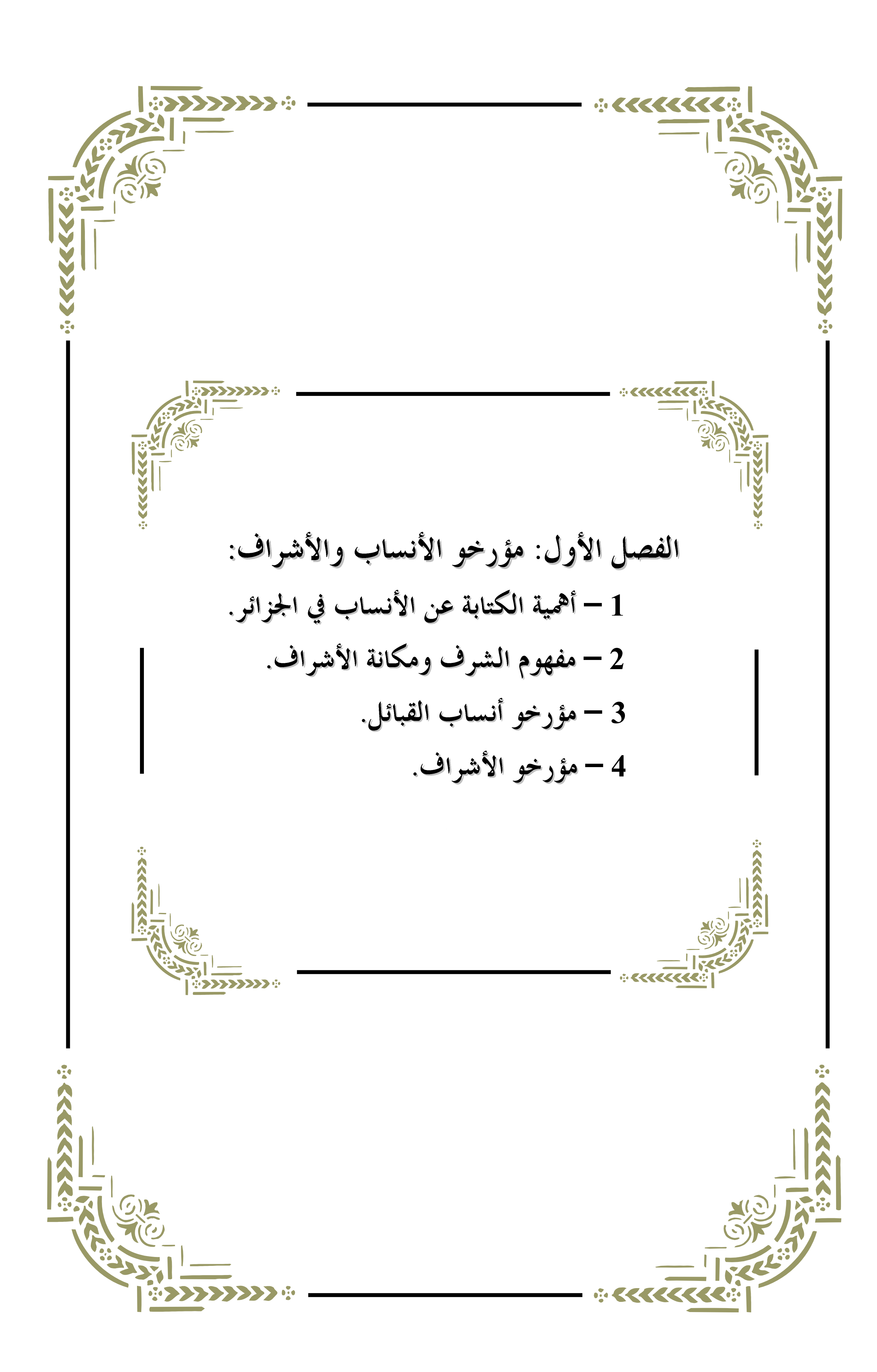
وقد وجدنا أن غالبية كتب المرحلة قد لجأ أصحابه ا إلى التأريخ انطلاقا من الذاكرة والروايات الشفهية المتواترة كمحاولة لتعويض النقص في المصادر، ولا يعد ذلك عيبا في هذه الكتابات بل أن التاريخ ظل دائما وإلى حين قريب مرتبطا بالرواية الشفهية.[2]

ويضاف إلى هذه العوامل ما حصل في العهد الاستعماري من تغييب تدريس التاريخ الجزائري والإسلامي في المدارس الرسمية، مما تسبّب في انقطاع المتعلم عن المراجع والبحوث والآراء حول الكتابة التاريخية، إذ كانت البرامج الدراسية الفرنسية تركّز على أن الجزائر جزء تاريخي من فرنسا وهذا ما دفع المدارس الحرة التابعة للحركة الإصلاحية أن تدخل في مقرراها الدراسية مادة التاريخ الجزائري والعربي الإسلامي، كرد قاطع منها على تمسك الشعب الجزائري بهويته وتاريخه المنفصل عن تاريخ فرنسا[3].

[1]- جيلالي صاري: مخطوطات قسنطينة ومصيرها بعد سقوط المدينة في سنة 1837، مجلة الأصالة، ع 80، مارس-أفريل 1984، ص 154-155.

[2]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 305.

[3]- رابح تركي:التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر:1981، ص 192.



## الفصل الأول: مؤرخو الأنساب والأشراف:

1 – أهمية الكتابة عن الأنساب في الجزائر.

2 – مفهوم الشرف ومكانة الأشراف.

3 – مؤرخو أنساب القبائل.

4 – مؤرخو الأشراف.

أولى العرب منذ القديم عناية بالغة بالأنساب نظرا لطبيعة المجتمعات العربية المشكّلة من مجموعات قبلية تنال أكثرها شرفا مكانة هامة بين القبائل الأخرى، و لم يَحِد المجتمع الجزائري عن هذا الأمر، إذ أولى المؤرخون الجزائريون عناية كبيرة بالأنساب.

## المبحث الأول: أهمية الكتابة عن الأنساب في الجزائر:

إن علم الأنساب هو علم يهتم بأنساب القبائل والأسر المحلية ، و يُتعرف منه على أنساب الناس وهو علم يوصل الأجيال بعضها ببعض [1]، وتعد الكتابة عن الأنساب من الأشكال التقليدية الهامة للكتابة التاريخية سواء في الفترة العثمانية أو حتى في فترة الاحتلال وذلك لما للنسب في حياة الأفراد من أهمية، حيث كان الأفراد يتفاخرون بالنسب الشريف وهو أنبل الأنساب لما لآل البيت من فضل ومكانة عند كامل الفرق الإسلامية.

وكان الجزائريون يولون عناية كبيرة بالأنساب وحفظها، وإلى عهد قريب كان المشايخ يحفظون سلسلة كبيرة من نسبهم، وقد ظل الأمر كذلك إلى أواخر القرن 19، حيث ساهمت السياسة الاستعمارية في فصل المجتمع الجزائري عن ماضيه وعمدت إلى تحطيم كيان المجتمع بدعوى القضاء على الأرستقراطية العربية "والخيام الكبيرة" [2] وكانت العائلات تحتفظ بأنسابها في سجلات خاصة، وفي هذا المجال ذكر الشيخ البشير الإبراهيمي أنه رأى عند جده سجلا كان يسجل فيه المواليد الجدد في العائلة كما ضم هذا السجل تسجيلا لسنوات ميلاد كل أفراد العائلة بمن فيهم الشيخ البشير الإبراهيمي [3].

## المبحث الثاني: مفهوم الشرف ومكانة الأشراف :

من الغريب أن عددا من كتاب هذه الفترة قد خلطوا خلطا عجيبا بين شريف النسب وشريف المكانة والمقام فقد وجدناهم عند الكتابة عن أنساب الأعيان يعمدون إلى خلق نسب شريف لهم ، وحتى الفرنسيين الذين كتبوا عن هذا الموضوع نحوا نفس المنحى فصاحبا كتاب

---

1- سلمة الصحاري : كتاب الأنساب، نشر وزارة التراث القومي والثقافة بسلطنة عمان،ط1، 1995، ص 11.

2- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ،ج 7 ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ،ط1، 2005، ص 317.

3- محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ، ج5، دار الغرب الإسلامي ، بيروت،ط 1، ،1997، ص 163.

أعيان المغاربة المطبوع في الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى عمدا إلى وضع كل أعيان الفترة في زمرة الأشراف[1] .

وهنا لا بد لنا أن نضبط مفهوم الشرف، فالشرف لغة هو العلو والمجد[2] وقد كتب ألبير ديفو أن الشرف في الجزائر ثلاثة أقسام : الأول شرف النسب وهو الذي يعنينا هنا والثاني الشرف الديني وهو الذي يخص أصحاب الزوايا والثالث هو الشرف العسكري وهو ما يعرف محليا بالأجواد وكان يطلق على أصحاب المقامات والمناصب الرفيعة كالقياد والباشاغوات وغيرهم من موظفي الإدارة.[3]

وبالنسبة للنوع الأول وهو شرف النسب ، فهو يعني انتساب الشخص إلى ذرية الحسن أو الحسين من أبناء على بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله" ص "، ولُقّب بالشرفاء كل من كان له نسب بالرسول "ص"[4] وفي الجزائر عرف هؤلاء في النطق المحلي بالشُّرفة ولا تزال مناطق كثيرة تعرف بهذه التسمية إلى الآن.

وقد أثيرت حول الأشراف نقاشات واسعة منذ فترة طويلة، وفي العصر الوسيط الإسلامي طرحت القضية للنقاش بين فقهاء ذلك العصر، وظهر اتجاهان : الأول مكون من الداعين إلى انتساب الشخص من جهة الأب وقد مثل هذا التيار المؤرخ الحفصي المعروف ابن قنفذ القسنطيني الذي وضع تأليفا سماه :" تحفة الوارد في بيان النسب من الوالد " و التيار الثاني مكون من الداعين إلى انتساب الشخص من جهة الأم ومثّلهم ابن مرزوق الحفيد الذي وضع تأليفا سماه :" إتحاف الصم في بيان الشرف من جهة الأم ".[5]

---

[1] - Marthe et Edmond Gouvion : Kitab Aaayane el Marhariba, Imprimerie Fontana frères, Alger 1920 (4 vol).

[2]– ابن منظور: لسان العرب، ج 4، مادة شرف، دار المعارف، القاهرة، بلا تاريخ، ص 2241.

[3] - A.Devoulx : Notes historiques sur les mosquées et autre édifices religieux d'Alger,in revue africaine n°6 année 1862,p 203.

[4]– الونشريسي : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب ، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1982 ، ج 2، ص 549 .

[5]– بوبة مجاني : " تحفة الوارد في اختصاص الشرف من الوالد : مقاربة أولية"، مجلة سيرتا، السنة السابعة ، العدد 11، ماي 1998، ص 151.

وفي العهد العثماني كان لأشراف الجزائر نقابة خاصة بهم هي نقابة الأشراف يتولى رئاستها واحد من الأشراف، و احتكرت عائلة الزهار هذا المنصب لمدة طويلة، وآخر من مثّلها الشريف أحمد الزهار، و رغم أن أشراف الجزائر لم يحظوا بالمكانة التي حظي بها الأشراف بالمغرب الأقصى إلا أنه كانت لهم امتيازات هامة إذ أنهم كانوا معفيين من دفع الضرائب ومقربين من الحكام[1].

ولعلّ هذا الأمر هو الذي جعل الكثير من العائلات تعمد إلى اختلاق شجرة نسب وهمية لها تدخلها ضمن أهل البيت، وقد أكّد على ذلك الأستاذ سليمان الصيد حين قال إن بعض الأفراد كانوا يقومون بإرشاء القضاة ليحرّروا لهم شجرة نسب شريف، وهكذا فقد كانت مسألة النسب الشريف من بين المسائل الهامة في تاريخ الجزائر .[2]

وكان أول من أثار قضية الشرف هو صالح بن مهنة القسنطيني في تعليقه على الجزء الأول من رحلة الورثلاني حين أكد أن الانتساب للشرف وحده لا يكفي، حيث أن الشريف الحقيقي هو الذي يخشى الله، أما الشريف المزيف الذي يرتكب الجرائم والسرقات فلا يستحق أي تقدير، وقد أثار هذا الكلام حفيظة الشاعر عاشور الخنقي الذي كتب ردا عنيفا سماه "منار الأشراف على فضل عصاة الأشراف ومواليهم من الأطراف" أثبت فيه إن الأشراف مغفور لهم سواء أحسنوا أم أساءوا، ووضع محمد بن عبد الرحمان الديسي كتابا في الرد على عاشور الخنقي بعنوان " الساجور للعادي العقور عاشور" .

ولعل هذه المعركة التي أثيرت حول الأشراف في العشرينيات من القرن التاسع عشر كانت في مصلحة الإدارة الاستعمارية، التي رأت تحوّل أقلام فئة من أعلام تلك المرحلة إلى تناول هذه القضية عوض الانشغال بالأمور السياسية أي الدفاع عن حقوق الأمة الجزائرية.[3]

وسنحاول هنا جرد وتحليل الكتابات المخطوطة والمطبوعة التي تناولت أنساب القبائل أو الأشراف في الجزائر خلال فترة الاحتلال.

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 238.

[2]- سليمان الصيد: صالح بن مهنا القسنطيني: حياته وتراثه، قسنطينة ، دار البعث، 1983، ص84 – 85.

[3] - أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ،ج 7 ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ،ط1، 2005، ص 331.

## المبحث الثالث: مؤرخو أنساب القبائل :

### 1-* إبراهيم ولد سيدي ومخطوطه عن نسب سكان الهقار :

*المؤلف:

قال هنري دوفيريي عن إبراهيم ولد سيدي مؤلف هذا المخطوط إنه" الرجل الأكثر تعليما بين التوارق "، وقد كان ولد سيدي حيا سنة 1864 وهي سنة تأليف دوفيريي لكتابه[1].

*الكتاب:

حصل هنري دوفيريي على نسخة مخطوطة من هذا الكتاب، وعندما عرض ما جاء فيه على التوارق تقبلوا روايته، وكان المؤلف قد وضع هذا الكتاب، وأرسله إلى سيدي محمد العيد شيخ الطريقة التيجانية بتماسين، وهو يتناول أصول عدد من قبائل الهقار، وقام دوفيريي بنشر قسم منه في كتابه[2].

قال إبراهيم ولد سيدي في تقييده الذي بعثه للشيخ محمد العيد التماسيني شيخ الطريقة التيجانية بتماسين : " لقد طلبت منا معلومات عن أصلنا وأجيبك فأقول بأننا ننحدر على العموم من السلالة الإدريسية بفاس، والبعض منا قدم من شنقيط بين تمبوكتو والبحر المحيط، والبعض الآخر هم أناس أتوا من آدغاغ بين النيجر وجبالنا [ أي جبال الهقار ] "[3]

" نحن ننحدر من الأدارسة عبر شريف قتله الملك أورمين، وهذا الشريف هو الجد المشترك لشرفاء آزقار وشرفاء كرزاز وشرفاء وزان، وهكذا فإن شرفائنا إيفوغاس وإيمانان هم من نفس سلالة العائلات الكبرى بالمغرب ."

وأضاف قائلا:" وإذا طلبت منا أن نخصص أكثر أصول كل قبيلة، وأن نميز أعيان العبيد الفلاحين، فإننا نقول لك أن مجموعنا هو خليط وتشابك كقماش خيمة نسجت من وبر البعير

---

[1] - Henri Duveyrier : Exploration du Sahara : Les Touareg du Nord, Paris, Challamel Aîné libraire-éditeur 1864, pp 318 – 322.

[2] – Ibid ,pp 318 – 322.

[3] – Ibid , p 322.

وصوف الخروف، ويجب أن يكون المرء حاذقا كي يعرف الفرق بين الوبر والصوف، ومع هذا فإننا نعلم أن كل قبيلة من قبائلنا الكثيرة قد جاءت من بلاد مختلفة "[1].

وبعد ذلك قدّم الشيخ إبراهيم ولد سيدي أصول عدد من قبائل الهقار، وفصل فروع آزقار فقال أن " إيمانان هم السلاطين، وهم شرفاء حقيقيون نصفهم من الأدارسة من الأسرة الحاكمة بفاس والنصف الآخر من العلويين المنحدرين من سيدنا علي بن أبي طالب. "

وقال عن أوراقن أنهم أبناء سلاطين من جهة آبائهم، لكنهم فلاحون من جهة أمهاتهم لأنهم ليسوا جميعا من أصل شريف. "

وقال عن إيمنغاساتن أنهم ينحدرون من عرب الشرق، وليس واضحا ما إن كانوا شريفي النسب أم وضيعيه، وإذا كان من بينهم أبناء سلاطين فهم ليسوا كثيرين ."

وقال عن إيفوغاس أنهم في الأصل لم يكونوا سوى قبيلة واحدة مع إيوادالان وإيقاوادارن وإيداوغاغ وأهل السوق وكل هؤلاء يكوّنون سكان مدينة السوق "

ثم يذكر المؤلف أن" مدينة السوق بناها الزنوج وغزاها الطوارق، وسكنوها وكبّروها وزينوها وتخربت ثلاث مرات مختلفة ."

وأشار ولد سيدي أن سكان السوق قد اختلط عرقهم مع الزنوج، وذكر قصة طويلة في ذلك ومختصرها أن هناك أربعين فتاة عذراء بيضاء، وأربعين فتاة عذراء زنجية كانت تقدم ضريبة الأولى أي البيضاء يقدمها طوارق السوق إلى سلطان كافر يسمى جبار، والثانية تقدم من ملك قوقو إلى سلطان السوق البربري ، وتناوب النصر كل من البيض والسود [2].

ولاحظ ولد سيدي أن عائلات رجال الدين قد حافظت دوما على رعاية إلهية حمتها من كل اتصال مع الوثنيين وأن دمها ظل نقيا من كل اختلاط.

وكتب أنه " مع تفرق أهل السوق فإن الوادالان وإيدارغاغ لجئوا إلى بلاد أدرار بشنقيط، ولجأ إيقاوادارن إلى ضواحي تمبوكتو، وهم اليوم تحت سلطة الشيخ آق الخنا، وإيفوغاس الذين نحصي من بينهم أكبر المرابطين، وكبار قاطعي الطريق هم عند طوارق الشمال، وأخيرا وبعد محن العدو والجوع والعطش بقي في السوق رجل واحد هو العالم محمد بن الداني مع أربعين امرأة

---

[1] – Ibid, p318.

[2] - Henri Duveyrier :Opcit, p318-319.

وأسس قبيلة جديدة هي أهل السوق، بعد أن منح الأربعين امرأة كزوجات لرجال قبيلة الأباكر وهي من ذرية الأنصار بمهر مقداره أربعون ناقة "[1].

ويستفاد من كلام دوفيريي أن مخطوط ولد سيدي به تعليقات خطية لعلّها لأحد زنوج مدينة السوق، فهذا الشخص يعلق مثلا على مدينة السوق بقوله أنها تقع في منتصف الطريق بين عين صالح وقوقو في الطريق الرابط بين هاتين النقطتين، كما يعلق مرة أخرى بقوله أنه لا يجب الخلط بين أهل السوق المهاجرين بعد خراب المدينة مع أولئك الذين حافظوا على اسم وإقامة القبائل الأولى [2].

ويواصل المؤلف ولد سيدي ذكر أصول سكان منطقة الهقار فيقول إن كَالْ إيزهابن نتجوا من فرقة السوق الذين كانوا يسمون قبل الافتراق "أهل السوق " وقال عن إيمتريلالن أنه لا يدري من أين ينحدرون، وبالنسبة لإيهدهانارن فهنا يتدخل المعلق ويقول إن" إيهدهانارن السودة ينحدرون من السوق، وهم أشراف، وأما إيهدهانارن فقط فهم ذوي نسب غير شريف من جهة آبائهم ومن جهة أمهاتهم .

ويعود ولد سيدي فيقول إن إيهاهاون " مكتوب في كتاب السوق أن أمهاتهم تم شرائهن وأن آبائهم هم اليزيد وعبد الرحمن قاتلا الحسن بن علي بن أبي طالب سبط الرسول "ص " رحمه الله ."

وهنا يتدخل المعلق ليدافع عن شرف عرقه فيقول أن يزيد وعبد الرحمن صارا من طوارق بني أمية وهم من العرب وذريتهم حافظت على استعمال اللغة العربية.

وقال ولد سيدي عن إيلمتين أنهم" ينحدرون من لمتونة غرب تمبوكتو ولا نعلم إن كانوا شرفاء أم لا" .

ثم انتقل إلى تفصيل أصول قبائل آهقار فقال :" إن شرفاء آهقار هم على العموم أولاد سيدي بن سيدي مالك الذين ينحدرون من جد شريف اسمه آقاق وهو أمير من بلدة السوق"وقال عن طايكوك " إن قسما منهم هم من عرق إيمانن آوجار، أي أنهم ينحدرون من الأدارسة، وقسم منهم أصولهم من أهل فداي من بلاد آير، ولا تزال سلالة هذه القبيلة تعيش اليوم، لكن الجميع

[1] - Ibid,p319.

[2] - Henri Duveyrier :Opcit, p320.

أصولهم شريفة ونعرفهم من علمهم وطريقة عيشهم، ومع ذلك فيوجد من بينهم بجانب أهل بيت البيض ، أهل بيت السود.[1]

وقال عن كَل بْهَالا أنهم من أبناء سيدي أي شرفاء، وجدّهم جميعا هو السلطان العلوي ويوجد من بينهم أبناء حتيتة، والبعض الآخر هم أبناء الماهوق التارقي ولهم دماء الشرفاء."

وعن إيكاداعن " إن أصلهم من السوق لكن من عائلات بيضاء، وإيرحشو هم أيضا من السوق، وينحدر قسم من القبيلة من الأدارسة، وقسم آخر آبائهم من إيكاداعن، ولا أدري إن كان هؤلاء جماعات ملحقة بالقبيلة الأصلية أم أنهم ولدوا من بغاء أمهاتهم "

وقال عن تجاحن أوسيدي " وما تبقى من أولاد آوسد آبائهم من السلاطين، ولا يشكّلون سوى قبيلة واحدة مع إيمانن آزجار وتفرقهم لا يشير إلا إلى تفرع لنفس الشجرة "

وقال عن تجاحمالن أو أولاد مسعود " إنهم شرفاء ثمانية منهم أوقوق، وبهم أثر دم الشرفاء " وتدخل المعلق هنا ليضيف أن هؤلاء أقوياء جدا ولهم قوام عال، وقال ولد سيدي أن " قبائل أخرى أصولها من السوق لكن من عائلات بيت السود أي المولدين ."

وهنا ينهي دوفيريي اقتباساته من المخطوط ويقول أنه لجأ إلى تحليل ما جاء فيه، ونقل أهم أفكاره لكي لا يرهق القارئ بتفاصيل كثيرة [2]، ومعنى هذا أن صاحب المخطوط قد فصّل كثيرا في أصول قبائل المنطقة، وذكر نسب كل منها، وللأسف الشديد فما عدا هذه الاقتباسات التي نقلها دوفيريي فإن المؤلفات التي تناولت تاريخ منطقة الهقار لم تشر إلى هذا الكتاب ولا إلى صاحبه، والأرجح أن المخطوط قد ضاع مع دوفيريي بعد أن نقل منه ما يحتاجه في بحثه.

## 2-* أبو القاسم محمد بن داود المستغانمي ومخطوطه العيش الرغيد في بيان شعوب هبرة وسويد:

### * المؤلف:

مؤلف هذا المخطوط هو أبو القاسم محمد بن داود المستغانمي ولا نعرف عنه سوى ما ذكره بشأنه دلفان وقان اللذين أشارا إلى تأليفه هذا في بحث لهما عن القصيدة والموسيقى العربية ،

[1] - Ibid, p321-322.
[2] -- Henri Duveyrier :Opcit, p322.

ويبدو من نسبته إنه ولد بمستغانم خلال القرن 19 م وتربى بها ونال العلم على مشايخ عصره وتثقف ثقافة دينية تقليدية وهو ما يبدو من العنوان الذي وضعه لكتابه هذا.

* **الكتاب:**

أتم المؤلف كتابه هذا قبل سنة 1890 لكنه لم ينشره فبقي مخطوطا واستفاد منه الباحثان الفرنسيان ديلفان وقان في بحثهما.[1]

ويتناول هذا المخطوط كما هو واضح من عنوانه تاريخ قبائل هبرة وسويد وهذه الأخيرة هي قبيلة عربية هلالية، و من أهم قبائل الناحية الغربية، و قامت بدور هام في جل الأحداث التي عرفها المغرب الأوسط خاصة في العهد الزياني .

ويقول البوعبدلي أن قبيلة سويد صارت تعرف بأولاد قصير، كما عرفت في الناحية الغربية بالمحال، وقائدها السايح بن خضرة كانت له مواقف مع الأتراك ومعارك سجلها الشعراء الشعبيون.

وتمتد أراضي المحال من مدينة تنس إلى غاية نواحي مستغانم وقد قامت قبيلة سويد " لمحال كما تعرف محليا " بثورة على الأتراك دامت حوالي قرنين من الزمن.[2]

ورغم عدم اطلاعنا على هذا الكتاب، إلا أننا يمكن أن نرجح أن مؤلفه قد رجع إلى بعض المؤلفات المعروفة في وقته كابن خلدون في العبر وعبد القادر المشرفي في بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبان من الأعراب كبني عامر، وتاريخ أبي راس الناصري المعسكري إضافة إلى بعض التواريخ المحلية كدليل الحيران للزياني وأنيس الغريب والمسافر للباش دفتردار مسلم بن عبد القادر هذا إضافة لمعاصرته هو لبعض وقائع عصره.

---

[1] - Delphin et Guin : Note sur la poésie et la musique arabe dans le Maghreb algérien, Paris, Ernest Leroux éditeur 1886 p 38-39.

[2] – محمد بن يوسف الزياني: المصدر السابق، ص 227.

## 3-*علي التلمساني و مخطوطه أنساب قبائل تلمسان:

### * المؤلف:

مؤلف هذا المخطوط هو " الشيخ الفقيه العالم العلامة الحافظ النحرير اللبيب الفهامة أبو الحسن علي بن محمد بن الخطيب القرشي التلمساني. " [1]

وجاء في آخره العبارة التالية :"..قال كاتبه انتهى من خط العالم النحرير سيدي علي بن محمد بن الخطيب القريشي التلمساني لطف الله به في الدارين آمين ...وكان الفراغ من هذا التأليف يوم الأربعاء التاسع عشر فيفري سنة 1890 م ....وكتب عبيد ربه أحمد بن محمد بن كردال نسبا ومسكنا بمستغانيم، المتوظف الآن عدلا بمحكمة سيدي السنوسي قسم 14 بدائرة عمي موسى .." [2]

### * الكتاب:

هو مخطوط بالمكتبة الوطنية بالجزائر تحت رقم 3188، وأما عن دواعي تأليفه فقد قال " قد سألني بعض الإخوان عن نسب زغبة وأين ينته أصلهم وعن نسب القبائل كلها " كما ذكر أن من دواعي تأليفه لكتابه هذا هو " أن محمد بن عريف حين طغى وتكبر وتجبر على الإخوة ثم ادعى الشرف وشرك في تلك الدعوة صاحب االبطحة ... فأتوا إلي يسألوني عن نسبهم فقلت لهم أمهلوني حتى نبعث إلى بلاد تلمسان ...يأتوني بالكتابين الجليلين كتاب الجوهري وكتاب ابن خلدون ننظر فيهما، وناتيكم بأخبار صحيحة فلما أتوني بالكتابين وعاينت ما كان فيهما من الصحة ووصلت إلى سويد وقرأت عليهما ما كان في الأخبار فأخذوا منهم الصحة وسلموا على ما كانوا يرتكبونه من الظلم والجور واستغفروا الله وتابوا وكان صاحب شنطريت وواد سيرات ومنداس ومليانة وشلف وكان علي بن محمد بن الخطيب شريكه في هذه الأوطان وحين نظرت في

[1]- محمد بن علي التلمساني : أنساب قبائل تلمسان، مخطوط المكتبة الوطنية، رقم 3188، ص1

[2] - محمد بن علي التلمساني : المصدر السابق، ص 35.

الكتابين المذكورين فاقتصرت على نسب زغبة ثم رتبت عليهم ما كان من القبائل بعدهم وقدمت ما قدم الشيخ وابتدأت بنسب سويد .." [1]

ثم يمضي المؤلف في سرد التفاصيل التي أدت إلى القطيعة في العلاقات بين بلاد المغرب والفاطميين في مصر، وإن كان قد أخطأ في ذكر أسماء حكام المناطق، ثم تحدث عن استقدام صاحب مصر لبني هلال من الحجاز وإرسالهم لمعاقبة البربر لانفصالهم عن الخلافة الفاطمية [2].

وذكر المؤلف أن الزحف الهلالي نتج عنه فرار قبائل مغراوة وبني لومة وتوجين إلى المناطق الساحلية كما ذكر تهديم العرب الهلالية للقيروان وسبيهم لنسائها وأولادها. [3]

وذكر مهادنة صاحب تونس للهلالية ومصاهرة زعماء بني هلال بتزويجهم بناته [4] وانتهاء الحروب واستقرار القبائل الهلالية ببلاد المغرب " فضاقت بهم الأرض من كثرتهم و لم تبق رقعة لمن جاء بفارس " [5] وركز خصوصا على سويد التي كانت لها السيادة على عدد من القبائل، وذكر وفاة قائدها الشيخ حمدان وتولي ولده عبد القوي مكانه " فبقي فيها عبد القوي بمنزله أبيه فصار أميرا عليهم فحين قرب أجله أمر أرباب دولته بالرحيل من أحواز فاس حتى نزلوا مكرة فأوصى أولاده على اتباع السنة وفعل الخير.." ويخبرنا المؤلف إن قبائل سويد ورياح ومرداس وبني ثور " كان يقال لهم عرب قريش وعرب مكة وعرب هلال وعرب زغبة. "[6]

ثم يقول إن قائد سويد محمد بن عريف خلّف خمسة عشر ولدا وهم الذين يقال لهم المحال الآن، وكان كبير أولاد محمد بن عريف أبو القاسم، وهو الذي خلف أباه، وخلفه ابنه محمد وخلف هذا احميدة العبد قائد سويد الشهير الذي جاء المؤلف بنسبه كاملا حتى قريش.[7]

---

[2]- المصدر نفسه، ص 2 ، وقد ذكر سعد الله أن هناك كتاب مخطوط في التراجم بالمكتبة الوطنية بباريس رقمه 5753 ألفه محمد بن علي التلمساني بعنوان إتمام الوطر في التعريف بمن اشتهر وكتبه بوحي من حاكم وهران حينذاك وترجم فيه للشيخ الزجاي وابن هطال ، أنظر : سعد الله: أفكار جامحة ، ص 74.

[2]- محمد بن علي التلمساني : المصدر نفسه، ص 2-4 .

[3]- المصدر نفسه ، ص 5.

[4]- محمد بن علي التلمساني : المصدر السابق، ص 7.

[5] - المصدر نفسه ، ص9.

[6]- المصدر نفسه ، ص19-20.

[7] - المصدر نفسه ، ص 25.

و حاول المؤلف تقديم رأيه في أصول أسماء بعض المناطق والقبائل فيقول إن سبب تسمية هبرة هو "أنهم كانوا أهل دوار كبير وأصحاب مال كثير فسلط الله عليهم الخيان ثم صاروا يخطفون عليهم فيقول السارق لصاحبه اذهب إلى دوار هنا الاهبرة مطروحة فهذا سبب تسميتهم هبرة وأما سبب تسمية سخسوخ بسخسوخ فيقول بعضهم لبعض سخسخنا هذا الموضع ، سيروا إلى العين نغسلوا هذا الوسخ فإذا غسلوا فيقولون الحمد لله الذي أذهب شوهتنا فهذا سبب تسمية شواها وأما سبب تسمية واد سيرات لأنه كان الرجل يقول لصاحبه سير هات، وأما سبب تسمية غليزان لأنه كانت فيها بساتين وبحاير ثم يأتوا أهله بالفاكهة للسوق في تلك الكدية ويعون الفاكهة فيترل عليهم الذبان فهذا سبب تسميته ..." [1]

ثم يرجع المؤلف للحديث عن القتال الذي دار بين سويد والبربر ويعيد سرد بعض التفاصيل التي ذكرها سابقا.

## 4-*الطيب بن المختار الغريسي وكتابه القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم:

### * المؤلف:

هو الطيب بن المختار بن الطاهر بن البشير بن محمد بن عبد القادر بن المختار الغريسي، و هو ابن عم الأمير عبد القادر– وقد ولد بغريس، و درس على مصطفى بن التهامي وابن عبد الله سقاط المشرفي، ثم سافر للمغرب فدرس في القرويين على أبي عبد الله محمد المجاوي ولما عاد للوطن تولى منصب القضاء في غريس مدة طويلة. [2]

رافق الطيب الغريسي الأمير عبد القادر وذهب إليه في الشام وزاره في فرنسا سنة 1865، ومدحه بالشعر، وظل على صلة به طيلة حياته، ومارس القضاء إلى تقاعده سنة 1881،وكان عضوا في مجلس معسكر خلال الخمسينات، وعضوا في لجنة قاستنبيد في الستينات، وهي لجنة وضعت أساسا لتسيير القضاء الإسلامي والتدخل في شؤونه وأخذ صلاحيات القضاة المسلمين

[1] – المصدر نفسه ، ص27.

[1]– الهاشمي بن بكار: كتاب مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب، مطبعة ابن خلدون،تلمسان، 1961، ص 142.

وإعطائها إلى قضاة الصلح الفرنسيين[1]، وتوفي الشيخ الطيب بن المختار سنة 1320 هـ/ 1903 م.

ويذكر الهاشمي بن بكار الذي نشر كتاب الطيب بن المختار أنه استلف نسخة القول الأعم من خزانة الحاج العربي بن عبد الله شنتوف، والكتاب في حجم صغير، وذكر المؤلف أن دافعه لهذا التأليف إنه رأى " بعض الدخلاء في العربية المتطفلين على أبوابها وفصولها المتحاملين على قواعدها وأصولها ...قد أكثروا الخوض في أنساب الحشم فركب كل منهم مثنى وقال قولا وما أفاد معنى أحببت أن أنفق شيئا من العمر الضائع في هذه الرسالة .." [2]

* **الكتاب:**

رتّب المؤلف كتابه على مقدمة وثلاثة فصول، وفي المقدمة شرح لفظة الحشم التي قال إنها مشتقة من الحشمة، وقال إن هؤلاء قد حملوا هذا الاسم في منصف القرن 8 هـ/ 14 م وقبل ذلك كانوا يعرفون ببني راشد وأنهم بعد أن انضموا لملوك بني زيان استقروا بجبل عمور ثم استوطنوا سهل غريس [3].

وفي الفصل الأول الذي عنونه " في ذكر أشراف غريس " ذكر الطيب بن المختار أشراف غريس الذين عرفوا بالمرابطين، ثم ذكر من سماهم أعيان الأشراف ومنهم: أولاد سيدي دحو بن زرفة و "أصل سلفهم من الأندلس وهم من بني حمود الذين كانوا ملوكا بها " كما قال [4].

ومن أعيان أشراف غريس كما قال أولاد سيدي عمر بن دوبة، وكانت لهم الرياسة في أولاد بن دوخة وغيرهم، ومن علمائهم ابن آمنة بن دوخة خال الأمير عبد القادر، ومن الأشراف أولاد سيدي أحمد بن علي" الذين يتصل نسبهم بمحمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب. "[5]

وجدهم أحمد هو أول من استوطن غريس وكان أبوه يسمى سيدي علي بن عيسى، وقد قدم من وطن بني عامر ومن علمائهم: أحمد بن التهامي والد مصطفى بن التهامي، خليفة الأمير

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، ص 123.

[2]- الطيب بن المختار الغريسي : القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم ،ضمن كتاب مجموع النسب، ص 329.

[3] - المصدر نفسه ، ص 330.

[4] - الطيب بن المختار الغريسي:المصدر السابق ، ص331.

[5] - المصدر نفسه ، ص 332.

عبد القادر علي معسكر وصهره ، و أولاد سيدي محمد بن يحيى، وهم من مغراوة، وكانت لهم الرياسة في أولاد بنفريحة الذين كان فيهم الجاه أكثر من العلم.[1]

و ويتصل نسب المشارف بإدريس، ومنهم عبد القادر المشرفي، صاحب الزاوية بالكرط بمعسكر، وحفيده ابن عبد الله سقاط الذي كان من العلماء ، ومهاجة، وهي متصلة أيضا بإدريس والأشراف، وأولاد سيدي أحمد الورغي،وأصلهم من المغرب الأقصى، وأولاد سيدي العيد، ومن علمائهم: محمد بن حواء، وأولاد سيد عبد القادر بن مختاري ،وهم أدارسة، ومنهم الأمير عبد القادر.[2]

وفي الفصل الثاني الذي سماه "فيمن هو بغريس من العرب الذين ليسوا بأشراف" ذكر قصة افريقش الحميري وكيف جاء بالعرب على رأس التبابعة الحميريين وأقام ببلاد المغرب فترة ثم رجع عنها، تاركا وراءه كما قال المؤلف قبيلتي كتامة وصنهاجة الحمير يتين اللتين اندمجتا في البربر وتكلمتا لغتهم وتزيتا بزيهم وخدمتا ملوكهم، إلى أن لم يبق لكتامة وصنهاجة ذكر في العرب، وبقي البربر هم أسياد بلاد المغرب إلى أن حل به الإسلام فرجحت الكفة للعرب من أجل الدين، وفي هذا الفصل أيضا حديث عن قبيلة قريش وغيرها من العرب والعائلات المتفرعة والتي لعبت دورا في المنطقة.[3]

أما الفصل الثالث، وهو قصير جدا، فقد خصصه لقبيلة زناتة أو الموجود منها في غريس والذين اندمجوا في الحشم، وقد استبعد أن تكون زناتة من العرب، ولكنه قال إنها قد اندمجت في البربر، ويعرف الزناتيون من غيرهم بعد استبعاد العناصر الأخرى، فهم ما عدا الأشراف والأجواد والعرب الآخرين.[4]

## 5-*محمد العربي بن التباني و تقييده في نسب أولاد عبد الواحد:

### * المؤلف:

---

[1] - المصدر نفسه ، ص 333.

[2] - المصدر نفسه ، ص 333-336.

[3] - الطيب بن المختار الغريسي : المصدر السابق ، ص 343 -344.

[4] - المصدر نفسه ، ص 354.

هو محمد العربي بن التباني بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي القاسم الواحدي السطيفي الجزائري ثم المكي يتصل نسبه بالإمام الشيخ عبد السلام بن مشيش الذي ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب، [1]ولد في رأس الواد بولاية برج بوعريريج حاليا سنة 1897 م، وقد حفظ القرآن الكريم وعمره 12 سنة ثم حفظ بعض المتون وتلقى مبادئ العلوم كالفقه والعقائد والنحو على عدة مشايخ منهم عبد الله بن القاضي اليعلاوي، وبعد بلوغه رحل إلى تونس فأخذ العلم عن بعض مشايخ جامع الزيتونة في النحو و الصرف والفقه والتجويد أداء و قراءة ثم رحل قاصدا الحجاز سنة 1913 م فتلقى العلم على من مشايخ العلم به ثم رحل إلى دمشق فنهل من مكتباتها واطلع على نفائس مخطوطاتها ثم عاد إلى مكة المكرمة فأخذ العلم على عدد آخر من المشايخ وتولى بعد ذلك التدريس في المسجد الحرام ومدرسة الفلاح بمكة المكرمة في سنة 1919 م،وكان مما امتاز به أنه إذا طالع كتابا حفظه[2].

واستمر ابن التباني خمسين عاما ينشر العلم فدرّس النحو والصرف والبيان والفقه والحديث والتفسير والفرائض والسيرة والتجويد والتاريخ الإسلامي وختم الطلاب عنده بالحرم كتبا كثيرة منها الصحيحين والموطأ والجامع الصغير للسيوطي وتفسير البيضاوي والنسفي وابن كثير وجمع الجوامع وسيرة ابن هشام والإتقان في علوم القرآن ومغني اللبيب لابن هشام وغيرها .

وقد ألف الشيخ بن التباني عددا من المؤلفات في العلوم الشرعية و التاريخية و الاجتماعية منها:"تحذير العبقري من محاضرات الخضري " ويسمى أيضا" إفادة الأخيار ببراءة الأبرار و تعليقات خطية على كتاب سلسلة الأصول للقاضي حشلاف والسيرة الذاتية وتقييد في نسب أولاد عبد الواحد وغيرها من المؤلفات.

و توفي الشيخ محمد العربي بن التباني عام 1970 م و دفن بمكة المكرمة و لم يخلف ذكورا ولا إناثا. [3]

* **الكتاب:**

---

[1] – محمد العربي بن التباني : تقييد في نسب أولاد عبد الواحد، مخطوط ،ص1.

[2] – حسن بن محمد سفر: من أعلام علماء المسجد الحرام، دون ذكر مكان النشر، 2005، ص 16-17.

[3]– حسن بن محمد سفر: المرجع السابق ، ص 26.

هو تقييد مخطوط في نسب أولاد عبد الواحد حصلنا على نسخة منه من زاوية الشيخ بلعيساوي براس الواد ببرج بوعريريج ، وقد كتبه على ما يبدو سنة 1952.

وقد وجدنا كذلك بعض التعليقات الخطية للشيخ العربي التباني على كتاب القاضي حشلاف المسمى سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، وكان كلما عثر على ذكر عبد الواحد من ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب وضع كلمة " قف" أمامها، ولا شك انه استفاد مما كتبه القاضي حشلاف في هذا الموضوع لتحرير تقييده هذا[1].

واستهل الشيخ التباني تقييده بذكر نسبه هو كما يلي : العربي بن التباني بن الحسين بن عبد الرحمان بن يحي بن مخلوف ابن أبي القاسم بن علي بن عبد الواحد، ثم انتقل إلى ذكر نسب عبد الواحد الذي ينتمي إليه عرش أولاد عبد الواحد بقبيلة ريغة الظهرة [2] فقال عنه : " نسب سيدي عبد الواحد في طريقة هكذا: ابن يحيى بن إبراهيم بن عبد الواحد ابن عبد الله بن عبد الرحمان بن الفضيل بن أحمد بن عبيد الواحد بن عبد الله ابن محمد بن عبد الكريم بن علي ابن عبد السلام بن مشيش " وهنا وضع تعليقا في الحاشية اليمنى للتقييد جاء فيه بنسب عبد السلام بن مشيش كما في سلوة الأنفاس لمحمد بن جعفر الكتاني .

كما اعتمد على مخطوط شجرة الشيخ العياضي بن الأخضر وهو أحد نسابة المنطقة، وغيره من المصادر، ثم وضح أن "أكثر شرفاء المغرب حسنية وفيهم حسينية لكنهم قليلون" .

وذكر سلسلة أخرى لنسب سيدي عبد الواحد أخذها من سي محمد بن الهلالي، هي : " عبد الواحد بن عبد الكريم ابن محمد بن عيسى ابن عبد العزيز بن عبد الرحمان بن عبد السلام بن مسعود ابن أيوب بن محمد بن عبد الله بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر ابن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهما" .

ثم جاء بسلسلة ثالثة تختلف قليلا عن الأوليين وهي :" عبد الواحد بن زيان ابن محمد بن أحمد بن إدريس، الأصغر بن إدريس الأكبر، الخ مثل السابقة، وعلق على ذلك فقال " فأكثر هذه

---

[1]- أنظر صورة من تعليقاته على هذا الكتاب في الملاحق.

[2] - محمد العربي بن التباني : تقييد في نسب أولاد عبد الواحد، ص1

الطرق اتفقت على نسبة عبد الواحد إلى عبد السلام بن مشيش ولكن اختلفت في زيادة بعضها على بعض وفي تبديل بعض الأسماء مكان بعض" [1].

وقال المؤلف " و لم أقف على تاريخ كامل بأنساب أشراف أهل المغرب الأدارسة وغيرهم وإنما رأينا ذلك متفرقا في كتب متعددة وهذا مع إجماع المؤرخين من المغاربة والمشارقة كابن خلدون وابن الأثير و بن جرير الطبري وغيرهم على صحة نسب إدريس بن عبد الله الكامل وأنه دخل المغرب فارا من العباسيين وصارت له فيه دولة توارثها بنوه دهرا وكثر نسله هناك و الله أعلم بحقيقة ذلك". [2]

ثم يمضي المؤلف في ذكر فروع عبد الواحد وهم : أولاد بوعكاز و أولاد المبروك و أولاد سيدي بلقاسم ويقال لهم القبالة ، و الشنانخة والأحفاصة و الأحاحدة و الأفاضلة، و البشير وأولاد بلخير و أولاد بن الكبير، و الإخوان، و أولاد سي أحمد الصغير و السلاحجة و أولاد سي الحاج الشريف بن ساعد و اللبابدة، و الطيايبة وأولاد سيدي بلقاسم و المخالفة والأحفاصة والدوالمة والعواسة و الزرارقة و الاعبابسة و الغرابة". [3]

---

[1]- محمد العربي بن التباني : تقييد في نسب أولاد عبد الواحد ، ص1 .

[2]- المصدر نفسه ، ص2 .

[3]- المصدر نفسه ، ص 3.

## المبحث الرابع مؤرخو الأشراف :

### 1-* محمد بن علي السنوسي وكتابه الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية:

#### * المؤلف:

هو محمد بن علي السنوسي السنوسي الخطابي الإدريسي بن العربي الأطرش الذي ينتهي نسبه إلى إدريس الأزهر باني مدينة فاس بن الإمام إدريس الأكبر أول ملوك الأدارسة بالمغرب بن عبد الله الكامل بن الحسن المُثنى بن الإمام الحسن السبط بن علي بن أبي طالب.[1]

ولد سنة 1202 هـ/ 1787م، وكانت ولادته بضاحية مينا الواقعة ضفة وادي الشلف بمنطقة الواسطة التابعة لمستغانم في الغرب الجزائري، وتوفي والده بعد عامين من ولادته، فتولت عمته فاطمة تربيته وتنشئته.[2]

أظهر السنوسي منذ فترة مبكرة ميله لتحصيل العلوم، فأخذ يطلبها على شيوخ مستغانم، وغيرها من البلاد المجاورة لها مع تعهد عمته له، ومن أشهر شيوخه في تلك المرحلة محمد بن قعمش الطهراوي زوج عمته، وابنه عبد القادر وابن عمه الشيخ محمد السنوسي الذي تولاه بعد وفاة عمته بالطاعون عام 1209هـ/ 1794 م وعمره لم يتجاوز السابعة ، وأتم على ابن عمه حفظ القرآن الكريم برواياته السبع مع علم رسم الخط للمصحف والضبط وقرأ عليه بعض الرسائل مما هو من وظائف قارئ القرآن.[3]

وبعد أن أتم ما يلزمه من لوازم حفظ القرآن وإتقانه شرع ابن عمه الشيخ محمد السنوسي في تعليمه العلوم العربية ثم الدينية بالتدرج وتربيته على العمل بما تعلم، وكان يزوده بتراجم العلماء والقادة والفقهاء، وتوفي ابن عمه عام 1219هـ/ 1804 م فقرأ السنوسي على شيوخ من مستغانم وهم: محي الدين بن شلهبة، ومحمد بن بو زوينة، وعبدالقادر بن عمور، ومحمد القندوز، ومحمد بن عبدالله، وأحمد الطبولي الطرابلسي، وكلهم من جهابذة العلماء في زمانهم ومكث يطلب العلم في مستغانم سنتين كاملتين.[4]

---

[1] - عبد القادر بن علي : الفوائد الجلية في تاريخ العائلة السنوسية،مطبعة دار الجزائر العربية، دمشق: 1966 ص 8

[2] -محمد فؤاد شكري: السنوسية دين ودولة، دار الفكر، القاهرة: 1948، ص 11.

[3] - أحمد الدجاني: الحركة السنوسية، نشأتها ونموها في القرن 19 م،دار لبنان، بيروت: 1967، ص 235.

[4] - عبد القادر بن علي: المصدر السابق، ص 9.

وفي أوائل سنة 1221هـ /1806 م خرج من مستغانم إلى بلدة مازون ة ومكث بها سنة واحدة تتلمذ فيها على مجموعة من المشايخ هم : محمد بن علي بن بو طالب و أبو ر اس المعسكري، وأبو المهل بو زويق، وبعد ذلك رحل إلى مدينة تلمسان وأقام بها ما يقارب من السنة وتتلمذ على كبار شيوخها[1].

ثم قصد مدينة فاس في المغرب الأقصى ومكث فيها سبع سنوات تقريباً، فأخذ العلم بالرواية عن علماء فاس ، وتحصل على إجازات من علماء راسخين وأصبح مدرساً بالجامع الكبير بمدينة فاس ونال المشيخة الكبرى بها.[2]

وفي عام 1235هـ/ 1816 م غادر السنوسي فاس عائدا إلى الجزائر فصفى أملاكه وانتقل إلى قسنطينة ثم نزل عند أولاد نايل فبنى عندهم زاوية، ومارس هناك الوعظ والتعليم والإرشاد.

وقرّر بعد ذلك الارتحال إلى مكة وعرض على زوجته أن ترافقه فلم ترغب في ذلك، فرأى أن يطلقها لعلمه بطول المدة التي يرغب فيها بالانقطاع عن بلده وولد له من زواجه الأول طفل توفي وهو صغير ثم ماتت أمه بعد ذلك[3].

غادر السنوسي الجزائر ودخل تونس وقابس وجامع الزيتونة واستفاد من شيوخها واستفاد الطلاب منه وطلب منه التدريس ، ولبى الطلب ثم واصل سيره ودخل طرابلس الغرب فدخل برقة و لم يمر ببنغازي ولا الساحل وتعرف على الشيخ عمر بوحو ا لأوجلي وكان في رفقته عبد له، وعبدالله التواتي واستمر في رحلته مع الصحراء بواسطة القوافل حتى وصل القاهرة.[4]

دخل السنوسي مصر وكان يحكمها آنذاك محمد علي باشا ،وكان ذلك في عام 1239هـ/1824م، وبعد هذه التجربة القصيرة في مصر قرر مواصلة سفره إلى الحجاز بعد أن أقام عاماً واحداً، ودخل السنوسي الحجاز عام 1240هـ/1825م، ونزل بمكة المكرمة وكانت تلك الزيارة لمكة ذات أثر كبير في قيام الدعوة السنوسية وظهور شأنها.[5]

---

[1]- محمد فؤاد شكري: المرجع السابق، ص 12.

[2]- أحمد الدجاني: المرجع السابق، ص 23

[3]- عبد القادر بن علي: المصدر السابق، ص 12.

[4]- أحمد الدجاني: المرجع السابق، ص 25

[5]- خيرالدين الزركلي: الأعلام ، دار العلم للملايين، بيروت: 1990، ص 236.

واستمر يتنقل بين مكة والمدينة والطائف ما يقارب ثلاثين سنة واستفاد منه خلق كثير من أصقاع العالم الإسلامي، من مصر ، والسودان،والهند،واليمن،وبلاد المغرب وغيرهم وكان دخوله الحجاز عام 1213هـ / 1798 م.

ثم عقد النية للاشتراك في جهاد فرنسا في الجزائر، والتحق بركبه عدد كثير من أتباعه وإخوانه، وعين الشيخ عبدالله التواتي على زاوية أبي قيس بمكة للقيام بشؤون الأتباع وكان سفره ذاك في آخر عام 1255هـ/ 1839 م .

ثم سافر إلى مصر من مكة ومعه عدد كبير من الإخوان وذلك آخر عام 1255هـ/ 1839 م ودخلها أول عام 1256هـ/ 1840 م وزار الجامع الأزهر وألقى دروساً نافعة و لم يمكث الشيخ بمصر غير مدة قليلة ثم سافر وواصل ابن السنوسي رحلته براً من سيوه إلى جالوا ثم أوجله، وولى سفره إلى زوارة ودخل حدود تونس.[1]

عاد السنوسي من قابس إلى طرابلس في عام 1257هـ/ 1841 م و واصل ابن السنوسي سيره إلى سرت ، وظل خمس سنين في برقة، ينشئ الزوايا وينظمها، ويرسم مناهج الدعوة ومبادئها ويبث دعوته الإصلاحية عن طريق هذه الزوايا ثم عاد إلى الحجاز، المركز الأول لدعوته، ومنذ ذلك الوقت كان للدعوة عنده مركزان رئيسيان : شرقي في الحجاز وغربي في برقة، وعن هذين المركزين أخذت الدعوة السنوسية تنتشر بواسطة الزوايا هنا وهناك حتى توفي السنوسي عام 1859م في الجغبوب، وخلفه ابنه السيد المهدي.[2]

### * الكتاب:

طبع كتاب الدرر السنية في أخبار السلالة الإدريسية طبعة أولى سنة 1349 هـ/ 1930 م بمطبعة الشباب بالقاهرة، ويتحدث عن ملوك الأدارسة الذين حكموا المغرب و الدول التي أقاموها، وفي مقدمته يتحدث عن فضل علم التاريخ، فنقل ما قاله المقريزي: " لا خفاء أن معرفة علم التاريخ المشتمل على علم الأنساب من الأمور المطلوبة، والمعارف المندوبة، لما يترتب عليه من الأحكام الشرعية والمعارف الدينية.." [3]

[1]- عبد القادر بن علي: المصدر السابق، ص 10.

[2]- المصدر نفسه، ص 10-11

[3]- محمد بن علي السنوسي: الدرر السنية في السلالة الإدريسية، ط4، دار المعارف، مصر:1966، ص 5.

وذكر أن من بين الصحابة كان أبوبكر نسابة قريش، ومن أعلم الصحابة في معرفة القبائل وأصولها، وفروعها، وتحدث عمّن ألف في علم التاريخ ، وذكر منهم عبيد الله القاسم بن سلام، والبيهقي ، وابن عبد البر، وابن حزم وغيرهم، ثم قال:" وذلك دليل شرفه ورفعة قدره".

و الكتاب يحتوي على مقدمة وست دول، الدولة الأولى الفاسية وما في إيالتها، و الدولة الثانية التلمسانية وما في نواحيها، والدولة الثالثة الغمارية وما في حكمها، والدولة الرابعة السبتية وما في حكمها، و الدولة الخامسة الأندلسية وما في حكمها، والدولة السادسة الصحراوية وما في حكمها، ثم أشار إلى المراجع التي تعين الطالب على الإلمام بهذه الدول فقال : "وسترى للكل واحدة بياناً شافياً على ما عند صاحب القرطاس والمغرب، وما في العبر لابن خلدون التونسي، وما في سلاسل الفصول لابن خلدون التلمساني وما في عمدة الطالب لابن عنبة".[1]

قام السنوسي في هذا الكتاب بسرد أخبار هذه الدول، وتطرق إلى تاريخ الفتح في المغرب، والى مجيء إدريس الأكبر إليه، ثم ختم كتابه بذكر أسماء حكام المسلمين من عهد الراشدين وذكر خامسهم الحسن بن علي ثم اثبت ذكر خلفاء بني أمية جميعاً، حتى إذا فرغ من ذلك اتبعهم بخلفاء بني العباس، ونلاحظ في مقدمة الكتاب اعتقاد السنوسي بوجوب كون الأئمة من قريش وكان أسلوبه في كتابه هذا الكتاب على منوال أساليب مؤرخي المسلمين عامة، وهو فيه يقوم بالسرد دون التحليل والتعليل ومادة الكتاب تدل على غزارة اطلاع ابن السنوسي.[2]

كما أنه يتعرض في هذا الكتاب لذم المبتدعة، كالرافضة والمعتزلة ، والجبرية، وقال: ذكر أهل العلم من فضائل المغرب أن الله حماه من فرق المبتدعة، كالمعتزلة، والرافضة، والجبرية، كما يعرض بمذهب محمد بن تومرت عندما تعرض لشيوخه ورحلته في طلب العلم حيث قال: " ..

وذهب إلى رأيهم في تأويل المتشابه من الآيات، والأحاديث ، بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن أتباعهم في التأويل، والأخذ برأيهم فيه اقتداء بالسلف في ترك التأويل، وإقرار المتشابهات ، كما جاءت، فمنع أهل المغرب من ذلك وحملهم على القول بالتأويل، والأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد، وأعلن بإمامتهم ، ووجوب تقليدهم وألف العقائد على رأيهم مثل (المرشدة) في

---

[1]- محمد بن علي السنوسي: المصدر السابق، ص 8.

[2]- المصدر نفسه، ص 17.

التوحيد، وكان من رأيه القول بعصمة الإمام على رأي الإمامية من الشيعة، وألف في ذلك كتابه في الإمامة الذي افتتحه بقوله (أعز ما يطلب) وصار هذا المفتتح لقباً على ذلك الكتاب..." [1]

في دراسته الطويلة لم يهمل السنوسي الجانب التاريخي لقناعته الراسخة بأهمية هذا العلم في تحقيق الفوائد التربوية، وإدراك السنن الربانية، ومعرفة معالم تاريخ الإنسانية، ومعرفة تاريخ الأنبياء، ومعرفة سيرة النبي " ص " ، ومعرفة تاريخ الخلفاء الراشدين، وسير العلماء والمجاهدين والدعاة، وأثر الإسلام في حياة البشر، والتعرف على بعض الحقائق الهامة في حياة البشر، ككون الإنسان يحتاج إلى التذكير، ولابد من الصبر على المشاق لتحقيق الأهداف النبيلة، ...الخ.[2]

كان السنوسي المؤرخ يمتاز بغزارة معلوماته، ويعتز بتاريخ أجداده، ويؤمن بضرورة حصر الإمامة في قريش، ومع هذا ساند الدولة العثمانية حرصاً على وحدة الأمة، ودحر أعدائها وكان أسلوبه في كتابة التاريخ على نمط مؤرخي المسلمين، ويقتصر على سرد الحوادث دون تحليلها، كما يعتمد المنهج التقليدي في عرضها.

## 2-* محمد بن بوزيد الخالدي وكتاب التحقيق:

### * المؤلف:

ينتمي محمد بن بوزيد الخالدي إلى عرش أولاد خالد وهم حسبما ذكره هو من الأشراف وكان يقيم بالقرب من جبل عمور [3] ، وليست لدينا معلومات عن حياته، وكل ما يمكن قوله إنه كان حيا في السبعينيات من القرن التاسع عشر حين نشر آرنو مقتبسا من مخطوطه سنة 1873، ويبدو ذا ثقافة دينية تقليدية.

### * الكتاب:

نشر آرنو مقتبسات من هذا المخطوط في المجلة الإفريقية سنة 1873 وذكر اسم الكتاب بالعربية وهو " كتاب التحقيق" [4] ومنحه عنوانا فرعيا هو " قبائل الشرفة "، و نعتقد أن هذا

[1]- محمد بن علي السنوسي: المصدر السابق، ص 22.

[2] - المصدر نفسه، ص 25.

[3] - Arnaud :Les tribus Cheurfa : traduction d'un fragment du livre de la vérité, in R.A 1873 p 212.

[3]- خلط آرنو بين كلمتي التحقيق التي جاءت في عنوان الكتاب وكلمة حقيقة واختار الثانية في ترجمته.

الكتاب هو "كتاب التحقيق في النسب الوثيق"[1] و لم يصف لنا آرنو حجم الكتاب، وإن كنا نعتقد أنه من الحجم المتوسط لأن أهم فصوله وهو الفصل الذي ترجمه إلى الفرنسية لم تتعد ترجمته السبع صفحات.

كما أننا نعتقد أن المؤلف قد عمد إلى الطريقة التقليدية المتبعة في مثل هذه التآليف وهي الترجمة أولا للرسول "ص" ثم ذكر فضائل آل البيت و ذرية على بن أبي طالب والتفصيل في خبر إدريس مؤسس دولة الأشراف الأدارسة بالمغرب، ثم ذكر شجرة الأشراف الموجودين بالمغرب الأوسط وهذا القسم الأخير هو الذي اهتم به آرنو .

استهل المؤلف هذا القسم بالتنويه بفضل آل البيت مع الاستشهاد ببعض الأقوال والأحاديث التي تحث على تبجيل آل البيت [2] ثم تحدث عن معركة كربلاء بين الحسين بن علي بن أبي طالب ويزيد بن معاوية، ومقتل الحسين وثلاثة من أبنائه هم : عمر وأحمد وعبد الله إضافة إلى سبع وثمانين من الأتباع، وخلف الحسين أبناء آخرين لكن واحدا منهم فقط هو الذي بقيت ذريته وهو محمد وخلف ابنه عبد الله ستة أبناء هم : سليمان ومحمد وإبراهيم وعيسى ويحي وإدريس[3].

ذكر المؤلف أن سليمان بن عبد الله بن محمد بن الحسين هلك في واقعة فخ التي نشبت بين العباسيين وآل البيت من العلويين، كما أن إبراهيم الذي حكم البصرة هلك أيضا بأيدي العباسيين، وسمم العباسيون عيسى حاكم المدينة المنورة زمن هارون الرشيد و لم ينج سوى إدريس الذي فر إلى المغرب رفقة وزيريه راشد بن مرشد القرشي وعمر بن مصعب الزهراوي وبعد إقامة قصيرة بتلمسان توجه إدريس إلى مليانة التي كانت تسمى قصر أبي المعالي أو قصر فرعون وهناك تزوج كنزة بنت عبد المجيد حاكم المنطقة والتي ستخلد ذرية إدريس بعد اغتيال هذا الأخير على يد سليمان بن جابر التبيدي[4].

---

[1]– هناك كتاب بنفس العنوان من تأليف العشماوي المكي، أنظر : بن سودة: دليل مؤرخ المغرب الأقصى،دار الفكر،ط1، بيروت 1997 ، ص 68.

[2]– مثل قوله ص : " لعن الله الداخل فينا بغير نسب والخارج منا بغير سبب " وقوله ص : " لو أن رجلا صفن بين الركن والمقام فصلى وصام ثم لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمد صلى الله عليه وسلم دخل النار " أنظر في هذا المجال : عبد الله بن عبد القادر التليدي : الأنوار الباهرة بفضائل أهل البيت النبوي والذرية الطاهرة ، دار ابن حزم بيروت ، ط 1 ، 1997 ، ص 25 – 26.

[3] - Arnaud : Op.cit., p 209.

[4] - Ibid,, p 210.

وبعد ثلاثة أشهر من مقتل إدريس وضعت زوجته كنزة ولدا سمته إدريس الذي حكم البربر سنة 188 هـ / 804 م ومات مسموما في سن الثامنة والأربعين تاركا 12 ولدا تولى منهم محمد مكان أبيه لكنه خشية من تنافس إخوته لجأ إلى إقطاع كل واحد منهم منطقة من بلاد المغرب وهكذا توزع أبناء إدريس في مناطق السوس جنوب المغرب وبني زروال وطنجة وإقليم الريف وسلا وتادلا ومكناس وتلمسان .

ونشأ عن هذا التوزيع مصاهرات بين أبناء إدريس والقبائل المغربية نتج عن ذلك مجموعة من القبائل "الشريفة " ذكر المؤلف من بينها بني كثير وأولاد يحي اللتين تفرع عنهما كلا من بني عيسى وأولاد ناصر وبني كيلان وأولاد بوزكري وريغة وبني حافظ واولاد رحمون .

كما ذكر المؤلف بني حمزة واولاد مالك ومات حمزة جد قبيلة بني حمزة مخلفا خمسة أبناء هم محمد وأحمد وعلي وإبراهيم وموسى وتفرع عن هؤلاء فروع جديدة استقرت بمناطق أخرى من المغرب كبلاد صنهاجة وفليسة والبابور ومازونة في الشمال وفقيق في الصحراء.

ثم يقدم المؤلف مجموعة من الأعراش والفرق التي نتجت من مصاهرة القبائل للأشراف ومن بينهم قبيلته هو القاطنة بقصر سيدي بوزيد في جبل عمور والتي يتشكل سكانها من أحفاد ذرية سيدي بوزيد الإدريسي ثم ذكر ذرية إدريس بالمغرب وما تولوه من الأقاليم [1].

## 3-* أبو حامد المشرفي وكتابه ياقوتة النسب الوهاجة:

### * المؤلف:

هو أبو حامد محمد العربي بن عبد القادر بن علي بن محمد... بن إدريس بن إدريس، فقيه، عالم، مؤرخ، لغوي وأديب جزائري، عاش في القرن التاسع عشر، عاصر نهاية الوجود التركي وبداية الوجود الفرنسي، ينتمي المشرفي إلى إحدى الأسر العلمية العريقة في الجزائر والتي أدت دورا كبيرا في الحركة العلمية والثقافية ببلادنا نهاية القرن الثامن عشر وطيلة القرن التاسع عشر ، وهي أسرة المشارف الذين يرجع نسبهم إلى قطب الراشدية الحاج يوسف بن عيسى دفين الكرط، و ينتهي نسبهم إلى عيسى بن إدريس بن إدريس. [2]

[1] - Arnaud :Op.cit., p 211 -212.

[2]– عبد المنعم القاسمي الحسني: أعلام التصوف في الجزائر، دار الخليل القاسمي، بوسعادة: 2005، ص 227.

ولد أبو حامد العربي المشرفي بقرية الكرط الواقعة بسهل غريس، من أسرة علمية عريقة، يعود نسبها إلى الأشراف الأدارسة، واشتغل معظم أفرادها بالعلم والفقه، و كان أبوه عبد القادر المشرفي فقيها وقاضيا يفصل بين الناس في الخصومات والمنازعات، التي كانت تحدث بينهم، وإن لم تعينه السلطات التركية، فقد كانوا يلجئون إليه لعلمه وصدقه ورعه وأنه كان لا يخشى في الله لومة لائم، وقد شارك والده في المقاومة الشعبية في بداية الاحتلال.

و لم يعرف بالضبط تاريخ ميلاده لأن المصادر لا تسعفنا بذلك، إلا أننا نستطيع أن نضع احتمال مولده في بداية القرن التاسع عشر، لأنه قد بلغ مرحلة الرجولة عند دخول الاستعمار الفرنسي سنة 1830. [1]

شرع في طلب العلم منذ الصغر على عادة أهل بلده ، فدرس العلوم المعروفة في عصره وهو أواخر العهد التركي، فتعلم أولا في مسقط رأسه بمعسكر، أخذ النحو والفقه والعروض عن بن عبد الله سقط، وقرأ عليه بعضا من التفسير، وأخذ أيضا عن الشيخ أحمد بن التهامي والد مصطفى بن التهامي خليفة الأمير عبد القادر، أخذ عنه علم الفقه، و تردد على مجلسه الشريف بجامع وهران الأعظم.

كما أخذ عن الطيب بن عبد الرحمن ألفية بن مالك درسا وتحقيقا ، ثم انتقل بعدها إلى مستغانم حيث درس على يد كل من: ال شيخ محمد بن صابر و الشيخ محمد بن عامر البرجي ودرس أيضا بوهران على الشيخ مصطفى بن عبد الله الدحاوي[2].

شارك المشرفي في المقاومة في بدايتها مع والده الذي يظهر أنه كان من قادتها الكبار قبل مبايعة الأمير عبد القادر، وقام بإنشاء رباط حول وهران، وجاء في " طرس الأخبار": " وضممنا إلينا الإخوان الذين خرجوا من وهران ــ بعد احتلالها ــ وزودناهم بما قدرنا وكسوناهم بما وجدنا، بعد أن تركوا متاعهم ونهب المحاربون بضائعهم "[3].

[1]– أبو القاسم سعد الله: مؤلفات المشرفي المعاصر للأمير، مجلة الثقافة، ع 75، ماي-جوان 1983، ص 75.

[2] – عبد المنعم القاسمي الحسني: أعلام التصوف، المرجع السابق، ص 228.

[3]– المرجع نفسه، ص 229

و قال في موضع آخر:" وشاهدنا في تجهيز موتاهم فوران المسك من قبور روضاتهم، وصحبتهم في القتال تزيد لذة الرجال " عند الحديث عن المعارك التي خاضها الجزائريون في بداية المقاومة[1].

ويعد المشرفي من العلماء الأوائل الذين هاجروا إلى بلاد المغرب الأقصى واستقروا هناك بعد انتهاء مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري، ويبدو أنه كان قد تجاوز فترة الشباب عند مغادرته للجزائر.

عُرف المشرفي باهتمامه بالتاريخ وحبه لرواية الأحداث التاريخية، ويظهر لنا ذلك من خلال سرده للأحداث والوقائع التي مرت بها البلاد، وكتاباته العديدة في مجال التاريخ، والتي تمثل معظم مؤلفاته .[2]

في مدينة فاس اشتغل بالتعليم، تعليم الصبيان القرآن الكريم، أو معلم من الطبقة الثانية كما يقول هو عن نفسه " وكل هذا إني معدود من حزب الغرباء وإن كنت عندهم من جملة الأدباء وفي الطبقة الثانية من المدرسين". وقد استنتج الدكتور سعد الله من ذلك: " أن مستواه العلمي لم يكن عاليا، إنما كان من الطبقة المتوسطة من المتعلمين"، لكنا نجده يدافع عن نفسه بأن هذا الأمر نتيجة عدم اعتراف بسعة المغاربة علمه، وأنهم كانوا يعتبرونه أجنبيا عنهم، وقد كان دائم الشكوى من معاملة المغاربة له ـــ لذا لم يولوه أرفع المناصب العلمية، وهو كلام قد يكون على جانب كبير من الصحة.[3]

زار المشرفي الجزائر مرتين بعد هجرته وذلك في أثناء طريقه إلى الحج، و كانت الزيارة الأولى سنة 1265 هـــ / 1849م والثانية سنة 1294 هـــ / 1877 م، وهو ما ذهب إليه جميع من أرَّخ لحياته مثل" بيريس" و" ابن سودة "، وهو ما يؤكده قوله: "... فقد زرت ضريحه المبارك (الإمام الثعالبي ) في رمضان عام خمسة وستين في سفري لحجة الضرورة، وزرتـــه زورة أخرى

[1]– عبد المنعم القاسمي الحسني: أعلام التصوف، المرجع السابق، ص 229-230.

[2] – أبو القاسم سعد الله: مؤلفات المشرفي، المرجع السابق، ص 76 -77.

[3]– عبد المنعم القاسمي: أعلام التصوف،المرجع السابق، ص 396.

أربع وتسعين ومائتين وألف "، وتعرف فيها على مجموعة من العلماء الجزائريين، وسجل لنا بعض آرائه عنهم.[1]

عرف عن المشرفي كثرة الردود والمهاترات ويتجلى لنا هذا من خلال الردود التي كتبها على بعض العلماء والشيوخ، وهو الأمر الذي تسبب له في معاداة العلماء المغاربة له، فتوكوه واجتنبوه لطول لسانه وصراحته الزائدة عن الحدود.

وأما عن وفاته فقد أورد ابن سودة تاريخا لوفاته هو 1313هـ / 1895م[2]، وأورد سعد الله تاريخا ثانيا لوفاته مع إشارته إلى وجود تاريخين لوفاته لسنا ندري أيهما الأصح، والثاني هو 1311هـ/ 1893م، ومكان وفاته هو مدينة فاس وبها دفن.[3]

ترك المشرفي العديد من المؤلفات، بلغت واحدا وعشرين مصنفا على الأقل ، و كان كاتبا مكثرا، وكتب في مجالات متنوعة من أدب وفقه ولغة وتاريخ وتصوف وسيرة وما إليها من العلوم والفنون، وهو ما يعكس اهتماماته المتنوعة واطلاعه الواسع على مختلف علوم عصره. ومما يلاحظ أيضا انه قد كتب أغلبها في حياة الاستقرار بمدينة فاس أين تولى مهمة التعليم والتدريس ، وتحتل مؤلفاته أهمية كبيرة في التاريخ الثقافي للمنطقة.[4]

* **الكتاب:**

وهو كتاب مخطوط و مهم في بابــه، يوجد الأصل بخط مؤلفه بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1534 ومنه نسخة أيضا بالمكتبة الوطنية بالحامة مصورة على الميكروفيلم ويقع في 88 ورقة انتهى من تأليفه سنة 1300هـ/ 1882 م.[5]

وقد اعتمدنا على نسخة منه بخط الشيخ المهدي البوعبدلي بها 38 ورقة جاء في آخرها ما يلي :" يقول ناقلها عبد ربه السيد الحاج المهدي بن أبي عبد الله نقلت هذه النسخة من أصل

---

[1]- عبد المنعم القاسمي: المرجع السابق، ص 400.

[2]- ابن سودة : دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، ص 56.

[3]- سعد الله: مؤلفات المشرفي المعاصر للأمير عبد القادر، ص 32.

[4]- عبد المنعم القاسمي : المرجع السابق ، ص 396.

[5]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، ص 398.

مصور من النسخة الأصلية بخط يد مؤلفها والموجودة الآن بمكتبة الرباط الدولية تحت عدد 2163 " والنسخة مؤرخة في 28 مارس 1962[1].

استهله المؤلف بتقريض لعالم مغربي هو العباس بن أحمد الأبار ، والكتاب يبدأ في الصفحة الرابعة من المخطوط بالعبارة التالية :" الحمد لله الذي باسمه تدون المدونات وبقدرته تكون المكنونات...."

ثم ذكر عنوانين لكتابه هذا "...وسميته ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة وإن شئت قلت اليواقيت الثمينة الوهاجة في التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة. "

وقسّم المؤلف كتابه إلى مقدمة وأربعة أقسام وخاتمة، خصّص القسم الأول للحديث عن نسب النبي " ص " والخلفاء الأربعة ، وذكر أجداد الرسول "ص" حتى عدنان، واعتمد في ذلك على عدة كتب ذكر منها الماوردي في كتاب أعلام النبوة وابن حجر العسقلاني وكتاب الإمام أبو سهل وكتاب المواهب وشروحها ومقدمة ابن الصلاح وكتاب الجاحظ وكتاب ابن كثير الذي يسميه الحافظ الشامي، وكتاب الدميري والفخر الرازي كما اعتمد كذلك على كتب الصحاح كالبخاري ومسلم[2].

وانتقل المؤلف ابتداء من آخر الصفحة 11 لذكر نسب الخلفاء الراشدين الأربعة وهو أبو بكر وعمر وعثمان وعلي بن أبي طالب.

وتحدث في القسم الثاني عن الحسن بن علي بن أبي طالب اعتمادا على ما قاله ابن جزي، وذكر ذريته.[3]

وأما القسم الثالث فقد خصصه للحديث عن ذرية الحسن والحسين ومنهم شرفاء المدينة المنورة المعروفين بشرفاء البطحاء وشرفاء مكة وشرفاء العراق وشرفاء بغداد وشرفاء الشام وشرفاء مصر وشرفاء الكوفة، وشرفاء سجلماسة والسوس ودكالة والواسطة.

---

[1]- أبو حامد المشرفي : ياقوتة النسب الوهاجة وفي ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة، مخطوط، ص 38.

[2]- المصدر نفسه، ص 4- 10

[3] – المصدر نفسه، ص 12-13.

وذكر سبب تفرق الأشراف في البلدان موردا قصة إدريس باني فاس الذي خرج إلى المغرب وتفرعت منه جميع فروع الشرفاء بالمغرب.

واعتمد في هذا على عدد من الكتب منها كتاب ابن جزي الكلبي المفسر وصاحب " الأنوار في ذكر آل النبي المختار. "[1]

ثم ذكر شرفاء غمارة وتلمسان وعين الحوت وغريس وعلى رأسهم أجداد المؤلف المشارف وجدهم " قطب الراشدية سيدنا الحاج يوسف بن عيسى دفين الكرط" ونقل نسبه من كتاب عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس، وكتاب ابن جزي الكلبي المسمى مختصر البيان في نسبة آل عدنان.

واطلع كذلك على نسب جده في وثيقة بخط ابن عمه وصرح قائلا:" هكذا وجدته مقيدا مقيّدا بخط ابن عمنا الأصفى الأوفى السيد الحاج مصطفى بن عبث بن عبد القادر بن محمد بن عبد القادر ...قيّده من نسخة صحيحة في الحضرة الإدريسية."[2]

وقال إنه اعتمد كذلك على رسوم الأملاك بخط والده وخط ابن عمه السيد السنوسي بن المهدي المشرفي في وثائق الأملاك.

وذكر جماعة من علماء الأسرة المشرفية ذكر منهم الشيخ المشرفي العالم في علمي الأصول والفروع وله فتاوى وكانت له زاوية لا تخلو من مائتي طالب.

ومن علماء أسرته الطاهر بن الشيخ المشرفي وعاش في العهد العثماني وتولى القضاء وكان له مجلس علمي وكان يدرّس الفقه والنحو، كما اشتهر ابنه محمد الذي كان مدرّسا ثم انتقل للتصوف.

ومن بيوت العلم في المشارف ذكر أيضا بيت الأحمر الذي برز منه الحاج عبد القادر بن المصطفى الأحمر الذي درس بجامع الزيتونة وكان ضليعا في النحو والفقه وهاجر إلى مصر وتلقى العلم على شيوخها، ثم انتقل للحرمين وجاور هناك سنين عديدة ودرّس به وكان له راتب من السلطنة العثمانية.

---

[1]– أبو حامد المشرفي : ياقوتة النسب، ص 14-17.

[2]– المصدر نفسه، ص 17-19.

ومن علماء المشارف أيضا ذكر المؤلف أخ السابق وهو الحاج محمد بن المصطفى الأحمر، ومنهم عبد الله السنوسي بن المهدي وقال عنه :" فأكثر وثائق المتأخرين في هذا القبيل المشرفي بخط يده فولي خطة الوثائق نحو الأربعين سنة."

ومن علماء المشارف والد المؤلف الذي كان مرجعا في علم الفقه، وم ن بيوت العلم في المشارف أيضا بيت أولاد سيدي البشير، وبيت أولاد سيدي السنوسي أهل الشعبة وبيت أولاد سيدي عبد القادر بن محمد.[1]

وانتقل المؤلف بعد ذلك للحديث عن الذين سماهم شرفاء الشهرة ومنهم أولاد سيدي أحمد بن علي بوشنتوف، ومنهم شيخ المؤلف الطيب بن عبد الرحمن، وشيخه أحمد بن التهامي وولده مصطفى بن أحمد التهامي.[2]

ومن شرفاء الشهرة بغريس أولاد سيدي عبد القادر بن المختار ومنهم أولاد سيدي محمد بن يحي وأولاد سيدي العيد الماقضي وأولاد سيدي عمر بن دومة وشرفاء فليتة، وشرفاء ؟أولاد سيدي عبد الله بن الخطاب وأولاد سيدي بو عبد الله الشريف [3].

وأما القسم الرابع من هذا الكتاب فقد خصصه المؤلف ل ترجمة من سماه :" القطب الصالح والكوكب النير الواضح سيدي محمد ين علي مولى مجاجة فيه للشيخ محمد بن علي المجاجي (نسبة إلى مجاجة الواقعة في ولاية الشلف بالجزائر) وهو من رجال القرن 11 هـ/ 17 م .

وبدأ هذا القسم بذكر بعض الأحاديث حول أهل البيت كما ذكر بعض الأقوال والأشعار في هذا المعنى، وانتقل للحديث عن صاحب الترجمة ناقلا نسبه من كتاب ابن غالب الأندلسي وكتاب الإمام أبو عبد الله بن أحمد المغراوي.[4]

وجاء في آخر الكتاب ما يلي:" انتهت بحمد الله وحسن عونه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه تسليما". [5]

---

[1]– أبو حامد المشرفي : ياقوتة النسب الوهاجة، المصدر السابق ، ص 19-20.
[2]– المصدر نفسه، ص 25.
[3]– المصدر نفسه، ص 25-26.
[4]– المصدر نفسه، ص 28-32 .
[5]– المصدر نفسه، ص 38.

## 4-*محمد الصديق بن العيساوي ومخطوطه عقد اللؤلؤ المرصع بتاج العروس في ذكر عمود أنساب الشرفاء الكرام آل عمروس :

### * المؤلف:

صاحب هــذا المخطوط كما جاء في آخره هو محمد الصديق بن عبد الله العيساوي المقراني[1] ومن نسبته الأخيرة هذه يتضح إنه ينتمي إلى أسرة المقراني الشهيرة بناحية مجانة والتي تزعم أحد أفرادها ثورة 1871 ضد الاستعمار الفرنسي.

وقد أتم تحرير هذا المخطوط حسبما جاء في صفحته الأخيرة في الفاتح من شهر محرم سنة 1314 هــ/ 1896 م، والمعروف أن الأسرة المقرانية لم يعد لها أي نفوذ في هذه الفترة بعد أن صودرت أملاكها بعد الثورة التي قامت بها، ولعل المؤلف أراد أن يتذكر أمجاد الأسرة فقام بتحرير هذا المخطوط.

### * الكتاب:

هو مخطوط من الحجم الكبير حصلنا عليه من إحدى المكتبات الخاصة،وبالنسبة لمضمون هذا المخطوط فقد استهله المؤلف بعبارة " ما شاء الله كان والله المستعان بسم الله الرحمن الرحيم والسلام على سيدنا محمد المصطفى الكريم هذا عقد اللؤلؤ المرصع بتاج العروس في ذكر عمو د أنساب الشرفاء الكرام آل عمروس ..." ثم كعادة مؤلفي هذا الصنف من الكتابات ذكر مكانة أهل البيت مستشهدا ببعض الأحاديث والآيات والأقوال المأثورة.[2]

وجاء ذكر اسم المؤلف في متن المخطوط هكذا :"يقول العبد الراجي من مولاه الرب المتعال غفران الذنوب وستر المساوي محرر الترجمة محمد الصديق بن المولى عبد الله الشريف الحسني

---

[1]- محمد الصديق بن العيساوي : مخطوط عقد اللؤلؤ المرصع بتاج العروس في ذكر عمود الشرفاء الكرام آل عمروس، ص 1.

[2]- المصدر نفسه، ص 2.

ثم العيساوي ." وجاء بنسبه كاملا هكذا " محمد الصديق بن عبد الله بن الصديق بن أبي القاسم بن عمر بن مقران بن عيسى بن أحمد بن عمر بن أبي زيد بن زياد بن أحمد بن عيسى بن عمروس بن علي بن محمد بن عيسى بن سليمان بن حسان بن المبارك بن قاسم بن عبد الجبار بن عمر بن عبد الله بن عبد الحكيم بن عبد الواحد بن قاسم بن حمزة بن عبد الملك بن عبد الله بن محمد بن سليمان بن مخلوف بن سعيد بن عطاء الله بن حمزة بن أحمد بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب " [1]

وأما عن منهجه فقال "..ولذا شمرنا بالعزم والجزم عن ساعد الجد في ترتيب الفروع الطيبة وإلحاقها بأصل الشرفاء .."[2]

ويذكر الفروع التي تفرعت عن الجد عمروس ويتتبعها برسم شجرات النسب التي تتقاطع مع بعضها وينهي المؤلف كتابه ببعض الأبيات الشعرية[3] .

و ذكر المؤلف إنه اعتمد في تحرير كتابه هذا على بعض الوثائق " لكون هذا النسب الشريف محفوظا عليه بالتسجيلات الشرعية من العهد القديم .." ثم يعود فيؤكد على أهمية الاعتناء بأنساب آل البيت ويذكر مكانة أسرته العمروسية العيساوية " فالنسب العمروسي كان عليه نور من شمس الضحى ...وإذا كان مطلق الأنساب لا يجوز إهمال معرفتها على من بها أخبر وأدرى فلأن يكون تعريف النسب الشريف العيساوي من باب أولى وأحرى ولذا تصدينا لتعريفه للمسلمين حسبما يأتي ترتيبه في أحسن تأسيس ..." إلى أن يقول :"..." فأول مراتب هذا النسب العشيرة الصديقية الجميلة الحسب، ومثلها في المعرفة العينية عائلتنا العشيرة الحسينية، وفوقهما الفضائل الثلاثة الآتي ذكرها بلا تخليط.."[4]

ويمضي المؤلف في التأريخ لأسلافه فيقول إن المولى عيسى بن عمروس الذي عاش في القرن الخامس الهجري هو مدفون بجبل عياض وأن نسبه يتصل بالمولى إدريس بن إدريس العلوي ،

---

[1] – محمد الصديق بن العيساوي : مخطوط عقد اللؤلؤ المرصع ، ص 3-4.

[2] – المصدر نفسه، ص 4.

[3] – المصدر نفسه، ص 4.

[4] – المصدر نفسه، ص 4- 5

وأضاف أن ذرية عمروس هذا قد استقرت بقلعة بني حماد في القرن الثامن الهجري ومنهم تفرعت قبائل وأعراش كثيرة .[1]

## 5-* عبد الله حشلاف وكتابه سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول:

### * المؤلف:

هو عبد الله بن محمد بن الشارف بن سيدي علي بن يحي بن أحمد حشلاف، ولد كما ذكر هو في كتابه بكتشوه على بعد ستة أميال من قرية أبي قراط و شمال مدينة مستغانم بنحو الخمسة و عشرين ميلا عام 1296 هـ / 1878 م، وكان مولده في إحدى خيام بن الشارف المكنى الأكحل دفين كتشوه أيضا.[2]

و تلقى تعليمه بمسقط رأسه على جملة من مشايخ بلدته وتأثر كثيرا بالشيخ بن الشرقي الذي وضع فيه تأليفا[3].

ورد في كتابه: أنه " العالم العلامة النحرير جامع علمي المعقول والمنقول رافع منار العلم وذويه الأشراف الشيخ سيدي عبد الله بن محمد بن الشارف بن سيدي علي حشلاف قاضي الجماعة بالجلفة من عمالة الجزائر".[4]

وكانت زوجته تنتمي إلى عرش الحمايسية وهي بنت القاضي أحمد بن الحميسي، أنجب منها المؤلف أولادا ذكورا هم : محمد المكنى السنوسي وأحمد الملقب التجاني وسيدي محمد الحبيب والسيد علي[5] .

---

[1] - المصدر نفسه، ص 6.

[2]- عبد الله حشلاف: المصدر السابق، ص 67.

[3] - المصدر نفسه ، ص 82.

[4]- المصدر نفسه، ص 1.

[5] - المصدر نفسه ، ص 70.

وانتسب المؤلف للطريقة التيجانية وهو ما يستنتج من كلامه عن نفسه إذ قال:" معمرا سائر أوقاتي بالأذكار و الأوراد و الأحزاب و الأدعية، و قراءة القرآن العظيم حتى نبلغ في كثير من السنين نتل الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم بصيغة الفاتح لما أغلق سبعة آلاف ما بين الليل و النهار مع تلاوة حزب السيف و المغني و الدور الأعلى صباحا و مساء و كذلك دعاء يا من أظهر الجميل و ستر القبيح، و أما حزب البحر دبر كل صلاة، وكذلك المسبعات العشر، و دعاء النصر مع الصلاة التازية مع اسم اللطيف ألف مرة صباحا و مساء، و التفريجية و حزب الأنوار و هذا كله زيادة على الورد المعلوم الذي به ملزوم مع قيام الليل، و أما في رمضان في كل سنة نختم السلكة أربع مرات إلى خمس إلى ست مرات ...." .[1]

والمعروف أن الأوراد التي ذكرها المؤلف هي كلها من أوراد الطريقة التيجانية، و لم يذكر المؤلف متى انتمى لهذه الطريقة وعلى يد من تلقاها.

وهو ما جعل علاقته مع الإدارة الفرنسية جيدة فأتاحت له الحصول على منصب القضاء الذي كان التعيين فيه لا يخضع للكفاءة بقدر ما يخضع للولاء للإدارة الاستعمارية ومجاراتها في قراراتها وسياستها اتجاه الأهالي، وقد نال المؤلف وسام المعارف من الدولة الفرنسية سنة 1914م.[2]

وهكذا زاول حشلاف القضاء المالكي في عدد من الأماكن كمدينة حاسي بحبح بالجلفة [3] كما زاوله في المشرية أيضا[4] .

وعُرف عن القاضي حشلاف تقديسه للأولياء وزيارته لأضرحتهم فقد وضع رسالة بعنوان :" القول الفصل في جواز زيارة الأولياء الكمل" وطبعها بالجزائر، كما قام سنة 1917 م برحلة إلى المغرب الأقصى زار فيها ضريح المولى إدريس بفاس، كما زار ضريح أحمد التيجاني [5] كما قام في سنة 1928 م بزيارة ضريح ما يعرف بـــ" النبي خالد" ببلدة سيدي خالد ببسكرة .[6]

[1]- عبد الله حشلاف: المصدر السابق،ص 69.

[2]- المصدر نفسه، ص 71.

[3]- بشير ضيف:فهرست معلمة التراث، ج3، طبع مؤسسة البابطين 2002، ص 21.

[4]- الجيلالي بن عبد الحكم العطافي: المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدنا يحي بن صفية،مطبعة ابن خلدون ، تلمسان 1952، ص 247.

[5] – حشلاف : المصدر السابق ، ص 33.

[6] – المصدر نفسه، ص 47.

وكل ذلك جعل علاقته مع الحركة الإصلاحية سيئة للغاية خصوصا بعد حادثة الاعتداء على أحد أنصارها وهو أحمد بوشمال الذي اعتدى عليه القاضي حشلاف بالجلفة نتيجة الصراع بين الإصلاحيين والطرقيين .[1]

وللقاضي حشلاف مؤلفات كثيرة منها: كتاب الشرف المصون لآل كنون،وقد طبع سنة 1352 هــ / 1933م ويقع في جزء صغير ، أثبت فيه الشرف لآل بيت أولاد جنون المعروفين بفاس، وله كتاب "روضة العاشق في شمائل بن المشرقي الصادق" [2] وكتاب" الروض المطرب في معرض المغرب" وكتاب "الإرشاد في تجديد العهود والأوراد" وكتاب "القول الفصل في جواز زيارة أولياء الله الكمل" وهو مطبوع، وكتاب "القول والدليل في نسب الشريف من الدخيل" وقد طبع.

توفي القاضي حشلاف كما ذكر محققا كتاب شراب أهل الصفا عبد الله حمادي الإدريسي وخونا أحمد محمود الجكني سنة 1937 م أي بعد ثماني سنين من طبعه كتابه سلسلة الأصول .[3]

* **الكتاب:**

يعد كتاب سلسلة الأصول أهم كتب القاضي حشلاف على الإطلاق، إذ أنه اعتمد فيه على مصادر هامة، وبحث فيه عن فروع الأشراف بالجزائر، و لم يكن الاهتمام بالنسب غريبا في أسرته فهذا جده سيدي أحمد وهو الخامس من آباء المؤلف " كانت له اليد الطولى في علم التاريخ و كان رحمه الله ألّف كتابا في نسب آل خطاب الحسني و فصل فروعه غاية التفصيل وأخرج ممن لا نسب له في آل خطاب فحسدوه على ذلك و بغضوه حيث كانت حصلت لهم المصاهرة مع آل خطاب و دخلوا في نسبه بالوجه المذكور فخافوا من الفضيحة و العار فسرقوا لـــه الكتاب و سعوا في إذايته و قد حفظه الله منهم. "

---

[1]- أحمد حماني: صراع بين السنة والبدعة، ج1، نشر دار البعث قسنطينة: 1984، ص 118-119.

[2]- قال الجيلالي بن عبد الحكم أنه وضع قصيدة في مدح شيخه بن الشرقي وأن القاضي حشلاف حين كان قاضيا بالمشرية وضع عليها شرحا أراه لشيخه ،وأراد طبعه ولكنه لم يوفق في ذلك، أنظر: الجيلالي بن عبد الحكم العطافي: المصدر السابق، ص 247.

[2]- أنظر مقدمة تحقيق كتاب شراب أهل الصفا في الصلاة على النبي المصطفى لمحمد بن القاسم القندوسي ، دار الهدى عين مليلة- الجزائر ، ص 62.

وأما عن دوافع تأليفه لهذا الكتاب فقد قال : " قد طلب مني بعض الأحباب أن أحرر لهم شجرة نسبهم المتصلة بسيد ولد آدم و الارتياب وأجبتهم لمرامهم."[1]

والكتاب يشتمل على مقدمة وخمسة أقسام وخاتمة فالمقدمة فيها ثمانية فصول: (الفصل الأول) في فضل علم النسب وما يترتب عليه من المصالح العامة ...الخ...

( الفصل الثاني)في أسماء الكتب المقتطف منها هذا الكتاب المعتمد عليها في جميع الأنساب

( الفصل الثالث ) في مولد النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه الشريف ومبعثه ولحوقه بالرفيق الأعلى على سبيل الاختصار.

(الفصل الرابع ) في أزواجه وسراريه وأولاده الطاهرين.

الفصل الخامس في ذكر آله الفخام وتفضيلهم وما يجب لهم من التعظيم والاحترام.

الفصل السادس في انتقال مولانا إدريس للمغرب ولحوق مولانا سليمان به في الأمد الأقرب .

(الفصل السابع ) في مبايعة إدريس وغزواته وسبب وفاته.

(الفصل الثامن ) في نشأة ابنه إدريس الأصغر وذكر بعض فضائل مدينة فاس وسبب تسميتها بذلك وسبب وفاته.

القسم الأول :في الشجرة الإدريسية وفروعها الزكية.

القسم الثاني :في الشجرة السليمانية وفروعها الكريمة.

القسم الثالث :في الشجرة الموسوية القادرية وفروعها المباركة.

القسم الرابع :في الشجرة الحسنية العلوية وفروعها السمية.

القسم الخامس: في الشجرة الحسينية وفروعها الطيبة. [2]

الخاتمة في ذكر عبد القوي الحسني وعبد القوي الحسيني ،وعبد القوي التجاني ونسب زيان ابن يغمراسن الزناتي، والشريف زيان .

وختم المؤلف الكتاب بإيراد مجموعة من التقاريظ من مؤلفي عصره وبعض ما أوردته الجرائد مثل جريدة البلاغ و جريدة النجاح. [1]

---

[1] - حشلاف: المصدر السابق، ص 2.

[2] – حشلاف: المصدر السابق، ص 3.

و لم يدّع المؤلف الكمال في عمله هذا فقد نبّه القارئ قائلا : " وما وجدتَه أيها الواقف عليه من خطئ فذلك من قصوري لا من تقصيري والمؤمن ممن تحلى بحلي الإنصاف ،إن وجد للسداد وجها فليسلكه ولا يصرف عنه وجها وليبينه عليه بعبارة خالية من التشنيع متجافية عن اللوم والتقريع " .[2]

وأما عن منهج التأليف فق د قال حشلاف: "والتزمت بأن أذكر كل أصل على ما أرخه المؤرخون في زمانهم وما قرره النسابون في محلهم ولا أزيد على ما في الأمهات إلا بعض الأفراد ممن اشتهر من أعيان العائلات من الشرفاء الأعيان حيث إن تتابع الجميع مما يعجز عليه الإنسان لكثرة فروع الأشراف وتفرقهم في جميع الأصقاع والأطراف ولا أتعرض لمن تغيرت ألقابهم ولا لمن انتقلوا بعد عن مواطن سلفهم إلا النادر القليل حتى لا يفضي بي إلى التطويل مع قلة بضاعتي وعدم فصاحتي وصناعتي ..." [3]

استهل المؤلف كتابه بالعبارة التالية:"بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم الحمد لله الذي يخلق ببني ادم جمعهم شعوب وقبائل اصطفى منهم نبته محمد صلى الله عليه وسلم فكان سيد الأواخر والأوائل وقد صح عندي صحيح الأخبار ما رواه الثقات الأخيار إن الله اصطفى من بني آدم العرب واصطفى من العرب كنانة اصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم فانا خيار من خيار... "[4]

وقسّم كتابه إلى مجموعة من" المطالب" فقد تعرض لعلم النسب" و ما يترتب عليه من المصالح العامة" ثم عرض أسماء المصادر التي اعتمد عليها في إعداد كتابه هذه وهي كثيرة ومتنوعة دون حساب بعض الوثائق التي زوده بها بعض الأشخاص وقد صرّح هو بذلك قائلا : "وزيادة على ما ذُكر فقد ثبت لدينا شرف بعض العائلات بحسب مالهم من الحيازة لنسبهم وشهرتهم لدى الخاصة والعامة، حيث أنهم مصدقون في أنسابهم حسبما لهم من الحيازة ..."[5]

---

[1] – المصدر نفسه، ص 160-165.

[2] – المصدر نفسه، ص 3.

[3]– عبد الله حشلاف: المصدر السابق،ص 4

[4] –المصدر نفسه، ص 2.

[5]– المصدر نفسه، ص 9.

ثم تطرق لحياة النبي (ص) ببعض التفصيل ليصل إلى ذكر ذريته[1]، ثم يستطرد فيذكر نسب ابن عزوز الشريف القسنطيني [2] ثم يورد منظومة في آل البيت [3]، ويذكر أسباب انتقال إدريس الأكبر للمغرب ومن بعده سليمان جد الفروع السليمانية الشريف [4]، وبعد ذلك يبدأ في ذكر فروع كل منها من الأشراف، ثم ينتقل إلى ذكر فروع عبد السلام بن مشيش، ويؤكد على ضرورة التمييز بين أولاد نايل الأشراف وأولاد نايل الهلاليين ، ثم يستطرد مرة أخرى فيذكر المنظومات التي قيلت في خالد بن سنان العبسي الذي يعتقد أنه نبي[5].

ويعود المؤلف إلى ذكر بعض من اشتهر من أشراف الجزائر كنقيب الأشراف سيدي محمد الشريف بالجزائر و سيدي عبد الجليل الطيار و الشيخ عبد القادر المجاوي و الشيخ شعيب و الشيخ الموهوب وولده الشيخ المولود مفتي قسنطينة .[6]

ثم يعرج المؤلف إلى ذكر جده " سيدي علي بن يحي حشلاف المعروف بوطن افليسه بزواوة" والعلماء و القضاة الذين تخرجوا من عائلات سيدي علي بن يحي حشلاف، وينبه على وجود بعض العائلات التي تحمل نفس لقبه لكنهم حسب قوله" لاحظ لهم في الشرف".[7]

وينتقل المؤلف إلى الحديث عن الفروع البوزيدية أو ما يعرف بالبوازيد ،ويترجم لمن سماه" خاتم الأولياء سيدي محمد بن القاسم الهاملي البوزيدي" ثم يتبع ذلك بذكر بعض من اشتهر من هذه الفروع في مناطق مختلفة من الجزائر.[8]

ويواصل المؤلف تتبع فروع الأشراف في الجزائر فيذكر مواطنهم وأشهر أعيانهم، وإن كان قد ركز بطبيعة الحال على الموظفين لدى الإدارة الفرنسية بحكم منصبه هو مثل القضاة والعدول والقيا والباشاغوات ...الخ.

---

[1] - المصدر نفسه، ص10- 16.

[2] – المصدر نفسه، ص 17.

[3] – المصدر نفسه، ص 23.

[4] – المصدر نفسه، ص 24-35.

[5] – عبد الله حشلاف: المصدر السابق، ص 36-52.

[6] – المصدر نفسه، ص 53-55.

[7] – المصدر نفسه، ص 63.

[8] – المصدر نفسه، ص 72-73.

ورغم هذا الموقف إلا أن القاضي حشلاف حاول أن يلتزم بمنهج تاريخي اقتبسه من الكتابات الإسلامية القديمة ، فهو يورد الوثائق والظهائر التي تنص على شرف هذه العائلات التي ذكرها كما يذكر نصوصا تاريخية وشهادات لعلماء مشهورين في هذا المجال.

## 5-* الطيب البوزيدي ومخطوطه العقد النضيد في بيان نسب سيدي بوزيد:

### *المؤلف:

وصاحبه "بوزيدي الطيب بن أحمد بن عبد الله البوزيدي الذي ينتهي نسبه إلى علي بن أبي طالب" كما جاء في مخطوطه [1] وهو غير معروف لدينا، كما لم تسعفنا كتب التراجم التي رجعنا إليها في معرفة جوانب من حياته، ويبدو لنا أنه من عرش البوازيد المتوطن في بسكرةّ، وقد حرر كتابه هذا كما ذكر هو في فاتح ربيع الثاني من سنة 1363 هـ/ 1943 م .

### *الكتاب:

وهو كتاب مخطوط حصلنا على نسخة منه من إحدى المكتبات الخاصة بسطيف، وعنوانه الكامل : " **العقد النضيد في بيان نسب سيدي بوزيد** " وهو من الحجم المتوسط وبه عشرون صفحة، وألحقه المؤلف بكتاب آخر جاء فيه بنفس المعلومات الواردة في الأول لكن الغريب أن تاريخ تحرير الكتاب الثاني جاء أسبق من الأول وهو الفاتح من جمادى الثانية من سنة 1341 هـ/ 1922 م.

واستهل المؤلف كتابه بقوله:"الحمد لله الذي أظهر الحق بالأقلام والحمد لله الذي فضلنا بالإسلام وجعلنا من ذرية نبيه عليه الصلاة والسلام .." ثم قال :" ..أما بعد فهذه شجرة في معرفة النسب الشريف.." .

[1]- الطيب البوزيدي : مخطوط العقد النضيد في بيان نسب سيدي بوزيد، ص1.

وذكر أن هذا الكتاب منقول من عدة وثائق وظهائر قديمة ، ومضى في التنويه بفضل محبة آل البيت مستشهدا ببعض الآيات والأحاديث النبوية [1].

ويقول إنه وقف على كتابة هذا النسب الشريف بخط جده سيدي أبو زيد بن علي الشريف وعلى أوصافه وولادته وقراءته واعتقاد وسيلته ومذهبه ومدة حياته ثم مضى في سرد كل ذلك بالتفصيل وبلغة هي للعامية أقرب منها للفصحى.

وقال عن جده هذا إنه ولد في مكة المكرمة في سنة 415 هـ/ 1024م وإنه أدرك بعض أئمة عصره كالشيخ ابن العربي تلميذ الإمام الغزالي، وأنه كان على مذهب الشافعي ، وذكر المؤلف خبر انتقال جده إلى المغرب واستقراره بفاس بعد أن بلغ الأربعين من عمره ثم استقر بعد ذلك بجبل راشد وهناك خلف أربعة أولاد هم محمد وعلي وعبد الله وأحمد ثم مضى المؤلف في ذكر ذرية كل واحد من هؤلاء وفروعهم بالتفصيل مع ذكر أماكن توطنهم.[2]

ووضح المؤلف إنه إنما أراد " تتبع السلف الصالح وأكتب أسمائهم ومقاماتهم العظيمة أين كانت "[3] وهكذا فصّل في أخبار هذه الفروع ومواطنها، ثم ذكر أن جده أحمد بن محمد بن علي بن مزوز بن علي بن عبد الرحمن الذي عاش في الفترة العثمانية، هو الذي كتب سلسلة هذا النسب " على حسب ما أمره به السيد الباي الحاج مصطفى وقاضيه سيدي محمد بن السعادي اللذين وضعا طابعيها على وثيقة النسب تعظيما لحق سلسلة الأشراف " كما ذكر وكان ذلك بتاريخ 15 صفر سنة 1210 هـ/ 1795م.[4]

وقد قام ذلك الجد بالحفاظ على تلك الوثيقة التي انتقلت من حفيد إلى حفيد حتى وصلت المؤلف فاعتمدها في تحرير كتابه هذا، وفي آخر الكتاب يذكر المؤلف سلسلة نسبه كاملة كما يذكر تاريخ كتابته لهذا المخطوط.[5]

---

[1]- المصدر نفسه، ص 1-2.

[2]- الطيب البوزيدي : المصدر نفسه ، ص 3-5.

[3]- المصدر نفسه ، ص12.

[4]- المصدر نفسه ، ص 18.

[5]- المصدر نفسه ، ص 22.

## 6-* الجيلاني بن عبد الحكم العطافي وكتابه المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يحيى بن صفية:

### * المؤلف:

هو كما ذكر نسبه في كتابه : الحاج الجلاني بن الجلاني بن عبد الحكم بن أحمد بن أحمد بن الحاج امحمد بن العربي بن اعمر بن رحو بن يحيى بن عبد الله بن أحمد الصغير بن أحمد الكبير بن الجلاني بن يحي بن صفية دفين سبدو[1].

ولد سنة 1298 هـ/ 1880 م في العطاف وكان مولده في جبل بوقلي، قرأ القرآن على عدة مشايخ منهم : محمد العباسي واحمد بن الحاج عيسى ومحمد بن عودة من أبناء عمه والشيخ الحاج بن الشرقي .

تتلمذ على جملة من المشايخ أبرزهم الشيخ الحاج محمد بن الشرقي الذي ختم في زاويته الفقه على متن الشيخ خليل وعلم التوحيد على يد الشيخ سيدي الحاج بالعربي بن الشيخ سيدي الحاج أحمد بن الشرقي ، كما درس مختلف العلوم على الشيخ سيدي محمد بن أحمد السوسي خريج فاس ، فتفقه في الدين وتورع في العلم حتى نال إجازة من الشيخ سيدي الحاج أحمد بن الشرقي وأذن له في التدريس وكان ذلك في فاتح محرم سنة 1324 هـ/ 1906 م تاريخ تأسيس مدرسة العطاف، واستمر المؤلف في التدريس مدة 30 سنة حتى تهدمت تلك المدرسة عن آخرها مما اضطر الشيخ الى التنقل مع أسرته الى الاصنام وهناك أسس مدرسة الفلاح الخلدونية حاليا وذلك في 15 شعبان سنة 1354 هـ/ 14 أكتوبر 1935 م ولما ضرب الزلزال الاصنام سنة 1954 م انتقل الشيخ وعائلته الى مدينة غيليزان فواصل التدريس هناك حتى سنة 1957 م ورجع للأصنام مواصلا نشاطه في التدريس والفتوى و تولى مديرا لمدرسة الفلاح بالاصنام ( الشلف حاليا ) وتوفي في 22 رمضان سنة 1384 هـ/ 1964 م .[2]

### * الكتاب:

[5]– الجيلاني بن عبد الحكم العطافي: المصدر السابق ، ص 112.

[2]– محمد بن اسماعيلي: مشايخ خالدون وعلماء عاملون ، دار الهدى ، عين مليلة ،ط 4، 2007، ص 167.

هو كتاب مطبوع في مطبعة ابن خلدون بتلمسان سنة 1372 هـ/ 1952 م وهو من الحجم الكبير إذ به 422 صفحة ثم ملحق استدرك فيه بعض من لم يشر إليهم في ص 423 ثم أربع صفحات لتصويب الأخطاء المطبعية الواردة في الكتاب من ص 424 إلى ص 428 وأخيرا فهرسا للكتاب من ص 429 إلى ص 433 ثم ختمه بتنبيه ورجاء وضح فيه أنه بذل قصارى جهده في التصحيح وأن الأخطاء المتبقية قد تركها لفطنة القارئ ، وهذا يدل على حرص المؤلف الشديد على إخراج كتابه في أحسن وجه رغم الظروف التي كانت تعيشها البلاد حينئذ.

وضّح المؤلف أن دافعه لتأليف هذا الكتاب هو الرغبة في التعرف على فروع يحي بن صفية في البيض والعطاف والأصنام " الشلف" فصرّح بذلك قائلا :" ..لما كان أولاد جدنا مولانا السيد يحي بن صفية دفين سبدو غربي تلمسان متفرقة بالأصقاع أردت أن أعرف كل واحد بالمكان الذي هو فيه. " [1]

وأما عن خطته فقال:"ورتبته على مقدمة وثلاثة أقسام وخاتمة " وقسم كل قسم من هذه الأقسام إلى فصول.

ففي المقدمة ذكر فضل الشرف وضبط النسب والتصديق به وما يترتب على من أدخل نفسه متعمدا في نسب غيره، وعلى من أخرج نفسه متعمدا من نسبه، واستشهد في هذه المقدمة بعدد من الآيات والأحاديث النبوية، ثم عرّج للحديث عن الرسول " ص " ونسبه الشريف وسيرته باختصار ، مع التركيز على ذكر سلالته.

أما القسم الأول فقد خصصه لذكر نسب جده يحي بن صفية، وذكر في القسم الثاني أولاده وعددهم والأماكن التي هم بها، وخصص القسم الثالث للحديث عن فروع الجيلاني بن يحي بن صفية والأماكن التي هم بها وانتقالهم من مكان إلى آخر وسبب انتقالهم،وبه فصلان.

واعتمد المؤلف على عدة مصادر ذكر الكثير منها في متن بحثه هذا، ففي السيرة النبوية اعتمد على مؤلفات ابن الكلبي والطبري [2]والبخاري ومسلم وابن الخطيب السلماني [3] والدمنهوري والمسعودي وابن خلدون وابن عبد البر واللقاني واعتمد في ضبط أنساب فروع يحي بن صفية على

---

[1] – الجيلاني بن عبد الحكم العطافي: المصدر السابق ، ص 3.

[2]– الجيلاني بن عبد الحكم العطافي: المصدر السابق، ص 9-11.

[3] – المصدر نفسه، ص 14-15.

مؤلفات كل من القاضي حشلاف والعشماوي وتقاييد أولاد سيدي يحي، وما نقله السيد عبد الرحمن إمام العريشة من التقاييد الموجودة عند أولاد سيدي يحي بن صفية الكائنين في أولاد نهار وما أملاه السيد قايد أولاد نهار" فإنه حافظ لنسب ونسب إخوانه ومستحضر لجميع أولاد سيدي يحي بن صفية وذريتهم والأماكن التي هم بها ومناقيهم وهو ثقة في النقل كما سمعت منه ذلك.."[1]

ومن بعض الكتب التي نظرها ذكر المؤلف كتاب عبد القادر الفاسي، وكتاب العشماوي ، كما نقل من تقاييد أولاد سيدي يحي بن صفية بنصها [2].

وذكر من الوثائق التي اعتمد عليها وثيقة بخط الباي شعبان والباي قادة وهي برسم عند قاضي البيض محمد بن عبد الرحمن ونشر النص الكامل لتلك الوثيقة.[3]

كما نشر النص الكامل لتقاييد مناقب سيدي يحي بن صفية وأولاده، [4]وبالكتاب عدد من التراجم لأولاد سيدي يحيى بن صفية وبعض شيوخ الزوايا و رجال التدريس والإفتاء في الفترة الفرنسية مثل علي البوديلمي، والمهدي البوعبدلي، وأفراد من عائلة العشعاش، والمولود الحافظي وشيوخ الزوايا المعروفين مثل الموسوم وتلاميذه وابن تكوك السنوسي والهاشمي بن بكار ومصطفى فخار مفتي المدية ومفتي مليانة ومحمد البشير الرابحي والشاعر احمد الأكحل ، وغيره ، وترجم المؤلف أيضا لبعض رجال الإصلاح وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس [5].

## 7-* بن عودة بن إسماعيل ومخطوطه الشجرة الثبيتة في نسب شرفة فليتة :

### *المؤلف:

مؤلفه هو الشيخ بن عودة بن إسماعيل وهو عالم وفقيه وإمام ولد بدوار تعسالت ببلدية وادي السلام بغيليزان بالغرب الجزائري سنة 1883 م، تعلم القرآن الكريم على الشيخ بلحاج علي كما درس الفقه واللغة وعلومها بمدرسة العطاف ثم أصبح مدرسا عند الشيخ ابن شاوش وبعد

---

[1] – المصدر نفسه، ص 18-24.

[2] – المصدر نفسه، ص 25-34.

[3] – المصدر نفسه ، ص 78-79.

[4] – الجيلاني بن عبد الحكم العطافي: المصدر السابق، ص 80 -83.

[5] – المصدر نفسه، ص 83

ذلك عاد إلى غيليزان وعين إماما خطيبا بجامع الشيخ سيدي بن عبد الله وكان من المجتهدين وقد استمر في النشاط حتى وفاته في الفاتح من جانفي سنة 1969 ودفن في مقبرة سيدي عبد القادر بغيليزان[1] .

وترك الشيخ بن عودة مخطوطا تاريخيا في الأنساب هو "الشجرة الثبيتة في نسب شرفة[كذا] فليتة ومناقب أوليائهم الشتيتة" و قام الشيخ محمد شايب الذراع الغليزاني –وهو مفتش سابق في التربية والتعليم– بنسخ المخطوط في كراسة متوسطة الحجم، ووضع عليه بعض التعاليق المفيدة كما ألحق به بعض القصائد.

والمخطوط به 36 صفحة تناول فيه مؤلفه الأشراف الذين ظهروا بمنطقة فليتة بغيليزان وهم من ذرية سيدي علي بن يحي ، واستهله المؤلف بقوله :" الحمد لله الذي طيب الفروع بطيب الأصول/ وجعل الإتباع في الدين سببا للوصول..." ثم وضح سبب تأليفه فقال "..ولما عزمت على مجاورتي بالحرمين الشريفين بعد ضعف سني ...صححت نسبي عند القاضي سعيد حسين بغيليزان بثلاثين شاهدا حسب قانون الاستعمار ..وكنت نويت أن نطبعها".[2]

***الكتاب:**

بدأ تأليفه في أواخر عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر وأنهاه سنة 1963 وأراد أن يطبعه بالمطبعة المكية لكنه لم يوفق في ذلك، ولما رجع إلى غليزان ظهر له أن يطبعها بالمطبعة العلوية بمستغانم لكن الظروف أعاقته عن ذلك فظل كتابه مخطوطا.[3]

ووضع المؤلف لكتابه مخططا جاء على النحو التالي ، فقد ترجم للجد الأول الذي هاجر إلى الغرب الجزائري في القرن 7 هـ/ 13 م وتولى بعد استقراره هناك حكم المنطقة وترك بها وبنواحيها ذريته [4].

ثم انتقل المؤلف للحديث عن النسل العاشر لذلك الجد وهو سيدي راشد وسؤاله للعلامة سيدي موسى بن عيسى المغيلي المازوني ثم ذكر قضية سيدي محمد بن عبد القوي السلطان القالق

---

[3]– محمد مفلاح : أعلام من منطقة غليزان، الكتاب الثاني ، دار المعرفة ، الجزائر 2009 ، ص 67 .

[1] – بن عودة بن إسماعيل : مخطوط الشجرة الثبيتة في نسب شرفة فليتة ومناقب أوليائهم الشتيتة، ص 1.

[3] – المصدر نفسه ، ص 2.

[4] – بن عودة بن إسماعيل : المصدر السابق ، ص 3.

مع الولي الصالح سيدي واضح المكناسي وقضية سيدي راشد ومناقبه وقضية سيدي علي بن يحي مع شيخه عبد الرحمن الثعالبي،وقضية سيدي محمد بن عودة الملقب بـــ" طواع الأسود" وبعض أشياخه وأوراده ومن بنى ضريحه من البايات الأتراك ، ثم ذكر المؤلف "جماعة من إخوان الشيخ بن عودة ومصادقة العلماء على شجرة نسبه.[1]

ومضى المؤلف في تعداد فروع سيدي يحي الذي خلف خمسة عشر ذكرا وهم الذين شكّلوا فيما بعد أعراش المنطقة [2] وانتقل بعد ذلك إلى ذكر أماكن أضرحة أسلافه فقال مثلا إن ضريح سيدي راشد بجبل ونشريس غرب واد المالح وضريح سيدي يحي جنوب جبل زمورة وهو يشرف على نهر مينة قرب مدينة غليزان[3] ، وعاد لذكر بعض القبائل المتفرعة من أجداده.[4]

وقد اعتمد المؤلف في تحرير كتابه هذا على جملة من الوثائق وبعض الكتب مثل تاريخ ابن خلدون وتاريخ أبي راس الناصر وعدد من كتب الأنساب.

من خلال استعراضنا لهذه النماذج من الكتابات التاريخية يتبين لنا أن حركة التأليف في موضوع الأنساب قد نشطت في العهد الاستعماري رغم الجهل الذي خيّم على أوساط المجتمع الجزائري، ولعل ذلك مرده محاولة هؤلاء الكتاب التمسّك بالأصول والاعتزاز بماضي الأجداد كمحاولة لمقاومة المسخ الثقافي الذي مارسه الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

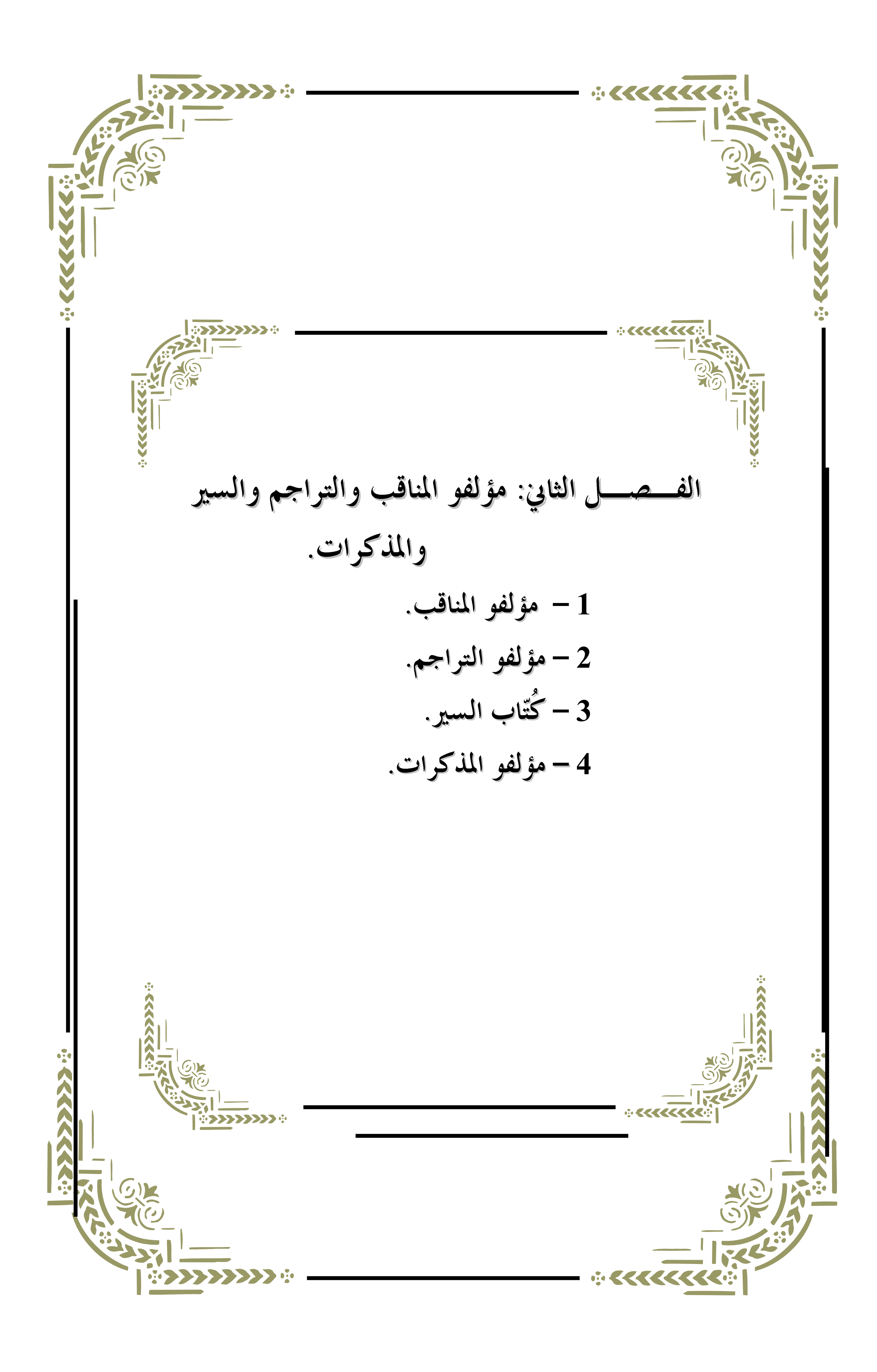
---

[1]- المصدر نفسه ، ص 15-17.

[2]- المصدر نفسه ، ص13.

[3]- المصدر نفسه ، ص 24 -25.

[4]- المصدر نفسه ، ص 25 – 36.



# الفصـــل الثاني: مؤلفو المناقب والتراجم والسير والمذكرات.

1 – مؤلفو المناقب.

2 – مؤلفو التراجم.

3 – كُتّاب السير.

4 – مؤلفو المذكرات.

سنتطرق في هذا الفصل للمؤلفين الذين كتبوا في المناقب و والتراجم السير الذاتية والمذكرات باعتبار أن هذا الصنف من الكتابة هو نوع من أنواع الكتابة التاريخية، فالمؤلف في هذه الحالة يجد نفسه ملزما بإرفاق معلومات تاريخية عن المترجم له وعصره.

وقد لاحظنا انسياق مؤلفي المناقب إلى ذكر فضائل وكرامات الأشخاص الذين يترجمون لهم، وإن كانت تلك سمة وجدناها أيضا لدى الكثير ممن كتب في التراجم، وهي سمة غالبة على كُتّاب ذلك العصر لغلبة الاتجاه التقليدي المحافظ الغارق في الصوفية في أغلب المؤلفات، وسنذكر في هذا الفصل المؤلفات التي تدخل في هذا الصنف، ولكن قبل ذلك سنتطرق إلى صلة المناقب بالتاريخ.

تدخل المناقب في صنف التراجم الصوفية، و هي تمثل الترجمة التي يصوغها المؤلف بقصد تقريب المترجم له، و هو في إطار انتمائه إلى رجال التصوف أو ممارسته له ، فتركز موادها على ذكر الكرامات و المناقب و تعرض سلوك المتصوف و عبادته ومواقفه و أقواله و معاملته للشيوخ و المريدين، ويمثل هذا الصنف التراجم الواردة في كتب طبقات الصوفية و المناقب.

ولا تختلف المناقب عن التراجم إلا في كونها تغرق في مدح المترجم وتبيان خصاله الحميدة فقط في حين أن التراجم تذكر سيرة المترجم بكل ما فيها من عيوب ومزايا.[1]

ويذكر لطفي عيسى أن هذا الصنف من الكتابات لا يجب تجريحه بحجة إغراق مؤلفه في الكرامات الصوفية، ومدح صاحب المنقبة ، وإنما يجب أن يوضع في مكانه الصحيح بين الكتابات التاريخية مثلما فعل هو مع مناقب الشيخ أبي الغيث القشاش،[2] والذي اعتبره الباحث التونسي أحمد عبد السلام مصدرا تاريخيا في رسالته عن المؤرخين التونسيين.[3]

---

[1]- عبد المجيد الصغير: إشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين 18 و 19 م، ج1، منشورات دار الآفاق الجديدة،الدار البيضاء: 1988، ص 45.

[2]- لطفي عيسى : أخبار المناقب ، في المعجزة والكرامة والتاريخ، دار سيراس،تونس:1994، ص 6.

[3]- أحمد عبد السلام: المؤرخون التونسيون في القرون 17 و 18 و 19 ، رسالة في تاريخ الثقافة، بيت الحكمة، قرطاج: 1993، ص 154-156.

## المبحث الأول: مؤلفو المناقب:

### 1-*أبو زيان الغريسي وكتابه كنز الأسرار:

#### * المؤلف:

هو أبو زيان مَحمد بن أحمد الغريسي المعسكري، ولد ونشأ بمنطقة اغريس في أواخر العهد العثماني، و كان صوفيا ينتمي للطريقة الدرقاوية التي كان لها نفوذ قوي في عصره إلى درجة أنها شكّلت قوة مهددة للوجود العثماني بالجزائر، وهو ما تمثل في التمرد الذي أعلنته سنة 1805.

توفي بوزيان الغريسي في يوم الجمعة 5 ربيع الأول سنة 1271 هـ/ 1854 م، ودفن بروضة أولاد بن ادريس بالقباب[1] و تخرّج عليه خلق كثير من طريقة شيخه العربي الدرقاوي وهو شهير بين أتباع الطريقة الدرقاوية.[2]

وذكر في كتابه الطبقات إنه تتلمذ على الشيخ العربي الدرقاوي في الفترة الممتدة بين 1219 هـ / 1804 م إلى غاية وفاة الشيخ سنة 1239 هـ / 1823 م [3].

#### * الكتاب:

هو كتاب "كتز الأسرار في مناقب مولانا العربي الدرقاوي وبعض أصحابه الأخيار "، وعُرف أيضا بكتاب " طبقات في الشيخ أبي حامد بن أحمد الدرقاوي الحسني وتلامذته"، وقد استهله مؤلفه بقوله :" الحمد لله الموصوف والمعروف بالوجود والقدم.." قال ابن سودة إنه لديه نسخة منه تقع في أربعة كراريس.[4]

---

[1]- عبد السلام بن عبد القادر بن سودة: إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، تنسيق وتحقيق محمد حجي، ضمن موسوعة اعلام المغرب، ج7، ط1، دار الغرب الإسلامي،بيروت: 1996، ص 2600.

[2]- عبد السلام بن سودة : دليل مؤرخ المغرب الأقصى ، دار الفكر ، بيروت، ط1، 1997، ص181.

[3]- محمد بن محمد المهدي التمسماني: الإمام مولاي العربي الدرقاوي شيخ الطريقة الدرقاوية الشاذلية: ترجمته وبعض آثاره ، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 2007، ص 11.

[4]- عبد السلام بن سودة : دليل مؤرخ المغرب الأقصى، المرجع السابق، ص181.

ترجم الغريسي في هذا الكتاب لعدد من أقطاب الشاذلية، وهي أصل الطريقة الدرقاوية، وغلبت عليه المبالغة في ذكر بعض الكرامات، فقد قال عن عبد السلام بن مشيش : " عن سيدي أحمد العربي الزروالي أنه قال : ذكر الطرطوشي أن القطب الأكبر مولانا عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه ذاب له مريدان تصرفت فيهما النورانية حسا." [1]

وترجم فيه لمولاي العربي الدرقاوي ترجمة مستفيضة، جاء فيها بكل أخباره، وصار مرجعا لا يستغنى عنه لكل من يدرس سيرة هذا الشيخ، فهو شيخه الذي تأثر به كثيرا، و اعتمد في ترجمته على معايشته له، وعلى بعض الوثائق التي تثبت شرف هذا الشيخ، وفي هذا قال :" وقد رأيت أيضا من ظواهر الملوك التي بأيدي أستاذنا صاحب الترجمة دولة بعد دولة ....."[2]

ولكنه في ترجمته هذه كما في سائر تراجمه، ينساق أمام المبالغة في الوصف وتعداد مآثر المترجم له فيقول مثلا:" واعلم سلك الله بنا وبك سبيل المعارف، وحملنا وإياك في سفينة هـــذا الرئيس العارف، أن هذا الإمام هو كهف الإسلام، وملاذ الأنام، وملجأ الخاص والعام...." [3]

وترجم كذلك في هذا الكتاب لمحمد البوزيدي المتوفى عام 1229 هـــ/ 1813 م وهو أحد تلاميذ العربي الدرقاوي، ومن الذين حظوا بثقة الشيخ وتزكيته لطول مرافقته له، وقال عنه المؤلف :" كان رحمه الله محبا للشيخ مرافقا له ومجاورا له، وملازما لداره أكثر من داره هو، يخدمه ويقضي مآربه.."[4]

كما ترجم الغريسي أيضا للشيخ أحمد بن عجيبة الذي وصفه بـــ: "حجة الطائفة الدرقاوية، مبينا لأحكامها، وناشرا لأعلامها.... وكان بفاس حرسها الله في العشرة السابعة من

---

[1]–محمد بن محمد المهدي التمسماني: الإمام مولاي عبد السلام بن مشيش ترجمته وبعض أقواله ، دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 2009، ص 32.

[2] – محمد بن محمد المهدي التمسماني: الإمام مولاي العربي الدرقاوي ، ص 19–20.

[3]– المرجع نفسه ، ص 29.

[4]– محمد بن محمد المهدي التمسماني: الإمام سيدي محمد بن أحمد البوزيدي: ترجمته وبعض آثاره ، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2006، ص11.

المائة الثانية عشر وأقام بها مدة ولقي بها فقهاء وصلحاء ، وقرأ عليهم حتى حصل له الحظ الأوفر والنصيب الأكبر ..." [1]

وترجم لأخ بن عجيبة وهو الهاشمي بن عجيبة ومما قاله عنه:" الفقيه الأستاذ الشيخ الأجل المحترم المبجل....سيدي الهاشمي بن عجيبة، كان قوي الذكر و المذاكرة ....له تقاييد من المعاني كثيرة بيد أصحابه وأهله ...وقد توفي بزاوية شيخه وبحضرته، وهو بها الآن في آخر خمسة وعشرين والله أعلم ."[2]

وقد سقنا هذه النماذج المختارة لنعرف أسلوب المؤلف فيها، وهو أسلوب لا يختلف كثيرا عن مؤلفي عصره، بل وج دناه نفس الأسلوب الذي اتبعه كثيرون من بعده كالحفناوي مثلا في كتابه تعريف الخلف.

## 2-*محمود بن المطماطية وكتابه غرائب البراهين في مناقب صاحب تماسين:

### *المؤلف:

هو محمود بن محمد بن محمود ابن المطماطية، فقيه صوفي و أديب، من أعلام الطريقة التجانية في عصره، ولد بمدينة قسنطينة عام 1298 هـ/ 1880 م، من أسرة حسنية إدريسية يرتفع نسبها للشيخ عبد السلام بن مشيش دفين جبل العلم بقبيلة بني عروس، إحدى قبائل منطقة جبالة بالمغرب الأقصى ، تلقى العلم عن جماعة من أكابر علماء بلده ، فتفوق في تحصيله . [3]

أخذ الطريقة التجانية، وكان مقدما للطريقة في قسنطينة، واتخذ من زاوية ابن نعمون مقرا له وكانت له بعض الشهرة في قسنطينة خلال الثمانينات من القرن الماضي لعلاقته بالأحداث التي عرفتها المدينة عندئذ. [4]

[1] – محمد بن محمد المهدي التمسماني: الإمام سيدي محمد بن أحمد البوزيدي، المرجع السابق، ص 291- 293..

[2]– المرجع نفسه، ص 299.

[3]– محمد بن محمد الحسني الحجوجي : نيل المراد في معرفة رجال الإسناد : الفهرسة الكبرى ، دراسة و تحقيق, يوسف مرون منشورات جامعة عبد المالك السعدي، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، تطوان: 2007 ، ص 13.

[4] – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، ص 447.

ألف ابن المطماطية مؤلفات كثيرة تزيد على مائتي مصنف منها : أنياب القسورة لكسر عظام من حرَّف الجوهرة ، و أشرف الأوصاف في التعريف بأهل عين ماضي الأشراف ، وجلائل العلوم في رسائل و نصائح القطب المكتوم، و دلائل الحق المتينة في الرد على من أنكر طريقتنا بقسنطينة، وكتاب سفينة السكينة بتراجم كبراء التجانيين بقسنطينة وغيرها، و توفي عام 1371 هـ/1952م.[1]

## * الكتاب:

والمقصود بصاحب تماسين هو الحاج علي الينبوعي، شيخ الطريقة التجانية مدة طويلة ومؤسس فرعها في تماسين، وهو الذي ورث خلافة الشيخ أحمد التجاني وعاد على إثر وفاته، بأولاده من المغرب الأقصى، وعدا الفترة التي تولاها محمد الصغير التجاني في عين ماضي " 1840-1853" فإن أبناء الحاج علي هم الذين توارثوا أباهم في" البركة" التجانية.[2]

والكتاب به 276 صفحة، و وضّح المؤلف أن الدافع لتأليف كتابه هذا هو الإعجاب بالشيخ علي التماسيني فأراد أن يضع كتابا يجمع فيه كل أخباره.[3]

وأما عن خطته فقال:" ورتبته بإرشاد ذي المنة اللطيفة على عشرين بابا ..كل باب مستقل بما في طيّه..."[4]

ولكن الأبواب الهامة في الكتاب هي الأبواب الثلاثة منه و هي:

الباب الأول: وتضمن نسب الشيخ علي التماسيني[5].

الباب الثاني: تضمن الحديث عن نشأته ولقائه بشيخه أحمد التيجاني.

---

[1] - محمد بن محمد الحسني الحجوجي: المصدر السابق، ص 13-15.

[2]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، ص 446.

[3]- محمود بن المطماطية : غرائب البراهين في مناقب صاحب تماسين، مخطوط مكتوب على الوورد كتبه السيد علي غريسي، ص2.

[4]- المصدر نفسه، ص 3.

[5]- المصدر نفسه، ص ص 9-14.

الباب الثالث: وتضمن الحديث عن عدم لقاء الشيخ علي التماسيني بعلي حرازم الفاسي وهو من كبار شيوخ التيجانية بالمغرب.[1]

ومن الباب الرابع وحتى الباب العشرين هي ما يدخل في نطاق الأدب الصوفي، حيث فصل فيها المؤلف في ذكر ما سماه كرامات الشيخ التماسيني، ومناقبه وأقواله وأقوال العلماء فيه ورأي الناس في ذلك[2].

و أما عن مصادره في هذا الكتاب فهي كثيرة ومتنوعة، منها الشفهية حيث يقول مثلا:"وقد أخبرني حفيده محمد العيد...." [3] أو كقوله:" إنه من المعروف المتواتر بين كبار الخواص من قدماء هذه الطريقة".[4]

أو قوله:" حدثني بعض الشيوخ الأفاضل الأبرار من أهل الصحراء.." [5] أو " بلغنا أيضا أن مولانا الحاج علي التماسيني..." [6].

واعتمد على بعض المصادر المكتوبة ذكر منها اثنان من تأليفه هو وهما : " مجالس الأنس في التعريف بالمشايخ الخمس " [7] وكتابه المسمى:" الدرة الخضراء الثمينة في تراجم خواص الغوث التيجاني بقسنطينة[8]" كما اعتمد على كتب غيره وبعض الوثائق كرسائل الشيخ لبعض العلماء ومراسلاتهم له .

والكتاب مهم في التأريخ لشيخ الزاوية التيجانية بتماسين وأحوال عصره ومواقفه وآرائه وشيوخه وتلاميذه والأبواب الأولى منه هي التي تستحق اهتمام المؤرخ، أما الأبواب الأخرى فهي تدخل كما ذكرنا في مجال الأدب الصوفي والمنقبي، ورغم ذلك فهي لا تخلو من فائدة تاريخية

---

[1]– محمود بن المطماطية : غرائب البراهين،المصدر السابق ، ص 23-30.

[2]– المصدر نفسه ، ص 30- 246

[3]– المصدر نفسه، ص21.

[4] – المصدر نفسه، ص 23.

[5] – المصدر نفسه، ص 42.

[6]– المصدر نفسه، ص 47.

[7]– المصدر نفسه، ص 23.

[8]– المصدر نفسه، ص 36.

باعتبارها تعبر بجلاء عن انتشار الفكر الطرقي في العهد الاستعماري، ونفوذ شيوخه بين الناس بفعل انتشار الجهل، والاعتقاد في خوارق العادات والابتعاد عن تعاليم الدين

## 3-* علي بن الحاج موسى وكتابه في سيرة الشيخ أحمد بن يوسف الملياني:

### * المؤلف:

هو الشيخ علي بن أحمد بن الحاج موسى بن عبد العزيز بن أحمد زروق بن الحسين بن محمد الكبير الملقب بشايب الذراع بن عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن مقبل البوزكزاوي وقد عُرف بجده الأول الحاج موسى.

ولد علي بن الحاج موسى سنة 1244 هـ/ 1833 م [1] وهو ينتسب لعائلة علمية قديمة في العاصمة كانت تشتغل بالشؤون الدينية ومنها القضاء والده هو أحمد بن الحاج موسى له مراسلات مع بعض العلماء والمفتين إلى السلطات الفرنسية .

ودرس على الشيخ : مصطفى الحرار ، وعاصر حسن بن بريهمات والعمالي والحفاف وتولى القضاء للفرنسيين في عدة أماكن منها مليانة وتلمسان وتنس خلال الستينات ثم استقال ليتفرغ للعبادة والتأليف، وتولى وكالة ضريح الشيخ الثعالبي بمدينة الجزائر، وكان يميل للتصوف فألف كتاب ربح التجارة وربما ألفه وهو قاض بمليانة، وكانت له مراسلات مع قاضي تلمسان شعيب بن علي ومع عبد الحي الكتاني وقد توفي سنة 1913 عن عمر يناهز ثمانين سنة ، ذكره محمد بيرم في صفوة الاعتبار.[2]

### *الكتاب:

هو مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم 928 عنوانه الكامل: "**ربح التجارة ومغنم السعادة فيما يتعلق بأحكام الزيارة إلى ضريح الولي الصالح سيدي أحمد بن يوسف داخل مليانة** " بدأ

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7 ، دار الغرب الإسلامي،ط1، بيروت1998، ص 72.

[2]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، ص 488.

مؤلفه في تحريره سنة 1273 هـ/ 1856 م وأنهاه سنة 1297 هـ/ 1879 م وورد فيه اسمه كذا: علي بن الحاج موسى الجزائري[1].

قال المؤلف عن سبب تأليفه لهذا الكتاب أنه معجب بمكانة الشيخ ومتأثر بها ومؤمن بكراماته، وبذا رغب في جمع اخباره وأقواله في هذا التأليف الذي اعتمد في تحريره على كتاب بستان الأزهار في مناقب زمزم الأبرار ومعدن الأنوار سيدي احمد بن يوسف الراشدي النسب الدار لمؤلفه محمد بن علي بن عبد الرحمن الصباغ قاضي قلعة بني راشد [2].

وخط هذا المخطوط مغربي جميل وبه 124 ورقة، في كل ورقة 26 سطرا، وبعد المقدمة التي تحدث فيها عن مكانة الأولياء والصالحين وضرورة توقيرهم وفضل زيارتهم، لينتقل الى الفصل الأول وفيه وضح القواعد العامة التي يجب أن يلتزم بها الزائر والوقت الذي ينبغي عليه اختياره للزيارة[3].

وتحدث في الفصل الثاني عن شروط الزيارة والخطوات التي يجب اتباعها لكي تكون زيارته ذات منفعة[4].

وفي الفصل الثالث تحدث عن الشروط التي من خلالها يحصل الزائر على رضى الاولياء ويتقرب إلى الله بذلك حسب اعتقاده[5].

والفصل الرابع والأخير هو الذي عالج فيه المؤلف سيرة سيدي أحمد بن يوسف الملياني وهو أهم فصول الكتاب، وتعرض فيه لمولده ونشأته وتصوفه ومكانته بين قومه وتلاميذه وعرض ما سماه كرامات الشيخ [6].

[1]- علي بن الحاج موسى :ربح التجارة ومغنم السعادة فيما يتعلق بأحكام الزيارة إلى ضريح الولي الصالح سيدي أحمد بن يوسف داخل مليانة، مخطوط المكتبة الوطنية، رقم 928 ، ص 1.

[2] - Bodin : Notes et questions sur sidi Ahmed ben Youssef, in R.A n° 61 (1925), p 130.

[3] - علي بن الحاج موسى:المصدر السابق، ص3-19.

[4] - المصدر نفسه ، ص 20-39.

[5]- المصدر نفسه، ص 40-79

[5]- المصدر نفسه، ص 80- 124.

وهكذا فإن المادة التاريخية في هذا المخطوط تكاد تكون منحصرة فقط على هذا الفصل الأخير الذي به سيرة الشيخ الملياني، والكتاب على العموم يبقى مصدرا تاريخيا رغم طابعه الصوفي المنقبي.

## 4-* إبراهيم العوامر السوفي و كتابه البحر الطافح في بعض فضائل شيخ الطريق محمد الصالح :

### * المؤلف:

هو إبراهيم بن محمد الساسي بن عامر الملقب بـــ"العوامر" ، ولد بوادي سوف سنة 1881م، وكانت الجزائر يومئذ تحت حكم الحاكم لويس تيرمان Louis Tirmain الذي زار وادي سوف ، و كانت رئاسة المكتب العربي في المدينة للضابط كوفييه.

و أما نسبه فقد ذكره هو بنفسه في كتابه " الصروف في تاريخ الصحراء و سوف " في القسم الثاني الخاص بأنساب وادي سوف الذي قسمهم الى قبائل و فصائل و عمائر و بطون و أفخاذ ، و من بين تلك القبائل قبيلة الشبابطة العربية التي قسمها الى اثني عشرة عميرة ، و تسمى الثانية منها أولاد بوجديد و تنقسم الى ست فصائل، اثنتان اصليتان ، و اربع ملحقات ، و تعرف الرابعة منها بالعوامر و هي التي ينتمي اليها صاحب الترجمة ، و العوامر حسب رأيه هم أصحاب سيدي عامر بن صالح بن محمد بن أحمد ....بن إدريس الأكبر مؤسس الدولة الادريسية [1].

نشأ العوامر في مدينة وادي سوف حيث قرأ و درس على عدد من شيوخها منهم عبد الرحمن العمودي و محمد العربي بن موسى، و في شبابه كان الفرنسيون قد سمحوا بالدروس المسجدية، فنال قسطا منها قبل أن يرحل إلى تونس و يدخل إلى الزيتونة لاستكمال دراسته ، و هناك درس على الشيخين محمد النخلي و محمد الخضر حسين.

---

[1]- إبراهيم بن محمد الساسي العوامر: المصدر السابق، ص 287.

بعد أن أتم العوامر دراسته بتونس رجع لسوف، و توظف في سلك القضاء بمحكمة الوادي التي كان يشرف عليها المكتب العربي العسكري، و طال عهده في القضاء، و إضافة إلى سوف فقد عين أيضا في أولاد جلال و توقرت.[1]

و لم تشغله وظيفة القضاء عن التدريس متطوعا في مساجد الوادي حيث كان يدرس العلوم الدينية و اللغوية، و كان يلقي درسا صباحيا لطلبة العلم، و بعد صلاة المغرب يلقي درسا في مختصر خليل يحضره الطلبة و غيرهم ثلاث ليالي في الأسبوع ، و يلقي أيضا درسا في التفسير ، و لم تتعطل الدروس سوى ليلة الجمعة و صباحها حسب أحد تلامذته و هو حمزة بوكوشة ، وقد قرأ عليه مقدمة ابن آجروم في النحو ، و مختصر خليل في الفقه المالكي، و كان يذكر بعد قراءة المتن أقوال الشيوخ و يقارن بينها،و يوجهها ثم يرجح بينها و ينقد بعضها، و قد يخالف صاحب المتن أحيانا ، و يخرج عن المذهب المالكي إلى غيره، و كان سهل العبارة في درسه، و يفهمه الجميع على مختلف مستوياتهم و درجاتهم ، كثير الاطلاع، جمّاعة للكتب مغرما بها .

و مثل الكثير من علماء عصره، ارتبط العوامر بالطرق الصوفية التي كانت متنفذة في وادي سوف، و هي التيجانية و القادرية و الرحمانية، وكانت التيجانية هي طريقة والده محمد الساسي، و القادرية هي طريقة والدته.[2]

و إلى جانب العمل في سلك القضاء والتدريس و الفتوى، و الاهتمام بالطرق الصوفية و خدمتها ، شارك العوامر في النشاط الثقافي بتأليفه في العروض و المواريث و التاريخ و التصوف،و قد اثرى العوامر المكتبة الإسلامية و العربية بمؤلفات علمية لها قيمتها، منها ما طبع و منها ما يزال مخطوطا، و أصيب العوامر في أواخر حياته بمرض أقعده في الفراش حتى وفاته سنة 1353 هـ/ 1932 م م بمدينة تقرت[3].

---

[1]- سعد العمامرة أحمد منصوري: أعلام من سوف في الفقه والثقافة والأدب ، شركة مزوار للطباعة والنشر ، الوادي: 2006، ص 30-31.

[2] – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7،المرجع السابق، ص 392.

[3]- سعد العمامرة و أحمد منصوري: المرجع السابق، ص 33.

*** الكتاب:**

و هو رسالة عنوانها الكامل : **"البحر الطافح في بعض فضائل شيخ الطريق سيدي محمد الصالح"** ألفها العوامر في هذا الشيخ إعجابا به و بطريقته الرحمانية في وادي سوف، و كذلك وفاءً لوصية جده الذي أوصاه بخدمة أولاد شيخه حسبما ورد في الرسالة، وقد أرّخ فيه لأحد أقطاب التصوف بسوف.[1]

وصف المؤلف هذا الشيخ بـــ:" ....ذو المعارف والسر الوارف، والمقام الأسنى والعز الأفنى ..." وذكر نسبه فقال إنه:" محمد الصالح نجل سيدي سالم الأعرج بن محمد بن محمد... بن سيدي المحجوب، دفين القيروان.[2]

ثم ذكر شيوخه وسنده في الطريقة، فقد أخد المترجم له عن الشيخ مصباح، وهذا أخذ عم والده سيدي سالم وهذا الأخير عن علي بن عمر شيخ زاوية طولقة الرحمانية، ثم واصل في ذكر السند الرحماني حتى الشيخ المؤسس محمد بن عبد الرحمن الأزهري[3].

وأفرد المؤلف عدة صفحات لذكر مناقب وفضائل شيخه، اعتمادا على ما تناقله الرواة وما عايشه هو شخصيا [4]، ويطغى على هذا القسم الذي اختصره الحفناوي الطابع الصوفي والإيمان بالخوارق والكرامات، وهو أمر لا نكاد نجده في كتاب "الصروف" الذي ظهر فيه في ثوب الباحث والمؤرخ والنسابة الذي ينقل الروايات وينقدها.

---

[1]- إبراهيم مياسي : "دور العلامة إبراهيم العوامر السوفي في النهضة الجزائرية"، "مجلة الواحات للبحوث والدراسات" ، المركز الجامعي غرداية، ع 1 ، ديسمبر 2006 ، ص 179 .

[2]- أبو القاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج2، مؤسسة الرسالة،ط2،بيروت: 1985، ص 399.

[3]- المصدر نفسه، ص 399-400.

[4]- المصدر نفسه، ص 402-403.

## 5-* عدة بن تونس المستغانمي و كتابه الروضة السنية في المآثر العلوية:

### المؤلف:

هو عدة بن عودة بن تونس المستغانمي، ولد بها سنة 1898 م في أسرة من أسر ها المعروفة،وكان أبوه عودة بن تونس منتسبا إلى الطريقة القدّورية ، ونشأ هو وتربى تحت رعاية الشيخ مصطفى بن أحمد العلاوي شيخ الطريقة العلاوية[1].

بدأ في كُتاب الشيخ " بلحميسي " بتعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، وكان منذ طفولته يتردد بصحبة أخيه الأكبر على زاوية الشيخ حمو البوزيدي، وهناك تعرف على شيخه أحمد العلاوي، فتوثقت صلات الود بينهما،وخصوصا بعد مآل مشيخة الطريقة - التي أصبحت معروفة باسمه- بعد وفاة الشيخ البوزيدي إلى الشيخ العلاوي سنة 1914، فقد لازمه عدة وأصبح موضع ثقته، وخزانة أسراره، يصطحبه معه في رحلاته داخل الوطن وخارجه، لنشرا لطريقة العلاوية والإشراف على حلقات الذكر ونشر التعليم والوعي الديني ، بعقد حلقات لتدريس الفقه وعلوم العربية من نحو وصرف خاصة بعد عودته من جامع الزيتونة[2].

و ليس غريبا أن يتوج الشيخ العلاوي تلك الروابط الروحية القوية بينه بين تلميذه برباط المصاهرة، فيزوجه بابنة أخته، ويعهد له بالإشراف على شؤون الزاوية وروادها في حياته، ويوصي له كتابة بالخلافة بعد مماته[3].

وفعلا تولى الشيخ عدة مشيخة الطريقة العلاوية، بعد وفاة الشيخ العلاوي سنة 1934 فكان مدرسا في حلقات الدروس في المساجد، ومشرفا على تربية القُصّر في السجون، وعلى تنظيم مخيمات الشبيبة العلاوية على شاطئ البحر صيفا، وعلى الجبل في الربيع، وفضلا عن مساهمته في بناء المساجد والمدارس، فقد أنشأ جريد " لسان الدين " سنة 1936، وهي جريدة نصف

---

[1]- رشيد محمد الهادي: إرشاد القراء إلى كفاح مجلة المرشد الغراء، المكتبة الدينية للطريقة العلاوية بمستغانم: 1983، ص 4-5.

[2]- خالد عدلان بن تونس: الشيخ عدة رجل الإصلاح ومربي الأرواح ، نشر جمعية الشيخ العلاوي للتربية والثقافة الصوفية مستغانم: بلا تاريخ، ص 2-3.

[3]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص 322.

شهرية،كانت منبرا لنشر تعاليم الدين الإسلامي،والقيم الروحية للطريقة العلاوية، وبعد توقفها سنة 1939 أنشأ مجلة " المرشد " سنة 1946 وكانت متعددة المواضيع، تعنى بمشاكل المسلمين الاجتماعية والدينية،وتدافع عن القيم الروحية،وكانت تصدر باللغتين العربية والفرنسية، أضف إلى كل ذلك،رحلاته داخل الوطن وخارجه، لتفقد أهل النسبة ومساعدتهم في بناء الزوايا والمساجد لنشر الثقافة الصوفية والوعي الديني بين مختلف طبقات الأمة داخل الوطن وخارجه،حتى لغير المسلمين.[1]

ولم يزل هذا دأبه معلما ومتفقدا ومشرفا على الأعمال الخيرية، و دروس الوعظ والإرشاد على صفحات الجرائد إلى أن وافته المنية في 4 جويلية 1952م.[2]

***الكتاب:**

هو كتاب في تاريخ حياة شيخه أحمد بن مصطفى العلاوي، طبع أول مرة سنة 1336 هـ/ 1954 م، ويعتبر الكتاب مجموعة وثائق تاريخية ذات قيمة كبيرة، لما يحتويه من حقائق ومعلومات عن حياة الشيخ العلاوي وتاريخ الطريقة العلاوية عموما، إذ يسجلها المؤلف عن معاينة وطول معاشرة ومن هنا يكتسي الكتاب أهمية بالغة بالنسبة للباحث والمؤرخ لأحداث ذلك العصر، ويكفي الكتاب أهمية أن المؤلف أثبت فيه قسما من السيرة الذاتية للشيخ العلاوي والتي كانت بخط يده واستغرقت ثمانية عشر صفحة من الكتاب، وتعد اليوم في حكم المفقودة[3].

وبدأ الكتاب بما سماه الخطبة ومما جاء فيها : الحمد لله الذي اصطفى آدم على كثير من خلقه ونفخ فيه من روحه وجعله خليفة في أرضه..."[4]

وذكر المؤلف أنه أراد أن يكتب كلمة عن أستاذه الراحل الذي كان متأثرا به كثيرا، ثم انتقل إلى فاتحة الكتاب التي وضّح فيها اعتناءه بتأليف هذا الكتاب رغم كثرة مشاغله، وقال إنه

[1]- خالد عدلان بن تونس: المرجع السابق ، ص 4-5.

[2]- محمد الصالح آيت علجت: صحف التصوف الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 2001، ص 181.

[3]- الطاهر برقة : تقديم كتاب عدة بن تونس المستغانمي : الروضة السنية في المآثر العلوية، ، وكان اعتمادنا على الطبعة الثانية الصادرة عن المطبعة العلاوية بمستغانم سنة 1987، ص 6.

[4]- عدة بن تونس المستغانمي : الروضة السنية في المآثر العلوية، ط2، المطبعة العلاوية بمستغانم : 1987، ص 9.

اعتمد في إعداده على ما وجده بخط أحد كتبة الشيخ الذي لازمه طويلا، كما اعتمد على معاصرته هو للشيخ، وكونه خليفته في الطريقة العلاوية[1].

وقسّم كتابه إلى مجموعة من المباحث، خصص الأول منها لنسب الشيخ اعتمادا على ما ذكره الفقيه المغربي محمد بن القاسم البادسي الفاسي في تقديمه لأحد كتب الشيخ وهو كتاب المنح القدوسية، كما اعتمد على كتاب سبيكة العقيان وهو مخطوط يتحدث عن علماء مستغانم[2].

وخصص المبحث الثاني للحديث عن الطريقة العلاوية وذكر سندها اعتمادا على كتاب إرشاد الراغبين للشيخ الحسن بن عبد العزيز القادري التلمساني[3].

ثم جاء بفصل في حياة شيخه ذكر فيه تاريخ مولده وأورد بعد ذلك السيرة الذاتية للشيخ العلاوي والتي كانت بخط يده واستغرقت ثمانية عشر صفحة من الكتاب كما ذكرنا آنفا[4].

وخصص فصلا لذكر أعماله ثم تأسيسه للطريقة العلاوية سنة 1333 هـ/ 1914 م ودعوته لبعض رهبان الفرنسيين للدخول في الإسلام وجاء ببعض الآراء الفكرية والفلسفية للشيخ والتي سماها المقدمة وقسمها إلى 25 فصلا.[5]

وانتقل للحديث عن اشتغال الشيخ بالصحافة وتأسيسه لصحيفة لسان الدين سنة 1341 هـ/ 1923 م [6] وظهور صحيفة البلاغ سنة 1345 هـ/ 1927 م وتقريظ بعض الشعراء لها.[7]

---

[1] - عدة بن تونس المستغانمي : المصدر السابق، ص 15

[2] - المصدر نفسه، ص 15-16.

[3] - المصدر نفسه ، ص 17-18.

[4] - المصدر نفسه، ص 20-40.

[5] - المصدر نفسه،ص 41-43.

[6] - المصدر نفسه، ص 70-76.

[7] - المصدر نفسه، ص 76-88.

وذكر الاحتفال السنوي للشيخ بحضور أتباع الطريقة [1] وأورد نصا لأحد دروس الشيخ بالمناسبة كما أورد مقالة للشيخ أحمد بن الحاج مصطفى شيخ الطريقة بفرندة[2].

ثم عدّد زوايا الطريقة العلاوية داخل الجزائر وخارجها وهي زوايا كثيرة منتشرة في المغرب والمشرق[3].

وذكر تآليف شيخه اعتمادا على ما كتبه الشيخ صالح بن الموفق القسنطيني بعنوان :" نبذة تاريخية مفيدة من آثار الستاذ الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي."[4]

ثم ذكر وصية الشيخ التي تركها قبل وفاته وهي جعل أملاك الزاوية وقفا على الطلبة الذين يتوافدون عليها للتحصيل العلمي من أتباع الطريقة العلاوية[5].

و عاد المؤلف وجاء بفصل عن خَلق الشيخ وخُلقه أورد فيه الصفات الجسمانية لشيخه وذكر أخلاقه[6] كما عاد مرة أخرى لذكر دعوة الشيخ للمبشرين الفرنسيين للدخول في الإسلام، كما عاد لذكر بعض أعمال الشيخ وفصل فيما دل على علو مقامه -كما قال — عن طريق المرائي الصالحة وذكر جملة من مناقبه.[7]

وختم الكتاب بخاتمة صغيرة ذكر فيها أن كتابه هذا هو جزء من مشروع كبير لكتابة تاريخ حياة الشيخ العلاوي [8]، لكن هذا المشروع يبدو أنه لم يتحقق.

---

[1] - عدة بن تونس المستغانمي : المصدر السابق ، ص 88-92.

[2] - المصدر نفسه، ص 92-102.

[3] - المصدر نفسه، ص 104-134.

[4] - المصدر نفسه، ص 138-140

[5] - المصدر نفسه، ص 141- 145

[6] - المصدر نفسه، ص 145.

[7] – المصدر السابق ص 149-186.

[8] - المصدر نفسه، ص 187.

## المبحث الثالث : مؤلفو التراجم:

### مفهوم الترجمة:

الترجمة لغة وجمعها تراجم لفظة تطلق على التعبير عن معنى قائم بالنفس بلفظ يؤدي للمعنى بتمامه، والترجمة للشخص ذكر اسمه ولقبه ونسبته إلى بلد أو قبيلة أو حرفة، وذكر تاريخ ولادته ووفاته مع سيرته المحتوية على ما له من مآثر ومحاسن وما له من المشايخ الذين تلقى العلم عنهم أو أجازوه، وعلى عدد ما له من المؤلفات إن وجدت وما إلى ذلك مما يتفق له من رحلة وفتوى ومناظرة، وسائر ما تقلب فيه في مختلف مراحل حياته.[1]

و هذا الفن أولاه العلماء عموما، و المؤرخون و النسابون و المحدثون خصوصا، عناية تستحق الاحتفال و التنويه ، حيث ألفوا التآليف في صنف من العلماء و غيرهم من الذين يجمعهم وصف خلقي أو علمي أو مكاني أو غير ذلك [2].

### 1-*عبد القادر بن عمر بن عبد الرحمن التنلاني ومخطوطه الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية:

#### *المؤلف:

هو كما جاء في كتابه هذا محمد عبد القادر بن عمر بن عبد الرحمان بن أحمد بن يوسف التنلاني أصلا، المهداوي دارا ومنشئا ، وقد ذكر له الشيخ باي بلعالم شيخا واحد تلقى على يده العلم هو الشيخ محمد بن أحميد بن عبد العزيز.[3]

وأما مؤلفاته فلا نعرف له غير هذا التأليف وهو المسمى -الدرة الفاخرة في ذكر المشائخ التواتية ، وتوفي المؤلف في المهدية بتوات سنة 1265هـ/ 1849 م .[4]

---

[1]- الطيب المهاجي : أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما أتفق لي في الماضي والحاضر ، مطبعة الشركة الجزائرية للورق ، وهران: بلاتاريخ ، ص21.

[2]- المصدر نفسه، ص 22.

[3]- محمد باي بلعالم : الرحلة العلية الى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط ذلك من الجهات، ج2، دار هومة، الجزائر:2005، ص 186.

[4] - عبد العزيز سيدي عمر : قطف الزهرات في أخبار علماء توات، ط2، دار هومة، 2002 ص81.

***الكتاب:**

هو عبارة عن مخطوط توجد منه صورة طبق الأصل بمكتبة الشيخ باي بلعالم، وكان ابتداء كتابتها يوم الأحد فاتح محرم سنة 1250هـ/ 1834 م ولعلها بخط المؤلف، ولاحظنا فيها بعض الخروم بفعل التآكل، أما خطها فواضح ومقروء في الغالب، لكنه ابتداء من منتصف الصفحة 12 يتغير الخط ويصير دقيقا، وفي آخرها بعض القصائد بخط دقيق جدا لا يقرأ إلا بجهد كبير ،وهناك بعض الاستدراكات بين الأسطر، كما أن هناك بعض التعليقات في الهوامش أظن أنها من الذين قرءوا هذه النسخة، وهي صعبة القراءة جدا لدقة خطها من جهة وتآكل الورق من جهة أخرى.

وقد ذكر المؤلف عنوان كتابه هذا فقال " سميت هذا المجموع بالدرة الفاخرة في ذكر ما بتوات من العلماء الأشراف الإدريسيين والعلاويين " [1]، وبلغ عدد الأعلام المترجمين في الدرة الفاخرة 89 علما بعضهم كانت ترجمته قصيرة والبعض الآخر تجاوزت ترجمته الصفحتين.

اعتمد المؤلف على بعض المصادر المخطوطة بعضها بخط والده " حسبما بخط والدي رحمه الله وجدته وبعض الشواهد الأثرية كالكتابات الموجودة على قبور الشرفاء والمرابطين كما ذكر هو في المقدمة.

وكان الفراغ منها صبيحة يوم الأحد الثالث عشر صفر الأبرك عام 1250هـ خمسين ومائتين وألف].

استهله بقوله: " الحمد لله تبرّكا بفاتحة الكتاب لأنها ابتداء كل أمر ذي بال وخاتمة كل دعاء مجاب ، وآخر دعاء المؤمنين في دار الثواب حمد من وفّقه ويسّر له المطالب والأسباب ، والصلاة والسلام على أفضل خلقه صلى الله عليه وسلم سيدنا محمد سيد المرسلين الفاتح لما أغلق من الأبواب ، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم المئاب ، على ممر الدهور والأحقاب" [2].

ثم وضح الدافع لتأليف كتابه هذا فقال : " هذا لما اشتدت إليه حاجة الراغبين في تعريف الأئمة المتقدمين منهم والمتأخرين" ، وقد سنح لي أن أودع هذه الديباجة فريدة يحسن بها بمسامع

---

[1]- عبد القادر التنلاني:مخطوط الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، ص 1

[2] – عبد القادر بن عمر التنلاني: المصدر السابق ، ص 3.

المستفيدين تشنيف بذكر الأئمة –رضوان الله عليهم[أجمعين ] ثم أقفي على آثارهم بنفائس جميلة لقلوب المتدينين، ثم ذكر بعض فضائل العلم والعلماء وفوائد زيارتهم".[1]

وأضاف قائلا:" سنلمع إن شاء الله تعالى لنبذة من التعريف بالأئمة وذكر مناقبهم وأحوالهم في موضع هو أولى و يناسبه، وسنذكر كل واحد في ترجمة".

ووضّح دافع التأليف بقوله: " ثم إن بعض الأحبة طلبوا مني أنال الله طلباتهم أن أقيّد لهم ما ذكر فأجبتهم إلى ذلك الغرض، قضاء لبعض حق ودّهم المفترض" ، وربما زدت على ذلك أشياء يستحسنها الأدباء، نسأل الله تحسين الطوية، فعسى بفضله أن تصدر مني وإن لم أكن أهلا لذلك".

وقال إنه بدأ في تقييد كتابه " يوم الأحد المبارك في السنة المأثورة من شهر الله المحرم الحرام فاتح خمسين ومائتين وألف ، أعطانا الله خيره ووقانا بمنه ضيره ، فائدة ينتفع بها ودود فإن فضله سبحانه وتعالى غير محدود ، وباب كرمه العميم غير مسدود لا إله إلا هو عليه توكلت، وعلى إحسانه المعتاد عوّلت" [2].

بدأ المؤلف تراجمه بترجمه جده **أحمد بن يوسف بن محمد التنيلاني [ 1002 هـ / ت: 1078هـ]** الذي قال عنه :" كان أحد أئمة العلماء وكان صالحا ورعا زاهدا، نشأ بأولاد أنقال، وولد عام اثنين وألف (1002هـ)، ورحل وكانت نقلته من بلاد أولاد أنقال إلى دياره برزق الله الواسع يوم الأربعاء الحادي عشر من رمضان عام ثمان وخمسين وألف( 1058هـ)، بعد أن أكمل بناء المسجد أواسط شعبان في العام المذكور، وكانت وفاته بعد مضي عشرين سنة من نقلته ووقع بينه وبين أخواله عجائب من البغض، وورّخ كتبا عديدة في ذكر ما صار له، وكان والده ساكنا ببوصلاح ببني تامرت، ورحل بعد ذلك لأولاد أنقال، وحج خمس حجات، بعض منها مع الشيخ سيدي عبد القادر بن عمر...." [3]

ثم ثنى بترجمة الشيخ عمر بن عبد القادر بن أحمد التنلاني [م: 1098هـ / 1152هـ] الذي قال عنه " جد الأعلام واحد الأئمة المجتهدين في المذهب،له ترجيحات، كان عالما بالنحو

---

[1] – عبد القادر بن عمر التنلاني: المصدر السابق، ص 3-4.

[2]– المصدر نفسه ، ص 7-8

[3]– المصدر نفسه ، ص 8.

والفقه، والحديث واللغة والعروض وكانت وفاة الشيخ المذكور: عشية الأربعاء لثلاث ليال خلون من الربيع الأول سنة اثنين خمسين ومائة وألف[1152هـ] ...."[1]

واستمر المؤلف هكذا في ذكر جملة من تراجم علماء وصلحاء إقليم توات، وكانت بعض التراجم طويلة كترجمة عمر بن عبد القادر بن أحمد[2] ومحمد بن عبد الله الونقالي [3] وبعضها لم يتعد بضع كلمات كقوله عن الحسن بن سيدي الحسن مثلا أنه :" كان عالما في الفقه أديبا سيمته حسنة " [4] وهذا راجع ربما لقلة المصادر التاريخية حول الموضوع فالمؤلف قد اعتمد اعتمادل يكاد يكون كليا عى الروايات الشفهية التي جمعها من بعض كبار السن من العلماء الثقاة ومما قيده البعض منهم مثل ما قيّده الشيخ سيدي عبد الرحمان بن عمر[5].

وفي ظل هذه المعطيات، فإن كتاب الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية يكتسي أهمية بالغة، باعتباره من المصادر التاريخية النادرة التي ضمت تراجم علماء وصلحاء توات، وهو مهم في دراسة الحياة الفكرية والثقافية خلال عدة قرون، فهو يذكر العلماء ومناهجهم في التدريس والزوايا الموجودة بالمنطقة ومدارس العلم وموقف العلماء من بعض قضايا عصرهم كالفتوى التي أصدرها الشيخ أحمدزروق بن أبي عبد الله في تحريم الدخان الذي كان يسمى محليا شجرة الطابا.[6]

## 2-* الحسين بن علي بن أبي طالب و تاريخ الأمير عبد القادر:

### * المؤلف:

هو الحسين بن علي بن أبي طالب بن سيدي المصطفى بن سيدي قادة بن المختار، وهو ابن عم الأمير عبد القادر، [7]ونرجح أن مولده كان حوالي سنة 1231 هـ/ 1815 م فقد ذكر في

---

[1] – عبد القادر بن عمر التنلاني: المصدر السابق ، ص 10-11.

[2] – المصدر نفسه، ص 11.

[3] - المصدر نفسه، ص11-12.

[4] – المصدر نفسه، ص12.

[5] - المصدر نفسه ، ص 12-15.

[6] - المصدر نفسه ،ص 15-18.

[7] - A.Delpech: Histoire d'El Hadj Abd El Kader par son cousin El Hossin Ben Ali Ben Abi Taleb, in R.A n° 20 (1876) pp 417-455.

كتابه هذا أنه كان فتيا جدا حين قام الأمير ووالده محي الدين برحلتهما للحج، [1] ومن المعلوم أن هذه الرحلة تمت سنة 1241 هـ/ 1825 م كما ذكر محمد السعيد بن محي الدين.[2]

*** الكتاب:**

نعتقد أن النسخة العربية لهذا الكتاب مفقودة، ولا نظن أن أسرة الأمير تمتلك نسخة منه وإلا لكانت أشارت إليها المصادر، ولهذا فإننا نعتمد اعتمادا كليا على النشرة الجزئية المترجمة التي قام بها الفرنسي أدريان دلباش في المجلة الإفريقية.

وقد وضّح هذا الأخير ظروف تأليف الحسين بن بوطالب لهذا الكتاب فقال إنه في 11 أفريل 1843 ونتيجة لمعركة نشبت بين فرقة عسكرية فرنسية وقوات الأمير التي كان يقودها محمد بن علال جنوب مقاطعة وهران فإن الحسين أسر من طرف فرسان القوم [3] الذين كانوا يرافقون القوة الفرنسية، والذين سهّلوا عليه عملية الفرار لما تعرفوا عليه.

وأخيرا هامَ على وجهه من قبيلة لأخرى خلال بضع سنين، وانتهى به الأمر أن استسلم للفرنسيين بالبليدة، وظل محتجزا بها إلى غاية سنة 1848 تاريخ نهاية مقاومة الأمير، ثم رافق هذا الأخير إلى طولون، لكن الأمير رفض استقباله في البدء حيث لم يسامحه على استسلامه المبكر للفرنسيين.

وخلال إقامته بالبليدة فإن الحسين، ودون شك لكي يشغل أوقات فراغه، سعى لكتابة تاريخ الأمير عبد القادر، و لم تكن روايته للأحداث –حسب المترجم دلباش– بأسلوب أنيق ولا بوضوح كبير ، و لم يأخذ الحسين من التقاييد والكتب، بل اعتمد على ذاكرته فقط لدرجة أنه يضع حادثا قبل آخر، فالأحداث عنده لم تكن مرتبة زمنيا[4].

---

[1] - A.Delpech :Opcit,p 418

[2] –محمد السعيد بن محي الدين: سيرة محي الدين ،مخطوط، ص 14

[3] - فرسان القوم المعروفين أيضا بالفرنسية بـــ Goum وهم المتعاونون مع فرنسا.

[4] - A.Delpech :Opcit,p 422

استهل الحسين كتابه بتقديم نبذة عن أسرة الأمير ثم بعد أن تحدث عن التنبؤ بتوليته شؤون الجزائر[1] وتحدث بشكل مختصر عن وضعية الأهالي في ظل الحكم التركي، كما روى الأحداث التي تلت تولية الأمير ومبايعة القبائل له ، و ابتداء من لحظة أسره تصبح حوليته التاريخية ذات طابع خاص وذكر المترجم أنه حذف بعض نصوص الكتاب وخصوصا ذلك الفصل الذي يتحدث فيه المؤلف عن تجواله في انحاء الجزائر وانتقل مباشرة للخلاصة [2]وكان للحسين رغم أسره يأمل في الثورة والتحرر، تلك الآمال التي وقعت سنة 1871 كما قال المترجم دلباش[3].

## 3* مصطفى بن التهامي وكتابه سيرة الأمير عبد القادر وجهاده:

### * المؤلف:

هو مصطفى بن أحمد بن التهامي الغريسي ولد بسهل غريس بمعسكر سنة 1205 هـ/ 1790 م ،حفظ القرآن الكريم بمسقط رأسه، ثم أخذ مبادئ الدين واللغة العربية عن والده، وعن نخبة من شيوخ وعلماء بلده، ثم رحل إلى مدينة وهران لاستكمال دراسته بملازمة العلماء والحصول على الإجازات العلمية، وهو النهج المألوف في زمنه.[4]

صاهر مصطفى بن التهامي الأمير وعينه هذا الأخير خليفته على معسكر ونواحيها، وعمل بن التهامي بالتدريس وتحفيظ القرآن الكريم، كما عمل كاتبًا لسر الأمير عبدالقادر الجزائري، وواليه على ولاية معسكر، ورئيسًا لديوان الإنشاء، ومعلمًا خاصًا لأبناء الأمير ، وصفه المشرفي بـــ "سيبويه زمانه"، وقف مع الأمير في كل مراحل حياته: الجهاد، السجن، المنفى، وفي دمشق تولى تدريس البلاغة والتفسير بالجامع الأموي، وكانت له مناظرات علمية وفقهية مع العلماء في الشامو عمل بالإفتاء على المذهب المالكي ، توفي سنة 1283 هـــ / 1866م، له "غوثية" نظمها في سجن امبواز تبلغ 522 بيتا[5].

---

[1] - A.Delpech :Opcit, p 432.
[2] - Ibid,p 442.
[3] - Ibid, p 450.

[4]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، المصدر السابق، ج 5، ص 525

[5]– يحيى بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة – دار الغرب الإسلامي – بيروت: 1995، ص 223.

* **الكتاب:**

كان أحد أفراد عائلة السيد جاك شوفالييه قد عثر على هذا المخطوط بالمصادفة، أثناء بحثه عن بعض الخشب في القبو للتدفئة، ولما اطلع عليه تأكّد من أهميته التاريخية البالغة، فاتصل فوراً بوزير المجاهدين وسلمه المخطوط، و قام الوزير بتسليمه إلى مدير المكتبة الوطنية في حفل رسمي، و هذا المخطوط لا يحمل عنوانا في مقدمته، وقد قُدّم ونشر على أنه مذكرات للأمير عبد القادر وصهره ابن التهامي أو أنه كتبه بعلمه .[1]

وقسّم المؤلف كتابه كما يلي: ففي المدخل ذكر رسالة من سماهم الأسقف والقبطان والبطريق للأمير عبد القادر، والتي طلب منه فيها تسجيل حوادث حياته بدءا بسيرة والد محي الدين ثم سيرته هو وحياته في طفولته ورحلته مع والده للحجاز، وعودته ثم مبايعته وتنظيمه لجيشه وبنائه للحصون والقلاع العسكرية ومعاركه مع الفرنسيين[2].

وأما عن دواعي التأليف فقال المؤلف :" ..وبعد فإن بعض أساقفة النصارى طلب كتابا مضمنه تاريخ ما جرى بيننا وبينهم بالقطر الجزائري من مصالحة ومكافحة ببيان كل واحدة من الأمرين ونزيده مع ذلك التعريف بالمجاهد الأعظم الأعدل الأكرم، وهذا هو الغرض الأكيد منه."[3]

والمخطوط كتب بقصر أمبواز بفرنسا أثناء أسر الأمير وحاشيته، وأشار المؤلف أن القبطان هو الذي كلفه بذلك، ولا ندري من هو هذا القبطان ولعله بواسوني الذي اشتهر بين الأهالي باسم بوسنة، أو هو القبطان دوماس الذي كانت له علاقة مع لأمير ومرافقا له ووضع عن الفرس عند العرب كتابا استعان في قسم منهه بالأمير[4].

وفي مقدمة المخطوط التي جاءت في سبع صفحات ذكر عددا من الأمثلة التاريخية لإثبات أن إجابة الأمير لا تتعارض أبدا مع الدين ولا ضرر فيها على المسلمين.

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي،ط2، بيروت:2005،ص 182.

[2]- مصطفى بن التهامي: سيرة الأمير عبد القادر وجهاده ، تح: يحي بوعزيز، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1995، ص 12.

[3]- المصدر نفسه، ص 37-38.

[4]- المصدر نفسه، ص 37.

وفي الفصل الأول وجاء في ثلاث عشرة صفحة ذكر نسب الأمير ومولده وتحدث عن زاوية القيطنة وعن قبر جد الأمير في عين الغزالة بليبيا وعن شيوخ الأمير الذين تلقى عنهم العلم.

وفي الفصل الثاني وبه ستة عشر صفحة تحدث عن نسب النبي " ص" وأقسام العرب، وأورد في هذا القسم أشعارا كثيرة.

وفي الفصل الثالث وبه اثني عشرة صفحة تحدث عن معنى النبوة والرسالة والنبي والرسول وأعداد النبياء والرسل وسير بعضهم.

والفصل الرابع وهو أطول الفصول إذ به ثمانون صفحة تحدث عن ما طُلب من الأمير، فسرد فيه حياته، وذكر رحلته للحج، وعودته ومبايعته ومعاركه مع الفرنسيين، وعلاقته بقبائل المنطقة،والصلح مع الفرنسيين، وتنظيم الجيش والعلاقة مع سلطان المغرب، ونهاية المقاومة وأسر الأمير واحتجازه في فرنسا.

وفي الفصل الخامس خصص خمسة وخمسين صفحة تحدث فيها عن أخلاق العرب وصفاتهم وعن بناء الكعبة وقصة اسماعيل وهاجر وبئر زمزم.

وفي الفصل السادس تحدث في خمسة وعشرين صفحة عن نسب الروم وما كانوا عليه من صفات وقصة حواريي النبي عيسى وعلاقة المسلمين الأوائل بالنصارى.

وخصص الفصل السابع والأخير له اثنان وعشرون صفحة لبيان من اجتمع نسبه من الأجناس واختلط في أصل الآباء والأمهات أو بالمصاهرة وتكلم عن أصل قبائل البربر وأورد في هذا الفصل طرائف كثيرة عبرت عن ثقافته الموسوعية.

وخصص للخاتمة ست صفحات تطرق فيها لأسماء الشهور العربية ومعانيها وأسمائها الافرنجية والقبطية، ووالفرق بينها وبين الشهور الشمسية، واستطرد فذكر نقباء بني اسرائيل الاثني عشر واصحاب الكهف واولي العزم من الرسل وأشراط الساعة وغيرها من الأمور[1].

و على الرغم من الحشو والتكرار، والخروج عن الموضوع، والاستطرادات الكثيرة في المخطوط إلا أن مادته التاريخية هامة، خصوصا الفصل الرابع منه الذي به معلومات هامة ومفيدة

[1]- مصطفى بن التهامي: المصدر السابق، ص 14-21.

عن سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، لا توجد في مصادر تاريخية أخرى مما يعطي لهذا الكتاب أهمية خاصة.[1]

وهكذا فإن محتوى المخطوط يدل على سعة اطلاع المؤلف، وغزارة معارفه خصوصا في مجال الأنساب والثقافة الفقهية والأدبية[2].

## 4-* أحمد بن المبارك وكتابه الدرة الثمينة في التعريف بمشايخنا أهل قسنطينة:

### * المؤلف:

ولد الشيخ الحاج أبو العباس أحمد بن الشيخ أبو حفص عمر بن محمد المبارك العمري[3] المعروف بالحاج ابن المبارك العطار في قسنطينة سنة 1790 م[4]، وكان والده أبو حفص عمر مؤدبا للصبيان في مدرسة مسجد سيدي الزواغي الواقعة قرب دار ابن شاكر باي باب القصبة القديم، و الذي اختفى نهائيا في بداية الاحتلال.[5]

تربى في ميلة وأخذ بها مبادئ العلوم في زاوية العائلة حيث الطريقة الحنصالية،ولما رجع إلى قسنطينة واصل دراسته على علماء زمانه وهم: عمار الغربي بجامع القصبة، وعمار الميلي بجامع رحبة الصوف ومحمد العربي بن عيسى" ناظر المدرسة الكتانية" و قاضي البلاد في عهد الحاج أحمد، والقاضي أحمد العباسي الذي يضرب المثل بعمله،وكانت دروس التوحيد هي المفضلة عنده[6]، وقد ذهب لمصر ودرس بالأزهر كما ذهب للحجاز لأداء فريضة الحج ودرس هناك أيضا على بعض المشايخ كما أخبر هو لشيربونو.[7]

---

[1] – مصطفى بن التهامي: المصدر السابق،ص 37.

[2] – المصدر نفسه، ص 13.

[3] -A .Cherbonneau : Biographie du vénérable cheikh Ben El Habib taleb de la medersa de Sidil-Akhdar , nouvelles annales des voyages,tome 4 , 1850, p 33.

[4] - Dournon : Kitab Tarikh Kossantina, R.A 1913, p

[5] -A .Cherbonneau : Biographie, Opcit, p 31.

[6] – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 346.

[7] -A .Cherbonneau : Biographie, Opcit, p 34.

اشتغل الحاج أحمد بالتجارة في شبابه، وكان يتردد على تونس للتزود بالبضائع كعمائم الحرير وأنواع العطور، و حضر أثناء وجوده بتونس بعض الدروس بجامع الزيتونة، وبعد أدائه فريضة الحج استقر بقسنطينة وتولى التدريس بالجامع الكبير خلفا لشيخه العباسي بعد وفاة هذا الاخير سنة 1835 م، وأخذت شهرته تزداد بين الناس ، ثم أسند له الإفتاء المالكي بعد وفاة محمد العنابي[1] من سنة 1262 هـــ / 1846 م إلى سنة 1264 هـــ / 1848 م ثم عين خطيبا بالجامع الكبير بقسنطينة، وكان يدرس موطأ الإمام مالك لبعض الطلبة [2] وقد وصفه الحفناوي في كتابه تعريف السلف بأنه "وقاد القريحة ، بديه الإدراك واسع الفكر، عريض الفهم والإدراك ".[3]

عُيّن الحاج المبارك عضوا مساعدا بالمجلس الشرعي الإسلامي بقسنطينة الذي كان يبتّ في أحكام القضاة، كما عُيّن مدرسا في المدرسة الرسمية " الفرنسية- الإسلامية" التي أسسها الفرنسيون منذ 1850 والتي كان مديرها محمد الشاذلي[4].

لم يلبث ابن المبارك أن عزل عن مهامه بعد أن ثبت اتصاله سريا بالحاج أحمد باي وظل بعدها وفيا للطريقة الحنصالية المنتسب إليها والتي أدخلها إلى قسنطينة الشيخ أحمد الزواوي، واعتبر الحاج أحمد المبارك لدى أتباع هذه الطريقة من مساعدي المرابط حمو بن الزواوي مقدم الحنصالية، و أصبح الحاج ابن مبارك شيخا للحنصالية في قسنطينة، وقام بوضع سلسلة لها تربطها بأصلها وفروع الطريقة الأخرى وتسندها.[5]

ظل ابن المبارك منتميا لهذه الطريقة حتى وفاته كما ذكر دورنون في الثلاثاء الأولى من شهر رجب من عام 1287 هـــ الموافق لـــ 5 أكتوبر من سنة 1870م، وحمل من طرف إخوان الزاوية الحنصالية ليدفن بمقر الزاوية الواقع بجبل شطابة على بعد عدة كيلومترات من قسنطينة[6].

---

[1] - أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج7،ص 346.

[2] -A .Cherbonneau : Biographie ,Opcit, p 33.

[3] - الحفناوي : تعريف الخلف برحال السلف،القسم الثاني، مؤسسة الرسالة، بيروت:1985، ص 78.

[4] - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 346.

[5] -A.Dournan : Kitab Tarikh Qosantina par El Hadj Ahmed El Mobarek,in R.A 1913,p 267

[6] - Ibid,p 267-268.

اغتنم الشيخ ابن مبارك فرصة العزل هذه وقام بكتابة رسائل وكتب منها منظومة في الإشادة بشيخه العباسي، وقصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وميثاق للطريقة الحنصالية بعنوان "السلسلة في طريقة الشيخ الزواوي"، وحاشية على منظومة الشيخ عبد الرحمن الأخضري المسماة الجوهر المكنون في الثلاثة فنون وهي في أصناف البلاغة من معاني وبيان وبديع، وضعها تحت عنوان "السلم الموصول مع الصلاة على الرسول"[1].

* **الكتاب:**

لم يذكر أحد من الذين ترجموا لابن المبارك هذا الكتاب، بمن فيهم دورنون الذي أخذ عنه كل من ترجم لابن المبارك، وقد تمكن المستشرق الفرنسي أوغست شيربونو من الحصول على نسخة مخطوطة منه أهداها له المؤلف سنة 1850 وهي بخط يده [2]وكان المؤلف كثير التردد على شيربونو في المدرسة الفرنسية-الإسلامية، وكان يحب أن يحدثه عن رحلاته لتونس والقاهرة ومكة المكرمة والتحدث عن مشايخه الذين تلقى عنهم العلم في هذه المدن ما بين 1245هـ/ 1829 م و1246 هـ/ 1830 م.[3]

و لم يذكر شيربونو حجم هذا الكتاب الذي اقتبس منه ترجمة الشيخ محمد بن الحبيب أحد شيوخ المؤلف، و شيوخه الآخرين كما ذكر سعد الله هم: الشيخ عمار الغربي، وعمار الميلي، ومحمد العربي بن عيسى، والشيخ العباسي الذي تأثر به كثيرا.[4]

ومن خلال ترجمة محمد بن الحبيب التي أوردها شيربونو أمكننا معرفة أسلوب المؤلف الذي يغلب عليه الإغراق في الصوفية فهو يقول عن هذا الشيخ " أبو عبد الله محمد بن الحبيب شيخ زاوية سيدي بن عبد الرحمن كان منارة لمعاصريه في طريق الزهد وهو يتميز بفضيلته و تقواه وتفانيه في الحب الصادق للأعمال الصالحة، متبحرا في العلم..."[5]

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 346.

[2] -A .Cherbonneau : Biographie.. p 33.

[3] - Ibid, ,p34.

[4]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 346.

[5] - A .Cherbonneau : Biographie, p18.

ومما يستفاد من ترجمة ابن المبارك لشيخه محمد بن الحبيب أن هذا الاخير كان يتمتع بمكانة هامة بين الناس وأنه حاز حتى على تقدير الباي الحاج أحمد وبعض أعوانه، وقد اعتمد المؤلف في إعداد هذه الترجمة على معاصرته هو للشيخ وعلاقته به وبوالده الذي كان الشيخ بن الحبيب يزوره في مسجد سيدي الزواغي، كما اعتمد على ما رواه له القاضي محمد الشاذلي القسنطيني من أخبار الشيخ.

و لم يذكر المؤلف تاريخ ميلاد الشيخ، ولكنه قال أن مولده كان بقسنطينة، وأنه فقد والديه، وتعلم ودرس على عدد من المشايخ ثم انتصب للتدريس بالجامع الأخضر، وكان يتميز بالتقشف في ملبسه ومأكله، وكانت سيرته بين تلاميذه حسنة، وقال ابن المبارك أن وفاته كانت وفاة مفاجئة بمدرسة سيدي الأخضر سنة 1253 هـ/ 1837م ودفن في زاوية سيدي عبد الرحمن القديمة، وذكر أن الناس احتشدوا لحضور جنازته.

ومما يستفاد من نقول شيربونو من كتاب الدرة الثمينة أن هذا الأخير قد تضمن إضافة للتراجم قسما تاريخيا، وأن هذا القسم هو قسم تمهيدي للكتاب، فقد نقل شيربونو من الدرة حديث صاحبها عن تحصينات قسنطينة في الصفحة 9 من المخطوط وقال :" وبها سور آخر الجبل أعلى الماء الحار معروف باسم حمامات سيدي ميمون ونسميه باب الرواح من ناحية الجوف، وبه بعض كوات للمكاحل ترى داخل شقوق الأسوار وهو والله أعلم من بقايا الملوك الحفصيين، لأن الأول لا يعرفون المكاحل والمدافع.[1]"

ووجدنا أن هذا النص موجود بحذافيره في كتابه تاريخ حاضرة قسنطينة، كما وجدنا نصا آخر نقله شيربونو من الدرة الثمينة[2] موجود هو الآخر في كتابه، ومعنى هدا ببساطة أن ابن المبارك قد جعل لكتابه الدرة الثمينة مدخلا تاريخيا عن قسنطينة اقتبسه من كتابه حول تاريخها.

وعلى العموم فإننا نعتقد أن مخطوط الدرة يمكن أن يكون موجودا في مخلّفات المستشرق شيربونو بفرنسا، وأن العثور عليه سيضيف مصدرا تاريخيا هاما من المصادر المحلية للفترة الفرنسية بالجزائر.

---

[1] - A.Cherbonneau : Recherches sur les antiquités de Constantine, in Revue orientale et algerienne, tome3, Paris : 1852, p316.

[2] - Ibid,p 326.

## 5-* ابن نور الدين عبد النور الواسيفي وتقييده في ترجمة المجاهد بوبغلة:

### * المؤلف:

ذكر مؤلف هذا المخطوط اسمه في آخر كتابه فقال :" كتب تحت سمع السلطان، كتبه الفاني سجين الآنام والآلام الذي وضع ثقته في الله ، ابن نور الدين عبد النور الواسيفي، في سنة 1269 هـ/ 1852 م .[1]

والمؤلف كما هو واضح من اسمه من أبناء زواوة ومن عرش آيت واسيف، كما إنه ومن خلال هذا الكتاب أحد أتباع بوبغلة الأوفياء، وقد لازمه خلال ثورته بالمنطقة وكان يعتبره سلطانا شرعيا للبلاد لحسن سيرته وبراعته في المعارك ضد الفرنسيين.

### * الكتاب:

قام روبان بنشر الترجمة الفرنسية لمخطوط عربي بعنوان :" **التاريخ الأشهر والوقائع الكبرى للمعظم والمظفر السلطان محمد بن عبد الله بوسيف** "[2] وهو عبارة عن تقييد جاءت ترجمته في 14 صفحة، ووضعه روبان كملحق لدراسته عن ثورة بوبغلة التي نشرها على شكل مقالات في المجلة الإفريقية.

وأول تاريخ مذكور في المخطوط هو 1263 هـ/ 1847 م وهو تاريخ مغادرة بوبغلة موطنه بالمغرب، والقدوم لبلاد زواوة وذلك في شهر المحرم وكانت المنطقة حينها لا تزال مستقلة و لم تخضع بعد للفرنسيين.

ويتتبع صاحب المخطوط سيرة ذلك الرجل، فيقول إنه عمل على كتابة الرقى للأشخاص الذين يعانون من الأمراض، وأنه كان يستخدم الأرقام الغبارية، وسافر من مكان لآخر و لم يُظهر شخصيته الحقيقية خصوصا أمام القبائل الخاضعة للفرنسيين[3].

وأخيرا وصل لبلاد العذاورة بزواوة، وأقام بها حوالي سنة أو أكثر وتزوج من إحدى نساء المنطقة ابنة أحد الأعيان وهو سيدي يحي بن عيسى بن محمد، وبع استقراره بدأت تظهر معالم

---

[1] - N.Robin : Histoire du Cherif Bou Baghla, in R.A n° 28 (1884) p196.

[2] - Ibid, p 183.

[3] - Ibid, p 184.

شخصيته الحقيقية وبدأ رحلة البحث عن أنصار تمهيدا للقيام بثورته فاتجه شرقا واتصل بالشيخ المدني المسراتي ثم عاد لزواوة واستقر بالقلعة عند بني عباس [1].

ويواصل صاحب المخطوط تتبع سيرة بوبغلة، فيذكر أن قبيلة بني مليكش سعت الى استضافته لما رأته من صلاح حاله، ثم ذكر استعداد الفرنسيين لمحاربته بقيادة الجنرال Beaupretre الذي سار على رأس قوة كبيرة مزودة بالمدافع ولكن النتصار كان من نصيب بوبغلة وقواته فغنم غنائم كبيرة من آلات الحرب والخيول واللباس...[2]

ويذكر صاحب المخطوط الانتصارات الكبيرة التي حققها بوبغلة سواء على الفرنسيين،أوعلى بعض أعوانهم من القياد أمثال شيخ زاوية شلاطة والآغا الشريف أمزيان، وقبائل قرية سلوم المتعاونين مع الفرنسيين .

كما تحدث عن التنظيم العسكري الذي أدخله بوبغلة الذي عين قادة على ر؟أس فرقه العسكرية كما عين الخدم والخزناجية والشواش ونظم المخزن أي الإدارة[3].

ثم جاء بفصل سماه :" تاريخ عمراوة وكل ما وقع مع أعداء الله من الحرق والقتل..." تحدث فيه عن حروب بوبغلة بعد وصوله إلى عمراوة وتوجهه لقبيلة بني مدور وأسره لعدد من أهلها .

وذكر موقف بوبغلة الرافض للصلح مع الفرنسيين مقابل احتفاظه بمنصبه من خلال مراسلات الإدارة الفرنسية معه، كما ذكر صاحب المخطوط المؤامرات التي دبرها الفرنسيون لاغتيال بوبغلة بالاستعانة ببعض الأهالي الذين اندسوا في صفوف قواته، وكشفه لها، وعقابه لكل المتعاونين مع الفرنسيين بحرق قراهم وأسر عدد منهم لإجبارهم على تغيير موقفهم[4].

و تحدث صاحب المخطوط عن بعض الجوانب الشخصية لبوبغلة الذي ذكر أنه كان متزوجا من ثلاث نساء أنجبت له إحداهن ولدا في خضم قيامه بمعاركه [5].

[1] - N.Robin :Histoire du Cherif Bou Baghla, opcit, p 184.
[2] - Ibid, p 185-184.
[3] - Ibid, p 185-189.
[4] - Ibid, p 192-193.
[5] - Ibid, p194 .

ويبدو أن المخطوط قد ألف قبل نهاية مقاومة بوبغلة وهو ما يظهر من دعاء المؤلف بالنصر للمسلمين وقائدهم السلطان بوبغلة، وقد أنهى المؤلف كتابه هذا بقوله :" هذه هي الفضائل الكبرى لهذا السلطان الاشهر والأحب والولي الأعظم والمسك الثمين، والحجر الأصفى و الجوهر اللامع ، أب اليتامى والأرامل وعضد الإسلام وهبة الله القدير ...." [1]

ويبدو لنا صاحب هذا المخطوط متأثرا تأثرا بهذا القائد ومؤمنا بصلاحه ومقدرته على القيادة، ورغم الأسلوب الذي اتبعه في سرد الاحداث التاريخية وهو أسبوب لم يعتمد على الترتيب الزماني للأحداث وتكراره لعض الحوادث ، فإنه يحتل مكانة هامة بين الكتابات التاريخية المحلية وهو ما يبينه إقدام الضابط روبان على ترجمته وإلحاقه ببحثه عن ثورة الشريف بوبغلة.

## 6-* الحاج قارة مفتي دلس و سيرة الحاج موسى بوحمار:

توفي هذا المفتي أواخر سنة 1855 م، ونشر الضابط الفرنسي بيربروجر كتابه هذا مترجما في العدد الأول من المجلة الإفريقية بعد أن حصل عليه مترجما إلى الفرنسية من طرف قورقوس، [2] وذكر بيربروجر أنه حصل على رواية شفهية من المفتي ثم قام المفتي بتدوين هذه الرواية كتابيا وقام قورقوس بترجمتها إلى الفرنسية، وأما عمل بيربروجر فهو التعليق على المخطوط تعليقا تاريخيا.

و أفاد بيربروجر أن مفتي دلس اعتمد في كتابه هذا على المشاهدة والسماع باعتباره شاهد عيان على عدد من الوقائع التاريخية ، وبذلك اكتسبت روايته أهمية بالغة جعلت حتى الفرنسيين يشيدون بها رغم اعتيادهم على تجريح كل الروايات المحلية.[3]

يستهل المؤلف تقييد هذا بذكر نسب الحاج موسى بوحمار هكذا:" الحاج موسى بن علي بن الحسين الجندي" وقال إنه درقاوي الطريقة، وهو مصري جاء للجزائر وصار له صيت كبير نتيجة معارضته للأمير عبد القادر ومقتله في معارك الزعاطشة.

وأول تاريخ يرد في هذا الكتاب هو عام 1247 هـ/ 1832 م وهو تاريخ قدوم الحاج موسى للمدية ونزوله في دار المؤلف رفقة اثنين من أتباعه، وذهابه لزيارة الشيخ الدرقاوي العربي

---

[1] - N.Robin : Histoire du Cherif Bou Baghla, opcit, p 196 .

[2] - Berbrugger : El Hadj Moussa Bouhmar ou l'homme a l'âne, R.A n°1 (1856) p 41.

[3] -Ibid,p 42.

بن عطية في جبال الونشريس، وعودته للمدية ومنها للأغواط، وأشار المؤلف للرسائل التي تبادلها الحاج موسى مع الشيخ العربي بن عطية[1].

وذكر استقراره بالاغواط وزيارته للمؤلف بين الحين والآخر كما عقد بعض الصفحات لذكر مناقبه، وبعد نقله لعدد من الحوادث كتب يقول:" وهده الوقائع ثابتة لا يعتريها الشك" ثم قال إن الحاج موسى خرج سنة 1247 هــ/ 1832 م لمواجهة قوات بن شهرة التي أرادت غزو الأغواط وبرز اسمه بعد ذلك[2].

واستطرد المؤلف في غير ترتيب منهجي و ذكر أصل الحاج موسى اعتمادا على ماحدّثه هو به، وقال المترجم إن المؤلف مفتي دلس ذكر في مخطوطه أخبارا تتعلق كما قال بتاريخ مصر الحديث فقرر مترجم المخطوط حذفها.

وعاد المؤلف لتتبع سيرة الحاج موسى فذكر أماكن انتقاله حتى وصوله إلى معسكر واعتقاله هناك على يد جنود الباي الذين اشتبهوا في كونه جاسوسا، ثم برأت ساحته فيما بعد وانتقل للأغواط فعمل فيها مؤذنا في مسجد الأحلاف، ونوّه المؤلف بالحماس الديني للحاج موسى والذي ظهر بجلاء أثناء مقاومة الغزو الفرنسي للجزائر[3].

كما أخبر أن الحاج موسى أراد نشر الطريقة الدرقاوية في صفوف أهل الأغواط التيجانيين لكنه لم يفلح إلا في إقناع عدد من السكان ذكر المؤلف أسمائهم.

وأفاد المؤلف أن الحاج موسى قد استطاع بعد ذلك استغلال الظروف التي كانت تمر بها البلاد فجمع قوات عسكرية كبيرة لمواجهة الفرنسيين والأمير عبد القادر على حد سواء، ومحاولة المؤلف ثنيه عن عزمه وإصرار الحاج موسى على رأيه وقدومه غازيا للمدية، ثم المعركة التي وقعت بينه وبين الأمير والتي انتهت بهزيمته ولجوئه للصحراء[4].

وتحدث المؤلف عن حياة البذخ التي عاشها بعد ذلك الحاج موسى الذي بنى مترلا كبيرا في قصر مسعد دمره له الجنرال دو لا دميرولت في إحدى حملاته العسكرية، ولجوء الحاج موسى بعد

---

[1] - Berbrugger : El Hadj Moussa Opcit,p43.
[2] - Ibid,p44.
[3] - Ibid,p 44-45.
[4] - Ibid,p 46-47.

ذلك لميزاب واستقراره ببريان التي أنشا بها مسجدا، والتحاقه منها للزعاطشة للمشاركة في ثورة بوزيان ومقتله في معاركها وله من العمر 53 سنة[1].

والمؤلف يعتمد في روايته لكل هده الأحداث التاريخية كما سبق أن دكرنا على ما رواه له الحاج موسى وما سمع هو، والمؤلف متأثر بالحاج موسى كثيرا وهو ما يبدو من ذكره لعدد من ماقبه وكراماته، ورغم كل هذا فإن رواية مفتي دلس هي رواية تاريخية هامة ومصدر لا يستغنى عنه لدراسة هده الفترة من تاريخ الجزائر .

## 7-* محمد السعيد بن محي الدين و سيرة محي الدين:

### المؤلف:

هو محمد السعيد بن محي الدين بن مصطفى الحسني الجزائري الأخ الأكبر للأمير عبد القادر وقد شهد معه مواقع كثيرة في الجهاد.

تخرج على علماء بلده واختص بالتصوف، تولى رئاسة الزاوية بعد وفاة والده محي الدين سنة 1250 هـ/ 1834 م، وكان الأمير يحترمه ويستشيره في المسائل المهمة، هاجر معه إلى دمشق وتولى بها التدريس ونشر الطريقة القادرية بها وصار من شيوخها ببلاد الشام.

من آثاره :" إتقان الصنع في شرح رسالة الوضع " وهي رسالة للإيجي ، و" سيرة محي الدين "، وتوفي بدمشق سنة 1278 هـ/ 1861 م ودفن بجبل قاسيون وترك ولدين هما محمد المرتضى وعبد الباقي.[2]

### * الكتاب:

هو مخطوط بالمكتبة الوطنية تحت رقم 09 ضمن خزانة الأمير، استهله المؤلف بقوله:" الحمد لله مولي النعم ومقحم الظلم وصلى الله على النبي المعظم وعلى آله وأصحابه هداة الأمم، وبعد فإن الوالد الواثق بالمتين مولانا سيدي محي الدين رحمه الله وجعل دار السلام مأواه كان من العلماء العالمين ..."[3]

---

[1] - Berbrugger : El Hadj Moussa Opcit,p 48.

[2]- عبد المنعم القاسمي الحسني : أعلام التصوف في الجزائر ، ص 160-161.

[3]- محمد السعيد بن محي الدين: سيرة محي الدين، مخ المكتبة الوطنية، خزانة الأمير، رقم 9، ص 1.

وقال المؤلف أن أمر والده قد شاع بفضل علمه وورعه وكان رئيسا للزاوية القادرية بالقيطنة وناشرا لطريقتها، ثم تحدث المؤلف عن علاقة والده بباي وهران وكيف أن هذا الأخير قرر وضعه نتيجة تقارير بعض الوشاة في الإقامة الجبرية بوهران ثم إطلاق سراحه بعد ذلك وقراره الرحلة للحج سنة 1241 هـ/1825 م بعد أن ترك أهله بوادي الحمام،واتخاذه طريق البر إلى اونس ومنها ركب البحر إلى الاسكندرية ومنها إلى القاهرة ثم إلى بحر السويس وركوبه بحرا للحجاز، وبعد إتمامه فريضة الحج ذهب لبغداد لزيارة ضريح الشيخ الجيلاني[1].

وذكر المؤلف لقاء والده بعدد من علماء بغداد وأخذه عنهم بعض العلوم قم عودته للحج مرة أخرى مع ابنه عبد القادر.

وأورد قصيدة له – أي للمؤلف- في محاسن الأولياء الذين اعترفوا بفضل الشيخ الجيلاني، ثم ذكر أن جده الأعلى الشيخ أحمد المختار قد حج مرتين وبع عودته من الأولى شاع ذكره فأسس زاوية القيطنة بوادي الحمام عام 1206 هـ/1791 م وفي المرة الثانية توفي عند عودته ودفن بعين الغزالة في برقة بليبيا [2].

وذكر استقبال أهل غريس لوالده محي الدين عند عودته من الحج ،وأورد النص الكامل لسند إجازة الشيخ عبد الرحمن نقيب أشراف بغداد لوالده، ثم استطرد فذكر نسب الشيخ عبد القادر الجيلاني ومكانته وبعض أقواله [3]، وذكر كذلك دعاء والده بزوال ملك الأتراك بالجزائر نتيجة ظلمهم[4].

وانتقل المؤلف بعد ذلك للحديث عن الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1246 هـ/ 1830 م وتمكنهم من احتلال العاصمة ونفي الداي حسين وأعيان دولته والجند الانكشاري إلى اسطنبول أو بلاد الشام، وتحدث عن هجرة عددمن الأسر الجزائرية بفعل الاحتلال إلى المغرب أو الحجاز وقرار أسر أخرى الخضوع للفرنسيين.

---

[1]- محمد السعيد بن محي الدين: المصدر السابق، ص 3-4 .

[2] – المصدر نفسه، ص 5-6.

[3] – المصدر نفسه ، ص6-10.

[4] – المصدر نفسه، ص 17.

وذكر انتشار الفوضى في البلاد نتيجة زوال حكم الأتراك، والتراعات التي نشأت بين مختلف القبائل، ومحاولة السلطان المغربي اغتنام الفرصة لضم الإقليم الغربي للبلاد لمملكته، وبقاء حالة الفوضى سنتين حتى قرّر عدد من رؤساء القبائل والعلماء والأشراف عقد اجتماع لبحث الوضع وإجماعهم على اختبار الشيخ محي الدين لتزعمهم، وعزوف هذا الأخير لكبر سنه وتقديمهخ ولده عبد القادر[1].

وذكر مبايعة القبائل لأخيه عبد القادر وحروب هذا الأخير مع الفرنسيين، ثم انعقاد الصلح معهم مرتين واستطرد هنا في شرح المعنى الفقهي للصلح.

ثم ذكر لجوء الأمير لطلب العون من سلطان المغرب وذكر جملة منم معاركه ضد المتعاونين مع الفرنسيين ، وكذا معاركه مع الجيوش الفرنسية وتطرق لتدهور العلاقات مع السلطان المغربي وحرب القبائل المغربية له بتحريض من السلطان[2]، ثم ذكر نهاية المقاومة وأسر الأمير ومعه مائتين من أتباعه والمقربين له، ونفيهم إلى "طولون" ثم ترحيلهم إلى "بو"[3].

ثم ذكر أن مقاومة الأمير دامت 16 سنة من سنة 1248 هـ/1832 م إلى سنة 1264 هـ/1847 م ثم استطرد مرة أخرى فذكر فضل الجهاد وعاد فذكرنسب الأمير، ثم استطرد مرة أخرى كعادته وتحدث عن الحج،والهجرة.

وينتهي المخطوط بالعبارة التالية:" الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، أطبق الله سراحنا من أرض الفرانصة [ كذا] يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شوال ونزلنا بعنابة ثالث ذي القعدة الحرام من عام ثمانية وستين وألف ومائتين،لله الحمد والمنة لا رب غيره ولا خير إلا خيره، وكل شيء عنده بمقدار، ومدة إقامتنا بأرض افرانصة خمس سنين،وكتب محمد السعيد بن محي الدين كان الله له آمين".[4]

وهكذا فإن مخطوط سيرة محي الدين يبدة ذا همية بالغة باعتبار صاحبه أخا للأمير ومعاصرا للكثير من أحداثه وهو يضاف إلى مجموعة المصادر المحلية عن حياة الامير عبد القادر وجهاده.

---

[1] – محمد السعيد بن محي الدين: المصدر السابق ، ص 18.

[2] – المصدر نفسه، ص 19-25.

[3] – المصدر نفسه، ص 26.

[4] – المصدر نفسه ، ص 35.

## 8-* أحمد البدوي ونبذة من سيرة الباي محمد الكبير :

### *المؤلف:

ولد أحمد البدوي سنة 1820 في مدينة الجزائر وسط عائلة مهتمة بالعلم والمعرفة ، أتم تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه بالجامع الكبير، والتحق سنة 1839 بالمقاومة في منطقة مليانة إلى جانب قوات الأمير الذي عيّنه كاتبا بجانبه، وكان يكلفه ببعض المهام الصعبة لدى خلفائه في المقاطعات، ثم عينه الأمير مساعد خليفة منطقة جرجرة بطلب من خليفتها بن سالم وبقي هناك حتى توقفت المقاومة فعاد إلى أسرته في مدينة الجزائر، وهناك اتصلت به السلطات الفرنسية ممثلة في الجنرال دوماس مدير الشؤون الأهلية الذي قدمه للجنرال بيجو فعينه كاتبا في ديوان الترجمة ثم عين رئيس تحرير القسم العربي بجريدة المبشر سنة 1847 وبدأ الكتابة في هذه الجريدة وترك بصمته فيها بتحولها من الكتابة العامية الركيكة التي غلبت عليها إلى الأسلوب العربي الفصيح واختار البدوي نخبة جيدة من الجزائريين للعمل في هذه الجريدة واستقى لها عددا من المواضيع الجيدة أضفت عليها تجديدا واضحا .[1]

### *الكتاب:

نشرت هذه الدراسة في جريدة المبشر في العدد 333 الصادر سنة 1861 م ،وجاءت الترجمة دقيقة رغم صغر حجمها، واستهلها المؤلف بقوله : " إن الباي محمد الملقب عند العرب بمحمد الأكحل الذي كان يجب عليهم أن يسموه محمد الكبير لشجاعته وحسن تدبيره ..." ثم ذكر أن هذا الباي ابن عصمان الكردي كان أول الأمر حاكما بمليانة ثم ارتقى لمنصب باي التيطري "[2] وكان منصب هذا الوطن وقتئذ أعظم المناصب وواليه أشرف الولاة لأنه هو المتقدم عليهم في كل محفل وقع عند الباشا فيقال له باي البايات" ثم تابع المؤلف سرد سيرة هذا الباي الذي صاهر باي الغرب حينذاك إبراهيم باي وقام هذا الأخير بالاستعانة بمحمد الأكحل لتسيير

---

[1]- مسعود كواتي ومحمد الشريف سيدي موسى: أعلام مدينة الجزائر ومتيجة ، دار الحضارة، الجزائر ، ط 1، 2007، ص 28.

[2]- أحمد البدوي : نبذة من سيرة الباي محمد ، جريدة المبشر ، جمادى الأولى 1278 هـ/ نوفمبر 1861 م ، ص 2.

شؤون الإقليم " وإذا به شاهد منه ما يرضيه من السياسة والعقل اللائقين بالحكم فجعله قايد فليتة أعظم المناصب في سائر عمالة وهران ."[1]

وشارك بعد ذلك كما ذكر المؤلف – نقلا عن صاحب الثغر الجماني- في واقعة الحراش سنة 1775 م ، ونجد المؤلف يستعين ببعض المراجع الأجنبية ويذكر منها كتاب استرهازي[2] الذي يسميه " والطان اوسترهازي ليبين الانتصار على الإسبان في هذه الواقعة ، ويواصل المؤلف تتبع سيرة هذا الباي الذي تولى سنة 1790 والذي كان سياسيا حكيما وقائدا محنكا.[3]

كان أسلوب المؤلف فصيحا في الغالب إلا في بعض المواضع التي بها خلل لغوي كقوله مثلا :" فكانوا العرب يحبونه " وبذلك فقد تميّز المؤلف عن كتاب عصره بهذه الميزة حيث غلب على هؤلاء كما سنرى الكلمات العامية والأسلوب المهلهل والتراكيب الضعيفة.

## 9-*محمد باشا بن الأمير عبد القادر وتحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر:

### المؤلف:

هو الابن الأكبر للأمير عبد القادر، كنيته أبو عبد الله ، واسمه محمد بن عبد القادر بن مصطفى بن المختار، ، ولد بالقيطنة الواقعة على وادي الحمام بالقرب من مدينة معسكر بالغرب الجزائري سنة 1256هـ/ 1840م، وكانت ولادته في فترة حرجة بفعل الحرب التي شنها الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال بيجو للقضاء على مقاومة الأمير عبد القادر ( 1841-1847) والتي انتهت باستسلام الأمير عبد القادر وترحيله مع أسرته إلى فرنسا.[4]

عاش محمد في كنف والدته لأن والده كان مشتغلا بالجهاد إلى ديسمبر 1847 ، وكان محمد طفلا في الثالثة من عمره عندما هربت به أمه من معركة الزمالة الشهيرة مع زوجات قادة

[1]- أحمد البدوي : المصدر السابق، ص 3.

[2] - Walsin Esterhazy : De la domination turque dans l'ancienne régence d'Alger.

[3]- أحمد البدوي : المصدر سابق، ص 3.

[4]- ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي:تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين ، دار الغرب الإسلامي، بيروت:1998،ص 603.

الجيش الجزائري سنة 1843، ورغم أنه لم يعش في الجزائر سوى سبع سنوات فإنه ظل يحن إليها ويظهر ذلك في كتابه تحفة الزائر[1].

شهد محمد السنوات الأخيرة من مقاومة أبيه كما شهد النوائب التي أحدقت به وانتهت الى نهاية مقاومته في ديسمبر 1847 وصحبه في الباتخرة الحربية التي أقلتهم إلى فرنسا حيث رست في أحد موانئها وهو ميناء طولون في يناير 1848 فقضى بذلك الى جانب ابيه خمس سنوات في سجن أمبواز ثم استقر بهم المطاف بدمشق، سنة 1855[2].

لم يتلق محمد باشا في صغره تعليما منظما بالمدارس الحكومية لظروف حياته المضطربة، وكانت ثقافته وتعليمه على يد والده وعلى يد صهرهم مصطفى بن التهامي الذي أخذ عنه مبادئ دراسته الأولى أثناء إقامته مع أبيه بفرنسا،وفي دمشق درس على بعض مشاهير العلماء بها كما درس على والده الذي أخذ عنه أولويات علم التوحيد والحديث والنحو، وسمع عنه الكثير من الأخبار، وكان يعتبره رفيق السفر وموضع الثقة أثناء الحديث، ومهبط سره كلما طرأ طارئ سياسي أو عائلي، وكانت ميوله تشبه ميول والده، فقد اختار، وهو في الشام الولاء الوطني والولاء العربي الإسلامي، واعتنق مبادئ الجامعة الإسلامية ومال إلى الدولة العثمانية بدل الدولة الفرنسية. ولكنه لم يستطع أن يجند كل إخوته لفكرته، لأن منهم من والي فرنسا مثل الهاشمي وعمر وعبد المالك في أول أمره لم يكن أبناء الأمير العشرة من أم واحدة.[3]

كانت ثقافة محمد بعيدة عن التخصص الدقيق أو الاطلاع الواسع، إذ كانت نتيجة جهد شخصي وثمرة احتكاك متواصل بمجالس العلماء والأعيان بدمشق، وقد ساعده ذلك على الإلمام بالعلوم اللغوية والاطلاع على العلوم الدينية، ومعرفة عملية باللغة التركية، وقد عكست كتاباته مدى قدرته على عرض الأفكار والسيطرة على مقاليد اللغة، بالرجوع مثلا إلى كتابه تحفة الزائر نجد أن لغته مع سلاستها وغناها اللفظي تتخللها الانقطاعات ويغلب عليها السجع والاستطراد واللجوء إلى إثبات أشعار المديح والرثاء أو اقتباس بعض الأقوال والأمثلة من بعض الصحف.

[1]- أبو القاسم سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 437.

[2]- عمر بن قينة: صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث"أعلام وقضايا ومواقف"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر:1993، ص 58.

[3] -ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي، المرجع السابق، ص 512.

أصبح محمد كبير العائلة بعد أن توفي الأمير عبد القادر في 24 ماي 1883 وأقر له بذلك بعض إخوته، ونال امتيازات عديدة، منها حصوله على ريع سنوي من أوقاف أبيه يقدر بـــ 1400 فرنك، وقد ظل أثناء ذلك يتمتع بالسمعة الطيبة ويحظى بالمكانة المرموقة، حتى وافته المنية بإستانبول 1331هـــ/1913م.[1]

عمل محمد بن عبد القادر جاهدا على إدماج الجزائريين المقيمين بالشام في الوسط الشامي والمحافظة على مكانتهم المميزة في إطار المواطنة العثمانية، وتخوف منه الممثلون الفرنسيين في الشام فقد رأوا فيه عائقا لسياستهم الرامية إلى توفير الحماية الفرنسية للجزائريين المقيمين بالشرق، بهدف تقوية نفوذ فرنسا في الدولة العثمانية، مع أن الأمير محمد لم يبد أي عداء صريح للسياسة الفرنسية بالشام، ولعل هذا ما جعله محل رضا السلطان العثماني، وساعده على المحافظة على صلاته بوالي دمشق، بل أهله أن ينال لقب باشا ومرتبة فريق بالجيش العثماني.[2]

ظل محمد باشا بعيدا عن النشاط السياسي الذي ميز الوسط الشامي، فقد اتخذ موقفا محافظا من قضايا عصره، متأثر في ذلك بسلوك والده المتصوف مفضلا المحافظة على علاقته الحميمية بموظفي الدولة العثمانية، فلم يشارك في أي جمعية سياسية أو إصلاحية. غير أن ذلك لم يمنعه من تجاوبه مع القضايا الوطنية أو تعاطفه مع أوضاع الجزائر المستعمرة. و لم يبعده عن تفهم مرامي دعاة الحركة الإصلاحية والجامعة الإسلامية الذين تتبع أخبارهم وتعرف على البعض منهم في مجالس والده مثل محمد عبده، ومحمد شامل الداغستاني[3].

بالإضافة إلى تحفة الزائر ترك محمد باشا بعض المصنفات الأخرى. نشر منها " عقد الأجياد في صافنات الجياد " انتهى من وضعه سنة 1290هـــ/1873م وقد وضع له بعد ذلك سنة 1323 هـــ/ 1911 م ملخصا بعنوان: " نخبة عقد الأجياد في الصافنات الجياد " .

وهناك كتاب آخر لمحمد باشا تحت عنوان " نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر " طبع بمصر بدون تاريخ وهو حسبما يدل عليه عنوانه يتضمن أشعار الأمير مع بعض الرسائل في

---

[1]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 448.

[2]– ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي، المرجع السابق، ص 512.

[3] - المرجع نفسه، ص 513.

المسائل الفقهية والقضايا الفكرية منها مقالة : ذكرى ذوي الفضل في مطابقة أركان الإسلام للعقل ومقالة " كشف النقاب عن أسرار الحجاب " تستعرض مقاصد وأهداف الحجاب، ومقالة " الترياق في تعدد الزوجات والطلاق، وتبحث فيما أثير حول هاتين القضيتين من آراء وأقوال.[1]

بهذه الحياة الحافلة بالنشاط الاجتماعي، وبهذا الإنتاج الذي يسجل أحداث التاريخ ويثير قضايا الفكر ويتصل بمسائل الفقه تبوأ محمد باشا بن الأمير عبد القادر مكانة خاصة وعد من الشخصيات التي لها وزنها في البيئة الشامية بصفة خاصة والدولة العثمانية بصفة عامة.

***الكتاب:**

عنوانه :" **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر** " و انتهى من تأليفه عام 1307هـ/1890م وقدمه للسلطان العثماني عبد المجيد[2]، ويكشف المؤلف دوافع التأليف:فيقول إنه أقدم على هذا التأليف عن والده بعد إلحاح عدد من وجوه أهل الشام وأعيان العرب والمسلمين، نظرا لمكانة والده وموضعه هو من والده" فحرضوني على القيام بهذا المندوب".[3]

تضمن الكتاب أخبارا عن البلاد الجزائرية ووقائع مفصلة عن كفاح الأمير عبد القادر، فكان أول تأليف باللغة العربية يتعرض للسنوات الأولى للاحتلال، والكتاب في جزأين.[4]

استهل محمد باشا كتابه بمعلومات عن جغرافية الجزائر وماضيها في الفترة الإسلامية وكانت تمهيدا لمضمون الكتاب الذي قسمه إلى جزأين: الأول خاص بكفاح الأمير عبد القادر بالجزائر 1830-1847 واتصف بالطابع التاريخي والسياق الملحمي، أما الجزء الثاني فقد أفرده لأخبار الأمير بعد خروجه من الجزائر حتى وفاته بدمشق 1847-1883م،وغلبت على هذا الجزء النزعة التصوفية والعرض الأدبي لأقوال وأشعار الأمير.

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي، المرجع السابق، ص 513.

[2]- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج3، ص 52.

[3]- ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي، المرجع السابق، ص 512.

[4]- المرجع نفسه، ص 514.

و أشار محمد باشا إلى هذا التصنيف الذي اتبعه في كتابه بقوله: " ولما فرغت من ترتيبه وأمعنت النظر في تحريره وتهذيبه حصرته في قسمين الأول في سيرته السيفية والثاني في سيرته القلمية ".[1]

ألف محمد باشا الكتاب سبع سنوات بعد وفاة والده، ويبدو أن المشروع كان قائما منذ كان الأمير عبد القادر حيا، ذلك أن الأمير هو الذي مكّن ابنه من الوثائق العائلية ومن الرسائل والآراء والصلات بينه وبين غيره، وقد عثر سعد الله على نسخة يبدو أنها الأصلية للمخطوط أو مستخرجة من الأصل، مكتوبة بخط جميل ومذهبة ومجلدة تجليدا فاخرا ومهداة إلى السلطان عبد الحميد الثاني، وهي منتهية سنة 1307 هـ/ 1890 وقد يكون المؤلف انتهى من الكتاب قبل ذلك، بينما النسخة السلطانية نسخت في التاريخ المذكور فقط.

وأما مصادر الكتاب فقد ضم الكتاب وثائق كثيرة ومصادر فرنسية وأخرى عربية وبعض الصور ولكنه يذكر ذلك عرضا ولا يفردها بقائمة مرتبة [2] واعتمد بالنسبة للفترة الإسلامية التي استهل بها كتابه تحفة الزائر على بعض الكتب العامة مثل كتاب العبر لابن خلدون، بينما رجع في جل الكتاب لا سيما فيما يتصل بكفاح الأمير عبد القادر وحياته بالشام على مشاهداته واطلاعه الشخصي على الأحداث وعلى بعض الصحف المعاصرة بالإضافة إلى العديد من الوثائق والمراسلات و التقاييد الخاصة بأسرته أو الصادرة عن الجهات الرسمية، وقد كان لذلك أهمية خاصة نظرا لنوعية المعلومات التي سجلها والتفاصيل التي أوردها.[3]

و جمع ما أمكنه من المصادر وهي: أحاديثه مع والده، والوثائق العائلية، والمحاضر الرسمية كالمعاهدات والكتب الأجنبية المترجمة إلى العربية – ونفهم من اللجوء إلى ترجمة الكتب المؤلفة عن الأمير أن محمد لم يكن يعرف لغة أجنبية– والكتب العربية القديمة والمراسلات والصحف وإنتاج

[1]– محمد بن الأمير عبد القادر : : تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر ، ط1، الإسكندرية المطبعة التجارية: 1903، ص 3

[2]– أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج3، ص 52.

[3]–- ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي، المرجع السابق، ص 512.

الأمير نفسه، ويذكر أنه جعل والده هو الحكم في هذه الوثائق، فهو راوية عن أبيه وهو مرجعه إذا اختلطت عليه الآراء.[1]

ورغم كل هذا فإن النظرة الذاتية للأحداث التي تميز بها كتاب محمد باشا والاعتماد الكلي في بعض ما أورده على أقوال الأمير دون مقارنتها بما تضمنته بعض الوثائق، أنقص من قيمة ما سجله، وإن كان قد علل ذلك بقوله: " وضعت الأخبار في ميزان واحد وجعلت الحكم العدل شهادة سيدي الوالد (الأمير) فإنه رب تلك المشاهدة ولا يستوي الغائب مع الشاهد ...".[2]

ويظل الكتاب، ذا قيمة تاريخية كبيرة، ومرجعا أساسيا لحياة الأمير أولا من الوجهة الشخصية لأنه(رأي الأمير) هو الحكم فيه، حسب تعبير ابنه، وثانيا من الوجهة العائلية والوطنية لأن العائلة تملك من الوثائق ما غاب عن الفرنسيين أو غيرهم من الكتاب، ثم إن الفرنسيين اعتمدوا أيضا على وثائقهم الخاصة، فكتاباتهم عن الأمير وعن الجزائر في عهده كتابات مجحفة وتعاني من النظرة الواحدية والعدائية، ومن ثمة يبقى الكتاب يمثل، في جزئه الأول على الأقل، وجهة النظر الجزائرية أيضا في الأحداث التي جرت بين 1830-1847.

## 10-*محمد بن الحاج محمد بن أبي القاسم و الزهر الباسم في ترجمة سيدي محمد بن أبي القاسم :

### *المؤلف:

هو محمد بن الحاج محمد بن أبي القاسم القاسمي الحسني ، وهو ابن أخ المترجم له ، ولد بالهامل ببوسعادة سنة 1277 هـ/ 1859 م، كفله عمه محمد بن أبي القاسم وعلّمه فتفقه على يديه وبرز في علوم شتى ،كما أخذ عن الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي وعاشور الخنقي ومحمد المكي بن عزوز وغيرهم من العلماء، درّس بالزاوية ثم تولى خلافة عمه في الزاوية، بعد أن تولتها السيدة زينب ابنة الشيخ حوالي ست سنوات، وحين تولى مشيختها نهض بها نهضة علمية استرعت اهتمام العلماء في المشرق والمغرب، فكاتبوه وزاروه واستجازوه وأجازوه، وكوّن

---

[1]- محمد بن الأمير عبد القادر: المصدر السابق، ص 3-5.

[2]- المصدر نفسه، ص 6.

علاقات علمية وأدبية واسعة في شتى الأقطار الإسلامية،توفي في الزاوية سنة 1331 هـ/1913م ودفن فيها[1].

* **الكتاب:**

طبع كتاب الزهر الباسم في ترجمة سيدي محمد بن أبي القاسم في تونس سنة 1310 هـ/ 1892 م وفيه 149 صفحة، وفي الكتاب فصول وخاتمة وديباجة، وفيه أيضا فوائد هامة عن حياة الشيخ الهاملي.

ووضّح المؤلف أن دافعه لهذا التأليف هو التعريف بشيخه محمد بن أبي القاسم الهاملي، وعن خطته في هذا الكتاب، فقد استهله بذكر نسب الشيخ، الذي ينتهي إلى عبد الرحيم بن بن سائب بن المنصور الشريف[2]، ثم ذكر والده ووالدته وجاء بنظم لمحمد المكي بن عزوز في نسب الشيخ الهاملي[3] .

ثم تطرق لتعلمه القرآن، والمشايخ الذين درس عليهم في بداية عهده، وذكر جملة من صفاته، ثم ذكر سفره لتلقي العلم بن بوداود بزواوة وتلقيه العلم على الشيخ أحمد بن بوداود.

ثم جاء بسنده هو – أي المؤلف- في الفقه وغيره ، فجاء بسلسلة هذا السند عن شيخه صاحب الترجمة عن أحمد بن بوداود عن عدد من المشايخ[4].

ووضع فصلا عن عودة الشيخ للهامل وتدريسه بها سنة 1265 هـ/ 1818 م قبل ذهابه لتلقي سند الطريقة الرحمانية من الشيخ المختار بن عبد الرحمن الجلالي شيخ زاوية أولاد جلال[5].

ثم ذكر رجوعه مرة أخرى للهامل بعد وفاة شيخه المختار وبناءه زاويته، وبداية عمله في إحياء الأرض الموات وغرس الأشجار بها ، وفي سنة 1278 هـ/ 1861 م توفي جد المؤلف وهو

[1]– عبد المنعم القاسمي الحسني : أعلام التصوف في الجزائر، ص390 .

[1]– محمد بن الحاج محمد بن أبي القاسم: الزهر الباسم في ترجمة سيدي محمد بن أبي القاسم ، المطبعة الرسمية، تونس: 1308هـ/ 1890م، ص 3.

[3] – المصدر نفسه، ص 14-17.

[4]– المصدر نفسه، ص 18-23.

[5] – المصدر نفسه، ص23-24.

الشيخ أبو القاسم القاسمي الحسني الهاملي وبعده بسنة شرع الشيخ محمد في بناء زاويته غرب قرية الهامل في سفح جبل يقال له عمران وبنائه مترل العائلة[1].

ثم جاء بفصل جمع فيه بعض القصائد التي مُدح بها شيخه الهاملي " على ألسنة العلماء الأعلام" [2] وأورد بعد ذلك فصلا عن التصوف جعله في شرح رتبة المشيخة تلاه فصل في شرح حال الخادم ثم فصلا في ذكر سنده في الطريقة[3].

وأنهى الكتاب بفصل قصير ذكر فيه بعض الأوصاف الخلقية لشيخه محمد بن أبي القاسم الهاملي، وذكر في نهاية الكتاب تاريخ طبع هذا التأليف وهو يوم الاثنين 17 جمادى الأولى سنة 1308 هـ/ 1890 م. [4]

وهكذا فإن الكتاب جاء بمعلومات هامة عن حياة مؤسس زاوية الهامل، رغم أن المؤلف وبحكم أنه رجل زاوية لانتمائه للطريقة الصوفية الرحمانية لم يخرج عن الطابع العام الذي تميزت به كتابات شيوخ الزوايا في الإيمان بالخوارق، والإغراق في التصوف وذكر مناقب المترجم له، لكن ذلك لم ينقص من قيمة عمله هذا الذي يبقى وثيقة تاريخية هامة عن تاريخ الزاوية القاسمية بالهامل.

## 11* أحمد بن داود الأخضري و كتابه العقد الجوهري في التعريف بسيدي عبد الرحمن الأخضري:

### * المؤلف:

هو أبو محمد أحمد بن داود بن العلمي الأخضري، وهو أحد أحفاد عبد الرحمن الأخضري، وكان واحدا من علماء الزاب، وقد ولد سنة 1880.[5]

---

[1] – محمد بن الحاج محمد بن أبي القاسم:المصدر السابق، ص 24.

[2] – المصدر نفسه، ص 66-98.

[3] – المصدر نفسه،ص 110-126 .

[4] – المصدر نفسه ، ص 139.

[5] – فوزي مصمودي : العلامة الموسوعي عبد الرحمن الأخضري شخصيته ومواقفه وآثاره ، منشورات موفم ، الجزائر، 2008، ص 82.

وهو ينتمي إلى عرش الأخضر، وكان والده داود بن العلمي أستاذا بزاوية الشيخ الأخضري ثم إماما ببلدة أورلال [1].

وأما أبو محمد أحمد بن داود فقد ولي القضاء بسيدي عقبة [2] وطولقة وكوينين بالوادي هذه الأخيرة التي نفاه إليها بوعزيز بن قانة شيخ العرب ببسكرة بعد سوء تفاهم بينهما، واستقر في آخر حياته بباتنة التي توفي بها سنة 1960 وترك مؤلفين هما :" العقد الجوهري في تعريف القطب عبد الرحمن الشهير بالأخضري" و"رسالة في فتح بلاد المغرب".

وظل كتاب العقد الجوهري مخطوطا وغير معروف لفترة طويلة حتى إن الحفناوي لما أراد ترجمة حياة الأخضري لم يعثر على أي كتاب حوله، واكتفى ببعض الإشارات مع ذكر بعض كتبه.[3]

***الكتاب:**

يعود الفضل في نشر هذا المخطوط النادر إلى الأستاذ عمار طالبي الذي حصل على نسخة وحيدة منه فنشرها. [4]

أنهى المؤلف كتابه هذا في 16 ربيع الأول سنة 1322 هــ/ 01 جوان 1904 م وقام بهذا العمل استجابة لأمر والده الشيخ داود الأخضري [5] وهو الذي قال في شأنه :" ..قد أمرني من لا تسعني مخالفته أن أجعل له كتابا كالترجمة تتضمن تاريخ ولادة العالم النحرير والقطب الشهير أبي زيد عبد الرحمن الأخضري، وأوضح له تاريخ وفاته وأبين له تلاميذه، فأجبته لذلك سالكا مسلك الاختصار والاقتصار "[6].

---

[1] – عبد المنعم القاسمي الحسني : أعلام التصوف في الجزائر، المرجع السابق، ص 312

[2] – علي نعاس وعبد القادر زياني :تنبيه الأحفاد بمناقب الأجداد، دار الكتاب الحديث،القاهرة 2004، ص69.

[3] – الحفناوي : تعريف الخلف برجال السلف ، ج 1 ، ص 422.

[4] – عمار طالبي: "عبد الرحمن الأخضري ، حياته وأعماله "، مجلة العلوم الإسلامية، ع 2، السنة 2، ماي 1987، ص 22.

[5] – فوزي مصمودي: المرجع السابق، ص 83.

[6] – عمار طالبي: المرجع السابق، ص 24.

وضح المؤلف إنه اعتمد في ترجمته على بعض الكتب والرسائل وبعض الروايات الشفهية الموقوفة فقال " ..آخذا فوائدها من كتب ورسائل ومن أفواه الثقاة الأبرار ."[1]

بدأ هذا التقييد بذكر سبب تسمية الشيخ بعبد الرحمن، وقال أن ولادته كانت سنة 920 هـ/ 1502 م مستدلا في ذلك على أرجوزة في المنطق للشيخ، ثم ذكر مشايخه وهم شقيقه الأكبر أحمد وتلقيه عن والده محمد الصغير علمي الحساب والفرائض.

ذكر المؤلف رحلة الاخضري لتونس لطلب العلم بالزيتونة، ثم رجوعه لبلدته واعتكافه على التدريس ووفود التلاميذ عليه من كل جهات القطر، وذكر بعض مشاهير تلاميذه.

وذكر إظهار الشيخ لقبر خالد بن سنان بطريق الكشف الصوفي والإظهار بخط الرمل وذكر قصيدة الأخضري في خالد بن سنان.

ثم انتقل لذكر مؤلفاته وقال أن بعض العلماء قد حصرها فوجدها تربو عن الثلاثين مؤلفا في شتى الفنون وقال إن للأخضري كتاب في التاريخ وهو مفقود لم يستطع المؤلف العثور عليه كما قال.

وختم الكتاب بالحديث عن زاوية الشيخ الأخضري وأن ذرية أحفاد الشيخ هم الذين يسيرونها وأن والد المؤلف داود قد درّس بها قبل انتقاله إلى أورلال ثم استخلف بها بعده قريبه المسعود بن رحمون " .

وهكذا تبدو هذه الرسالة الصغيرة الحجم كثيرة الفائدة إذ أنها تقدم جوانب كانت إلى حين قريب غامضة في حياة الشيخ الاخضري الذي رغم شهرته الواسعة في المشرق والمغرب على انه لم يحض بتأليف خاص إلا من جانب هذا المؤلف.

[1] – عمار طالبي: المرجع السابق، ص 25.

## 12- محمود بن محمد بن محمود ابن المطماطية وكتابه سفينة السكينة:

### * الكتاب:[1]

هو كتاب لا تتجاوز عدد صفحاته 45 صفحة من الحجم المتوسط، استهله المؤلف بقوله :" الحمد لله الذي جعل في ذكر أوليائه المجد الصميم وهدى من ودّهم إلى الصراط المستقيم وصلوات الله وتسليماته الطيبات وبركاته ورحماته الزاكيات على نبينا وسيدنا محمد سيد الصديقين والمقربين وإمام النبيئين والمرسلين وعلى اله وأصحابه أولي الفضل والإحسان الذين ذكرهم الله بخير ذكر في القرآن.." [2]

ويوضح في بداية الكتاب انشغاله منذ سنة 1319 هـ/ 1901 م بالبحث عن تراجم علماء وصلحاء قسنطينة وأنه كان يقيّد كل ما يجده ويقف عليه " من مآثرهم العلمية وكراماتهم العلية بما في بطون كتبهم ومؤلفاتهم القديمة .."

وقال أنه قد اجتمعت لديه 250 ترجمة من تراجم علماء قسنطينة منذ القرن 6 هـ/ 12 م حتى عصره هو، وذلك بعدما اعترضته مصاعب كبيرة حسبما صرح به هو حيث قال :" لقد استعملت كامل جدي واجتهادي في هذا البحث ، وتحملت في ذلك أتعابا شاقة وأي أتعاب حتى اجتمعت لدي ما نيف على المائتين والخمسين (250 ) ترجمة من تراجم الرجال الكاملين المعتبرين في العلم والصلاح من أهل بليدتنا المذكورة منذ القرن السادس للهجرة ثم شرعت في ترتيبهم ترتيب الطبقات.."[3]

ولكن ذلك الكتاب قد تلف رغم أهميته الكبرى، فعمد المؤلف إلى وضع تأليف آخر في شيوخ الطريقة التيجانية بقسنطينة وهو الذي تعنيه الدراسة.

وقد ترجم فيه لأحد عشر رجلا من شيوخ التيجانية بقسنطينة هم: مصطفى بن أذينة و أحميدة بن محجوبة و الشيخ محمد بن سالم و الحاج علي المهيلي و عمر بن الكشكاش و أحمد الشرقي و حسين المعروف بابن يمينة و الشيخ أحمد بن محمد الونيسي، و حمو بن الخوجة بن

---

1 – هو مخطوط مكتوب على الوورد كتبه السيد علي غريسي .

2 – محمود بن المطماطية: سفينةالسكينة بتراجم كبراء التيجانيين بقسنطينة، ص 1.

3 - المصدر نفسه، ص 2.

الصالح بن الطبال و أحمد بن علي بن محنان، و الحاج عيسى بن عبد العزيز المراكشي، و كبار مقدمي وأعيان قسنطينة.

و لم تكن التراجم متوازنة في حجمها أو معلوماتها، فقد كانت بعضها طويلة كترجمة عمر بن الكشكاش[1]،وبعضها قصيرة لم تتجاوز الصفحتين كترجمة الشيخ حسين بن يمينة.[2]

وبالكتاب معلومات هامة ونادرة عن الحياة الثقافية بقسنطينة أواخر العهد العثماني وبداية العهد الفرنسي، إذ يذكر المؤلف مدارس العلم كمدرسة سيدي الأخضر [3]والعلوم التي كانت تدرس[4] ومناظرات العلماء[5]، وجوانب من الحياة اليومية للعلماء.

## 13* أبو القاسم الحفناوي و كتابه تعريف الخلف برجال السلف:

### *المؤلف:

هو أبو القاسم محمد الحفناوي بن أبي القاسم الديسي البوسعادي بن سيدي بن الصغير ويرجع نسبة إلى سيدي إبراهيم الغول أحد صلحاء المنطقة وصاحب زاوية بالديس، وكان أبوه محمد بن بلقاسم بن الصغير من العلماء في وقته أيضا.

ولد الحفناوي بقرية الديس سنة 1269 هـ/ 1852م وتعلم على يد والده بمسقط رأسه عددا من العلوم، كما درس في زاوية علي بن عمر بطولقة، و زاوية نفطة العزوزية بتونس، وزاوية ابن أبي داود بتاسلنت قرب آقبو ببلاد زواوة،وأكمل تعليمه العالي بزاوية الهامل.[6]

توجه الحفناوي إلى مدينة الجزائر سنة 1301 هـ/ 1883م، وشارك في تحرير الجريدة الرسمية " المبشر " و درّس بالجامع الكبير بمدينة الجزائر ابتداء من سنة 1897 م،وخلال الحرب

---

[1]- محمود بن المطماطية: سفينةالسكينة ص 14-20.
[2]- المصدر نفسه، ص 26-28.
[3]- المصدر نفسه ، ص 11.
[4]- المصدر نفسه، ص 11-13.
[5]- المصدر نفسه، ص 6.
[6]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 422.

العالمية الأولى شارك في تحرير صحيفة أخبار الحرب [1] واستمر في ا لكتابة بجريدة المبشر إلى أن توقفت سنة 1344 هـــ/ 1927م، و إضافة إلى مساهماته الصحفية في المبشر فقد تعامل مع الشيخ محمود كحول في جريدة "كوكب إفريقية" سنة 1907. [2]

و في سنة 1903 عهدت الحكومة الفرنسية للحفناوي بمرافقة الشيخ محمد عبده من مرسيليا إلى الجزائر على ظهر الباخرة. [3]

وفي سنة 1936 عُيّن للفتوى المالكية، وكان توليه الفتوى في وقت حرج، بعد اغتيال سلفه في نفس الوظيف الشيخ محمود كحول عقب انعقاد المؤتمر الإسلامي الشهير، و لم نطلع على إنتاجه فيها وبعد تقاعده رجع الحفناوي إلى مسقط رأسه بلدة الديس، وهناك أدركته الوفاة سنة 1942.

وكان الحفناوي متأثرا بأستاذه آرنو الذي تعلم منه كما قال الفرنسية والآداب والترفع على المتكبرين والتواضع أمام غيرهم، فقد قال إن آرنو هو "شيخه" في العلوم العصرية أيضا، وإنه رباه عقليا وعلميا فارتقى إلى "درجة أفتخر بها على أبناء وطني" كما وصفه بالحكيم، ولازمه في الجريدة حوالي اثني عشر سنة، وكان آرنو محررا لها، والحنفاوي هو كاتبه.[4]

كما أن كتاباته بصفة عامة كانت تمثل المرحلة التي عاشها، فقد عالج في المبشر موضوعات تتعلق بقوافل الصحراء فنقل عن جريدة (الطان) سنة 1887-1888 مقالة عن تجارة القوافل المتجهة إلى القورارة، وكتب حول داء الكلب ودوائه، ونشر عن ذلك مقالة سماها (الكلب لدى أطباء العرب) أظهر فيها دور العرب والمسلمين في الطب، و كتب كذلك مقالات منها : تركيب الماء، وتركيب الهواء، ذكر المغناطيس وخواصه، والحكمة بأنوارها في الكهربائية وأسرارها، وحين ألقى محاضرة في الجمعية الرشيدية سنة 1907 اختار عنوانها: فرنسا والحرية وتفوق اللغة الفرنسية[5].

---

[1] -Marte et Edmond Gouvion : Opcit,p156.

[2]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7 ، ص 423.

[3]- المرجع نفسه، ص 423.

[4]- الحفناوي: المصدر السابق، ص 6.

[5]- عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجززائر العام، ج 4، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ص 232.

خلّف الحفناوي مؤلفات في الجغرافية والتاريخ والمعاني: كالمستطاب في أقسام الخطاب، وأرجوزة في جغرافية ابن خلدون، وله رجز بعنوان غوص الفكر في حروف المعاني، وقد شرحه بنفسه تحت عنوان:" صوغ الدرر على غوص الفكر"، و ألّف" دفع المحل في تربية النحل " و " القول الصحيح في منافع التلقيح " و " الخبر المنتشر في حفظ صحة البشر " طبعت كلها بالجزائر.[1]

### * الكتاب:

عمّق الحفناوي معارفه في كامل العلوم العربية، و قادته رغبته في معرفة الفقهاء ورجال العقيدة وشعراء إفريقيا الشمالية إلى قراءة المؤلفات التقليدية لتاريخ المغرب الاسلامي، كابن خلدون وابن الخطيب والمقري، وجل أنواع المؤلفات المتعلقة بالمغرب، والحوليات وكتب السير التي أرسلها له أصدقائه وبعض معارفه، ومن خلال قراءاته وضع الحفناوي بطاقة لكل شخصية تكون لحياتها علاقة مع الآداب[2].

وفي مقدمة كتابه يشيد الحفناوي بالسّلف الصالح الذين تركوا آثارًا تدلّ على حضورهم بعملهم المستنير فيشيد بجهدهم، فبنوا بذلك المدنية المعاصرة، ولم تتم الحضارة إلا عن طريق الاهتمام بذويهم والمنافسة في المعارف، والتسابق في الضرورات والنظريات فكانوا ينقبون في كنوز الموضوعات، ووصلوا أعلى الدرجات، كما يشيد الحفناوي بالحاكم العام للجزائر جونار الذي كان يهتم بالعلم؛ فأقر له بالفضل الكبير بمده يد المساعدة للمتعّلمين والمعلمين في المدرسة الثعالبية التي عرفت أوج ازدهارها في عهده .[3]

ويعرج على وصف هذه المدرسة التي يقف عندها كثيرًا، ويفتخر بجمال منظرها وهندستها الأندلسية وقبابها الخمس، ومن هذه المدرسة كسب العلم الرفيع، ومن خزانتها ومدوّناتها وقف على تراجم وسير مجموعة من علماء الجزائر.

---

[1]– عادل نويهض:معجم أعلام الجزائر،دار نويهض الثقافية، بيروت: 1982، ص 123.

[2] -Saadedine Bencheneb : « Quelques historiens arabes modernes de l’Algerie », in Revue africaine n°100(1956) p 480.

[3]– صالح بلعيد: قراءة في تعريف الخلف برجال السلف للشيخ أبي القاسم محمد الحفناوي الديسي، مجلة جامعة مولود معمري، ع 9، مارس 2008، ص 68.

والكتاب ينقسم إلى قسمين : الأول منهما تناول فيه تراجم العلماء المدونة أسماؤهم في المدرسة الثعالبية التي علا شأنها بفعلهم المتميز وما قدموه للجزائر، وكان عددهم خمسون (50) عالمًا، ويذكر في معظم الحالات مباشرة المصدر الذي أخذ منه الترجمة.

و قد قامت أعماله في القسم الأول على الواقعية والشمولية؛ حيث اعتمدت الرواية وصحة السند، فلم يكن مؤرخًا بالمعنى الدقيق للكلمة، بل كان مدفوعًا إلى الكتابة والتبجيل؛ خشية الضياع بتفرق العلماء وموتهم ثم نسيانهم، فأراد تعبيد مدرسة لسيرة علماء الجزائر.[1]

وأما القسم الثاني فقد تناول فيه جمعها منبعض مصادر القسم الأول و أجوبة المحبين، وكان عدد تراجم هذا القسم 368 عالمًا.

و لم يكتفِ بعلماء البر الجزائري، بل صاحبه بعض علماء من الأقطار الأخرى كالسودان مثلا، وفي هذا القسم لم يذكر مصادره عقب اسم العالم، كما فعل في القسم الأول، ويقول في مقدمة القسم الثاني إن الذين تمت الإشارة إليهم من علماء البر المقيدين في المدرسة الثعالبية في وعاد في معظم ذكره لهذه الأسماء إلى المصادر التي نقل عنها تراجمهم في القسم الأول، أي أن مصادره في القسم الأول قد استفاد منها في القسم الثاني[2] .

إن من يعود إلى كتاب الحفناوي يراه عملا نفيسًا و من أهم المصادر في التراجم ، فبعض من ترجم لهم أكثر من ذكر حياتهم، وفصل القول فيهم أيما تفصيل، والبعض الآخر أفرط في الإيجاز والاختصار، لكنه أبرز قدرته العلمية واتجاهه الديني.

و المصادر الأساسية للكتاب هي: نيل الابتهاج لأحمد بابا ونشر المثاني للقادري، وصفوة من انتشر ونزهة الحادي للأفراني، وسلوة الأنفاس للكتاني، وجذوة الاقتباس لابن القاضي، والبستان لابن مريم،وعنوان الدراية للغبريني.

وجاء تعريف الخلف كمجموع للتراجم على النمط المعروف من الموسوعات مثل طبقات ابن سعد بالنسبة للمشرق وكتاب علماء الأندلس لابن الفرضي بالنسبة للغرب الاسلامي[3].

---

[1]- صالح بلعيد:المرجع السابق ، ص 69.

[2]- المرجع نفسه ، ص 70.

[3] -Saadedine Bencheneb : Opcit p 480.

ولغة الحفناوي جيدة، وهي تدل على ثقافته الأدبية القوية ، وهو يعتمد كذلك على النثر المسجوع بعيدًا عن قيود الشعر، فنجد الألفاظ في أوصافه طليقة حرة ، كما نراه مرهف الحس في تخير شواهده القصار والطوال.

و أسلوبه كان ينطق بلغة عصره، ويبدو أنه متشبع بالثقافة العربية الأصيلة، وهذا بعدما تمّثلها وصوّرها ونقلها في أمثلتها الواقعية، وكأّنك تقرأ أساليب أو مصطلحات القرن التاسع عشر، ويتمّثل ذلك في توظيفه عبارات: نزيل وهران، دفين تلمسان، خاتمة الصالحين، العلامة الفهامة الولي الهمام...

وتظهر الأمانة العلمية عند الحفناوي من خلال استخدامه بعض الكلمات كقوله: أخذتها من أوثق المصادر، أو قال الثقة أو وشهد فلان أو وروي بالسند الصحيح أو أجاز شهادته الجميع أو نجيز شهادة رجل عفيف تقي أو نقل عن..، أو نقلت من مصدر موثوق أو وإّنه لصدوق[1].

قام الحفناوي بتجميع كتب أسلافه وأحيانا بإعادة نصوصهم كما هي، وأحيانا بتغييرها وزخرفة أسلوبها، ففي الصفحات المخصصة لأحمد بابا مثلا فإن الحفناوي يقتبس من كفاية المحتاج ونشر المثاني وصفوة من انتشر، والتعريف بابن قنفذ منقول من إشارة من نيل الابتهاج وأخرى من نشر المثاني وثالثة من البستان ثم نقل فهرس وفيات ابن قنفذ لإعطاء لمحة عن أهم مؤلفاته[2].

وما يمكن أن يقال في الجانب النقدي لهذا العمل إن الكتاب دراسة وصفية تاريخية صادقة دالة على رسوخ علم الحفناوي واّتساع نبوغه، فقد كان ثقة مأمونًا على ما قيد وروى، ونقل وضبط، فهو عمل موسوعي متخصص، يعد من أمهات المصادر التراثية.[3]

وما يعاب على عمل الحفناوي غياب النقد والتحليل، فكأّنك تقرأ مرويات واقعية دون إضافة وتحليل، ومن صفات أدب السير أن يتعرض ناقلها لبعض النقد بعد الوصف، وأن يكون سرده ميالا إلى التشويق، فهذا العمل ليس تأريخًا للأحداث، بل في التأريخ لعلماء الجزائر، لكّنه يؤرخ تأريخًا أدبيًا.

---

[1]- صالح بلعيد: المرجع السابق، ص 71.

[2] -Saadedine Bencheneb, Opcit p 478.

[3]- صالح بلعيد: المرجع السابق، ص 68.

كما غاب المنهج العلمي الصارم الذي يتطّلب التهميش والتثبت والإسناد، وهذا ما لم يظهر خاصة في القسم الثاني، على اعتبار أن القسم الأول وّثقه جيدًا، ولكن هذا لا يشفع له بأن يعود إلى مصادر متنوعة من أجل تلاقح المعلومات، وتعدد مصادرها.

وتميز عمل الحفناوي كذلك بالعفوية في بعض النقول، والانطباع الذاتي، والسرد السطحي للأحداث وفق مرويات شعبية، في غياب الدليل الملموس للذين نقل عنهم، وعدم العمل بقضية كان القدامى يستعملونها وهي مسألة الجرح والتعديل في شروط الراوي.[1]

ولاحظ بن شنب أن تصور الحفناوي للتاريخ ظل بدائيا، وعمله شبيه جدا بأعمال مؤرخي العصور الوسطى، فعلم التاريخ لم يتطور عنده وظل بسيطا بالكامل، وحتى عندما أعاد النصوص القديمة فإن الحفناوي لم يرتبها ترتيبا كرونولوجيا، ففي ترجمة أحمد بابا التمبكتي، مثلا نجده يضع كلام القادري" ق 18" قبل قبل كلام الافراني " ق 17 " وعند الكلام عن ابن قنفذ فإنه يرتب مصادره هكذا : كلام أحمد بابا " ق 15 م ثم ابن مريم " أواخر ق 16 وبداية ق 17" يأتي بعده كلام القادري " ق 18 م" ، كما قام الحفناوي بنقل أشعار كثيرة في موسوعته هذه حتى بدت مصدرا أدبيا أكثر منه تاريخيا.[2]

وهكذا فرغم الفائدة التي يمثلها لها عمل الحفناوي وخصوصا في القسم الثاني منه فإن الحفناوي لم يحد عن منهجية المدرسة التقليدية القديمة كما قال بن شنب [3].

ومع هذا فالتعريف قيم جدا والجزء الثاني يجمع كمّا من المعلومات لا نجده في مكان آخر عن أسلاف المؤلف، وعن الزوايا، وعن مؤسسيها ومشايخها، كزاوية الهامل وزوايا بلاد زواوة وعن شخصيات معاصرة، ونقل الحفناوي في كل مواضع كتابه تقريبا لمحات مقتبسة من وثائق عائلية لمثقفي جيله، ومن المؤكد أنه لولا الحفناوي لضاعت هذه اللمحات، أو صار من العسير الحصول عليها.

---

[1]- صالح بلعيد: المرجع السابق ، ص 69.

[2] -Saadedine Bencheneb : Opcit, p 480.

[3] - Ibid,p 481.

و لتعريف الخلف ميزة بارزة انفرد بها، وهي أنه ظهر في وقت لم يتقدمه عمل آخر، ثم أنه ظل على أهميته إلى الآن فإن المؤلفات التي ظهرت بعده كلها تقريبا تتخذه مرجعا، ولعل ذلك راجع أيضا إلى شموله لكافة العصور، ونقوله من العديد من المؤلفات والوثائق التي تعتبر الآن مفقودة، سيما بعد أحداث ثورة 1954، كما أن لغة الكاتب سهلة فلا يجد قارئه عناء في الوصول إلى المعنى، وتداخل المعلومات أحيانا، ووجود الخرافة في الكتاب يشفع لها ما يقدمه من مادة ذات قيمة كبيرة، ورغم أن نية الفرنسيين كانت عندئذ هي المحافظة على طابع الجزائر الإسلامية-الفرنسية، فإن النتيجة كانت عكس ما توقعوه، فقد بعث تعريف الخلف في النفوس الحمية والوطنية، والغيرة على التراث والاعتزاز بالآباء والأجداد، ويمكن اعتبار ظهوره صفحة جديدة في اليقظة الوطنية والشعور بالذات السياسية، سيما في الوقت الذي كانت فيه مدرسة النخبة المتفرنسة تدعو إلى الاندماج الكلي في فرنسا والتخلص من كل روابط الماضي.[1]

## 14* محمد الصغير بن المختار وتعطير الأكوان بنشر شذا نفحات أهل العرفان:

### * المؤلف:

هو محمد الصغير بن المختار بن خليفة بن عبد الرحمن الجلالي الإدريسي الخالدي نسبة لبلدة سيدي خالد نواحي بسكرة [2]، عالم فاضل فقيه مدرس، من شيوخ الطريقة الرحمانية بالجنوب الجزائري، وشيخ زاوية أولاد جلال بالقرب من بسكرة.

والده هو المختار بن عبد الرحمن الجلالي ( 1201 /1784 - 1277 هـ/ 1862م) مؤسس زاوية أولاد جلال، من شيوخ الطريقة بالزاب الذي أسس زاويته بأولاد جلال والتي عرفت شهرة واسعة في ظرف وجيز، وأمها الطلبة من كل حدب وصوب، وكان لها دور كبير في تحفيظ القرآن الكريم، وتدريس العلوم الشرعية ونشر الطريقة الرحمانية، وإطعام الطعام، وإيواء الفقراء ، وتخرج على يديه الكثير من العلماء الأجلاء أبرزهم: الشيخ محمد الشريف بن الأحرش والشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي والشيخ عطية النايلي.[3]

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 428.

[2]- عبد المنعم القاسمي الحسني : أعلام التصوف في الجزائر ، ص390 .

[2]- محمد الصغير بن المختار : تعطير الأكوان بنشر شذا نفحات أهل العرفان، المطبعة الثعالبية، الجزائر: 1916، ص 2-3.

وأما المؤلف محمد الصغير بن المختار فقد ولد بزاوية والده الشيخ المختار بن خليفة بأولاد جلال، أخذ العلم عن الشيخ سيدي محمد بن أبي القاسم الهاملي وسلك على يديه، تولى مشيخة زاوية أولاد جلال بعد وفاة أخيه الشيخ مصطفى بن المختار، وعرفت الزاوية في عهده توسعا في العلم والعمران، وازداد عدد طلبتها، بلغ الشيخ محمد الصغير عمرا طويلا قضاه في التربية والتعليم، له كتاب (( تعطير الأكوان )) ترجم فيه لحياة والده وتلامذته ، توفي سنة 1920، ودفن بزاويته بأولاد جلال، وخلفه ابنه الشيخ عبد الحميد[1].

* **الكتاب:**

هو كتاب مطبوع بدأه مؤلفه بقوله :" الحمد لله الذي اصطفى من عباده من شاء للعرفان فأعظم على خلقه بوجودهم المنة والإحسان.."

وعن دواعي تأليفه هذا الكتاب فقد كتب قائلا:" أما بعد فيقول ... محمد الصغير نجل ... المختار ... هذه كلمات يسيرة قليلة، ونبذة قصيرة جليلة قصدت إلى جمعها بهاته الأوراق من كل ما حلا وراق من كلام بعض أساتذة طريقتنا الخلوتية...وأشياخهم ... جمعت فيها ما قدرت عليه ووصلت يدي القاصرة إليه ... ورأيت أن في ضبطها حفظ لها من التلاشي والضياع، فعنّ لي أن أصل شمل بعضها ببعض."[2]

وأضاف أن من دواعي التأليف أيضا، أن شيخه محمد بن أبي القاسم الهاملي أخبره أن والد المؤلف أمره أمرا بتقييد ما وقف عليه من أعلام الطريقة، كما رأى في رسائل شيخ الطريقة الرحمانية محمد بن عبد الرحمن كلاما يحظ فيه أتباعه على نشر ما يبلغهم عنه، وأمرهم بتدوين كل ما يخص الطريقة حتى لا تضيع [3].

وقال أنه تنفيذا لتلك الوصية شرع في كتابة هذا الكتاب، الذي استهله بمقدمة هي جواب لرسالة بعثها له بعض أهل الطريقة الرحمانية وصفه بقوله:" بعض الإخوان المقربين لدينا المحبوبين عندنا " .

---

[1]- عبد المنعم القاسمي الحسني : أعلام التصوف ، المرجع السابق، ص 391.

[2]- محمد الصغير بن المختار: تعطير الأكوان، المصدر السابق، ص 3.

[3]- المصدر نفسه، ص 4.

وكانت خطة الكتاب كما يلي : فبعد الرسالة المشار إليها [1] ذكر شجرة النسب الشريف لوالده وأستاذه المختار، وتصديق العلماء عليها، وبعض ما كان عليه وولادته وانتقاله من قرية سيدي خالد إلى أولاد جلال ، وفقهه وبراعته في علم التوحيد وإقرار بعض العلماء له بالنبوغ ثم وفاته وبعض رسائله[2] وقصائده وهي ثمانية عشر قصيدة [3].

وتحدّث عن الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي فذكر نسبه وولادته، وبعض ما كان عليه وروده على أستاذه والد المؤلف، ونبذة من رسائله ومرائيه، وخمرياته الصوفية، ثم بعض كلام أشياخه[4].

وأورد نماذج من رسائل الشيخ الهاملي لشيخه المختار والد المؤلف، وتحدث عن مكاتبات الشيخ علي بن عمر شيخ زاوية طولقة الرحمانية لوالده[5].

وذكر نبذة من كلام الشيخ محمد بن عزوز وبعض مراسلاته، وأورد كذلك نبذة من كلام الشيخ عبد الرحمن باش تارزي مقدم الرحمانية في قسنطينة، وبعض مكاتباته، وقصيدته في السلوك وبعض أشعاره الصوفية وبعض أقوال نجله الشيخ مصطفى[6].

ثم ذكر نبذة من كلام الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهري مؤسس الطريقة الرحمانية وبعض إجازاته ووصيته، كما ذكر نبذة من كلام بعض المشايخ كالشيخ التارزي بن عزوز والشيخ المداني بن عزوز، وأورد قصيدة للشيخ المكي بن عزوز وهي المسماة علاج النفس ، ونبذة من كلام الشيخ عطية بن خليف تلميذ والده المختار[7].

---

[1]– محمد الصغير بن المختار: تعطير الأكوان، المصدر السابق، ص 4-5.

[2]– المصدر نفسه، ص 14-20.

[3]– المصدر نفسه، ص 27-59.

[4]– المصدر نفسه، ص 70 – 74.

[5]– المصدر نفسه ، ص 75-110.

[6]– المصدر نفسه، ص 128-134.

[7]- المصدر نفسه،ص 136.

وانتقل بعد ذلك للحديث عن فضل الذكر وآدابه، وأوصاف السلوك، وما يتعلق بالشيخ وشروطه وآدابه، واقتبس ذلك من نظم للشيخ عطية يسمى السّندية [1]، ثم عاد وذكر تلميذا آخر لوالده هو الشريف بن لحرش، وأورد له ترجمة من إملاء الشريف بن لحرش نفسه[2].

وذكر تلاميذ والده ومنهم : عبد الرحمن بن سليمان وأبو العاصم بن مشية وأبو الأرباح بن محفوظ ومحمد بن رابح وغيرهم[3]، وأنهى الكتاب بنبذة من كلام بعض تلامذته هو[4] .

## 15* عمر راسم ورسالته في تراجم علماء الجزائر:

### * المؤلف:

هو عمر راسم بن علي بن سعيد بن محمد البجائي، يتصل نسبه بصنهاجة، ولد بمدينة الجزائر يوم الثلاثاء 5 ربيع الأول من سنة 1302 هـ/ 1884 م، أدخله والده كتاب بابا عثمان بالجزائر، وأظهر تفوقا ونجابة لفتت أنظار المعلمين له، فقد أتم حفظ القرآن الكريم وهو في السابعة من عمره، مما أكسب لسانه فصاحة، ونتيجة لمواهبه تلك فقد عينه الشيخ المفتي بوقندورة حزابا بمسجد سفير وهو لا يزال في الثانية عشر من عمره . [5]

وتركز تعليمه على بعض الدروس القليلة في النحو، تلقاها على يد الشيخ محمد بن المصطفى في مسجد سفير، وقضى سنة واحدة بالمدرسة الثعالبية، وتلقى كذلك بعض الدروس في اللغة الفرنسية في مدرسة الشيخ فاتح، واستطاع بإرادته القوية أن يتكون تكوينا علميا حسنا فانكب على المطالعة باللغتين العربية والفرنسية، وخصوصا في سجن بربروس حيث قبع فيه بين سنتي 1915 – 1921 في الزنزانة رقم 40.

---

[1] - محمد الصغير بن المختار: المصدر السابق، ص 196-210.

[2] - المصدر نفسه، ص 217.

[3] - المصدر نفسه، ص 221-225.

[4] - المصدر نفسه، ص 225.

[5] - محمد ناصر : عمر راسم المصلح الثائر، مطبعة لافوميك الجزائر ، 1984 ، ص 13.

وفي سنة 1898 وقع حادث ماكس ريجيس الشهير مع اليهود، ودفعه اهتمامه الشديد بالموضوع الى تتبع مجريات وقائعه في الصحف، وفي سنة 1909 راح يكتب فصولا في جريدة المرشد ومرشد الأمة التونسيتين تناول فيهما موضوع الصهيونية .[1]

وعقد بعدها العزم على إصدار جريدة باسم الإصلاح، ينشر فيها أفكاره ويبث فيها أفكاره الإصلاحية، وفي سنة 1908 أصدر مجلة الجزائر التي تعد أول مجلة عربية يصدرها جزائري، و لم يظهر منها سوى عددين وتوقفت، وفي سنة 1913 تعاون مع عمر بن قدور في تأسيس جريدة الفاروق، ثم انصرف إلى تأسيس جريدة ذو الفقار في أكتوبر 1913 تحت اسم مستعار هو"ابن المنصور الصنهاجي " و لم يصدر منة ذو الفقار سوى أربعة أعداد رغم الجهود الكبيرة التي بذلها عمر راسم .[2]

وساهم عمر راسم في صحف عربية وفرنسية كثيرة منها الحق الوهراني 1912 والمرشد ومرشد الأمة في تونس 1909 والنجاح 1939 والمباحث في تونس 1944 والسعادة في المغرب سنة 1944 وهنا الجزائر 1954 – 1957 .

وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى زج به في السجن وبقي به حتى سنة 1921 وبعد خروجه من السجن انعكف على صقل موهبته في الرسم والخط، ففي سنة 1931 نشأت بمدينة الجزائر مدرسة لتعليم فن التصوير والزخرفة العربية والشرقية، فاختير هو وأخوه محمد راسم ليدرسا فيها الخط العربي والزخرفة والمنمنمات، فباشرا التعليم فيها وتخرجت على أيديهما نخبة من شباب الفن المجيدين .[3]

و لم يزل عمر راسم بين أستاذيته للرسم ومقالاته في الصحف وأحاديثه في الإذاعة حتى توفي يوم الجمعة 13 فيفري 1959 وعمره 75 سنة كله عمل وإنتاج ودفن بمقبرة سيدي عبد الرحمن الثعالبي بالعاصمة .[4]

---

[1]- محمد ناصر :المرجع السابق ، ص 14.

[2]- المرجع نفسه، ص 14-15.

[3]- المرجع نفسه ، ص 15.

[4]- المرجع نفسه، ص 14 – 17 .

### * الكتاب:

اطلع محمد علي دبوز على عمل عمر راسم و وصفه بالرسالة أي التأليف الصغير، وقال عنه إنه مخطوط وهو بعنوان :" **تراجم بعض علماء الجزائر**. "

وكان الشيخ دبوز قد قرأ هذه الرسالة بقسنطينة سنة 1965، ونفهم من ذلك أن هذه الرسالة كانت في حوزة الشيخ النعيمي، وأن دبوز سمعها منه فسجلها على الشريط وانتفع بها[1].

من الأعلام الذين ترجم لهم عمر راسم في رسالته هذه : حمدان بن عثمان خوجة ومصطفى بن الخوجة وعبد الحليم بن سماية.

قال عن حمدان خوجة :" أما الوطني الكبير الشيخ حمان بن عصمان خوجة فلم يكن كاتبا سياسيا فقط بل كان عالما دينيا من أكابر علماء عصره قلد وظيفة التدريس في الجامع الجديد حيث كان يدرس التفسير والحديث، ولما منع من الدخول إلى الجزائر بعد سفره إلى باريس وتأليفه الكتاب الكريم ولي الترجمة عند السلطان محمود، وهو الذي أفتى من دون العلماء قاطبة باللباس الإفرنجي للعسكر العثماني، وجواز الكرنتينة وكتابه هذا موجود بالعربية والتركية، ولعله بخط يده عند السيد عمر خوجة الجلد في بيرماندرايس، واسمه إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراز من الوباء وهذا الكتاب متوج بقصيدة للمؤلف تصف حالة السلطان محمود وهي عند ابن شنب ولعل الكتاب موجود في خزانته."[2]

وقال عن مصطفى بن الخوجة :" الشيخ محمد بن مصطفى شاعر الجزائر في وقته وأفصح علمائها وأعلمهم بتراجم علماء الجزائر، كثير الاطلاع ولوع بالكتب العصرية، شغوف بمحبة الشيخ محمد عبده، وهو الذي أدخل مذهبه إلى الجزائر وعرّف الناس به وبجمال الدين الأفغاني وأصحابهما يعرف الشرق كأنه عاشره مائة سنة حلو الكلام كلن إذا خطب يستدل بالآيات والأحاديث كأن القرآن وكتب الآثار مرآة أمام عينيه." [3]

---

[1]– محمد علي دبوز: نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج 1، المطبعة التعاونية، دمشق: 1965، ص 132.

[2] – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 452.

[3]– محمد علي دبوز: المرجع السابق، ، ص 132.

و أضاف :" وكان الشيخ محمد بن مصطفى أديبا هجاء بمعنى الكلمة له مؤلفات عديدة منها كتاب الاكترات بحقوق الإناث كتبه في شبابه وكتاب إقامة البراهين العظام عن نفي التعصب الديني عن الإسلام وكتاب اللباب في أحكام الزينة والحجاب ورسالة في معنى الدين والفقه وغيرها كلها مطبوعة، وهو الذي صحح الكتب التي طبعت في مطبعة فنطانة، وفي مكتبة رودوسي كالجواهر الحسان وغيره، وهو الساعي في طبع كتاب الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض للحافظ السيوطي إلى آخر مآثره.

وهو أول من درّس وخطب في المنابر ضد البدع والخرافات ، وتمربيط الطرقية الضالة بعبارة أوضح وأفصح من عبارة بعض علماء هذا العصر، لأنه كان لا يخشى في الله لومة لائم إنه "ما عندو اكبير إلا الصاري" وكان محسودا من الجزائريين لأنه أعلمهم، له ديوان شعر وله نفائس في مآثر علماء الوطن، وله رسالة في تراجم علماء بلادنا كتبها للشيخ المكي بن عزوز كتبتها بخط يدي ولعلها ضاعت، وكان قد عزل من إدارة جريدة المبشر لأنه كانت تأتيه رسائل من محمد فريد، إن الشيخ محمد بن مصطفى هو أبو النهضة الحاضرة بلا منازع ولكن إخواننا ينكرون الجميل."[1]

وهكذا فقد حاول عمر راسم في تراجمه هذه أن يبث أفكاره السياسية والوطنية وبعض آرائه ومواقفه من قضايا عصره.

## 16* عبد الرحمن الجيلالي وكتابه ذكرى الدكتور محمد بن أبي شنب:

### * المؤلف:

***المؤلف:**

هو عبد الرحمن بن الحاج محمد بن الحاج بوعلام الجيلالي ، ويرجع نسبه الى الصحابي عثمان بن عفان ، ولد سنة 1908 م بمدينة الجزائر في عائلة متوسطة الحال، ودفعه والده إلى حفظ القرآن الكريم أولا على يد الشيخ محمد بن البشير البوزيري وهو أول شيوخه مع الشيخ مصطفى

[1]- محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج 1، ص 132.

مستكجي الحنفي المعروف بالقميحي خطيب الجامع الجديد، كما درس على الشيخ عبد الرحمن السمار الباش حزاب بجامع سفير[1] .

واستطاع عبد الرحمن الجيلالي ختم القرآن ثلاث مرات وهو لم يتجاوز 14 سنة ، ثم اتصل بعدد من مشايخ عصره لتلقي مختلف الفنون [2]، فدرس على عدة شيوخ في المساجد والزوايا، منهم عبد الحليم بن سماية و الشيخ المولود الزريبي الأزهري و الشيخ الحفناوي صاحب تعريف الخلف والشيخ إبراهيم بن حسن البوزياني الطولقي، ودرس كذلك على الشيخ محمد بن أبي شنب، و كانت ثقافة الجيلالي عصامية، وشملت التعمق في القرآن والحديث والأدب والتاريخ والفقه.

وقد أسندت له قراءة وترتيل وتجويد القرآن الكريم بالجامع الجديد الحنفي بالجزائر وكان عمره لا يتجاوز حينها العشرين.

كما أسندت له وظيفة دراسة البخاري رواية بسنده المتصل شيوخه، وذلك بمساجد الجزائر خاصة جامع سفير.

وتولى الخطابة والإمامة بجامع سيدي رمضان بعد وفاة الشيخ أبي يعلى الزواوي سنة 1952، وكان إضافة لذلك يلقي دروسا بصفة تطوعية في الفقه وعلم الكلام والتوحيد والعروض والحديث والتفسير واللغة في مختلف مساجد العاصمة.

وشارك الشيخ في إنشاء جمعيات عديدة بالعاصمة كجمعية الشبيبة الإسلامية بحي باب جديد بالقصبة ، وجمعية التربية والتعليم بحي المرادية وجمعية الهدى بربض القبة وجمعية مقاومة الكحول الإسلامية والجمعية الجزائرية وغيرها .[3]

وقد تولى التدريس في مدرسة الشبيبة الإسلامية أثناء إدارة الشاعر محمد العيد لها خلال الثلاثينات، كما درّس في المساجد الآتية بالعاصمة: الكبير والجديد وسيدي رمضان وسفيروكذلك في مدرسة الإحساس ومدرسة الهداية.[4]

---

[1] – محمد علي دبوز: المرجع السابق، ج 1، ص 133.

[2] – أبو بكر بن أحمد بوسام المالكي: إنباء الخلف برجال السلف، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص 114-115.

[3] – المرجع نفسه، ص 116.

[4] – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، ص 451.

### * الكتاب:

وضعه كما هو مبين في مقدمة طبعته الأولى في 24/ 02/ 1352 هـ/ 1932 م[1]، وتم طبعه بمدينة الجزائر سنة 1933 بعنوان:" ذكرى الدكتور محمد بن أبي شنب" كما أعيد طبعه بعد الاستقلال بعد أن أضاف إليه المؤلف بعض الإضافات [2]، وتناول فيه سيرة هذا العالم الجزائري فدرس أصله و أسرته ثم نشأته ودراسته ورحلته في طلب العلم، ثم بيّن معارفه واجتهاده ومناصبه ثم انتدابه للمؤتمرات العلمية والامتحانات الرسمية وذلك لثقة الإدارة الفرنسية فيه بسبب جديته ثم تعرض إلى مرضه الأخير ووفاته، وجنازته وتأبينه ثم عاد لذكر صفاته الذاتية وأخلاقه وسجاياه وبين في الأخير آثاره ومؤلفاته في التربية والتعليم والتاريخ والتراجم والسير واللغة والأدب وعرض بعضا من آثاره النثرية والشعرية .

وأما دوافع التأليف فذكر الجيلالي إنه قد جرت عادة بعض المؤلفين أن ينمقوا مقدماتهم ويبالغوا في مدحها وتزكيتها، أما هو فقد استغنى –كما ذكر– عن العناوين المزخرفة والمقدمات المنمقة، وذكر أن من بين الدوافع التي جعلته يقدم على هذا التأليف " أمرين جليلين: أولهما خدمة العلم والأدب الواضحين في حياة أعظم رجل عالم مسلم سخيت به الجزائر على أبنائها ... والثاني قياما بحق واجب وفرض محتم على الأمة الجزائرية نحوه عامة وعلى تلاميذه والمنتفعين بعمله وآثاره والمحافظين على منواله والمقتفين لأثره ومنهاجه خاصة".

وأما مصادر الكتاب فقد شكلت معاصرة المؤلف للمترجم له أهم مصدر في هذا الكتاب، إضافة إلى المراجع التي أشار إليها في هذه الدراسة، وهي مؤلفات الأستاذ ابن أبي شنب المختلفة و الجزء الثاني من تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، طبع المنار بمصر سنة 1344 هـ/ 1925 م ، وتقويم المنصور لأحمد توفيق المدني 1348 هـ/ 1929 م، والجزء الأول من تاريخ مكناس لعبد الرحمن زيدان طبعة الرباط سنة 1347هـ/1928م والجزء الثاني من شعراء الجزائر في العصر الحاضر للسنوسي[3].

[1]- عبد الرحمن الجيلالي : ذكرى الدكتور محمد بن أبي شنب،الجزائر، 1933 ، ص 32.

[2]- نشره بعنوان جديد هو : محمد بن أبي شنب، حياته وآثاره، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

[3]- عبد الرحمن الجيلالي : ذكرى الدكتور محمد بن أبي شنب، ص 33.

## 17* محمد بن عبد الكريم البكراوي وكتابه جوهرة المعاني في تعريف ما ثبت لدي من علماء الألف الثاني:

* **المؤلف:**

هو محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق[1] البكري الأدراري[2] وصفه الشيخ باي بلعالم بـــ" العلامة النحرير والفقيه الشهير ،وقال أنه كان إماما مقدما عارفا زاهدا سخيا متواضعا. [3] ووصفه صاحب النبذة بـــ" المؤرخ الكبير والقاضي العدل " [4] وقال عنه محمد العالم البكراوي نزيل المنيعة أنه كان عالما بالتاريخ والأنساب وفقيها مدققا وباحثا مجتهدا ، ونحويا متضلعا وأديبا متمكنا ولغويا قادرا ، والحاصل أنه كان موسوعة علمية بالمعنى الكامل [5].

ولد سنة 1300هـــ/1882م[6] بتمنطيط [7] ودرس على عدد من المشايخ منهم : والده عبد الكريم و والشيخ عبد الواحد حفظ عليه القرآن الكريم [8] و الشيخ عبد الله بن أحمد الحبيب البلبالي.

وتصدى للتدريس فيما بعد ومن تلاميذه : أخوه عبد الحق[9] كما تقلد خطة القضاء بتيمي بعد وفاة القاضي عبد الرحمن (أبو زيد) بن عبد الله بن أحمد الحبيب ومارس هذه الوظيفة إلى وفاته سنة [10] وتولى قضاء الجماعة بتوات سنة 1932م [11] وكانت فترة توليه القضاء من سنة 1354 إلى غاية سنة 1374 هـــ.

---

[1]- محمد باي بلعالم: الرحلة العلية، ج2 ص 212 .
[2] - بشير ضيف:فهرست معلمة التراث، ج3 ص 59.
[4]- محمد باي بلعالم: الرحلة ج2 ص214.
[4] - عبد الحميد بكري: النبذة ص 191.
[5]- المرجع نفسه، ص 193.
[1]- جعفري: ابن أب حياته وآثاره ص 318.
[7]- عبد الحميد بكري: المرجع السابق، ص 191.
[8]- المرجع نفسه، ص 71.
[9] - المرجع نفسه، ص 72.
[10] - محمد باي بلعالم: الرحلة ج2 ص214.
[11]- جعفري: المرجع السابق، ص 318.

قال الشيخ باي :وممن عرفته من المشايخ وجلست معه أثناء زيارتنا لتمنطيط الشيخ محمد بن عبد الكريم القاضي" وذكر مؤلفاته : إلى أن قال :"ولقد تلاقيت معه مرارا وآخر ملاقاتي معه في زاوية الرقاني، و سافر إلى الحج سنة 1368هـ/1948 م.

***مؤلفاته:**

له الكواكب البهية في المناقب البكرية مخطوط، وكتاب جوهرة المعاني في تعريف ما ثبت لدي من علماء الألف الثاني وهو مخطوط، وكتاب درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام مخطوط، وحاشية على شرح السيوطي لألفية بن مالك مخطوطة، ومرثية رثا بها شيخه عبد الله بن أحمد الحبيب البلبالي وغير ذلك من الأشعار والقصائد والتقاييد المفيدة النفيسة، [1] وتوفي المؤلف بتمنطيط أدرار ظهر يوم الأحد 25 من ذي الحجة سنة 1374هـ[2]

*** الكتاب:**

هو مصدر هام في تراجم علماء توات ترجم في كتابه هذا لحياة 27 عالما، و امتاز المؤلف بالدقة في ذكر تواريخ ميلاد ووفاة كل واحد منهم، إلا أولئك الذين لم يعثر لهم على تواريخ فيقول مثلا: " و لم نقف على ضبط وفاته على التحقيق" وهو مصدر هام من مصادر التاريخ الثقافي لإقليم توات.

ابتدأ المؤلف كتابه بالعبارة التالية: "بسم الله الرحمن الرحيم ترجمة محمد العلامة السيد محمد البكري بن عبد الكريم الأمريني السيخ الإمام العلم الهمام السيد الرباني، العالم النوراني، تاج الدين أبو المواهب كان –رحمه الله– شيخا عارفا عالما عاملا، متقنا في علوم شتى، قاضي الصحراء...."إلخ.

وكانت أول ترجمة في الكتاب هي ترجمة محمد البكري بن عبد الكريم الأمريني، وختمه بترجمة: أحمد بن يوسف التنلاني، وهو يصدر كل ترجمة بقوله:" ترجمة..." و في كل آخر ترجمة يذكر تاريخ الميلاد وتاريخ الوفاة للمترجم غالبا، أويكتفي بذكر واحد منهما فقط. أما العلماء الذين ذكرهم في ضمن التراجم من شيوخ المترجم لهم والآخذين عنهم فهم كثيرون لا يمكن إحصاؤهم ففي كل ترجمة ذكر علماء أخذ عنهم المترجم وعلماء أخذوا عنه".

---

[1]– عبد الحميد بكري: المرجع السابق، ص 194.

[8]– محمد باي بلعالم: الرحلة ج2 ص214.

وكان يستعمل السجع كثيرا في وصفه للعلماء، كقوله عن العالم الحسن بن بومدين التمنطيطي : " الفقيه النبيه العلامة الوجيه ذي المآثر الجليلة والخصال الجميلة." [1]

وذكر مجموعة من مؤلفات هؤلاء العلماء كنوازل غنية الشورى للبلبالي، وقوله عن الشيخ عبد الله بن عبدالله البكري أن له شرحا على ابن جماعة، وحاشية على مختصر خليل، كما أن له "تقاييد في غاية الحسن"[2] وذكر المجالس العلمية التي كان يعقدها علماء توات[3].

وذكر أن للعالم محمد بن أب الزموري نظما لابن آجروم في النحو وشرحا على همزية البوصيري وشرح لامية المجرادي في الجمل[4].

وأما عن مصادر الكتاب فهي المصادر الشفهية المتواترة بين العلماء كقوله مثلا:" وشهد العدول.." أو :" نقل عن بعض الثقات [5] واعتمد على ما رواه له والده وكان يقول : "حدثني سيدي والدي[6] كما اعتمد على من سماه شيخ الصوفيين والعروضيين سيدي محمد البكري.[7]

كما اعتمد على بعض التقاييد المحلية بخط الشيخ سيدي محمد ين عبد الكريم في مناقب العلماء[8] واعتمد على مخطوط بخط الشيخ عبد الحميد.[9]

و ذكر في كتابه هذا عددا من المسائل الفقهية التي تناولها علماء توات كمسالة الجنب يجد المصحف في المزبلة هل يخلصه قبل التيمم أو يتيمم؟

ومما يلاحظ أن بعض تراجم الكتاب لا تخص أهل القرن الثاني عشر الهجري فقد أورد فيه بعض تراجم أهل القرن 13 هـ/ 19 م كالشيخ عبد الله بن أحمد الحبيب البلبالي[ 1250 هـ/

[1] - محمد بن عبد الكريم البكراوي :جوهرة المعاني في تعريف ما ثبت لدي من علماء الألف الثاني، مخطوط، ص 10.
[2]- المصدر نفسه، ص 10-11.
[3] - المصدر نفسه، ص 12.
[4] - المصدر نفسه، ص 11.
[5]- المصدر نفسه ، ص 36.
[6]- المصدر نفسه، ص 8-9.
[7]- المصدر نفسه، ص 3.
[8]- المصدر نفسه، ص 10-11.
[9]- المصدر نفسه، ص 44.

1834 م- 1329 هـ/ 1911 م] [1] وترجمة لعالم من القرن 10 هـ/ 16 م هو عبد الكريم بن امحمد ين أبي محمد التواتي .

قال الشيخ باي الذي نسخ المخطوط[2] "هذا ما تيسر لنا استنساخه من مخطوط الشيخ محمد بن عبد الكريم البكراوي –جوهرة المعاني في تعريف ما ثبت لدي من علماء الألف الثاني، وآخر من ذكر ترجمة السيد أحمد بن يوسف التنلاني ، فيكون مجموع من ترجم لهم خمسة وعشرون عالما".

وورد في آخر كتاب جوهرة المعاني: "وفي تلك العشرين عاما نَحَتَ الفقاقير، وعمَّر البساتين، وبنى قصر تنلان، وجعل ذلك كله صدقة لوجه الله، كصدقة سيدنا عمر بن الخطاب جزاه الله عن الإسلام خيرا وعن المسلمين آمين".

والمخطوط إضافة لكونه كتاب تراجم لعلماء الإقليم التواتي فهو تأريخ للمنطقة في ثلاثة قرون ومصدر هام للحياة الثقافية والاجتماعية بها.

## 18*يحي بوعزيز وكتابه الأمير عبد القادربطل الكفاح الجزائري

### *المؤلف:

هو يحي بن الحاج عبد الرحمن بوعزيز ولد سنة 1929 بقرية الجعافرة بولاية برج بوعريريج، حفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ اللغة العربية على يد والده الحاج عبد الرحمن، والتحق سنة 1949 بجامع الزيتونة بتونس، وفي سنة 1962 نال شهادة الليسانس من جامعة القاهرة، وفي سنة 1976 تحصل على شهادة دكتوراة دولة في التاريخ بجامعة الجزائر العاصمة .[3]

كان بوعزيز عضوا في المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر، وأستاذا للتاريخ بجامعة وهران وكاتبا في جريدة الشعب، وله عدد من الكتب والدراسات منها : ثورات الجزائر في القرنين 19 –

[1]– محمد بن عبد الكريم البكراوي :جوهرة المعاني، المصدر السابق ، ص 16.

[2] – محمد باي بلعالم: الرحلة ج2 ص228.

[3] – بوعزة بوضرساية: رواد المدرسة التاريخية الجزائرية، دار الحكمة، الجزائر:2007، ص 261.

20 م، وكفاح الجزائر من خلال الوثائق، وتوفي يحي بوعزيز يوم الأربعاء 07 نوفمبر 2007 بمدينة وهران عن عمر يناهز 78 سنة .[1]

### * الكتاب:

ظهرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب في تونس سنة 1957م، وكان المؤلف حينذاك مقيما بها للدراسة، وقد جاء الكتاب في 196 صفحة من الحجم الصغير.

و قسّم الكتاب إلى أربعة أقسام، تحدث في الأول منه الذي سماه " الأمير الفتى " عن نشأته وبيعته وعقده اتفاقية دي ميشيل مع الفرنسيين، ثم نقض الهدنة وتجدّد المعارك ، ثم إبرام معاهدة التافنة ونقضها فيما بعد، واتصال الأمير بالمغرب الأقصى كمحاولة للحصول على الدعم العسكري، ثم نهاية المقاومة وسجن الأمير بقصر أمبواز في باريس، ثم إطلاق سراحه فيما بعد ورحيله إلى بلاد الشام، ومشاركته في إخماد الفتنة الطائفية بدمشق سنة 1860 م، ورحلاته إلى الحجاز واسطنبول وفرنسا ولندن، ومشاركته في حفل افتتاح قناة السويس ثم مرضه ووفاته[2].

وفي القسم الثاني الذي سماه :" الأمير البطل " تحدث عن شخصية الأمير ومواقفه الإنسانية ونظم دولته الإدارية، ومجلسه الشوري ومناصب الوزارات في دولته، والوظائف الأخرى، وتقسيم البلاد إلى مقاطعات، والنظام العسكري وكذا النشاط الدبلوماسي مع تقديم بعض النماذج من رسائله، ثم عرّج على ذكر بعض ما يؤاخذ عليه الأمير، وموقف الرأي العام الفرنسي من أحداث الجزائر[3].

وفي القسم الثالث الذي حمل عنوان:" الأمير العالم " تطرق المؤلف إلى معارف الأمير ومؤلفاته وسير التعليم ونظامه في دولته.[4]

---

[1] – بوعزة بوضرساية: المرجع السابق، ص 278.

[2] – يحي بوعزيز: الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، ط2، دار الكتاب الجزائري، الجزائر:1964، ص15-60.

[3] – المصدر نفسه، ص 61-128.

[4] – المصدر نفسه، ص129-146.

وكان القسم الرابع والأخير عن :" الأمير الشاعر " تحدث فيه المؤلف عن كفاح الأمير القولي وأغراضه الشعرية وشعره الحماسي، وقدّم منتخبات من شعره، وأنهى كتابه بخاتمة سماها في ذكرى الأمير[1].

وكان اعتماد المؤلف على عدد من المصادر العربية والفرنسية، من العربية كتاب تحفة الزائر والاستقصا وغيرها، و من الفرنسية كتاب بول آزان عن الأمير وبعض الأرشيفات والوثائق الفرنسية[2]، وهكذا جاءت دراسته جادة وموضوعية، غطت جوانب مختلفة من حياة الأمير وشخصيته.

## المبحث الثالث مؤلفو السِّيَر الذاتية:

### 1* محمد عبد الرحمن بن محمد بن زيان بن عبد الله وكتابه الياقوتة:

#### * المؤلف:

هو محمد عبد الرحمن بن محمد بن زيان بن عبد الله، والده هو الفقيه الإمام المدرس محمد بن زيان بن عبد الله بن العربي بن أبي سماحة بن عبد القادر بن عيسى بن عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة المتوفى سنة 1890 ودفن داخل مسجد الزاوية المجاور للضريح.[3]

ولد المؤلف سنة 1850 وأخذ عن والده أول حياته، ثم انتقل في طلب العلم إلى زاوية سيدي الغازي بتافيلالت بالمغرب الأقصى، وبعد عودته اشتغل بالتدريس والإمامة وتلقين أوراد الطريقة الشيخية و الطيبية والقادرية، وتولى خدمة الزاوية وقال في ذلك " ما نلته من الخير كان بسبب خدمة زاوية سيدي سليمان " [4] وكان مقدما في الرماية وشارك في مقاومة الشيخ بوعمامة

---

[1]– يحي بوعزيز: الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص 147-180.

[2]– المصدر نفسه، ص 189-191.

[3]– عبد الله طواهرية : جامع التصنيف في أحوال حاضرة بني ونيف، دار الهدى، الجزائر2006، ص 148.

[4]- المرجع نفسه، ص 149.

وشهد معه إحدى معركتي فندي، توفي سنة 1924 ودفن ببني ونيف في مقام سيدي سعيد الواقع جنوب غرب القصر.[1]

و للمؤلف بنتان وعشرة أولاد تولى بعضهم خدمة الزاوية، وأخذ عنه الشيخ بوعمامة والسيد الطيب بن عبيد، والسيد بوسطيلة، ومن النساء السيدة مريم بنت عبد القادر الحرمية وسكن طيلة حياته دار المولى الصالح الشيخ سيدي عيسى بن طالب.[2]

### * الكتاب:

الياقوتة[3] هي سيرته الذاتية وتفاصيل توليه خدمة الزاوية وبها جملة من القصائد الملحونة، وذكر فيها أنواع العلوم والمعارف التي استفادها من أسلافه " سيدي سليمان وسيدي عبد القادر بن محمد وسيدي الغازي وذكر "الكرامات التي رآها منهم، و بنى مقام سيدي سعيد، وقال في ذلك "إنه كان بإشارة من جده سيدي سليمان ودفن فيه بعد موته ودفن إلى جانبه ولده السيد سليمان المتوفى سنة 1926 " .[4]

## 2* السيرة الذاتية للشيخ قدور بن عاشور:

### *المؤلف:

ولد الشيخ قدور بن أحمد بن قدور بن محمد الذي ينتهي نسبه إلى أحمد البجائي، بندرومة سنة 1267 هـ/ 1850 م ولقبه في الحالة المدنية عاشور، ونشأ في كنف عائلة فقيرة فتعلم بالكُتّاب ونال حظا من المعارف الفقهية والأدبية، وكان ميله للتصوف واضحا، كما بدا منجذبا بالشعر الملحون الذي ترك فيه قصائد كثيرة لا تزال مخطوطة، ورغم اهتمامه بالتصوف إلا أنه لم يؤسس

---

1- عبد الله طواهرية :المرجع السابق ، ص 150-151.

2- المرجع نفسه، ص 151

3- نوضح هنا أن هناك كتاب في التصوف بنفس العنوان لصاحبه عبد القادر بن أبي سماحة.

4- عبد الله طواهرية : المرجع السابق، ص 152.

زاوية كما فعل عدد من معاصريه، وانقطع للتصوف والتأليف وكان من بين مؤلفاته مخطوط حوى سيرته الذاتية بطريقة مفصلة ، وتوفي الشيخ قدور بن عاشور سنة 1356 هـ/ 1938م.[1]

***الكتاب:**

قام بنسخه عبد العزيز عاشور - وهو أكبر أنجال الشيخ قدور- بنسخ هذا المخطوط بتاريخ 13 ماي 1957 وقد كان آنذاك محاميا لدى المحكمة العليا بالعاصمة، وكان الأستاذ عبد العزيز مزدوج اللغة، و قام سنة 1920 بترجمة قصيدة أخبار الرأس في مجلة العالم الإسلامي الفرنسية.

ووضع للمخطوط عنوانا من عنده هو : **"مناقب الشيخ الكامل إمام العارفين ورئيس الأولياء والصالحين الغوث الوحيد والقطب الفريد سيدنا ومولانا قدور بن عاشور الندرومي الزرهوني الإدريسي** " والمخطوط به 124 صفحة ، و جاء تحريره في صيغة المتكلم وبخط الأستاذ عبد العزيز عاشور بن قدور.[2]

والسيرة التي سميت المناقب هي عبارة عن رسالة غير مؤرخة مبتورة الآخر، وهي مرافعة احتجاجية دفاعية، اضطر الشيخ لتحريرها وإرسالها إلى صديقه الحاج محمد بن علي بن يلس التلمساني.

وكان هذا الأخير قد بعث من الشام -حيث كان مستقرا- برسالة إلى جماعة أصدقاء الشيخ عاشور فاستاء منها هذا وقرر الرد عليها فجاء رده على شكل سيرة ذاتية دوّن فيها مراحل حياته من مولده وحتى ذلك التاريخ[3].

---

[1]- محمد بن عمر الزرهوني:"ذكرى الذاكر المذكور الشيخ قدور بن عاشور"، مجلة الثقافة، السنة 19، ع 103، يوبيو- أغسطس 1994، ص 125.

[2]- محمد بن عمر الزرهوني: المرجع السابق ، ص 126.

[3] – المرجع نفسه، ص 155-156.

وتشتمل السيرة الذاتية على أخبار الشيخ وأوصافه، وذكر طرف من أخبار أسرته، وأحوال المجتمع على عهده والتيار الصوفي السائد بندرومة حينذاك، وانتماء الشيخ لهذا التيار وميله للقصائد وخصوصا منها المتعلقة بمدح الرسول " ص " .[1]

وهي بذلك تحتل مكانة هامة في هذه المرحلة التاريخية، إذ تعبر عن الفكر السائد في الغرب الجزائري خلال منتصف القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

## 3* العربي بن التباني[2] وسيرته الذاتية:

ألفه سنة 1950 وهو مخطوط حصلنا على نسخة مكتوبة منه على الوورد بزاوية بلعيساوي ببرج بوعريريج، والمعروف أن صاحب الزاوية هو خال الشيخ العربي بن التباني ولذا فإن عددا من مؤلفاته لا تزال موجودة هناك.

ويورد في هذا المخطوط سيرة حياته فيذكر نسبه العربي، ثم يذكر حفظه للقرآن و تعليمه وقراءته لبعض المتون التي حفظها، ويذكر عددا من مشايخه الذين قرأ عليهم من أمثال الشيخ عبد الله بن القاضي اليعلاوي[3].

وانتقل للحدبث عن رحلته لتونس، فمكث فيها أشهرا حضر فيها دروسا في النحو والفقه والصرف، ودروسا في التجويد، وتوجهه بعد ذلك للحجاز، واستقراره بالمدينة، ودراسته على الشيخ حمدان الونيسي، والشيخ الوزير التونسي وغيرهم ثم رحلته للشام بعد ثورة الشريف حسين وعودته بعد ذلك للحجاز[4] .

وتكلم عن مزاولته للتعليم للإفادة والاستفادة، كما قال، وختم هذه السيرة الذاتية بتعداد بعض مؤلفاته، وقد حررت هذه السيرة كما ذكر هو في 25 جمادى الأولى عام 1370 هـ/ 1950 م .[5]

---

[1]– محمد بن عمر الزرهوني: المرجع السابق، ص 160.

[2] – سبق التعريف به في الفصل الأول.

[3] – محمد العربي بن التباني : السيرة الذاتية، مخطوط مكتوب على الوورد بزاوية بلعيساوي ببرج بوعريريج، ص 1.

[4]– المصدر نفسه، ص 1-3.

[5] – المصدر نفسه، ص 3-5.

## المبحث الرابع: كتّاب المذكرات:

تدخل المذكرات في صنف التراجم الشخصية والسير الذاتية، فالمؤلف في هذه الحالة يُعرّف بنفسه، ويودع في كتاباته كثيرا من تجارب حياته وأحوالها وتجاربها، وكانت بعض هذه المذكرات قد كتبها أو أملاها بعض رجال السياسة والحرب كالحاج أحمد باي قسنطينة، وسي عزيز أحد أبرز قادة ثورة 1871 م.

وكتابة المذكرات عمل جديد في الحياة الفكرية والسياسية بالجزائر، وذلك بالرجوع بحياة الإنسان إلى الوراء ومراجعة أعماله، وروايته أخباره في صورة ذاتية تعتمد القص والتدخل الشخصي.[1]

### 1* الحاج أحمد باي قسنطينة و مذكراته:

#### * المؤلف:

هو أشهر بايات قسنطينة، أبوه محمد الشريف الذي تولى منصب خليفة على عهد الباي حسن، أما جده فهو أحمد القلي الذي حكم بايلك الشرق لمدة 16 سنة ، أما أمه فتدعى الحاجّة الشريفة من عائلة ابن قانة ، أحد أكبر مشائخ عرب الصحراء مالا و جاها، لذلك يصنف أحمد باي كرغليا – من أب تركي وأم جزائرية – وقد ولد بقسنطينة حوالي عام 1786 و كان يكنّى باسم أمه، فيقال له الحاج أحمد بن الحاجة الشريفة.[2]

تربى يتيم الأب بعد أن مات والده مخنوقًا وهو في سنّ مبكرة، وكان لزامًا على أمه في ظل هذه الظروف القاسية أن تفر به من قسنطينة إلى الصحراء بعيدا عن الدسائس، خوفًا من أن يلقى نفس المصير الذي لقيه أبوه، وقد وجد أحمد باي كل الرعاية من لدن أخواله في الزيبان ، وحظي بتربية سليمة ، حفظ القرآن منذ طفولته وتعلم قواعد اللغة العربية، مما زاد لسانه فصاحة، وتكوينه سعة حيث أخذ خصال أهل الصحراء من كرم وجود وأخلاق، فشب على ركوب الخيل و

---

[1] – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 450.

[2]– عبد الكريم بو الصفصاف وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنن التاسع عشر والعشرين ، ج 1، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفسفية، جامعة منتوري، قسنطينة: 2002، ص 177.

تدرب على فنون القتال فانطبعت على شخصيته صفة الفارس المقدام ، وفي سن الثانية عشرة من عمره أدى فريضة الحج -ومنذ ذاك أصبح يلقب بالحاج أحمد -وفي طريق العودة مكث بمصر مدة اكتسب من خلالها المعارف و التجارب بما كان له الأثر البارز في صناعة مواقفه.[1]

تولى منصب قائد قبائل العواسي، وبعد تخليه عن هذا المنصب لمدة من الزمن استدعاه نعمان باي وعيّنه مرة أخرى قائدًا للعواسي لخبرته في الميدان، وترقى الحاج أحمد إلى منصب خليفة على عهد الباي أحمد المملوك، واستطاع المحافظة على هذا المنصب إلى أن نشب خلاف بينه بين الباي إبراهيم حاكم بايلك الشرق الجزائري ما بين 1820و1821، مما أدى إلى عزله، وخوفا من المكائد والاغتيال غادر قسنطينة في اتجاه الجزائر ، خاصة وأن إبراهيم هو الذي دبّر لأحمد باي المكيدة واتهمه بتعامله مع باي تونس ضد الجزائر، إلا أن الداي حسين كشف الحقيقة وأمر بقتل إبراهيم باي عام 1821.[2]

بقي الحاج أحمد في العاصمة ثم أبعد إلى مليانة ، ومنها انتقل إلى البليدة ، حيث عاصر الزلزال الذي خرب المدينة وهدّمها في 2 مارس 1825، ولعب أثناءها دورا هاما في عملية الإنقاذ إلى درجة أن أعجب الآغا يحي– قائد الجيش –بخصاله ونقل هذا الإعجاب إلى الداي حسين.[3]

وبوساطة من الآغا يحي، عينه الداي حسين بايا على بايلك الشرق في عام 1826، حيث شهدت قسنطينة استقرارا كبيرا في عهده ابتداء من توليه منصب الباي إلى غاية عام 1837 تاريخ سقوط قسنطينة تمكن خلالها من توحيد القبائل الكبيرة والقوية في الإقليم الشرقي عن طريق المصاهرة، فلقد تزوج هو شخصيًا من ابنة الباي بومزراق باي التيطري ومن ابنة الحاج عبد السلام المقراني، كما شجّع كثيرا ربط الصلة بين شيوخ القبائل أنفسهم بالمصاهرة.[4]

---

[1] - صالح فركوس: الحاج أحمد باي قسنطينة 1826-1850 ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 1993، ص 20-21.

[2] -E. Vayssette : Histoire de Constantine sous la domination turque, édition Bouchene, Paris : 2000 , p .230

[3] E. Mercier : Histoire de Constantine, édition Marle, Constantine : 1903, p 371.

[4] -Ibid,p371-372.

وبقي الحاج أحمد باي مقاوما حتى بعد سقوط قسنطينة، حيث فضل التنقل بين الصحاري والشعاب والوديان محرضا القبائل على المقاومة إلى أن وهن ساعده وعجز جسده ، فسلم نفسه في 5جوان 1848 و أحيل على الإقامة الجبرية في العاصمة إلى أن وافته المنية عام 1850، و يوجد قبره بسيدي عبد الرحمن الثعالبي بالعاصمة[1].

*** الكتاب:**

أملى الحاج أحمد باي مذكراته التي كتبها مترجمة De Rouze وهي عبارة عن سرد للأحداث التي جرت بين الجزائريين والفرنسيين من سنة 1830 إلى سنة 1848 وهي تحتوي إلى جانب ذلك على آراء الحاج أحمد باي وسياسته في الحكم، وفي مفاوضته للفرنسيين، وعلاقته الداخلية مع وعماء المعارضة ومع اليهود، وعلى موقفه من باي تونس والسلطان العثماني.[2]

تحدث الحاج أحمد باي في بداية مذكراته عن سفره للجزائر لأداء ضريبة الدنوش، و تزامن ذلك مع إنزال الحملة الفرنسية في سيدي فرج، ومشاركته في أعمال المقاومة مع عدد من القبائل والأعيان[3].

وذكر نصائحه للآغا ابراهيم بمواجهة الفرنسيين حال نزولهم، وكيف أن الآغا تجاهل تلك النصائح فوقعت الكارثة، واستسلم داي الجزائر للفرنسيين بعد سقوط العاصمة.

ثم ذكر انسحابه على قسنطينة عن طريق البيبان، والمؤامرة التي دبّرها الأتراك ضده عند وصوله، وكيف تمكن بمساعدة أعيان البلد من إحباطها [4].

---

[1]- صالح فركوس: المرجع السابق ، ص 76.

[2]- عبد الكريم بو الصفصاف وآخرون: معجم أعلام الجزائر، ج1، المرجع السابق، ص 180.

[3]- أحمد باي: مذكرات الحاج أحمد باي، تعريب محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1971، ص 11-13.

[4]- المصدر نفسه، ص 14-15.

وانتقل للحديث عن مجهوداته في مقاومة الفرنسيين عند حصارهم لقسنطينة الحصار الأول سنة 1836 [1] وكيف أن هؤلاء تمكنوا بعد ذلك من الاستيلاء عليها سنة بعد ذلك نتيجة تفوقهم العددي[2].

واستمر في سرد الأحداث التاريخية التي أعقبت سقوط قسنطينة، فذكر لجوءه إلى الصحراء واستمراره في المقاومة ،ومراسلته للباب العالي، وموقف بعض القبائل المتخاذل إزاءه، ثم انقلاب أخواله بن قانة وموالاتهم للفرنسيين، وتضييق الخناق عليه بعد ذلك مما أدى الى استسلامه[3].

ويذكر الباي نقله مع عدد من أعوانه الى قسنطينة، وحفاوة الاستقبال الذي حضوا به من أعيان البلد، ثم ترحيلهم الى سكيكدة، ومنها ركبوا سفينة الى مدينة الجزائر التي وصلها في 17 رجب 1264 هـ/ و ظل سجينا بها إلى غاية وفاته[4].

وقال الباي إنه تلقى الوعود من الإدارة الفرنسية بإطلاق سراحه وإنه لا يزال ينتظر تطبيقها " وكله ثقة في الله وخضوع لإرادته." [5]

وأخيرا فإن الأسلوب الذي كتبت به مذكرات الحاج أحمد باي، والمعلومات والآراء التي احتوتها، كلها تجعلها تحتل مكانة هامة بين المذكرات التاريخية الجزائرية، رغم ما فيها من ثغرات في سرد الأحداث، و تبقى رغم ذلك مادة خصبة، فهي تضم معلومات تاريخية وجغرافية وشخصية هامة تلقي الضوء على حياته وعصره[6].

## 2* سي عزيز بن الشيخ الحداد ومذكراته

### * المؤلف:

هو سي عزيز بن الشيخ محمد أمزيان بن علي الحداد، أحد أبرز قادة ثورة 1871 ، ولد حسبما ورد في محضر محاكمته بعد انتهاء الثورة حوالي سنة 1830 م، ويبدو أنه نال حظا من

[1]– أحمد باي:المصدر السابق ، ص 16-33.
[2]– المصدر نفسه، ص 48-52.
[3]– المصدر نفسه، ص 63-87.
[4]– المصدر نفسه، ص 98-100.
[5] – المصدر نفسه ،ص 102.
[6] – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 453.

التعليم التقليدي في زاوية والده، وتزوج من ثلاث نساء كان له منهن أربعة أولاد، وكان شديد الحماس، وعمل بكل مجهوده لإنجاح الثورة، فهو من قام بإبلاغ إعلان الجهاد الذي أصدره والده إلى كل الجهات، وقاد بنفسه جماهير الإخوان في المعركة ضد الفرنسيين وأعوانهم، وكتب آلاف الرسائل باسم أبيه لجلب الأنصار للثورة في القبائل الصغرى، واشترك مع أخيه محمد في مهاجمة يمولة وقصر القايد وفرض الضرائب على الناس.[1]

وبعد فشل الثورة اعتقل مع والده وأخيه محمد، وحكم عليه بالنفي خارج البلاد ، أما والده فلم يعش إلا أياما بعد صدور الحكم، وتوفي بسجن الكدية بقسنطينة مساء الاثنين 29 أفريل 1873 وحُكم على محمد بالسجن الانفرادي عشر سنوات، ثم عُدّل إلى النفي إلى كاليدونيا الجديدة.[2]

وقضى سي عزيز وأخوه بضع سنوات في المنفى، وفي حين ركن محمد للدعة والاستسلام للظروف، فإن سي عزيز جعل يراسل عددا من أقاربه وأصدقاء أبيه، وفي سنة 1881 صدر العفو عليه، ولكنه مُنع من العودة للجزائر، فركب خفية سفينة إنجليزية في شهر ماي من نفس السنة اتجهت إلى مدينة سيدني بأستراليا، ومن هناك واصل رحلته في منتصف شهر جوان إلى جدة بالحجاز، واستقر أخيرا بالحجاز، وظل يتردد بين جدة والمدينة، وتعرّف هناك على عدد من زعماء العالم الإسلامي، وحاول الاتصال بقنصل فرنسا في جدة ليحصل منه على إذن بالدخول للجزائر ولكنه لم ينل مراده.

وظل سي عزيز بالحجاز طوال عقد الثمانينات من القرن 19 م ، وفي التسعينات من ذلك القرن حصل له أحد أبنائه على إذن العودة للجزائر، فعاد عن طريق فرنسا ولما وصل إلى مرسيليا توفي بها، وشاع بين أفراد عائلته أنه توفي مسموما.[3]

---

[1]- يحي بوعزيز : وصايا الشيخ الحداد ومذكرات ابنه سي عزيز ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 43.

[2]- المرجع نفسه، ص 45.

[3]- المرجع نفسه ، ص 48 – 49.

* **الكتاب:**

نشرت مذكرات سي عزيز بن الشيخ الحداد أول مرة بالفرنسية سنة 1873 وقام بنشرها الترجمان إرنست ميرسيي Ernest Mercier بعنوان " مذكرات متهم" [1] وقام الأستاذ يحي بوعزيز بتعريبها ونشرها مع بعض رسائل الشيخ الحداد.

والمذكرات في الأساس هي عريضة دعوى كتبت في 3 جانفي 1873 تحدث فيها سي عزيز الحداد عن عدد من الحقائق التاريخية، وبين موقفه من بعض القضايا، وقد استهلها بتبيان سبب تحريرها وهو " أن يطلع عليها ويتصفحها ممثلو السلطات الحكومية، ويعرفوا ما تتضمنه من الأحداث التي تم إخفائها " ثم انتقل للحديث عن الظلم الذي حيق بمن شاركوا في ثورة 1871 وعدم تطبيق العدالة في مجال العقوبات، وكان يقصد بن علي الشريف الذي لم ينل — حسب سي عزيز– العقاب العادل.

وتحدث سي عزيز عن بن علي الشريف، والمنصب الذي تولاه وهو باشاغا شلاطة، والراتب الكبير الذي كان يتلقاه من الحكومة الفرنسية، وبالكتاب تفاصيل كثيرة عن مواقف هذا الأخير، حيث ذكر استسلامه للفرنسيين في عهد الماريشال بيجو، وعرض الفرنسيين عليه منصب قايد على بلولة وبني عيدل، ونيله منصب باشاغا شلاطة[2].

وذكر مشاركته مع الثوار وبوبغلة، ثم هجوم هذا الأخير على منطقته، وما سماه تآمر قبائل زواوة، وإعداده للثورة مع المقراني واعتزامهما الانتقال للجزائر[3].

وتطرق لاجتماع القياد لديه في شلاطة عام 1871 لعقد الصلح، ووضع حد للتوتر الحاصل في المنطقة، وذكر المؤلف أسماء عدد من القتلى والجرحى من الذين ثاروا عام 1871، كما أورد كشفا بأسماء زعماء قبيلة يلولة الذين تقابلوا مع شقيق الباشاغا ورغبوا في محاربة الفرنسيين[4].

---

[1]-Ernest Mercier :Insueection de 1871 : Memoire d'un accusé, imprimerie Marle, Constantine 1873.

[2] – يحي بو عزيز: وصايا الشيخ الحداد ، ص 84-86.

[3]– المرجع نفسه ، ص 87-88.

[4] – المرجع نفسه، ص 93-96.

وانتقل للحديث عن أسباب ثورة أسرة الحداد وأخطاء بن علي الشريف، وتخلي المكاتب العربية عن إدارة البلاد التي آلت شؤونها للمستوطنين، وفرار بن علي الشريف واشتراكه في الثورة وعزمه على الهجرة إلى تونس، ولقاء المؤلف به والحوار الذي دار بينهما[1].

وقارن سي عزيز بعد ذلك بين ثورة 1871 والثورات التي سبقتها، وقال أنه عمل خلال تلك الثورة على حماية أملاك المستوطنين، وأكّد أن أسرته لم تقم بأعمال السلب والنهب، وعاد بعد ذلك فذكر أسماء القياد الذين تعاملوا مع المقراني [2].

انتقل سي عزيز بعد ذلك للحديث عن أصل أسرته، وميلاد والده ونشأته، وتأسيس زاوية صدوق وسبب تسميتهم بالحدادين، كما تطرق لأصل بن علي الشريف الذي قال إنه يدعي النسب الشريف.[3]

وقدّم المؤلف رأيه في أصل سكان الجزائر، وذكر إنه لا ينبغي للحكومة أن تعاقب عائلة الحداد، وذكر اعتداء حاكم بجاية على الأسرة[4].

وقال في الأخير أن ثورة أسرته ليست كثورة الآخرين، ويقصد هنا بن علي الشريف الذي وصفه بالخداع والغش، وعاد فأكد أنه ينبغي معاقبة الحكومة وليس أسرة الحداد، ثم استطرد فذكر عدم ملائمة المدن لسكنى عرب البادية.[5]

## 3* الطاهر بن عبد السلام ومذكراته:

### * المؤلف:

ولد الطاهر بن عبدالسلام بن إبراهيم بن محمد بن صالح سنة 1308 هـ/ 1890 م في سوق أهراس من أبوين فقيرين، فقد أمه وهو ابن سنة، حفظ القرآن الكريم على يد والده ثم درس في الكتّاب، و ساعدته عائلته على العيش والتعليم بصعوبة، وبعد فترة توفي والده فقرّر السفر إلى تونس سنة 1333 هـ/ 1914 م، وانخرط في جامع الزيتونة بمساعدة قريب له كان يدرس هناك،

---

[1] – يحي بو عزيز: وصايا الشيخ الحداد ، ص 98-106.

[2] – المصدر نفسه، ص 111-125.

[3] – المصدر نفسه ، ص 140-143.

[4] – المصدر نفسه ، ص 144-146.

[5] – المصدر نفسه ، ص 184-153.

وفي 1336 هـ/1917 م حصل على شهادة التطويع، وظل يواصل التعلم أملا في الحصول على وظيفة مدرس، ولكنه وجد العراقيل أمامه فاختار التجارة، وبقي يتردد على الجزائر، ولا سيما سوق اهراس[1].

جمع ابن عبد السلام العلم إلى التجارة، فكان يلقي دروسا على العامة في الزاوية القادرية بسوق اهراس، ثم ضاقت بهم فأراد التدريس بالجامع فأبى إمامه، واتهمه الفرنسيون، فأخضعته السلطات الفرنسية للتحقيق، وتعرض للمطاردة، واتهم بنشر الفكرة الوطنية والمبادئ الاشتراكية ، فأفلست تجارته واضطر إلى الهجرة إلى تونس مرة أخرى[2].

وفي تونس ساهم في جريدة النهضة لسان الحزب الإصلاحي التونسي بمقالات عن الوضع العربي والإسلامي، واشتغل بالتجارة والتدريس سنة 1924 ، كما ألقى دروسه في الجامع الأعظم و أسس جمعية خيرية بسوق أهراس[3].

ترك بن عبد السلام مجموعة أشعار نشرت ضمن كتاب شعراء الجزائر في العصر الحاضر ، وتوفي بسوق اهراس سنة 1949م[4].

* **الكتاب:**

كتب الطاهر بن عبدالسلام سيرته الذاتية المطوّلة على شكل مذكرات بعنوان: "حياة الطاهر بن عبدالسلام" وقدّمها للهادي السنوسي الزاهري ، فنشر هذا الأخير قسما منها في كتابه شعراء الجزائر[5].

وذكر محمد الهادي السنوسي أنه طلب من مؤلفها أن " يمد صحائف وطنه بشيء من طرائفه ولطائفه الشعرية"، فأجاب طلبه وقدّم مذكراته التي قال عنها السنوسي أنها " جامعة لحركاته وسكناته" وأنها تحوي" الكثير من الحقائق التاريخية والنظريات الاجتماعية والعمرانية"

---

[1]- محمد الهادي الزاهري السنوسي: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، مطبعة النهضة، تونس: 1927، ص 49-62.

[2]- المصدر نفسه، ص 49.

[3] - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، ص 454.

[1]- محمد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان : إرشاد الحائر إلى أدباء الجزائر، ج4، دون ذكر المطبعة، الجزائر:1999، ص 648.

[5]- محمد الهادي الزاهري السنوسي: المصدر السابق، ص ص 49-62.

وقال أنه لجأ لاختصار هذه الأوراق حتى لا يكبر حجم كتابه وبالتالي تزيد نفقات طبعه، واكتفى بإيراد قسم منها كما ذكرنا آنفا.

وكان الطاهر بن عبد السلام قد أنهى تحرير مذكراته في 13 ربيع الأول 1346/ 10 ديسمبر 1927 م[1]، ولا ندري إن كان قد كتب جزءا آخر من مذكراته الهامة، وهو قد عاش عدة عقود بعد ظهور هذا الكتاب.[2]

وذكر المؤلف أنه لجأ لتدوين هذه المذكرات، وعرض تجربة حياته نزولا عند رغبة بعض الأدباء الجزائريين والتونسيين الذين طلبوا منه كتابة ما سماه هو" تاريخ حياتي".

وقد استهلها المؤلف بالحديث عن نسبه الذي أنهاه إلى فرقة أولاد خمير بقبيلة العيايدة بسوق اهراس، وتطرق لمولده ونشأته في كنف أسرته الفقيرة،[3] وحياته العلمية حيث قرأ على والده وأخيه الأكبر منه ودرس ببعض الكتاتيب، وطالع عددا من الكتب مما ساعد على تنمية معارفه اللغوية والأدبية.[4]

وانتقل للحديث بعد ذلك عن انخراطه في المعهد الزيتوني بتونس لمواصلة تعليمه وممارسته التجارة لإعالة نفسه وأسرته، [5] وفشله في ذلك بسبب الركود الاقتصادي بالجزائر، وتدني القدرة الشرائية للأهالي[6].

وتحدث عن عودته للجزائر، وملاحقة السلطات الاستعمارية له نتيجة بعض مواقفه السياسية وتضييق الخناق عليه في التدريس بالمساجد بسوق اهراس رغم التفاف الناس حوله [7] ثم هجرته لتونس مرة أخرى، وانخراطه في عالم السياسة فيها عبر جريدة النهضة التي نشر فيها عددا

---

[1]– محمد الهادي الزاهري السنوسي: المصدر السابق، ص 49.

[2]– محمد بن رمضان شاوش والغوثي بن حمدان: المرجع السابق ، ص 648.

[3]– محمد الهادي الزاهري السنوسي: المصدر السابق، ص 51.

[4]– المصدر نفسه ، ص 51-52.

[5]– المصدر نفسه ، ص 53.

[6]– المصدر نفسه، ص 53-55.

[7]– المصدر نفسه، ص 55-59.

من المقالات[1] وممارسته التدريس بالجامع الأعظم بتونس عام 1344 هـ/1925 م، ووفاة ولده الوحيد وله من العمر 19 شهرا .

وانتقل للحديث عن ما سماه ثمرة تلك الدروس العلمية وهي عبارة عن ملخص لنظرته للحوادث التي وقعت له[2].

وهكذا حوت هذه المذكرات أخبار هذا المثقف النخبوي، وطرفا من الحياة السياسية والاجتماعية في عهده، وموقفه من كل ذلك .

## 4* الطيب المهاجي و كتابه أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما أتفق لي في الماضي والحاضر:

### * المؤلف:

هو محمد الطيب بن المولود بن مصطفى بن محمد السني بن سيدي الفريح المهاجي، ولد سنة 1299هـ/ 1881 م[3] بقرية أولاد سيدي الفريح المهاجي المعروفة بـ"امهاجة" بضواحي وهران، درس بها أول مراحل حياته الفقه والشريعة وأصول الدين واللغة وانتقل للإقامة بوهران دارسا ثم مدرسا ابتداء من سنة 1907، وأنشأ مدرسة عربية حرة لتعليم العلوم الشرعية واللغوية حتى اشتهر بين العام والخاص في الجزائر وخارجها.

سافر المهاجي إلى فاس بالمغرب عام 1346 هـ/ 1927 م فشهد مجلس قراءة صحيح البخاري، ولقي بها شيوخ المدينة وقدّم لنا في كتابه صورة عن طبيعة الحياة فيها، مع ما نال استحسانه وما استنكر رؤيته، فكان واصفا ومنتقدا، ومن ذلك إعجابه بنشاط حركة التعليم بها واستنكاره للتجمعات والاحتفالات المقامة عند ضريح إدريس وما يقع فيها من شعوذة ودجل.

كما ارتحل إلى تونس عام 1348 هـ/1929 م وأقام بها أياما صادف خلالها امتحان طلبة جامع الزيتونة المتحصلين على شهادة التطويع للقيام بالتدريس، فاستغل الفرصة للقاء أعضاء لجنة الامتحان كالشيخ بيرم، وقاضي المالكية الشيخ الصادق النيفر وآخرون .

---

[1] – محمد الهادي الزاهري السنوسي: المصدر السابق، ص 60.

[2] – المصدر نفسه، ص 60-61.

[1] – الطيب المهاجي : المصدر السابق، ص23.

وزار المهاجي المدرسة الخلدونية، وعند عودته التقى بقسنطينة الشيخ ابن باديس، وعاود السفر مرة أخرى سنة 1350 هـــ/1931 م لأداء فريضة الحج، وكان سفره هذه المرة عن طريق البحر، فركب سفينة من وهران إلى جدة، ثم منها إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، ولقي في هذه الرحلة علماءً وشيوخًا، وفاز بإجازات علمية برواية ما أخذه عنهم، إضافة إلى استفادته من التعرف على نمط الحياة بالحجاز وطرق ومناهج التدريس هناك[1].

وقضى الشيخ المهاجي حياته مشتغلا بالعلم والتعليم، وكان له فضل في تخريج عدد من الطلبة الذين صاروا شيوخا ذاع صيتهم في الغرب الجزائري، وإضافة إلى تأليفه أنفس الذخائر فقد ترك كتبا أخرى منها: مختصر في المنطق، ورسالة في التصوف، ورسالة في باب معرفة علامة الإعراب، ورسالة في تزويد الحاج بالمناسك المعوزة لمذهب مالك، وتوفي الشيخ المهاجي بوهران عام 1387 هـــ/ 1969 م ودفن بمقبرة مول الدومة[2].

*** الكتاب:**

عُرف عن الشيخ المهاجي عنايته الكبيرة بالتاريخ والتراجم، والتي ظهرت بجلاء في كتابه الذي أنهى تأليفه وطبعه في وهران بالشركة الجزائرية للطبع والأوراق وعدد صفحاته 128 صفحة.

وقال المهاجي في مقدمة هذه الطبعة أنه أنهى عمله سنة عام 1379هـــ/ 1959 م، و لم يقدمه للطبع آنذاك لأن السلطة الفرنسية كانت تفرض قيودا شديدة على النشر، وقد قال في هذا الشأن:" ولذا كان من المتوقع في ذلك الوقت، بل من المحقق أن هيئة الرقابة لا تسمح بطبع الكتاب في الداخل، ولا ترخص في دخوله بعد طبعه في الخارج، حيث تجده بعد الفحص معاكسا لمصلحة حكومتها، ومناقضا لها على طول الخط .."[3]

---

[1]– الطيب المهاجي : المصدر السابق ، ص 22.

[2]– قدور ابراهيم عمار المهاجي: تاريخ امهاجة بين المدلول اللغوي والرسوخ الجغرافي والامتداد التاريخي ،وهران، ديوان المطبوعات الجامعية ،ط1، 2002، ص 183 – 184.

[3]– الطيب المهاجي : المصدر السابق ، ص03.

ذكر المؤلف أن سبب إقدامه على هذا التأليف هو الالتفات إلى الماضي، بعد أن بلغ من العمر السبعين وذلك" لتلافي ما فات بإصلاح ما هو آت " كما أضاف أنه أحب أن يترك أثرا بعد موته يستفيد منه الناس.[1]

واستهل المؤلف عمله بذكر بعض الآيات والأحاديث في فضل العلم، وأنه صدقة جارية كما ذكر بعض الأمور المتعلقة بأحكام النساء في الإسلام، وهو انسياق واضح من المؤلف أمام ثقافته الفقهية، فقد كان مفتيا في مدينته[2].

ثم دخل في صلب موضوعه وهو مذكراته قائلا:" ..والآن أشرع في المقصود بالذات، فأقول سميت هذا التقييد الموجز والعمل المنجز : أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر."

رتّبه المؤلف على مقدمة وثلاثة فصول سماها مقاصد وخاتمة وتذييل، وقال إنه سيستطرد في كل فصل للحديث عن بعض الأمور والمواضيع المتعلقة به.[3]

وكانت المقدمة حول مفهوم التراجم والفهارس والأثبات والبرامج لتكون مدخلا لشرح بعض المفاهيم باعتبار عمله يدخل في هذا الصنف من المؤلفات فقال :" والباعث على جعل هذه المقدمة من محتويات كتابي هو أني ذكرت فيه معلومات عن أشياخي وإجازتهم لي وتعلمي ، فكان الكتاب أشبه شيء بالثبت ،ولم نقل هو هو، لأني تعرضت فيه إلى أشياء لا يصدق اسم الثبت على شيء منها.." [4].

وكان موضوع الفصل الأول عن" ابتداء أمره من نشأته وكفالته ورعايته وتربيته"، فذكر مولده سنة 1299 هـ/ 1881 م والقرية التي ولد، والقبيل ة العربية التي ينتمي إليها، والفرع الشريف لهذه القبيلة، وبعض صفات قومه، وهجرة عدد منهم الى المغرب الأقصى بعد سوء تفاهم مع الأمير، وتحدث عن عناية والده بتربيته وتعليمه عناية فائقة.[5]

---

[1] - الطيب المهاجي : المصدر السابق ، ص 7-8.

[2]- المصدر نفسه، ص 8-20.

[3] – المصدر نفسه ، ص 20.

[4]- المصدر نفسه، ص 21-22.

[5] - المصدر نفسه ، ص 23-36.

والفصل الثاني كان عن تعلمه الأول وقراءته للقرآن، حفظا وتفسيرا وتجويدا وقراءة، ثم اتجاهه لطلب العلم والسعي في تحصيله، وذكر المشايخ الذين أخذ عنهم مشافهة أو بالإيجاز مباشرة بواسطة الكتابة نثرا أو نظما[1].

و كان الفصل الثالث للحديث عن جلوسه للتدريس، وتعليمه للعلوم التي تلقاها أو أجيز له بها، وإجابته للفتاوى التي كانت ترد عليه سواء مشافهة أو كتابة في الجرائد إلى الوقت الحاضر وهو يعني به سنة تأليف الكتاب وهي سنة 1379 هـ/ 1959 م.[2]

وذكر في الخاتمة بعض الحوادث التي تعرضت لها الجزائر في التاريخ المذكور أي سنة 1959 أو قبله بقليل، مُركّزا على الفظائع التي اقترفتها السلطات الاستعمارية في حق الشعب الجزائري، وما ناله هو من ويلاتها، حيث استشهد ولد له اسمه القاسم في إحدى معارك الثورة التحريرية[3].

أما التذييل فموضوعه ذِكر نسبه، مع بيان المصادر التي اعتمد عليها في إثبات نسبه الشريف منها بعض الوثائق التي خطها عدد من علماء المنطقة، كالشيخ الطيب بن الفريح والد جدة المؤلف وتطرق في خضم ذلك لترجمة عدد من أسلافه.[4]

وفي الأخير فإن كتاب المهاجي الذي صنفه عدد من الدارسين في صنف الرحلات وهو ليس كذلك[5]، يعد بحق كتابا تاريخيا ومصدرا هاما، ليس فقط عن حياة المؤلف وإنما أيضا عن بعض حوادث عصره، فقد أرّخ لقبيلته كما ذكرنا سابقا وأرّخ لعدد من أسلافه، وعبّر عن موقفه من بعض قضايا عصره[6].

وختاما لهذا الفصل نقول إن الكتابات التاريخية الجزائرية في المناقب والتراجم والسير والمذكرات كانت كثيرة، لاهتمام أصحاب هذه الكتابات سواء بتدوين تاريخ شيوخهم، أو بعض

---

[1] - الطيب المهاجي : المصدر السابق، ص 37-80.

[2] - المصدر نفسه، ص 81-102.

[3] - المصدر نفسه، ص 103- 108.

[4] - المصدر نفسه، ص 109 -138.

[5] -سميرة انساعد:" تمظهرات الزمن الرحلي في سيرتي الأمير عبد القادر والطيب المهاجي"، المجلة الأكاديمية ،ع 1، وهران:2006، ص ص 36-43.

[6] - قدور ابراهيم عمار المهاجي: "الشيخ الطيب المهاجي وكتابه أنفس الذخائر وأطيب المآثر: دراسة تحليلية" حوليات الجامعة للبحوث الإنسانية والعلمية، مج 3، ع5 وهران، ص 314-315.

من عرفوهم وسمعوا بهم من العلماء لحفظ ذكرياتهم من الضياع، أو التأريخ لسيرة حياتهم هم فحفظوا لنا بذلك روايات نادرة عن عصرهم ومواقفهم من بعض قضاياه.



# الفصل الثالث: مؤرخو الحوادث والمواضيع الخاصة

1 – التأريخ للحروب والمعارك.

2 – التأريخ للمجاعات والأوبئة.

3 – التأريخ للزوايا.

4 – التأريخ للعائلات.

5 – التأريخ لبعض الحوادث العارضة.

نحاول في هذا الفصل جمع وتحليل ما أمكننا الحصول عليه من أصناف أخرى من المؤلفات التاريخية، وهي مؤلفات عمد أصحابها سواء للتأريخ لبعض المواضيع والحوادث الخاصة أو للحديث عن تاريخ عائلاتهم، وهي مؤلفات تكتسي طابعا خاصا باعتبار أصحابها شهود عيان على تلك الحوادث وأيضا دقة الأخبار في الكنانيش العائلية التي توارثتها الأجيال وحافظت عليها لتصبح تاريخا هاما لبعض الأسر والمناطق التي أقامت بها.

## المبحث الأول: التأريخ للمعارك والحروب والثورات:

### 1-*أحمد أفندي الجزائري وتقييده عن الحملة الفرنسية على الجزائر:

*المؤلف:

ذكر شلاكتا- الذي قام بترجمة مخطوط أحمد الجزائري من التركية التي كتب بها إلى الفرنسية ونشره في المجلة الآسيوية عدد سبتمبر- أكتوبر 1862 أن صاحب المخطوط هو من مواليد مدينة الجزائر، وأن آخر المناصب التي شغلها هو منصب قائمقام إقليم آلاغا بالأناضول وأنه توفي سنة 1865 م حسبما ذكرته إحدى الجرائد التركية الصادرة باسطنبول.[1]

ويذكر سعد الله أن المؤلف قد يكون من كراغلة الجزائر الذين شردهم الإدارة الاستعمارية غداة الاحتلال[2]، و ذكر المؤلف في بداية مخطوطته أنه كان يشغل منصب مأذون كوزلحصار لدى الحاج عمر أفندي مفتي الجزائر سابقا[3].

*الكتاب:

عثر السيد أوتوكار دي شلاكتا خلال إقامته باسطنبول بطريق الصدفة على مخطوط صغير الحجم لحجي أحمد أفندي، وقال أن نسخة أخرى من المخطوط توجد ضمن مجموعة صديقه شارل شليفر، ويبدأ المخطوط بعبارة " بسم الله لكل شيء سببا فاتّبع سببا " ثم يذكر الحوادث التي نتج عنها احتلال الجزائر، وفي رأيه أن حسين باشا داي الجزائر هو السبب الرئيسي للاحتلال

---

[1] - Ottocar de Shlechta :La prise d'Alger racontée par un algérien, in Journal asiatique septembre- octobre 1862, p 319.

[2] – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المرجع السابق، ص 439.

[3] - Ottocar de Shlechta :Opcit, p 319.

فيقول في هذا الشأن:" إن سبب وقوع البلاء على جزائر الغرب باستعلاء الكفار عليها هو حسين باشا صادقلي والي الجزائر."[1]

ويقول أن الداي لم يسع لتحسين العلاقة مع الفرنسيين، رغم توسط بعض قناصل الدول الأوروبية، واستعداد هؤلاء بعد ذلك للخروج من الجزائر لعلمهم بقرب الحرب بين الطرفين، ويذكر أيضا توسّط باشا مصر محمد علي في الصلح، كما يذكر تفاصيل بعض المواجهات الخفيفة بين الجزائريين والفرنسيين في الفترة التي سبقت الإنزال الفرنسي في الجزائر.

وأكّد مرة أخرى أن الداي حسين لم يُعِر أهمية كبيرة لمسألة توتّر العلاقات مع الفرنسيين، واعتقد أن الأمر لا يعدو مجرد مناوشات لرد الاعتبار، وذكر كيف أن الداي أخفى عن الأهالي فرمان الصلح الذي يقضي بضرورة إقرار الصلح مع الفرنسيين، لأن العثمانيين كانوا يدركون مدى القوة العسكرية الفرنسية على عكس أتراك الجزائر الذين استهانوا بها[2].

وسرد المؤلف أخبار الإنزال الفرنسي في الساحل، والمعارك الأولى التي واجههم بها الجزائريون، وتحقيق نصر طفيف، سرعان ما تحول إلى هزيمة كبيرة، وذكر المؤلف أن الداي قد استدعاه وأخبره بذلك فحاول- أي المؤلف- تهدئة الداي ورفع معنوياته.

وقال المؤلف إن المعارك قد تجددت " بين عساكر الإسلام المتمركزين بمحلة عين زرقا وعساكر الكفار المتمركزين بسيدي فرج من الصبح إلى نزول الليل وذلك لمدة اثني عشر يوما متتالية في ليلة غفلة هوجم المسلمون وحوصرت قلعة الجزائر..."[3]

ثم ذكر عرض الفرنسيين الاستسلام على الداي، وإجماعه مع الأعيان على هذا الأمر، وقال إنه عمل على جمع عدد من الناس للمقاومة، وثني الداي له عن ذلك باعتبار الخليفة العثماني قد رضي بالصلح مع الفرنسيين.

ويواصل المؤلف تبيين موقفه من الأحداث، فيقول إنه لجأ إلى الفرنسيين طالبا منهم عـــدم

---

[1]- أحمد الجزائري:سقوط الجزائر برواية شاهد عيان، ضمن كتاب الاحتلال الفرنسي من خلال نصوص معاصرة، جمع وتقديم محمد الهادي الحسني، نشر عالم الأفكار، الجزائر:2006، ص53.

[2]- المصدر نفسه، ص 54.

[3]- المصدر نفسه، ص 60.

الإساءة للسكان، والسماح لمن يريد الرحيل بالذهاب، وأنه قد أشهد على ذلك بعض قناصل الدول الأوروبية، ثم اختار هو الهجرة إلى الأستانة مع من هاجر إليها[1].

ويقدم لنا بهذا أحمد الجزائري رواية دقيقة رغم اختصارها عن الحملة الفرنسية باعتباره شاهد عيان ومشارك فعّال في عدد من الأحداث.

## 2-* علي بن عيسى وتقييداته عن حصاري قسنطينة:

### * المؤلف:

يعتبر علي بن عيسى الرجل الثاني بعد أحمد باي في تسيير شؤون بايليك الشرق أواخر العهد العثماني، والدعامة الأساسية التي قام عليها الإصلاح الإداري والسياسي في عهد أحمد باي منذ صيف 1830، والشخص المنفذ للسياسة الجديدة، فقد أسندت إليه مهمة القضاء على طائفة الانكشارية وتطهير جهاز الدولة من العناصر التقليدية المحلية وإحلال عناصر محلية مكانها[2].

وهو القائد الذي تولى الدفاع عن قسنطينة خلال سنتي 1836-1837 وشهد كل الأحداث التي كان البايلك ميدانا لها من سنة 1830 إلى غاية سقوط المدينة[3].

ولد الباش حامبة علي بن عيسى سنة 1782م ببني فرقان بجيجل،وفي سنة 1800 استقرت أسرته بقسنطينة بضاحية باب الجديد، وكان له أخوان هما محمد العربي، الذي تولى إدارة أملاك البايلك، وبلقاسم الذي عهد له الحاج أحمد باي بمنصب الخوجة أي الكاتب الإداري الخاص له عندما كان قائدا للعواسي "الحراكتة".

عمل علي بن عيسى في صناعة الأسلحة وبيعها، ولما بلغ سنه خمس وعشرون عاما احتل مكان والده في القوة الخاصة المكلفة بحراسة الباي، وبدأت مزاياه تظهر لأحمد باي الذي قرّبه

---

[1]- أحمد الجزائري: المصدر السابق، ص 62.

[2]- عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: معجم أعلام الجزائر، ج1، ص 114.

[3]- عبد الحميد زوزو : تقييدات بن عبسى عن حصاري قسنطينة، مجلة الأصالة، ع67، مارس1979، ص 4.

فأسند إليه في البداية مهام تجارية إلى تونس، ثم رقّاه إلى منصب قائد الجيوش بعد استحداث منصب الباش حامبة الذي استلهمه الحاج أحمد من بايات تونس[1].

وبعد سقوط قسنطينة حاول بن عيسى أن يواصل المقاومة في مسقط رأسه ببني فرقان، ولما فشل في ذلك طلب الأمان من الجنرال كاستيلان، وعرض خدماته على السلطة الجديدة، فعيّنه الجنرال فالي في 30 سبتمبر 1838 م خليفة على المنطقة الساحلية من وادي الكبير إلى وادي سيبوس، وأظهر بن عيسى قساوة وحزما بالغين في إدارته، مما جعل السلطة الفرنسية تمنحه وسام الشرف على يد الدوق دورليان في 13 أكتوبر 1839 م، لكنه اقم في مارس 1841 بتزوير العملة فحكم عليه المجلس العسكري بقسنطينة في أوائل شهر أفريل 1841 بالأشغال الشاقة لمدة عشرين سنة قضى منها حوالي خمسة عشر شهرا ببرج جزيرة سان مارجريت، ثم أفرج عنه في 14 أكتوبر 1842 شرط الإقامة في مونبيليه، وبعد مساعي عديدة قام بها ابنه أحمد، رُخّص له الإقامة بمدينة الجزائر سنة 1844 لكن أمنيته في الرجوع إلى قسنطينة والاستقرار بها لم تتحقق.[2]

### * التقييدات:

كان الدكتور عبد الجليل التميمي قد نشر النص الفرنسي لهده التقييدات كملحق لرسالته عن الحاج أحمد باي [3]، ويوجد النص الفرنسي لهذه التقييدات بأرشيف وزارة الحربية الفرنسية بفانسان، وعنوانها "تقييدات لابن عيسى عن حصاري قسنطينة" وهي محررة باللغة الفرنسية، وتؤكد التشطيبات التي بها والتصحيحات التعبيرية، أنها مسودة كتبت على عجل، فجاءت بعض كلماتها لهذا السبب وكأنها رموز، أضف إلى ذلك أن أفكارها تتداخل أحيانا، وينعدم الربط بين أجزائها[4].

---

[1]- عبد الحميد زوزو : تقييدات بن عبسى عن حصاري قسنطينة، ص 5.

[2]- المرجع نفسه، ص 5-6.

[3] -Abdeljelil Temimi : Le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey (1830-1837) publication de la revue d'histoire maghrébine, Tunis1978, p 285-228.

[4]- عبد الحميد زوزو : تقييدات بن عبسى عن حصاري قسنطينة، ص 6.

والتقييدات لا تحمل التاريخ ولا المكان اللذين كتبت فيهما، لكن من الممكن حصر تاريخ تدوينها ما بين تاريخ وصول بن عيسى إلى الجزائر العاصمة في أواخر شهر فيفري 1838 وتاريخ رجوعه إلى قسنطينة برفقه الجنرال فالي ( valée) في أواخر شهر سبتمبر من نفس السنة، أما عن المكان فمن غير المستبعد أن يكون بيربروجر ( Berbrugger) محافظ المكتبة الوطنية والمتحف الوطني في ذلك الوقت، قد استفاد من إقامة ابن عيسى بالجزائر، بأخذ شهادة منه حول الأحداث الهامة التي عرفها الشرق الجزائري، خاصة وهو مولع باقتناء المخطوطات، وجمع المعلومات التاريخية، حسبما يستفاد من مقال واتبلاد ( E. watbled) الذي ذكر أخذ مدير المكتبة الوطنية المذكور لمعلومات عن ابن عيسى مباشرة، وعلى توقف الأحداث الواردة في الوثيقة في تاريخ 1838.[1]

استهل المؤلف تقييداته هذه بذكر استيلاء الفرنسيين على مدينة الجزائر، وموقف إبراهيم باي قسنطينة السابق المتقلب إزائهم، وعداوته لأحمد باي، وتوجُّه المؤلف لمحاصرته في عنابة وفشله في الاستيلاء عليها لحصانة قصبتها، ثم ذكر استيلاء الفرنسيين على قصبة عنابة بعد خروج ابراهيم باي، وتحدث عن ظهور يوسف المملوك بعنابة وأعماله للسيطرة على بايلك الشرق[2].

وذكر استعدادات الفرنسيين لغزو قسنطينة عبر عنابة، كما تحدث عن تكليف الحاج أحمد باي له بالدفاع عن قسنطينة عاصمة البايلك، وخروج الباي لصد أي محاولة من جانب الفرنسيين لاختراق المدينة، وذكر عدد جنود المقاومين وهو 1400 جندي نظامي و 1000 من المتطوعين الأهالي، وتحدّث عن معركة قسنطينة الأولى سنة 1836 ، ونجاحه مع الباي في صد القوات الغازية وتراجع الفرنسيين، وروى تأكيد الباي له بعودة الفرنسيين من جديد وضرورة الاستعداد لذلك.[3]

وتطرّق للاستعدادات لمواجهة الحملة الثانية المرتقبة، وذلك بهدم البنايات الموجودة خارج أسوار المدينة من باب الجابية إلى باب الوادي وما كان بأطراف كدية عاتي، وذكر مشاركة الأهالي في هذه الاستعدادات الحربية، بتشديد الرقابة على المدينة وتحضير المدافع، وأشار إلى أن

---

[1] – عبد الحميد زوزو : تقييدات بن عبسى عن حصاري قسنطينة، ص 5-6.

[2]– المصدر نفسه،ص 10.

[3]– المصدر ننفسه، ص 13-15.

الباي قام بتهريب ثرواته خفية، ومنع الأهالي من فعل ذلك، وتكلم عن أعماله في تحصين المدينة وحفر خندق محيط بها وإقامة تحصينات جديدة[1].

وتطرق للرسالة التي بعثها الجنرال دامريمون لحاكم قسنطينة عبر اليهودي بوجناح، والتي عرض فيها على الباي الاستسلام، ورفض الباي لذلك العرض.

وانتقل للحديث عن الغزو الفرنسي الثاني لقسنطينة عام 1837، وسقوط المدينة ولجوء بن عيسى لبني فرقان، وبعد مرور ثلاثة أشهر طلب الأمان من الجنرال نيقريي فرفض هذا منحه إياه ثم لجوءه بعد ذلك لطلب الأمان من الجنرال كاستيلان، وبعد أن وافق هدا الأخير استدعي بن عيسى للجزائر لدى الجنرال فالي الذي عفى عنه[2].

و تكتسي تقييدات ابن عيسى أهمية تاريخية بالغة لكونها شهادة قائد تولى الدفاع عن مدينة قسنطينة خلال سنتي 1836-1837، وبطل معظم الأحداث التي عرفها بايليك الشرق من سنة 1830 إلى غاية سقوطه في يد الفرنسيين، بل والي ما بعد ذلك، فالوثيقة من هذه الناحية تعتبر تدعيما لمذكرات أحمد باي ورافدا وثائقيا يقوّي وجهة نظر الأهالي بالنسبة للأحداث التي عرفها الشرق الجزائري، وبهذا يمكن أن نوازي نظرة الفرنسيين لنفس الأحداث، وتتجلى أهميتها كذلك في الأسئلة التي تثيرها حول بعض الأحداث التي رواها أحمد باي بشكل مغاير، كقضية انسحاب ابن عيسى من عنابة، وموضوع خزائن الباي، فضلا عن فائدتها في التوضيح والتصحيح، ومن أهميتها كذلك تضمنها لدلائل كاشفة عن جوانب من شخصية وتصرفات صاحبها ابن عيسى[3].

---

[1]- عبد الحميد زوزو : تقييدات بن عبسى عن حصاري قسنطينة، ص 15.

[2] - المصدر ننفسه، ص 16-17.

[3] - المصدر ننفسه، ص 5-6.

## 3-* محمد بن بلقاسم الزاوي وتقييده عن غزوة الباي محمد الكبير لشلالة:

### *المؤلف:

لا يُعرف شيء عن محمد بن بلقاسم الزاوي سوى أنه كان حيا سنة 1839 وهي سنة إنهائه لكتابه، كما أنه من أهالي الشلالة الظهرانية التي كتب عن غزو الباي محمد الكبير لها. [1]

### *الكتاب:

افترض سعد الله أن يكون الزاوي قد ألف عمله هذا بطلب من أحد ضباط المكاتب العربية، رغم أن شلالة في تلك الفترة 1839 ما تزال خارج نطاق الاحتلال[2].

وورد في آخر هذا التقييد أن مؤلفه قد أتم تحريره في شهر ربيع الأول من عام 1253هـ/ ماي 1839م[3]، وقال برينيي الذي ترجم هذا المخطوط أن مؤلفه" رج ل قليل التعوّد على نقل الأفكار مثل غالبية العرب وأسلوبه يفتقد للتسلسل، وكل عباراته منقطعة وبنفس النمط الهيكلي ، كما أن ملاحظاته ساذجة وبدائية، والأحداث عنده ليست دقيقة، يضاف إلى ذلك أن خط المخطوط غير واضح والأخطاء الإملائية به كثيرة "[4].

ورغم كل هذه الأوصاف، فالمترجم يعود ويقول أن هذه الرواية بها بعض الأهمية التاريخية لأنها حُرّرت من رجل كان يقيم في مكان الأحداث، ولكنه لم يساهم فيها مساهمة فعالة.

وذكر صاحب هدا المخطوط أن أهل الشلالة كانوا منذ زمن بعيد لا يعترفون سوى بسلطة سلطان المغرب عليهم، ويظهرون له فروض الطاعة والولاء باعتباره من الأشراف.

ورغبة من الباي محمد الكبير في ضم هذه المنطقة لسلطته، فقد جهز حملة لغزوها وإخضاعها، فأرسل لأهلها في هذا الشأن بيانا عبر أشخاص مشهورين وغير خاضعين لسلطان المغرب.

---

[1] -L.J.Bresnier : Expedition de Chellala par le bey d'Oran Mohamed el Kebir,in <u>Revue africaine</u>,n°4(1859-1860) p 175.

[2] – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 359.

[3] -L.J.Bresnier : Expedition de Chellala,Opcit,p 186.

[4] - Ibid,p 175.

وقال المؤلف أن سكان شلالة رفضوا اقتراحات الباي، مما جعل هذا الأخير يخرج على رأس قواته لغزوها وكان عدد قواته 7000 جندي نظامي، ارتفع عددهم بانضمام القياد وعدد من الناس الذين قدموا من الشرق والغرب إضافة إلى عدد من رجال الحرب المشهورين.

وذكر المؤلف أن محلة الباي استقرت بمنطقة خيدر، وكان ذلك في بداية الصيف، وكان الجفاف قد عم وظهرت آثاره على الآبار، ثم غادرت خيدر عابرة الشط، ثم سنية، ومشرع النجوع، واستقرت ببلاد المالحة.

وفي اليوم الثاني من رمضان رأى المؤلف وقومه قدوم فرسان بني مطهر، وكان هدفهم ملاحظة وضعية أهل الشلالة وحالتهم النفسية، فوجدوهم في أحسن حال[1].

ويواصل المؤلف تتبع أخبار حملة هذا الباي، وذكر المناطق التي اخترقتها قواته، وفشل المفاوضات التي دارت بينه وبين أهل شلالة، وإقدام قوات الباي على أعمال السلب والنهب، وقطع الأخضر واليابس وإقامة حصار محكم على المنطقة[2].

ويقدم المؤلف خلال ذلك بعض مظاهر احتفالات الحرب عند الأتراك من قرع للطبول وعزف للموسيقى العسكرية، كما يقدم أسماء عدد من القتلى والجرحى، وإقدام الباي على ضرب شلالة بالمدافع، ومقتل عدد من الأفراد من الجانبين نتيجة نشوب المعارك.

ويقول أن النساء والأطفال واليهود وباقي الناس، عقدوا العزم على الفرار إلى جبل سيدي محمد بن سليمان، وتمكّن الأتراك من أسر ثلاثين امرأة، ولجوء البقية إلى جبل برام، واشتداد المعارك، وحصار الأتراك لقصر الشلالة من كل ناحية والاقتراب من أسواره[3].

ويذكر المؤلف تمكّن قوات الباي أخيرا من اختراق أسوار الشلالة، والدخول عبر باب تافونت، واعتراف السكان بالهزيمة، وطلب الأمان من الباي ومنحهم إياه ، وتحدّث عن استيلاء الأتراك بعد ذلك على ثروات المنطقة، وفرض ضريبة على سكانها كانت في البدء عبارة عن 500 كيس من الشعير[4].

---

1- L.J.Bresnier : Expedition de Chellala, Opcit, p175-176.

2 - Ibid,p 177-178.

3 - Ibid,p 179-181.

4 - Ibid,p182-183.

وأورد المؤلف نص الأمان الذي منحه الباي لسكان الشلالة، وأثنى على حسن تصرف الباي معهم، وسيره فيهم بسيرة العدل، كما ذكر أن الباي رغم انتصاره هذا، إلا أنه فقد من قواته سبعون رجلا، مات الكثير منهم نتيجة جرحهم في المعارك[1].

وفي الأخير قال أن هذه هي الأحداث التي تحمّلها سكان الشلالة وهو منهم، وأراد أن بتسجيلها أن يحفظها للمستقبل، وأهل الزمن القادم واللاحقين الذين نسمعهم يتكلمون دون معرفة التفاصيل، وأضاف قائلا:" وهي منقولة هنا بأمانة دقيقة، وحسب النظام الذي كانت فيه، لأنها وقعت تحت أنظار كاتب هذا التقييد غفر الله له وعامله بلطفه، ورحمة الله على المؤلف، وعلى والده، ووالد والده، وعلى كامل المسلمين، توفانا الله مسلمين صالحين وجعلنا في عداد السادة العارفين بجاه النبي المصطفى صلى الله عيه وسلم." [2]

## 4-* غزو الترك لفليسة لشيخ مجهول من فليسة:

ذكر النقيب طوكسيي Tauxier أنه عثر في أوراقه على رواية تاريخية قدّمها له سنة 1861 أحد الشيوخ السابقين لفليسة حول غزوة قام بها الأتراك في جبال القبائل، وقال إنه قدّم تلك الرواية لصديقه أوكابيتان Aucapitaine الذي كان مهتما بالكتابة عن تاريخ المنطقة، ولكن هذا الاخير كما ذكر لم يستعملها مطلقا في أعماله، واعتقد طوكسيي أنه من المفيد تقديم هذه الرواية للنشر، نظرا لما تقدمه من تفاصيل تاريخية، وخوفا من ضياع تلك التفاصيل فقد أراد كما قال نشرها في المجلة الإفريقية، ورغم صغر حجم هذه الرواية إلا أنها ذات قيمة تاريخية كبيرة.[3]

وقد سمى طوكسيي ذلك العمل " **غزوة للترك على فليسة**" ولا ندري هل هذا العنوان من اختيار المؤلف أم من وضع المترجم طوطسيي.

وتذكر الرواية أنه في زمن يحي آغا خليفة باشا الجزائر تكبّد الأتراك هزيمة ساحقة في فليسة وفي ذلك العهد كان هناك قايد ونوبة في كل أبراج سباو ومنايل وتيزي وزو، وكان لقايد برج

---

[1] - L.J.Bresnier : Expedition de Chellala, Opcit,p 184.
[2] - Ibid,p 185-186.
[3] - Tauxier : Une expédition des turc contre les Flissa , in R.A n° 19 (1875) p 333.

سباو القيادة العليا على كل هذه القوات، وأيضا على الزمول المحيطين وقائدهم الشاوش بلكانون الذي يقيم في برج القطة.

وتفيد الرواية أن يحي آغا جمع لهذه الغزوة جيشا قويا به حوالي ألف جندي من الانكشارية وعسكر زواوة و 1500 فارس من الزمول والآخرين، إضافة إلى قوات مساعدة من قبائل الضفة اليمنى لسباو، وهي تاورقة وبني جناد وبني وقنون وعمراوة وفليسة البحر، كما جمعوا الكثير من المدافع.[1]

ويقدم التقييد معلومات هامة عن عدد قوات الأتراك التي غزت منطقة فليسة والأعمال التي قامت بها ورد فعل السكان إزاء كل ذلك.

## 4-* صالح بن محاية وتقييده عن ثورة الأوراس سنة 1879 :

### *المؤلف:

هو صالح بن عمر بن عبد الحفيظ بن الحسين بن المنيب بن الحسين بن سيدي محمد المسمى محاية، ويقول عن نفسه إنه ليس بربريا فهو عربي من قريش ، ولد في دوار واد لبيض حريس بالأوراس سنة 1850 م، وكان والده متعلما ومدرّسا تخرج من سيدي عقبة، وكان يعلم الصبيان القرآن .

وفي صغره دخل صالح بن محاية الكُتّاب لحفظ القرآن، كما حفظ الأجرومية في النحو وساندته عائلة بوضياف المتنفذة والقوية، فدخل في سلك الوظيف بصفة خليفة لقايد اللحالحة سي محمد الهاشمي بوضياف الذي لاحظ فيه قدراته وكان له حينها أربعة و عشرون سنة.

وقام بن محاية بإنابة القايد بوضياف بوفاء وإخلاص، وكان بالنسبة له مدرسة جيدة، كما ساهم في الحفاظ على الاستقرار في قبائل تلك النواحي عند اندلاع ثورة 1871 م، وبقي وفيا للإدارة الفرنسية.[2]

وفي سنة 1875 ساهم تدخله الشخصي في جلب الأمن والاستقرار للمنطقة، لدرجة أنه اعتبر كما أكد هو، أن القايد سي الميهوب بلباي فقد سمعته واعتباره ظلما في المنطقة، فجند نفسه

---

[1] - Tauxier : Opcit, p 334.

[2] - Gouvion, M et E : Kitab Aâyane el Marhariba « département de Constantine », Alger, Fontana 1920, p 104.

لضمان الاستقرار، وخلال ثورة 1879 ساهم مساهمة فعالة في تهدئة الأحداث، بحصوله على الثقة الكاملة من القايد بوضياف.[1]

ونتيجة مواقفه تلك فقد منح مرتبا تعويضيا قدر بـــ 8000 فرنك، وسلمه ذلك المبلغ القائد Lefaucheux تذكارا من الجنرال Logerot نفسه، وعدا ذلك، فقد عُيّن صالح بن محاية في منصب خوجة بالمكتب العربي بباتنة، وظل به ست سنوات، ليشغل بعد ذلك سنة 1889 منصب قايد أولاد عبد الرزاق، ثم تولى قيادة دوار أولاد حيدوس سنة 1890 بثنية لبيض بواد عبدي .

وفي سنة 1908 حاز على لقب فارس جوقة الشرف، وكانت له علاقات جيدة مع الإداريين الفرنسيين، وتعلّم صالح طرق تطعيم الأشجار وتربية المواشي، وحصل على ميداليات كما حاز على نيشان الافتخار، و وسام الاستحقاق الفلاحي.

وفي سنة 1914 حصل على منصب قايد في دوار واد الطاقة، وبعد سنتين من ذلك أي في سنة 1916 عُيّن ضابطا عند الترقية الخاصة للديوان القنصلي لجوقة الشر، وكان لا يزال يشغل منصب قايد دوار واد الطاقة حين كتب عنه الكاتبان مارتة وإدموند قوفيون في مارس 1917[2].

*** التقييد :**

هو تقييد صغير الحجم عثر عليه في الأرشيف الفرنسي الأستاذ عبد الحميد زوزو واستفاد منه في كتابه عن ثورة 1879 بالأوراس[3] ونشر نصه كاملا الأستاذ عبد القادر زبادية في مجلة الأصالة[4]، ولكن رغم صغر حجم هذا التقييد، إلا أن مؤلفه صوّر لنا بدقة وتفصيل أحداث ثورة 1879 بالأوراس ووجهة نظره هو في تلك الأحداث.

و بغض النظر عن موقف صاحب التقييد من هذه الأحداث، باعتباره مواليا للإدارة الفرنسية، إلا أن هذا لا ينقص من قيمة كتابته التاريخية التي تغطي جوانب هامة من التاريخ المحلي.

---

[1] - Gouvion, M et E Opcit, p 108.

[2] - Ibid, p 109.

[3] – عبد الحميد زوزو : ثورة الأوراس سنة 1879، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر:1986، ص 46.

[4]– عبد القادر زبادية:" وثيقتان عن ثورتي الأوراس لسنتي 1859 و1879"، مجلة الأصالة، ع 60-61، أوت– سبتمبر، 1978، ص ص 212–

يستهل المؤلف مخطوطه هذا بالعبارة التالية:" بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم تسليما .." [1] ثم يبدأ في التأريخ لحوادث ثورة الأوراس سنة 1879 و يسمي تلك الحوادث فتنة سيرا على عادة نظرة مؤلفي العهد العثماني للثورات ضد الأتراك.

ويعتبر أن المتسبب فيها رجل يدعى محمد بن محمد الصالح بن عبد الرحمن، البالغ من العمر 30 سنة، وهو من عرش بني بوسليمان من أولاد جار الله، وكان يقيم بقرية الحمام بأولاد داود وهو ينتسب للطريقة الرحمانية، ومن أتباع سي إبراهيم بن سي الصادق بن الحاج.

ويذكر صاحب المخطوط أن ذلك الثائر قد لاقى العون من فرقة اللحالح سكان قرية الحمام وأنه – أي المؤلف – عندما بلغه الخبر من بعض أقاربه، بادر بحكم منصبه بالذهاب إلى قائدهم سي محمد الهاشمي بن بوضياف، فوجده بالمكان المسمى العناصر أعلى المدينة بجبل أولاد داود وأخبره عن اجتماع اللحالح مع الثائئ، وأنه استشاره فيما يجب فعله، فاقترح عليه المؤلف جمع كل مشايخ أولاد داود، والإغارة على الثوار، ولكن القائد رأى رأيا آخر كلفه مقتل عدد من رجاله.

ويواصل المؤلف سرد التفاصيل التاريخية حول هذه الثورة التي وقف منها موقفا سلبيا بحكم منصبه، وذكر تفاصيل دقيقة حول حوادثها التي كادت أن تودي بحياته، وذكر أسماء المشاركين فيها وأسماء القياد وأعوان الإدارة الاستعمارية، وعدد من أعيان المنطقة، كما ذكر أسماء الجرحى والقتلى فيها وظروف جرحهم وقتلهم[2].

ويستعمل المؤلف في كل ذلك لغة بسيطة هي أقرب للعامية، ويميل أسلوبه في سرد الحوادث التاريخية إلى الأسلوب القصصي الذي كان يستخدمه المسلمون في العصور الوسطى فنجده يقول مثلا :" .. فبينما نحن منتظرون لرد الجواب منهم إلى ثلث الليل الأخير وإذا بالبارود قد تكلم [كذا] من العسة التي رتبناها بعيدة منا على نحو الكيلو متر، وعمدنا إلى السروج لشرح خيولنا ونقاتلهم، ركبنا ومعنا في ذلك القايد المرحوم خشية من هروب الأوباش من أولاد فاضل..."[3].

---

[1] – عبد القادر زبادية: : المرجع السابق ، ص 212.

[2] – المرجع نفسه ، ص 213-215.

[3] – المرجع نفسه، ص 212.

ووجدناه أيضا يستخدم الكلمات العامية أو المحوّرة من الفرنسية كقوله مثلا:" أشرفا علينا ووجههما مطليان بالحموم" وقوله " السيد اليوطنة ويقصد lieutenant و" السيد الجنرال ديفيزيون Général de division .

وأحيانا يستخدم عبارات وجملا فصيحة كقوله: " وعرفوني معرفة حقيقية، وبادروني بالرصاص، ونجاني الله من كيدهم، وأثنيت العنان للجواد نحو رفقتي طالبا النجاة، وهم في أثري بخيولهم."[1]

ورغم صغر حجم هذا التقييد كما قلنا إلا انه يعتبر مصدرا تاريخيا نادرا من المصادر المحلية حول ثورة الأوراس سنة 1879.

## 5-* الشيخ البشير بلقريني وتقييده عن حوادث 8 ماي 1945 بسطيف:

### * المؤلف:

لا نملك عن صاحب المخطوط في الفترة الحالية سوى معلومات بسيطة، فهو محمد البشير بن علي بن القريني أحد مجاهدي منطقة معاوية بسطيف، من قرية تاشودة ، ولد بها ونال حظا من التعليم في مسقط رأسه، وقد ناضل أثناء حوادث ماي 1945 واعتقل مع الأربعمائة شخص الذين اقتيدوا إلى بني عزيز، وتعرضوا للتعذيب من طرف الكولون، كما تعرضوا لضغط كبير من الفيلق الأجنبي الذي يسمى محليا "عسكر السنغال".

### * الكتاب:

هو نص مخطوط عبارة عن تقييد كتب بخط دقيق، ويبدو أنه مبتور في الأخير، لأن النهاية غير واضحة، ونعتقد أن هذا التقييد قد حُرّر مباشرة بعد هذه الحوادث، لأن تأثر وانفعال المؤلف بها بدا واضحا للغاية، كما أن دقة التفاصيل الواردة فيه تؤكد ذلك.

ويذكر محمد أرزقي فراد أن علي أمقران السحنوني كان هو من استنسخ نسخة من هذا المخطوط المسمى :" قطعة في وصف بعض أحداث انتفاضة 8 ماي 1945 بسطيف وخراطة وما

---

[1]- عبد القادر زبادية: : المرجع السابق ، ص 210.

بينهما من ريف"[1] وقد حصلنا على نسخة من هذا المخطوط الذي يحمل طابعا خاصا لأنه سجل حي من طرف شخص عاش وقائع المجزرة من الداخل.

ويغلب على هذا المخطوط الأسلوب البسيط ويميل في أحيان كثيرة لاستخدام كلمات عامية محرفة من الفرنسية كقوله : ميترايوز والأقراد والجندارنية والريجية ورايس بطايون السنغال .

وأما عن قيمة التقييد فإن المؤلف يرى أن حوادث ماي 1945 هي ثورة حقيقية حيث يقول في بدايته: " وقعت ثورة سطيف يوم الثلاثاء 8 ماي افرنجي سنة 1945 .."[2] وهذا يقدم لنا وجهة نظر محلية حول هذه الحوادث.

ويرى المؤلف أن تلك الحوادث " تسبّبتها فرقة من الشبيبة العصرية الإسلامية أرادوا الطواف في أزقة سطيف ومعهم راية أحدثوها..."

ويعتبر صاحب المخطوط أن الصراع الدائر في الجزائر هو صراع بين المسلمين والكفار حيث يقول:".. ووقع الضرب بين الفريقين الإسلام والكولون.." وفي موضع آخر حين يعدد القتلى يذكر الجزائريين بلفظ الإسلام فيقول" مات من الإسلام كذا " ويذكر االفرنسيين بلفظ النصارى أو الروم.

ويقدم لنا المخطوط طريقة انتقال هذه الثورة من سطيف إلى كل من خراطة وعدوان وعين الكبيرة وواد الذهب وبني عزيز، ويذكر تطور تلك الأحداث في تفصيل دقيق باليوم والشهر والساعة، ويذكر رد الفعل العنيف من جانب الكولون، واستيلائهم على أملاك الأهالي، والاستعانة في كل ذلك بالفيلق الأجنبي من السنغال الذين جردوا الأهالي من كل أملاكهم وساقوهم أسرى .

ويقدم المؤلف أسماء عدد من الضحايا الجزائريين وتاريخ استشهادهم، كما يذكر دور القياد في تجميع الأهالي في أماكن مخصصة، ووصف أصنافا من التعذيب تعرض لها الأسرى

---

[1]– محمد أرزقي فراد: إطلالة على منطقة القبائل، منشورات الأمل، تيزي وزو:2006، ص 207.

[2]– محمد البشير بن علي بن القريني: تقييد في وصف بعض أحداث ثورة 1945 بسطيف وخراطة وما بينهما من ريف ، مخطوط، ص 1.

كالضرب بالعصي، والإبقاء في أرض إسمنتية كانت مسبحا للكولون، والإلقاء في الأرض والدوس على البطن بالأرجل ..الخ.[1]

وهكذا تتضح لنا من خلال هذا العرض أهمية هذا المخطوط التاريخي الذي يمثل شهادة معاصرة لأحداث ماي 1945 وما نتج عنها من أعمال قمع من الجانب الفرنسي، وقد حفظ لنا صاحب المخطوط معلومات تاريخية مهمة تحظى بالكثير من المصداقية، لأن روايته تلك قد أكدها حتى بعض الوثائق الفرنسية .

## المبحث الثاني: التأريخ للمجاعات والأوبئة:

### 1-* محمد القاضي الصدوقي المسيسنيورسالته في الأوبئة والجوائح بزواوة:

#### * المؤلف:

ولد الشيخ محمد القاضي الصدوقي المسيسني بقرية تاقاعت قرب مدينة صدوق ببجاية سنة 1241 هـــ/ 1825 م، ونشأ في أسرة علمية ودينية، وتلقى دراسته في زوايا المنطقة على جملة من المشايخ منهم الشيخ محمد أمزيان بن الحداد، والشيخ يحي حمودي .

وبعد تلقيه الإجازات من مشايخه تولى محمد القاضي التدريس في قريته تاقاعت، وفي قرية محفوظة، ثم انتقل للتدريس بزاوية سيدي موسى في قرية تنبدار قرب ضريح الشيخ عبد الرحمن الوغليسي ببني وغليس، وقضى بها أربعة عشر عاما يدرس العلوم االشرعية واللغوية، وأنهى خلال ذلك أربعين ختمة من مختصر خليل [2].

وتخرج على يديه عدد كبير من الطلبة منهم الشيخ الشريف الافليسي والشيخ محمد السعيد بن زكري والشيخ السعيد أمسون بوزار، والشيخ السعيد أبهلول .[3]

---

[1]– محمد البشير بن علي بن القريني: المصدر السابق، ص 2.

[2]– محمد الشريف بن الشيخ: أصداء من الماضي، منشورات الحبر، الجزائر، ط1، 2009، ص 258.

[3] – المرجع نفسه، ص 259.

وإلى جانب ممارسته التدريس، فقد كان للشيخ محمد القاضي الصدوقي المسيسني مجلس للفتوى أيام السوق بسيدي عيش حيث يقصده الناس لعرض قضاياهم المتنازع عليها، وتوفي الشيخ سنة 1305 هـ/ 1887 م ودفن بمقبرة قرية تاقاعت[1].

**الكتاب:**

إضافة إلى تأليفه في الفرائض الذي ضاع، فقد خلف الشيخ محمد القاضي الصدوقي المسيسني كتابا قيما في التاريخ تناول فيه الأزمات الاقتصادية التي تعرضت لها المنطقة في عهده، جاء على شكل حوليات سنوية، ومما جاء فيه :" .. وفي أول عام 1283 هـ/ 1866 م ظهر الجراد في بعض الجهات فقط، واجتمع الناس على قتله بأمر من الحكام والقياد، فلما دنا وقت الحرث روت الأرض بالمطر الغزير، وشرع الناس في الحرث، وأكثروا منه لظنهم صلاح العام، فمن ذلك الوقت رُفع المطر، ويبست الأرض، وصار الناس يدعون الله ويتضرعون إليه لإنزال الغيث، وما زال الناس يخرجون للاستسقاء، ويخرجون الطعام، وهلك الزرع، تطوف الأغنام في الصحراء ولا تجد ما ترعى، وباع الناس مواشيهم بثمن بخس..."[2]

وتطرق المؤلف لظاهرة الغلاء فقال:" وفي عام 1284 هـ/ 1867 م ثار النقع والغبار في الأسواق، ونزل الطاعون وانتشر في البلاد مغربا ومشرقا، فقلّ من سلم من القرى والأعراش واشتد الغلاء بعد ذلك على الخلائق، وانقطع الحرث في تلك السنة على كثير من الناس لعدم الزريعة..."

كما تعرض كذلك للمنكرات التي كان يرتكبها الفرنسيون ضد الرجال والنساء في ظل تلك الظروف القاسية، وتحدث عن بعض المحسنين من العلماء، الذين قاموا بإعانة إخوانهم أثناء الأزمات الاقتصادية التي شهدتها البلاد فقال :" فأهل المعروف لا خلت الأرض منهم ولا يخيبونهم في العطاء..." وذكر من هؤلاء شيخه محمد أمزيان الحداد الذي:" زاد على ما كان منه من الإطعام في الأعوام الماضية، وقام بذلك أتم قيام جزاه الله بأحسن الجزاء، وإنه في النهار يفرق الخير على المستحقين، ولا يزال الطعام قائما في بيته إلى وقت العشاء، وفي الليل يخرج قصعا من الكسكس

---

[1]- محمد الشريف بن الشيخ: المرجع السابق، ص 260.

[2]- المرجع نفسه،ص 261.

على قدر عشرين أو أكثر من ذلك، وكذلك الفقيه المدقق المدرس شيخنا سيدي يحي أو حمودي قام بأمر المحتاجين أتم قيام جازاه الله خيرا."

وأشار إلى ظاهرة انتشار الموت في كل ناحية من القطر نتيجة هذه المجاعات والأوبئة فقال :" ..وكثر الموت في الخلائق في الأزقة والطرق، ومنهم من دفن، ومنهم من لم يدفن وأكلته الذئاب والوحوش، و لم تسلم قرية من القرى من خطر الموت هذه ستون وهذه أربعون..."

وكتب عن انفراج الأزمة عام 1285 هـ/1868 م قائلا :" وفي عام 1285 هـ فرّج الله عن الخلائق، وخصبت الزروع في كل ناحية جبلا وساحلا، وكثرت ثمرة الزيتون والتين، وبسطت الأرزاق بفضله وإحسانه.."[1]

وهكذا تتضح لنا القيمة التاريخية لهذا المخطوط الهام الذي يمكن تصنيفه كمصدر للتاريخ الاقتصادي والاجتماعي لناحية زواوة خلال الحقبة الاستعمارية.

## 2-* صالح العنتري و كتابه سنين القحط والمسغبة ببلد قسنطينة:

### المؤلف:

ولد محمد الصالح بن محمد بن أحمد بن محمد العنتري [2]بقسنطينة في أوائل القرن التاسع عشر ما بين 1205هـ/ 1790م و 1215/1800م [3] وتوفي بها بعد سنة 1293هـ/ 1876م[4] وهو ينتسب إلى عائلة عريقة اشتهرت بوظائف الكتابة والمهام الإدارية.

---

[1]– محمد الشريف بن الشيخ: المرجع السابق، ص 262.

[2]– هكذا ذكر سليمان الصيد نسبه أنظر كتابه : نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، ص 222.

[3]– ناصر الدين سعيدوني : من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص 533.

[4]– وذلك اعتمادا على الرسالة التي بعثها للضابط الفرنسي شارل فيرو سنة 1876 أنظر: أبو القاسم سعد الله :" رسالة العنتري وذلك إلى المترجم فيرو"، مجلة الدراسات التاريخية، ع1 ، 1986، ص 101.

عمل جده أحمد كاتبا بديوان صالح باي (1771-1791) [1] وتولى أبوه محمد وظيفة كاتب خاص لدى أحمد باي (1826- 1837)[2] كما شغل هو منصب "خوجة الدائرة" أي كاتبا بالمكتب العربي ( Bureau arabe) الذي أنشئ بقسنطينة تحت إشراف الضابط الفرنسي بواسوني (Boissonnet) الذي عرف عند الأهالي باسم القبطان بوسنة.

تلقى صالح العنتري تعليمه بقسنطينة على شيوخ أجلاء أشهرهم أحمد العباسي وعلي الونيسي وعمار المغربي، ومحمد بن عبد الرحمن باش تارزي، وأظهر منذ صغره ولعه بالأخبار والتواريخ، وميلا إلى العمل الإداري، فالتحق بالوظيف باكرا وتولى كتابة تحرير الكتابات باسم الضابط الفرنسي بواسوني وأثناء ذلك اكتسب اطلاعا على الثقافة الفرنسية.

ترك صالح العنتري العديد من المصنفات منها:" هدية الإخوان في موافقة التاريخين وتوقيعات الزمان وفوائد متفرقة لها شأن" [3] وله أيضا "إخوانيات" وهي عبارة عن رسائل شخصية للعنتري، كان قد كتبها لبعض أصدقائه ومعارفه، منها رسالة وجهها إلى المترجم فيرو يعرض فيها حالته، ويشكو من معاملة الفرنسيين له وعدم تقديرهم لخدماته، وتعتبر نموذجا لهذا النوع من الرسائل الإخوانية التي تعكس جانبا من حياة صالح العنتري، ولكن أهم كتبه هي كتابه عن تاريخ قسنطينة[4].

---

[1]- جاء في كتاب تحفة الإخوان للراشدي ذكر لأحمد زروق العنتري، ولعله هو المشار إليه أعلاه، ووصفه الراشدي بالأديب الحاذق الأريب، أنظر : عبد القادر الراشدي : تحفة الإخوان في تحريم الدخان ، دراسة وتحقيق عبد الله حمادي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ص 188.

[2]- صالح العنتري: فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة، تح: يحي بوعزيز، دار هومة، الجزائر:2005، ص 138.

[3]- وهو عبارة عن تقويم مقارن للتاريخ الهجري والميلادي أدرج فيه فقرات من الإنجيل وبعض آراء الجزائريين في الحضارة الغربية، ودروسا في اللغة الفرنسية وذلك بهدف اطلاعهم على الثقافة الفرنسية وتقريبهم من الإدارة الفرنسية حسبما أو عز له بذلك بواسوني، أنظر : سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي ، ص 536.

[4] – أبو القاسم سعد الله : رسالة من العنتري، ص 101.

***الكتاب:**

ألفه سنة 1870 باقتراح من الضابط الفرنسي أدلير الذي تولى أمور المكتب العربي بقسنطينة في تلك الفترة، وقال العنتري في ذلك : " .. ذا القدر العلي جناب المحترم السيد الكماندة [ كذا] دلير المتولي أمور سائر العرب بقسنطينة وعمالتها، فإنه رام جمع ذلك، وكلفني بالسعي فيما هنالك..." [1]

وقد تعرض العنتري في تأليفه هذا إلى الأوضاع الاقتصادية، وما تميزت به من أزمات أواخر العهد العثماني وأوائل فترة الاحتلال، و اهتم خاصة بإبراز الظروف التي تسببت في حدوث القحط والغلاء ما بين سنتي 1803 و1868.[2]

ذكر العنتري أنه ألف رسالته وهو في حالة اضطراب لم تكن تسمح له بالإجادة التامة التي كان يريد تحقيقها، وقد سجل كما ذكر هو بأمانة الحوادث التي بلغته من كبار المسنين الذين اعتمد على رواياتهم[3].

وينحصر مجال روايته في الفترة ما بين 1803 – 1868 كما ذكرنا آنفا، رغم أنه حاول أن يذكر مجاعة وقعت قبل عهد صالح باي بنحو 130 سنة أي في القرن 11 هـ/ 17 م ولكنه لم يذكرها لقلة معلوماته عنها.

قال العنتري عن رسالته هذه :" ... وبعد فهذه نبذة لطيفة وفريدة رائقة ظريفة كثيرة المعنى قليلة المبنى، رمت فيها الكالام عن سنين القحط والمسغبة التي تركت أهل بلد قسنطينة ووطنها ذوي متربة... واقتصرت في ذلك على ما أدركه أهل هذا الجيل من الدولة التركية والدولة الفرانسوية متحريا صدق الأقاويل "[4].

---

[1]– صالح العنتري:مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقديم رابح بونار، ش.و.ن.ت، الجزائر: 1974، ص 25.

[2] – ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي ، ص 535.

[3] – صالح العنتري:مجاعات قسنطينة،ص 10-11.

[4] – المصدر نفسه، ص 25.

عالج العنتري بعض المسائل التي تتعلق بالأسعار والغلاء، وتأثيرها على حياة السكان بأسلوب سليم ولغة سليمة، وروح عملية ونظرة مبتكرة، متلمسا العلل عارضا الأحكام والظواهر الاقتصادية مقارنا بين العهد العثماني وفترة الاحتلال الفرنسي، معتمدا في ذلك على معلومات تاريخية استقاها من شيوخ مسنين ورواة ثقاة عاشوا تلك الفترة وتأثروا بأحداثها.

وكان العنتري في هذا شبيها بالمقريزي (ت 845 هـ) في رسالته " إغاثة الأمة بكشف الغمة " وخاصة فيما يتصل بارتفاع الأسعار وقيمة النقود [1]، وقد كان العنتري مدركا لطرافة موضوع كتابه وفائدته حيث قال عنه في مقدمته : " إن في هذا الكتاب أمورا سيستحسنها أهل الرأي والتقدير، الساعين إلى جلب المصالح للكبير والصغير "[2].

تميز صالح العنتري فيما سجله من أزمات اقتصادية بالشرق الجزائري بوفرة معلوماته وتنوعها، وكذلك بدقة ملاحظاته ونظرته المحايدة، و احترامه سياق العرض التاريخي للأحداث مع تجنبه للاستطراد إلا فيما يراه ضروريا مضرب الأمثال الشعبية وإثبات أقوال الأولياء، ولعل ما يؤخذ عليه إعجابه بالحكم الفرنسي وتفضيله على الإدارة العثمانية في موقف المقارنة بينهما، ويعود ذلك إلى موقعه من الأحداث وتأثره بالتطورات التي عرفتها قسنطينة أثناء وبعد حكم الحاج أحمد باي لها.[3]

## المبحث الثالث: التأريخ للزوايا:

### 1-* محمد المصطفى بن الحاج البشير القندوسي وكتابه طهارة الأنفاس :

#### * المؤلف:

هو محمد المصطفى بن الحاج البشير القندوسي المولود بالقنادسة ببشار، كان لقبه في الحالة المدنية لعرج، وهو من أحفاد الشيخ محمد بن أبي زيان القندوسي، وقد نال تعليما تقليديا في

[1]- ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي ، ص 535.

[2]- صالح العنتري: مجاعات قسنطينة،ص 25.

[3]- ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي ، ص 535.

زاوية العائلة، واهتم بتدوين تراجم لشيوخها وجمع أخبارهم، ووضع كتابه سنة 1320 هـ/ 1902 م بالقنادسة وكانت وفاته سنة 1933.[1]

***الكتاب:**

هو مخطوط توجد نسخته الأصلية بالمكتبة الوطنية بالرباط رقم د 14 وتوجد نسخة مصورة منها بزاوية القنادسة ببشار، وكان المستشرق الفرنسي أوغست كور قد استفاد من نسخة مخطوطة من الكتاب وترجم منه أقساما هامة في مجلة العالم الإسلامي .[2]

والعنوان الكامل للكتاب هو : " **طهارة الأنفاس والأرواح الجسمانية في الطريقة الزيانية الشاذلية المتمسكة بالشريعة المطهرة المحمدية** " وفيه تراجم لشيوخ الزاوية بدءًا من الشيخ الأول سيدي محمد بن أبي زيان القندوسي مؤسس الزاوية سنة 1098 هـ/ 1686 م والذي تتبع سيرته من خلال المأثورات الشفهية وبعض الوثائق المخطوطة.[3]

و أنهى محمد المصطفى عمود نسب الشيخ إلى الحسن بن علي بن أبي طالب فهو:" محمد بن عبد الرحمان بن محمد بن أبي زيان بن عبد الرحمان بن أحمد بن عثمان بن مسعود بن عبد الله الغزواني بن سعيد من يونس بن عبد الله بن عبد الرحمان بن أحمد بن عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر بن علي بن حرمه بن سلام بن عيسى بن مزوار بن على بن حيدرة بن محمد بن إدريس بن إدريس بن الحسن الثنى بن حسن السطي بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم"[4].

---

[1]– عبد الله حمادي الإدريسي وخونا أحمد محمود الجكني: مقدمة تحقيق كتاب شراب أهل الصفا، المرجع السابق، ص 62 .

[2] - A.Cour : « Le Cheikh El Hadj Mohamed Ben Bou Ziyan, fondateur de la confrerie des Ziyania et ses successeurs », in R.M.M , N° 11, Novembre 1910, pp 359.

[3]– محمد المصطفى القندوسي: مخطوط طهارة الأنفاس والأرواح الجسمانية في الطريقة الزيانية الشاذلية المتمسكة بالشريعة المطهرة المحمدية،مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم د 14، ص 3-25.

[4] – المصدر نفسه ، ص 23.

وذكر المؤلف رحلة مؤسس الزاوية للمغرب الأقصى لتلقي العلم في زاوية سيدي مبارك بن عزي الغرفي بسجلماسة بقصد الانتفاع وقراءة العلم، وقد لازمه محمد بن أبي زيان قرابة عشرين منة خلالها كان ينتهل من العلوم القرآنية وما يتصل بها، صدق مع الله فوق زينة الحياة وزخرفها فكان لا يأنس إلا بالله ولا يصغي إلا لنداء العقيدة ويتربى على الطريقة الناصرية الزروقية وعودته سنة 1098 هـ/ 1686 م ليؤسس الزاوية ويتتبع سيرته إلى غاية وفاته.[1]

وينقل صاحب طهارة الأنفاس عن بعض المصادر منها مخطوط فتح المنان في سيرة الشيخ محمد بن أبي زيان لمؤلفه عبد الرحمن بن محمد مزيان اليعقوبي الحسني الإدريسي ، وقد نقل منه أوراد الطريقة الزيانية التي كان مؤسس الزاوية يلقنها لمريديه، وذكر المؤلف السند الزياني الذي أخذه عن شيخه سيدي مبارك بن غرى السجلماسي الغوفي، عن شيوخه وصولا إلى الشيخ الأول أبي الحسن الشاذلي.[2]

ومضى المؤلف في الترجمة لشيوخ الزاوية فقدم ترجمة للشيخ الثاني سيدي محمد الأعرج بن سيدي محمد بن أبي زيان، الذي تابع سيرة والده في تدبير شؤون الزاوية وتوسيع أوقافها .[3]

وسرد سيرة الشيخ الثالث سيدي أبو مدين بن محمد الأعرج الذي ورث " السر من والده واتبع سيرته فازداد له الخير والبركات من مواهب الله تعالى " كما قال المؤلف، الذي أضاف أن هذا الشيخ اشتهر بالحزم والانضباط، وأنه عمل على زيادة موارد الزاوية المالية من خلال توسيع أوقافها، وأنه بنى مسجدا وصومعة في الزاوية .[4]

[1] – محمد المصطفى القندوسي : مخطوط طهارة الأنفاس ، ص 25 .
[2] – المصدر نفسه، ص 99 – 101.
[3] – المصدر نفسه، ص ص 26 – 29.
[4] – المصدر نفسه ، ص ص 29 – 34 .

وأورد المؤلف سيرة الشيخ الرابع للزاوية وهو الشيخ سيدي محمد بن عبد الله [1] بن سيدي أبي مدين الذي تابع سيرة أسلافه " فأظهر الله عليه أنوار السعادات من خوارق العادات ونفع الله به خلقا كثيرا .." إلى وفاته سنة 1242 هـ/ 1825 م.[2]

وأما الشيخ الخامس للزاوية وهو الشيخ سيدي أبو مدين بن سيدي محمد بن عبد الله فقد كان" فقيها نجيبا يجالس العلماء ويتذاكر معهم، وكان شاعرا" و أورد له المؤلف قصيدة وعظية من 11 بيتا، وتوفي هذا الشيخ سنة 1268 هـ/ 1852م. [3]

وقال عن الشيخ السابع وهو الشيخ سيدي مبارك بن سيدي محمد بن عبد الله أنه تولى إدرة شؤون الزاوية 11 شهرا ثم سلم إدراتها لولد أخيه سيدي محمد بن عبد الله بن سيدي محمد المصطفى ثم خرج قاصدا بلدة أوطاط الزيتون بالمغرب الأقصى والتي أسس بها فرعا للزاوية وتوفي سنة 1284 هـ/ 1867 م [4].

وهكذا فالكتاب هو كتاب تأريخ للزاوية وتراجم لشيوخها من خلال وثائقها الخاصة وبعض الروايات المتواترة .

## 2-* محمد السعيد بن زكري وكتابه أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل:

### * المؤلف:

هو الشيخ " الفقيه العالم المدقق المتقن" [5] محمد السعيد بن أحمد بن أمقران بن الشيخ بن زكري، ولد في قرية إيزكريين من عرش بني جناد دائرة آزفون ولاية تيزي وزو في حدود سنة

[1]- هو اسم مركب وليس عبد الله والده.

[2]- محمد المصطفى بن الحاج البشير القندوسي : مخطوط طهارة الأنفاس، ص 34 .

[3]- المصدر نفسه، ص 34-35 .

[4]- المصدر نفسه ، ص 36.

[3]- كما وصفته جريدة كوكب إفريقيا التي رثته في مقال لها بتاريخ 17 أفريل 1914 م.

1270 هـ/ 1853 م، وقد تعلم في كتاب القرية ودرس على أخيه – الذي عين فيما بعد مفتيا بتيزي وزو– وأتقن على يده فنون التجويد والقراءات كما درس على يده مبادئ النحو .

ارتحل محمد السعيد في طلب العلم قاصدا زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي وبها ختم القرآن الكريم بفنون القراءات والتجويد والروايات، ثم درس على الشيخ أبو القاسم البوجليلي كتب النحو وتلقى الفقه وأصوله على العالم الشيخ محمد القاضي بن مرزوق في زاويتي تاقاعت وسيديس الموفق ببني عيدل كما درس عليه أيضا بزاوية سيدي أحمد زروق ببني وغليس.

وبعد ذلك عاد لمسقط رأسه وتصدى لتدريس الفقه وعلم الكلام والنحو في زاوية سيدي عمرو بن الحاج ببني يجر ، وواصل التدريس وتخرج على يده نخبة من أهل العلم أهمهم صهره محمد أرزقي بن علي مفتي دلس .[1]

ارتحل محمد السعيد لمدينة الجزائر التي اتخذ بها مسكنا وواصل مهنة التدريس هناك، فترل بجامع سيدي محمد الشريف وبدأ في تدريس النحو والبلاغة والمنطق والأصول واستمر كذلك حتى شغر منصب التدريس بالجامع الأعظم بتنحي الشيخ باصوم فوقع عليه الاختيار ليحل محلة سنة 1887 م وعند وفاة الشيخ محمد القزادري سنة 1894 حل محله الشيخ محمد السعيد في منصب المدرس والإمام بنفس المسجد وتقلد بعدها منصب الإمامة والخطابة بجامع سيدي رمضان فدرّس به كتب الحديث ورتب دروسا في الوعظ والإرشاد .

وقام برحلة إلى تونس التي اجتمع فيها بالشيخ عمر بن النجار ثم ارتحل إلى الشام وزار دمشق ، ثم عاد للجزائر فتلقى علم الفلك على الشيخ المكي بن عزوز أثناء نزوله للجزائر .

منحت الحكومة الفرنسية الشيخ محمد السعيد بن زكري وسام جوقة الشرف من رتبة فارس، كما منحته وسام المعارف من الدرجة الأولى، وفي سنة 1908 تقلد منصب الإفتاء المالكي مكان الشيخ ابن زاكور وظل في هذا المنصب إلى غاية وفاته سنة 1914 م، كما شغل منصب معلم بالمدرسة الثعالبية المشهورة، وترك بن زكري عددا من المؤلفات منها فتاوى لم تطبع وكتابه أوضح الدلائل .[2]

[1] – زهير إيحدادن: أعلام الصحافة في الجزائر، ج4، دار هومة الجزائر، ص 21.

[2] –أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، ص 232.

* **الكتاب:**

هو عبارة عن" رسالة نفيسة" كما وصفته جريدة كوكب إفريقيا التي نَعَتْ صاحبه بعد وفاته سنة 1914، وبغض النظر عن المواقف السياسية لصاحبها الذي اعتبر ثورة 1871 خروجا عن القانون، وأن الذين قاموا بها جماعة من المفسدين، فقد تضمن كتابه هذا فوائد تاريخية هامة نظرا لمكانة صاحبها.

يعد كتاب أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل مصدرا هاما لتاريخ منطقة زواوة في مطلع القرن العشرين، وقد قسّم المؤلف كتابه إلى: مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، يحتوي في المجموع على 127 صفحة موزعة على النحو التالي:

-المقدمة: 8 صفحات.

-الفصل الأول: من صفحة 9 إلى صفحة 16.

-الفصل الثاني: من صفحة 16 إلى صفحة 35.

-الفصل الثالث: من صفحة 35 إلى صفحة 75.

-الفصل الرابع: من صفحة 76 إلى صفحة 87.

-الخاتمة: من صفحة 88 إلى صفحة 127.

ويتجلى من خلال هذا التوزيع أن المؤلف لم يراع توازن الفصول، مع العلم أن عنوان الكتاب مستوحى من الفصل الثالث الذي يشكل الموضوع الرئيسي للكتاب، وغاية تأليف الكتاب أكبر من أن تحصر في الغاية الإصلاحية التربوية فقط، فهناك غاية سياسية واضحة تهدف إلى إحكام قبضة الدولة الفرنسية على هذه الزوايا، و التي سبق لشيوخها أن شاركوا في ثورة 1871 التي أقضت مضاجع الفرنسيين وأثارت رعبا وذعرا في أوساط المستوطنين قبل تمكن الجيش الفرنسي من استرجاع زمام الأمور إليه[1].

ونظرا لارتباط المؤلف بالإدارة الفرنسية بحكم منصبه فمن الارجح أن يكون قد ألف كتابه هذا الكتاب بإيعاز من الإدارة الفرنسية، وقد أظهر المؤلف في هذا الكتاب معارضته الشديدة لرجال الدين الثائرين بوصف ثورتهم بقوله: "... إن الثورة المشار إليها عبارة عن حركة أقوام إن

[1]- محمد أرزقي فراد: أزفون تاريخ وثقافة، دار الأمل للطباعة والنشر ، الجزائر : 2003، ص ص 123.

لم نقل وحوش، تولّد عنها الفحش والبغي والعدوان والفساد في الأرض، وكل ما يمجه الطبع السليم من قتل النفوس التي حرم الله بغير حق، وهتك حرمة بشريتهم بالذبح وشق البطون وقطع الأعضاء وإلقائها في النار...فما حركة هؤلاء المساكين بالنسبة إلى حركة أودية عساكر الجمهورية الفرنسوية الرامية بالصواعق المحرقة إلا كحركة نملة بوادي النمل." [1]

وبعد كل هذه الإساءة أصدر ابن زكري محمد سعيد حكما يقضي بعدم شرعية هذه الثورة :" ... فقد بان لك من هذه الحقيقة أن ثورة الحادية والسبعين ليست من الشرع بشيئ فيحرم انعقادها والسعي في إيقاد نارها."[2]

واقترح المؤلف مجموعة من الاقتراحات الإصلاحية التربوية منها تخصيص دفاتر لتسجيل دخول وخروج الطلبة، و تخصيص دفتر خاص للمالية، و إدخال الكتب المدرسية إلى الزاوية كوسيلة تربوية من وسائل التعليم، و إصلاح البرامج بإدراج مادة التاريخ يحظى فيها تاريخ الدولة الفرنسية بعناية خاصة، و إخضاع تعيين المدرسين لرقابة الإدارة الفرنسية على أن تحتفظ هذه الأخيرة بملفاتها، و ترك أجرة المدرس على عاداتها القديمة أي تؤخذ من الوقف (من أرزاق الزاوية) مع دفع بعضها ثمنا وبعضها عينا، وتكون نفقته اليومية على عاتق الزاوية، و تحديد مجال الدراسة بمدة زمنية معلومة لتشجيع النجاعة، وأخيرا الفصل بين طلبة العلم وبين الإخوان المريدين الذين يقصدون الزاوية للعبادة فقط[3].

وانتقل المؤلف للتعريف بصاحب زاوية عبد الرحمن الأيلولي فقال إنه" الولي الصالح المرشد الناصح المقرئ النافع أبو زيد سيدي عبد الرحمن بن يسعد المصباحي الخردوشي اليلولي الزواوي " وذكر سيرة هذا الشيخ وأسماء شيوخه وتلاميذه وأوصافه ومكانته المهابة بين جميع القبائل[4] .

وذكر المؤلف تأسيسه لزاويته، ثم انتقل للحديث عن تطور الزاوية حتى عهد المؤلف وقال إنها تعتمد في عملها على تطوع الطلبة بسبب قلة المداخيل الخاصة، فشيخ الزاوية هو الشخص

---

[1]– محمد السعيد بن زكري : أوضح الدلائل على وجوب إصلاح الزوايا ببلاد القبائل، مطبعة فونتانة، الجزائر: 1903، ص 20 -23.

[2]– المصدر نفسه، ص 22.

[3]– المصدر نفسه، ص ص 35- 43

[4]- المصدر نفسه،ص 43-44.

الوحيد الذي يدفع له مرتب، كما يخضع الطلبة بمختلف أقسامهم لنظام داخلي صارم يتميز بعقد مجالس التأديب يوميا لتسليط العقوبة بنوعيها (إنجاز أعمال ودفع المال) على المذنبين، وتسند أمور الطهي والغسل والتنظيف وجلب الماء والحطب للطلبة بالتداول.

وتستقبل الزاوية في الغالب أبناء فئة الأشراف المرابطين أما غيرهم من عامة الناس فهم قلة. ولما كانت المداخيل شحيحة فإن الوجبات الغذائية الثلاثة اليومية ضعيفة من حيث النوعية وقليلة من حيث الكمية، فالغذاء والعشاء يكونان عادة عبارة عن كسكس الشعير، أما اللمجة المبرمجة بينهما فهي تنحصر في التين المجفف، وهكذا فإن الطلبة لا يتناولون اللحم وكسكس القمح إلا في المناسبات القليلة[1].

وبالنسبة لمواقيت العمل فهي مكثفة بحيث يبدأ العمل من الفجر إلى غاية ما بعد صلاة العشاء، يتوزع فيها وقت الطالب بين كتابة القرآن وحفظه والإقبال على دروس النحو والقواعد والفقه، مه وجوب حضور قراءة حزب الراتب مرتين في اليوم (صباحا وبعد صلاة المغرب) ووجوب حضور صلوات الجماعة ما عاد صلاتي العشاء والصبح (فرض كفاية). وينحصر وقت الراحة اليومية ما بين العصر والمغرب، أما الراحة الأسبوعية فإنها تكون يوم الخميس، ويعيش الطلبة نظاما صارما يشرف عليه "المقدم"، فهم ينامون بنظام ويأكلون بنظام يدرسون بنظام، أما شيخ الزاوية فهو لا يغادرها إلا مرة واحدة خلال شهري عمل ولمدة عشرة أيام فقط على أن يكلف طالبا ذا كفاءة عالية لينوب عنه طيلة مدة الغياب، وزيادة على وظيفة التعليم، فإن الزاوية تستقبل ضيوفا وزوارا وغرباء وفقراء للزيارة والتبرك كما يقتضي واجبها حسن استضافة هؤلاء ولو على حساب غذاء الطلبة أحيانا إن كانت زيارة هؤلاء مفاجئة.[2]

كما تحدث المؤلف عن الاحترام المتبادل بين الطلبة والمواطنين المجاورين للزاوية، وتكلم بإسهاب عن طلبة الزاوية المبتدئين الذين يدعون "إقداشن" ونظامهم الداخلي السري الذي لا يطلع عليه غيرهم.

---

[1]- محمد السعيد بن زكري : المصدر السابق ، ص 45-47.

[2]- المصدر نفسه ، ص 50.

ورغم أن الكتاب قد وضع أصلا لتلميع صورة الدولة الفرنسية وتبييضها، فقد اعترف الكاتب بفساد الإدارة الفرنسية بفعل انتشار الرشوة في أوساط الموظفين والعمال المسلمين الذين جعلتهم فرنسا واسطة بينها وبين الجزائريين لبسط نفوذها عليهم، ولقهرهم بقوانين جائرة تثقل كواهلهم بالضرائب الفادحة.

وقد ذكر المؤلف أن هؤلاء الموظفين (أمناء- قياد- باشاغوات) كانوا يعاملون الأهالي بمنتهى القساوة والتعسف لابتزاز أموالهم وأرزاقهم، واصفا خطابهم الترهيبي على النحو التالي: "... أيها الناس ألم تعلموا إني ربكم ورب أهاليكم وأولادكم ورب أرضكم وسمائكم، والحي من أحييته،والميت من أمته، والغني من أغنيه، والفقير من أفقرته، والعزيز من أعززته، والذليل من أذللته، والناجي من أنجيته، والغريق من أغرقته. ألم تعلموا أن الدولة الجمهورية قد فوضت لي جميع أموركم، وجعلت في قبضة سطوتي زهوق أعماركم، وفي كفة ميزاني وزن أعمالكم وأنا اليوم أفعل ما شئت، كيفما شئت، ولا أسأل عما أفعل، فبساط قهري مضجعكم، وإلي مرجعكم." [1]

و أوضح المؤلف غرق هؤلاء الموظفين المعينين في الرشوة قائلا: " ... فظهر من هذا أن حركات المعينين ليست لغرض دولي بل لجلب مصالحهم واستكثار جريان المياه إلى حياضهم."[2]

ومما تجدر الإشارة إليه أن المؤلف قد وضع هؤلاء الموظفين في مقدمة السلم الاجتماعي ببلاد القبائل، وذكر أن من تعلق بذيل الدولة الفرنسية لا خوف عليه لأنه تحصن بحصن حصين "...أما القسم الأول فهو كل من (له) تعلق بذيل الدولة الجمهورية، وتمسك ولو بأدنى سبب من أسبابها، فهذا ليس عليه من الزمان شكوى، ولا من أهله اعتداء وبلوى لاستناده إلى الجانب القوي وتحصنه بحصن الحصين"[3].

وقد تمكن المؤلف من تقديم مادة تاريخية هامة عن الحياة الاجتماعية في منطقة زواوة، وفي هذا الإطار جاء حديثه عن مشكلة المرأة القبائلية المتشعبة، فهي تعاني من الحرمان من الميراث منذ صدور فتوى في هذا الشأن خلال منتصف القرن الثامن عشر، ومن العادة الفاسدة المتمثلة في

---

[1]– محمد السعيد بن زكري : المصدر السابق ، ص 78.

[2]- المصدر نفسه ،ص 82.

[3] - المصدر نفسه ، ص 83.

انتشار الطلاق على وجه "الخلع" ولو كانت مظلومة، فكثير ما يطرد الرجل زوجته إلى أهلها بطريقة تعسفية، ثم تبقى "معلقة" أي لا هي في دار زوجها ولا هي مطلقة عندما تعجز عن تسديد التعويضات التي يطلبها زوجها، كما أن المرأة المتوفى عنها زوجها تعد من المتروك،وتقسم بين الورثة كالأثاث والأرزاق، ويصبح مصيرها في يد الوريث فقد يتزوجها إن حلت له ، أو يزوجها لغيره إن كانت محرمة عليه، أو يتركها معلقة مدى الحياة.

والخلاصة أن الكتاب قدم مادة تاريخية ثرية عن دور الزوايا البارز في منطقة القبائل خلال القرن العشرين، والمتمثل في نشر التعليم العربي الإسلامي، ونشر الفضيلة، وتنظيم الحياة الاجتماعية على أساس الشريعة الإسلامية، ورفع راية الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي علما بأن ثورة 1871 قد انطلقت من الزوايا بقيادة رجال الدين.[1]

## 3-* أحمد داوي و تقييده في تاريخ زاوية سيدي منصور الجنادي:

### * المؤلف:

هو أحمد بن محمد داوي شيخ زاوية سيدي منصور الجنادي بقرية ثيميزار دوار إيزارازن حكم آزفون، كما جاء في ذلك التقييد الذي استفاد منه بوليفة في بحثه جرجرة عبر التاريخ كما استفاد منه في التعرف على قانون زاوية سيدي منصور، وقام بوليفة بنشر المخطوط باللغة العربية ووضعه ملحقا لكتابه عن جرجرة .

### * الكتاب:

هو عبارة عن تقييد صغير به عشر صفحات، ولكن به فوائد تاريخية هامة، والمخطوط يبدأ بالعبارة التالية:" بسم الله الرحمن الرحيم ولا يدوم إلا وجهه الكريم، الحمد لله الذي فتح لأوليائه طريق النجاة والسلامة...."[2] وينهيه بعبارة " ...وأما عوائد الدشرة ففحصت عنها وسألت الأمناء

---

[1]- محمد أرزقي فراد، أزفون تاريخ وثقافة، ص 123.

[2]- أحمد داوي : تقييد في تاريخ زاوية سيدي منصور الجنادي، ص 1-2 ضمن كتاب : Boulifa ; Le Djurdjura à travers l'histoire ( depuis l'antiquité jusqu'à 1830);Organisation et indépendance des Zouaoua (Grande Kabylie ), Alger 1929

فلم أجد شيئا في هذه الساعة منها، انتهى كتبه داوي أحمد بن محمد شيخ زاوية سيدي منصور الجنادي بقرية ثيميزار دوار إيزارازن حكم آزفون." [1]

ويبين المؤلف في مقدمة كتابه هذا ضرورة محبة الأولياء والاقتداء بسيرتهم ثم يوضح أنه كان ملازما للطلبة في الزاوية المذكورة متعلما ومعلما، ويقول أن من كلفه بهذا العمل —و هو بوليفة الذي لم يذكر اسمه، ووصفه فقط بالفاضل "صاحب الخير وبالغ غاية الإفهام " قد طلب منه أن يكتب له قوانين الزاوية وعوائدها وكيفية الحكم فيها فأجابه بوضع هذا التقييد التاريخي، و برّر ذلك بأنه لا يجوز له مخالفته" لصدق المودة والمحبة " .[2]

وذكر المؤلف أن سيدي منصور الذي تنسب له الزاوية نزل بآيت جناد بمنطقة زواوة في القرن التاسع الهجري، وكان من أكابر الأولياء حسبما وصفه المؤلف، وأن الناس كانوا يوقرونه ويعظمونه ، بل أن كبار صلحاء المنطقة كانوا يشاورونه " في جميع المهمات والنازلات في هذا العرش" لصلاح رأيه فقرر إقامة زاوية لتعليم القرآن للصبيان وأعانه أهل العرش بالمئونة للطلبة، ثم وضع سيدي منصور قانونا للزاوية وذلك لتنظيمها وكان ذلك القانون —حسب المؤلف- " ضابطا وعادلا بحيث لا فرق بين الكبير والصغير ولا بين العظيم والحقير فبقي ذلك القانون متواترا ومتناقلا إلى الآن.." .[3]

ويضيف المؤلف أن أهالي المنطقة لم يغيروا ذلك القانو ن واعتبروه مقدسا وصارت له حرمة كبيرة عندهم، ثم يمضي المؤلف في الحديث عن تنظيم الزاوية فيقول أن عدد الطلبة يتراوح بين 60 و 85 في غالب الأوقات، وهم أربع طبقات أعلاها الأكابر والعقلاء أو المقدمين- وعددهم من عشرة إلى خمسة عشر - الذين يحكمون في جميع الشؤون المالية للزاوية، وهم مسؤولون عن معاقبة الطلبة إن أخطئوا وأوامرهم نافذة، ويذكر المؤلف نماذج من العقوبات المطبقة.

وأما الطبقة الثانية فهي تتكون من المقدمين أيضا - وعددهم من 6 إلى 10 أو أكثر - ولكن وظيفتهم هي الحرص على الصلاة وقراءة القرآن في الأوقات المحددة وتفقد الطلبة .

---

[1]- أحمد داوي : المصدر نفسه،ص 2.

[2]- أحمد داوي : المصدر السابق، ص 3.

[3]- المصدر نفسه، ص 4

والطبقة الثالثة هم الوكلاء الذين يصل عددهم إلى أربعين وهم مسئولون عن مئونة الطلبة وضيوف الزاوية ويستعين ببعض الطلبة" القداديش " للخدمات والحوائج المتعلقة بالمسجد من كنس وتغطية طعام ورعي وجلب الماء ...الخ.

وأما الطبقة الرابعة والأخيرة فهم المعروفون بالقداديش ومدة خدمتهم عام أو عامين وهم من صغار السن من الطلبة .

وينتقل المؤلف للحديث عن مناقب سيدي منصور وكراماته اعتمادا على الروايات الشفهية المتواترة عند أهالي المنطقة، ويعرج بعد ذلك إلى الإشارة إلى علاقة عرش بني جناد بالأتراك والتي كانت متوترة بسبب رغبة الأتراك في الاستفادة من أخشاب المنطقة مما أدى إلى تصدي سكان المنطقة للأتراك وطردهم من المنطقة، وعاود الأتراك الكرة ولكن الطاعون انتشر في صفوفهم فرجعوا للجزائر.[1]

## 4-*يحي بوطمان و كتابه تاريخ زاويةأولاد سيدي بن عمر قرب ندرومة:

المؤلف من مواليد مدينة ندرومة ومن الذين درسوا بزاوية أولاد سيدي بن عمر وتأثروا بها إضافة إلى دراسته في المدرسة الفرنسية بتلمسان ، ومن الذين كانت لهم إسهامات في طريقة كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية، وله طريقة خاصة وضعها سنة 1953 استفاد منها المستشرقون في دراسة التراث العربي الإسلامي[2].

وأما هذا الكتاب فهو تأريخ للزاوية منذ نشأتها، وحديث عن دورها الاجتماعي في المنطقة وقد صدر عن مطبعة الكتبية بتلمسان سنة 1950 وبه 48 صفحة من الحجم المتوسط.

تحدث المؤلف عن الموقع الجغرافي للزاوية، فقال إنها تقع في منطقة نائية معزولة بين أراضي منبسطة وجبال وعرة المسالك وسهول ووديان، في قرية صغيرة بالشمال الغربي لولاية تلمسان، وتبعد عن ندرومة بحوالي ثلاثة عشر كيلومترا، وعن تلمسان بست وأربعين كيلومترا، وذكر أن

---

[1] – أحمد داوي : المصدر السابق، ص 7.

[2] - Sultan Zeyad, M.A: Investigation of the education and practice of calligraphy dissertation presented in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree Doctor of Philosophy in the Graduate School of The Ohio State University, 2004 , p 123.

سبب اختيار مؤسس الزاوية الصوفي الشيخ سيدي داود هذا المكان الخالي وهذه المنطقة المعزولة هو الرغبة في العزلة والبعد عن الناس[1].

وقال المؤلف أن المكان الذي بنيت به الزاوية يتميز بخاصية تفتقر إليها المناطق الأخرى، وهي عذوبة مائها، فالزاوية والمسجد يأتيهما الماء من عين تقع في أعلى الجبل، وهي عين قديمة يعود تاريخ ظهورها إلى مئات السنين.

وأضاف أن الفضل في تأسيس هذه الزاوية يرجع إلى الشيخ داود، وهو الابن الحادي عشر لمؤسس مدينة فاس المولى إدريس الثاني، و هاجر الشيخ داود من مدينة فاس واستقر بجبال طرارة المعروفة بطابعها الصخري الصلب، ومكانها الموحش، ومسالكها الوعرة.

وقال أن شيوخ الزاوية كانوا ينتسبون للطريقة القادرية، وفي عام 1027هـ/1618م نهجت أسرة سيدي بن عمرو نهج دار الضمانة بوزان المغربية، التي كان على رأس مشيختها مولاي عبد الله الشريف الوزاني، وهذا ما يؤكده شيوخ الزاوية بالتواتر.

يبدأ تاريخ الزاوية -حسب المؤلف- إلى ما قبل سنة 1104هـ/1690م، وهو تاريخ وفاة الشيخ سيدي محمد بن عمرو أول جد لهذه الأسرة ، وعرف عن هذا الرجل أنه كان صوفيا من الأولياء، ودامت مشيخته لهذه الزاوية حوالي سبعين سنة، وكان في هذه الفترة متمسكا بنهج أبيه الشيخ سيدي داود.

وبعد وفاة سيدي محمد بن عمرو انتقلت المشيخة إلى ابنه الشيخ سيدي محمد الذي تولى القيام بشؤون الزاوية مدة ستين سنة، وكانت وفاته حوالي 1161هـ/1748م، وفي عهده توسعت رقعة الأراضي المحيطة بالزاوية وكثرت المحاصيل الزراعية وتنوعت، فذاع صيت الزاوية وأصبحت مزارا يقصدها الناس من أماكن بعيدة للتبرك[2].

---

[1] -Bouteméne Yahia:la Zaouia de Ouled Sidi Bénamar prés de Nédroma, Edition la Koutoubia-Tlemcen 1950 , p 5-11.

[2] -Bouteméne Yahia:Opcit,p 13.

ويأتي بعد هذين الشيخين الشيخ           الحاج محمد ، ودامت مشيخته لهذه الزاوية مدة ستة وأربعين سنة، وتوفي بمكة ودفن بها سنة 1209هـــ/1794م، وكان قبل وفاته قد عين ابنه سيدي الحاج محمد العالم خليفة له على الزاوية.

وعاش الشيوخ الثلاثة وهم: سيدي محمد بن عمرو وسيدي محمد والحاج محمد بن عمرو في عهد الأتراك، ويعتبر الشيخ سيدي الحاج محمد العالم حلقة وصل بين الشيوخ الذين عاشوا في عهد الأتراك، و الشيوخ الذين عاشوا في عهد الإحتلال الفرنسي[1].

في عام         1209هـــ/1794م تولى مشيخة الزواية الشيخ سيدي الحاج محمد العالم ، ودامت مشيخته للزاوية مدة تزيد على الثمانين سنة، وعرف هذا الرجل بحبه لطلب العلم، وهذا ما حفزه على السفر إلى مدينة مازونة التي تتلمذ بها على يد عالمها الشهير آنذاك الشيخ الحاج محمد بوراس الكبير [2].

وفي فترة مشيخته طلب منه أخوه           الحاج أحمد الانفصال عن الزاوية واقتسام تركة أبيهما وكان له ما أراد، وبذلك وقع الانفصال في الأسرة، وكوّن الحاج أحمد مع أحفاده قبيلة أولاد بن داود ويسمون أيضا أولاد سيدي بن عمرو التحاتة.

ذكر المؤلف أن الإدارة الفرنسية اتهمت الشيخ           سيدي محمد العالم بالتواطؤ مع قبيلة بني يزناسن المغربية، الثائرة ضد الحكم الفرنسي، وبتموين ثورة الأمير عبد القادر، فأبعدته إلى مدينة قسنطينة وقضى في السجن سنتين كاملتين، أفرج عنه بعد ذلك وعاد إلى الزاوية.

وتوفي الشيخ           سيدي محمد العالم سنة 1293هـــ/1876م مخلفا خمسة أولاد، هم: سيدي المصطفى وسيدي المنور وسيدي عبد السلام و سيدي الدريوش وسيدي الحاج بن عبد الله [3].

يذكر المؤلف أنه بعد هذه الفترة، تولى شؤون الزاوية           عدد من الشيوخ، كان أولهم الشيخ سيدي المصطفى، الذي خلف والده الشيخ سيدي محمد العالم على رأس الزاوية، و تولى هذا الشيخ شؤون الزاوية مدة ثلاثين سنة، اهتم خلالها بتوطيد أسس الزاوية وتقوية نشاطها، إلى غاية وفاته سنة 1324هـــ/1906م.

---

[1] -Ibid,p15.

[2] - Bouteméne Yahia:Opcit,p 23.

[3] -Ibid,p25.

و تولى مشيخة الزاوية بعده الشيخ سيدي الدريوش، خلفا لأخيه الشيخ سيدي المصطفى ودامت مشيخته للزاوية مدة أربعة عشر سنة، وعرف عن هذا الشيخ قدرته الفائقة في شفاء المرضى وحسن معاملته للناس غنيهم وفقيرهم.

وتحدث المؤلف عن ثورة أهالي ندرومة وضواحيها على السلطات الاستعمارية في سنة 1912م، ويعود سبب هذه الثورة إلى رفض الأهالي تطبيق قانون التجنيد الإجباري على شباب المنطقة، و لم تخمد هذه الثورة إلا بعد تدخل الشيخ سيدي الدريوش الذي استطاع بحكمته امتصاص غضب الأهالي، وإقناعهم بالعودة إلى ديارهم وترك هيئة الجيش تقوم بعملها[1].

وفي سنة 1339هـــ/1920م توفي هذا الشيخ، وخلفه في القيام بشؤون الزاوية الشيخ سيدي بن عمرو بن مصطفى، ودامت مشيخته للزاوية مدة اثنين وعشرين سنة، وعرف عن هذا الشيخ أنه كان رجلا تقيا يدير شؤون الزاوية نهارا، ويقرأ القرآن ليلا.

وفي سنة 1940م نزل بالزاوية جماعة من سكان مدينة الغزوات الساحلية، وقصدوا الشيخ سيدي بن عمرو بن مصطفى، وهم في حالة من القلق، ليعبروا له عما يلحق بمدينتهم من جراء القصف الجوي، فطلب منهم الشيخ وضع حواجز رملية فوق سطوح منازلهم حتى يتمكنوا من تجنب الحرائق الناجمة عن القذائف التي كانت تطلقها الطائرات الحربية، واستطاع بذلك أن يهدئ من روعهم ويعيد الثقة إلى نفوسهم مؤكدا أن العدو الفرنسي لا يستطيع تدمير أراضيهم والإقامة بها، وتوفي سنة 1361هـــ/1942م.[2]

وبعد وفاة الشيخ سيدي بن عمرو بن مصطفى تولى مشيخة الزاوية ابن أخيه سيدي مولاي علي بن سيدي العربي، ودامت مشيخته للزاوية مدة سبعة وعشرين سنة[3].

وهكذا فإن بوطمان قد حاول في كتيبه هذا تقديم لمحة عن هذه الزاوية، وسيرة شيوخها منذ التأسيس إلى غاية عهده هو " 1950 " مستفيدا من علاقاته بشيخها، ومن بعض الوثائق الخاصة فجاءت دراسته عبارة عن مونوغرافية للزاوية ومنطقتها.

---

[1] - Ibid, p27.
[2] - Bouteméne Yahia:Opcit, p 33.
[3] - Ibid,p35.

## المبحث الرابع: التأريخ لحكام الجزائر و بعض الحوادث العارضة:

### أ- التأريخ لحكام الجزائر:

### * مؤلف مجهول ومخطوطه بيان ملوك الجزائر:

من بين مخطوطات المكتبة الوطنية يوجد مخطوط يحمل رقم 1637 وعنوانه " **بيان ملـــوك الجزائر وما وقع فيها من الأمور** " وهذا المخطوط جاء ذكره في القائمة التي أعدها المستشرق ديسلان تحت رقم 589 [1].

ويبدأ المخطوط هكذا:" بسم الله الرحمن الرحيم وصلي الله على سيدنا محمد، الحمد لله بيان ملوك الجزائر وما وقع فيها من الأمور.." [2].

وكان سعد الله قد افترض أن يكون هذا المخطوط هو نفسه تقييدات ابن المفتي ولكن بعد المقارنة اتضح أنه ليس لابن المفتي.

والمخطوط من المكتسبات الحديثة للمكتبة الوطنية، و لم يستفد منه — على حد علمنا — أحد من الباحثين، ولعل ذلك راجع لصعوبة لغته، والأخطاء النحوية والصرفية الكثيرة الواردة فيه، فالمؤلف يستخدم عبارات عامية كثيرة، ويحاول أن يدرج بعض الجمل الفصيحة فيلتبس على القارئ المعنى، فقد جاء نصه خليطا عجيبا من العامية والفصحى مع غلبة الأولى.

ويبدو أن هذا المؤلف من حضر مدينة الجزائر، وشاهد عيان على عدد من حوادث عصره مما أكسب روايته الكثير من المصداقية، وله ذاكرة قوية ظهرت من خلال سرده تفاصيل الحوادث التاريخية، فهو لم يذكر أيّا من مصادره، رغم أننا نعتقد أنه استفاد من الكثير من الوثائق التاريخية.

و لم يؤرخ صاحب هذا المخطوط لكل الفترة العثمانية بالجزائر، وإنما بدأ بتاريخ 1060 هـــ / 1650 م بذكر تولية خليل الدولاتلي ثم ذكر تولية عدد من الحكام هم: رمضان باشا سنة 1071 هـــ/ 1660 م وإسماعيل باشا سنة 1072 هـــ/1661 م والحاج علي سنة 1075 هـــ/1664 م والتريكي 1082 هـــ/ 1671 م وحسن باشا 1086 هـــ/1675 م وحسين ميزومورطو 1094

---

[1] - Le baron de Slane : Rapport adressé a M. le ministre de l'instruction publique suivi du catalogue des manuscrits arabes les plus importants de la bibliothèque d'Alger et de la bibliothèque de Cid Hammouda a Constantine, p 14.

[1] – مؤلف مجهول:مخطوط بيان ملوك الجزائر وما وقع فيها من الأمور، مخ المكتبة الوطنية، الجزائر تحت رقم 1637، ص1.

هـ/1683 م وشعبان خوجة 1102 هـ/ 1690 م والحاج أحمد باشا 1106 هـ/ 1694 م وقارا باغلي 1112 هـ/1700 م، وأهجي مصطفى 1112 هـ/1700 م وشريف باشا 1117 هـ/ 1705 م وبكداش باشا 1118 هـ/1706 م، ودالي إبراهيم باشا 1122 هـ/1710 م وعلي باشا 1122 هـ/ 1710 م ومحمد باشا 1130 هـ/ 1717 م وعبدي باشا 1136 هـ/ 1723 م وإبراهيم باشا 1145 هـ/ 1732 م وإبراهيم عرب باشا 1158 هـ/ 1745م ومحمد باشا كور 1161 هـ/1748 م وبابا علي باشا 1168 هـ/1754 م ومحمد باشا 1181 هـ/ 1767 م وحسن باشا 1200 هـ/ 1785 م ومصطفى باشا 1205 هـ/1790 م وبابا مصطفى باشا 1212 هـ/ 1797 م وبابا أحمد باشا 1220 هـ/1805 م وعلي باشا 1223 هـ/1808 م والحاج أحمد باشا 1230 هـ/ 1814 م وعمر باشا 1230 هـ/1814 م وعلي باشا 1232 هـ/1816 م وحسين باشا 1233 هـ/1817 م.[1]

وينتهي المخطوط بعبارة :"وهذا ما عندنا من القول عن الملوك متاع [كذا] الجزائر"[2] ورغم لغة المخطوط العامية في كثير من الأحيان إلا أن به معلومات تاريخية قيمة عن أوضاع الجزائر في العهد العثماني، فقد أرخ صاحب المخطوط لأهم الأحداث التي وقعت في عهد كل حاكم، فهو يقول أن النصارى أخذوا جيجل عام 1074 هـ/ 1663 م زمن إسماعيل باشا ولكن الجزائريين استعادوها سنة 1075 هـ/ 1664 م كما يذكر أن الباشا الحاج علي بنى ضريح سيدي يعقوب وبرج تامنفوست عام 1081 هـ/ 1670 م.

ففي الجانب الداخلي تحدث المخطوط عن عدد من التمردات التي واجهها الأتراك كخروج المحلة لحرب قبائل فليسة وانهزامها وخنق الآغا عام 1181 هـ/ 1670 م ومقتل 3000 جندي انكشاري سنة 1182 هـ/1671 م[3]وظهور فتنة الشريف بن الأحرش في وادي الزهور وتحريضه لقبائل الشرق الجزائري على الثورة ضد الأتراك وتصدي الباي عصمان له وانهزام ومقتل هذا الأخير.

---

[1] - مؤلف مجهول:مخطوط بيان ملوك الجزائر، ص 1-2.

[2]- المصدر نفسه،ص 10.

[3]- المصدر نفسه، ص 5 .

ثم خروج ثائر آخر هو الدرقاوي على باي الغرب مصطفى وهروب الباي، وتحدث عن هزيمة الدرقاوي وموت بن لحرش[1] وخروج محلة الشرق لغزو فليسة عام 1225 هـ/ 1810 م .[2]

كما تحدث صاحب المخطوط عن مقتل اليهود عام 1220 هـ/1805 م ومقتل كبيرهم بوجناح، وقيام العسكر بقتل مصطفى باشا والخزناجي عام 1220 هـ/ 1805 م.[3]

وفي مجال العلاقات الخارجية للجزائر، فالمخطوط يورد أخبارا هامة في هذا المجال، فهو يورد خبر خروج شعبان خوجة للمغرب عام 1102 هـ/1690 م، وخروجه لتونس عام 1104 هـ/ 1692 م، كما ذكر محلة مراد باي تونس عام 1102 هـ/ 1690 م، وخروج أهجي مصطفى بمحلة كبيرة للمغرب، ووقوع الصلح بعد ذلك، ثم خروج محلة أخرى لحرب تونس[4].

وذكر خروج المحلة إلى تونس والاستيلاء على أموال التونسيين عام 1172 هـ/1758 م[5] وقدوم محلة من تونس لغزو قسنطينة عام 1220 هـ/ 1805 م ومحاصرتها 31 يوما، ورميها بالقنابل، وخروج الآغا لمواجهة تلك المحلة، وهزيمة التونسيين وخروجهم من قسنطينة، وتكرار الهجوم وهزيمة الجزائريين، ونتيجة لذلك خنق حسن آغا، وقرر داي الجزائر الخروج بنفسه لحرب التونسيين[6].

وخروج محلة لغزو تونس عام 1123 هـ/ 1711 م[7]وخروج محلة لتونس يقودها ابراهيم خوجة الخزناجي وعلي باي عام 1147 هـ/ 1734 م بها 80 خيمة جنود، والانتصا ر على التونسيين عام 1148 هـ/ 1735 م رغم التفوق العددي لهؤلاء.[8]

---

[1]- مؤلف مجهول:مخطوط بيان ملوك الجزائر، المصدر السابق ، ص 6 .

[2]- المصدر نفسه، ص8.

[3]- المصدر نفسه، ص 6 .

[4]- المصدر نفسه ،ص 1 .

[5]- المصدر نفسه ، ص 3 .

[6]- المصدر نفسه، ص 6 .

[7]- المصدر نفسه، ص7.

[8]- المصدر نفسه، ص 3 .

وفي مجال العلاقات مع الدول الأوروبية يتحدث المخطوط عن قنبلة الفرنسيين لمدينة الجزائر زمن بابا حسن عام 1093 هـ/1682 م[1] كما يتحدث عن استعادة الإسبان لوهران عام 1144 هـ/ 1731 م[2] وغزو الدانمارك للجزائر عام 1184 هـ/ 1770 م، ومرة ثانية عام 1189 هـ/ 1775 م، ورمي المدينة بالقنابل، وتهدم بعض الأبراج عام 1198 هـ/1783 م[3] وعقد الصلح مع إسبانيا عام 1199 هـ/1784 م [4] .

وتحدث صاحب المخطوط عن غزو الإنجليز للجزائر عام 1231 هـ/ 1815 م[5] وغزو الفرنسيين للجزائر ونزولهم بسيدي فرج زمن حسين داي عام 1241 هـ/ 1825 م .[6]

كما تحدث صاحب المخطوط عن بعض الكوارث الطبيعية التي أصابت الجزائر كالزلازل والأوبئة والمجاعات وتهاطل الثلوج بكثرة، فقد تحدث عن وقوع الزلزال بمدينة الجزائر، وتهدم برج المنار عام 1122 هـ/ 1710 م زمن دالي ابراهيم باشا، كما ذكر تهدم الديار والبساتين عام 1128 هـ/ 1715 م، ولم ينس المؤلف ذكر بعض الظواهر الطبيعية كهطول الثلوج عام 1138 هـ/ 1725 م [7] وذكر الزلزال الذي ضرب الجزائر عام 1222 هـ/ 1807 م.[8]

كما ذكر خبر الوباء الذي ضرب الجزائر عام 1153 هـ/1740 م، واحتراق برج مولاي محمد عام 1163 هـ/1749 م، وحدوث الحبوبة "المجاعة" في عيد الأضحى عام 1168 هـ/ 1754 م [9] وحدوث مجاعة أخرى عام 1200 هـ/1785 م [10] والوباء في رمضان عام 1232

---

[1]- مؤلف مجهول:مخطوط بيان ملوك الجزائر، المصدر السابق ،ص 1

[2]- المصدر نفسه، ص 3 .

[3]- المصدر نفسه، ص 5 .

[4]- المصدر نفسه ، ص 5 .

[5] - المصدر نفسه ، ص 9 .

[6]- المصدر نفسه، ص 10 .

[7]- المصدر نفسه،ص 2 .

[8] - المصدر نفسه، ص7.

[9]- المصدر نفسه ، ص 3 .

[10]- المصدر نفسه، ص 5 .

هـ/1816 م ، ووفاة علي باشا بهذا الوباء عام 1233 هـ/ 1817 م [1] وغزو الجراد للبلاد عام 1225 هـ/ والغلاء في الأسعار ولعل ذلك بسبب القحط الذي خلفه غزو الجراد [2].

وتحدث عن بعض الظواهر، كترول الصاعقة في برج مولاي حسن، وتهدم ذلك البرج وموت الناس عام 1155 هـ/ 1742 م [3] وكسوف الشمس في أكتوبر 1166 هـ/1752 م . [4]

وفي مجال الاحتفالات تحدث عن احتفال أهل الجزائر بتولي السلطان العثماني محمود عام 1143 هـ/1730 م[5] والاحتفال بمولد ابن للسلطان العثماني عام 1175 هـ/ 1761 م [6].

وفي الختام فإن هذا المخطوط بصفحاته القليلة وبأسلوبه العامي قد حوى معلومات تاريخية لا توجد في أي مصدر محلي من المصادر المعاصرة له.

## ب- التأريخ لبعض الحوادث العارضة:

## * محمد بن الخوجة وكتابه عقود الجواهر في حلول الوفد المغربي للجزائر:

### * المؤلف:

ولد محمد بن المصطفى بن الخوجة المدعو الشيخ الكمال بمدينة الجزائر سنة 1865 م وتعلم بها حيث نشأ في بيئة متعلمة وجمع كثيرا من العلوم .

وبعد دراسته في الكُتّاب – الذي دخله في سن الخمس سنوات وخرج منه وله خمسة عشر عاما– واصل دراسته بتلقي العلم على جملة من مشايخ العلم آنذاك، أمثال الشيخ قدور والشيخ محمود حفيد الشيخ علي بن الأمين، ودرس على الشيخ عبد الحليم بن سماية النحو والفلك، كما حضر دروس الشيخ ابن الحفاف في الدراية لصحيح البخاري مدة أربع سنوات تقريبا ، وطالع في تلك الفترة كتبا عدة فتوسعت معارفه العلمية بشكل كبير.[7]

[1]– مؤلف مجهول:مخطوط بيان ملوك الجزائر، المصدر السابق ، ص 9 .

[2]– المصدر نفسه ص 9.

[3]– المصدر نفسه، ص 3 .

[4]– المصدر نفسه، ص 3 .

[5]– المصدر نفسه ، ص 2 .

[6]– المصدر نفسه، ص 4 .

[7] – عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: المرجع السابق، ص 54.

أجازه الشيخ السعيد بن زكري مدرس الجامع الأعظم فشرع في تدريس الأجرومية للطلاب المبتدئين كما بدأ العمل في مكتب السابع في إدارة الحاكم العام سنة 1886 ودخل عالم الصحافة وعمل في جريدة المبشر الحكومية منذ تلك السنة 1886 .[1]

التحق بالتعليم بالجامع الكبير سنة 1897 وكان مدافعا عن المرأة ووضع في ذلك رسالتين كما كان مصلحا متأثرا بطريقة الشيخ محمد عبده الذي لازمه طوال زيارته للجزائر سنة 1903 وكان واسع الاطلاع بعلوم عصره وعلى اتصال بأقطاب العلم والسياسة في المشرق عن طريق المكاتبة والصحافة، وكان فصيح العبارة نثرا وشعرا وكان حاد المزاج شجاعا لا يخشى العواقب يتقد حماسا ووطنية وله إلمام كبير باللغة العربية والعلوم الإسلامية، وظل الشيخ بن الخوجة نشطا مكثرا للتآليف في شتى الفنون إلى غاية وفاته بمدينة الجزائر سنة 1915 .[2]

***الكتاب:**

عبارة عن تقييد صغير الحجم به 25 صفحة من الحجم المتوسط، وهو تأريخ لزيارة الوفد المغربي للجزائر سنة 1902 لتطبيق بروتوكول اتفاقية باريس عام 1901 حول الحدود بين مستعمرة الجزائر والمملكة الشريفية المغربية.

وكان الوفد المغربي برئاسة محمد الجباص وأعضاء الوفد كما ذكرهم مؤلف الكتاب هم: ابن رئيس الوفد المسمى محمد، والفقيهان محمد بن عبد الواحد ومحمد الهواري والسيد الزبير سكيرج والسيد أحمد الجبلي والمترجمعبد القادر بن غبريط كترجم القنصلية الفرنسية بطنجة.

وذكر المؤلف أن الوفد المغربي حضي باستقبال حافل وترحاب كبير من أعيان الجزائر الذين ترأسهم علي الشريف الزهار وكان معه الفقيهان محمد بن زاكور مفتي المالكية ومحمد بوقندورة مفتي الحنفية، والشيخ عبد القادر المجاوي وعبد الحليم بن سماية والمؤلف بن الخوجة.

---

[1] – عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: المرجع السابق ، ص 55.

[2] – المرجع نفسه ، ص 54-55.

استهل المؤلف كتابه هذا بقوله:" سبحان من صير الرحلة سببا في زيادة النحلة وجعل الاجتماع بالرجال الوافدين من الأقطار واسطة تفتيق الأذهان وتنوير الأفكار.."[1]

ثم بيّن أن لقائه بالوزير المغربي محمد الجباص هو الذي أوحى له بتحرير هذا الكتاب الذي ذكر فيه :" على سبيل الإجمال والإيجاز ما لقيه في بلدنا من الاحتفال والإعزاز وما جرى له من يوم إحلاله إلى حين سفره وارتحاله، تخليدا لذكره وقياما بواجب شكره."

وبدأ المؤلف في عرض يوميات الوفد المغربي بالجزائر فيقول إنه في صبيحة يوم الثلاثاء 22 شعبان 1319 هـــ/ 1902 م قدم هذا الوفد من طنجة إلى مرسى الجزائر على متن سفينة فرنسية ويذكر أعضاء الوفد بأسمائهم.

ويذكر الاستقبال الحافل الذي لقيه الوفد فقد :" ضربت لهم المدافع واصطفت في ممرهم الجنود، وصدحت الموسيقى بالنشيد.." وتوجه الوفد إلى مقر الحاكم العام ريفوال.

وفي اليوم الموالي قام الحاكم العام بزيارة الوفد في مقره كما زاره قائد البحرية، وفي عشية يوم الخميس 24 شعبان قام رئيس أعيان الجزائر ومرافقيه بزيارة الوفد.[2]

يستمر المؤلف في سرد تفاصيل هذه الزيارة يوما بيوم، مقدما بذلك عرضا تاريخيا دقيقا فذكر أسماء الأماكن التي زارها الوفد، والأشخاص الذين قابلهم حتى مغادرته صبيحة يوم الأحد التاسع من شوال من نفس السنة على متن قطار من محطة الجزائر.[3]

لاحظ المؤلف أن أعضاء الوفد المغربي " كان كل منهم في غاية انتظام الأحوال محافظين على شعائر دينهم وشعارحكومتهم وملابس وطنهم، وهيأتهم وإقامة عبادتهم كصيامهم وصلاتهم.." [4] ويبدو أن المؤلف أراد أن يوجه هذه العبارات إلى المتجنسين من بني قومه الذين انسلخوا عن ماضيهم وهويتهم الوطنية.

---

[1]- محمد بن المصطفى بن الخوجة: عقود الجواهر في حلول الوفد المغربي بالجزائر، تقديم علي تابليت، منشورات ثالة، الجزائر: 2006، ص 18.

[2]- المصدر نفسه، ص 19-20.

[3]- المصدر نفسه، ص 22-29.

[4]- المصدر نفسه، ص 32.

والكتاب على العموم ذو أهمية تاريخية في دراسة العلاقات المغربية الجزائرية في فترة الاحتلال.

## المبحث الخامس : التأريخ للعائلات:

### 1-* بوعزيز بن قانة وتاريخ عائلته:

استفاد الضابط الفرنسي شارل فيرو في بحوثه عن صحراء الشرق الجزائري من مخطوط لعائلة بن قانة ألفه بولخراص بن قانة ونشره سنة 1879 [1]، وكانت عائلة بن قانة قد سارعت إلى نشر هذا التقييد بالفرنسية بعد قيام ثورة الأوراس سنة 1879 لتبعد عنها التهم والشكوك و لتثبت ولائها للفرنسيين حسبما ذكر زوزو. [2]

وقد قام القايد بوعزيز بن قانة باستثمار ما جاء في التقييد السابق لوضع كتاب شامل لتاريخ عائلة بن قانة، وبغض النظر عن هذا التوجه السياسي، فإن هذا الكتاب قد تضمن معلومات تاريخية هامة عن دور الأسرة في الفترتين العثمانية والفرنسية، اعتمادا على وثائق العائلة التي تولى عدد من أفرادها منصب شيخ العرب آخرهم مؤلف هذا الكتاب، وهو الشيخ بوعزيز بن محمد بن محمد الصغير بن علي بلقيدوم بن علي بلقيدوم بن الحاج بن قانة بن علي بن سليمان كما ورد نسبه عند القاضي حشلاف.[3]

وكان صدور الدراسة في سنة 1930 يحمل دلالة واضحة، حيث الاحتفالات الفرنسية الضخمة بالذكرى المئوية الأولى لاحتلال الجزائر، وأراد المؤلف بحكم منصبه كشيخ للعرب أن يؤكد ولاء العائلة المستمر للإدارة الفرنسية.

وإذا وضعنا جانبا الموقف السياسي لمؤلف هذه الدراسة، فإن الدراسة في مجملها مصدر تاريخي هام، ليس عن تاريخ العائلة ودورها في العهدين العثماني والفرنسي فقط، بل في تاريخ

---

[1] - Charles Feraud : Les Ben Djllab sultan de Tuggourt, R.A , N° 26( 1882) p

[2] – عبد الحميد زوزو : ثورة الاوراس سنة 1879 ، المرجع السابق، ص 450.

[3]– عبد الله حشلاف: المصدر السابق، ص 149-150.

منطقة الزيبان في هذه المرحلة الحرجة، وقدّم لهذه الدراسة السيد غاستون طومسون وهو وزير سابق ونائب مقاطعة قسنطينة في البرلمان.[1]

ذكر المؤلف في بداية دراسته أنه كان يسعى منذ مدة لنشر تاريخ عائلته، وأن عمه الباشاغا محمد بلحاج بن قانة هو الذي أوحى له بنشر هذه الدراسة ، فقد عكف هذا العم على جمع الوثائق العائلية منذ شبابه، بعد استبعا د الروايات الأسطورية منها، مع الاعتماد كذلك على روايات المسنين الذين وصفهم المؤلف بــ" الحراس الحقيقيين للروايات الشفهية".

واستطاع العم جمع كل الوثائق التي تسمح له بتقييد كل ما يتعلق بتاريخ الأسرة وأراد أن يؤلف كتابا باللغة العربية في هذا الشأن لكنه تخلى عن هذه المهمة نتيجة انشغالاته الكثيرة.

وهكذا عمد المؤلف إلى تحرير كتابه هذا تحقيقا لفكرة عمه فجمع إضافة لما كان هذا العم قد جمعه كل الروايات التاريخية والوثائق المتعلق بتاريخ عائلة بن قانة.

قسّم المؤلف كتابه إلى مجموعة أقسام، خصص القسم الأول منها للحديث عن دور الأسرة في العهد التركي، فذكر ظروف استقرار الأتراك بإقليم قسنطينة بعد انتزاعه من الحفصيين، وتولي أول أفراد أسرته وهو الحاج محمد بن علي بن سليمان بن قانة منصب مشيخة العرب [2] ثم وضح أن أصل عائلته من الأشراف، اعتمادا على رواية العشماوي في كتابه السلسلة الوافية[3].

ثم انتقل للحديث عن تولي محمد المشيخة مكان أبيه بعد وفاته، والأعمال التي قام بها في عهد صالح باي،[4] وتحدث عن ولاية محمد بن بوعكاز للمشيخة، وانتقالها من بعده لمحمد بن الحاج بن قانة. [5]

و تحدث عن ولاية الذباح بن بوعكاز، وعلي بلقيدوم بن قانة، والمسعي بن ابراهيم، ومحمد بلحاج بن بولخراص [6] ومحمد بلحاج بن قانة [7] الذي أطال في سرد سيرته وذكر مجموعة من

[1] - Bouaziz bengana : Le Cheikh El Arab, étude historique sur la famille Bengana,anciene Maison, Bastide-Jourdan, Jule Carbonel, Alger :1930,p 5-6.
[2] - Bouaziz bengana : Opcit,p 15-22.
[3] - Ibid,p 22-23.
[4] - Ibid,p 24.
[5] - Ibid,p 27-29.
[6] - Ibid,p 30-34.
[7] - Ibid,p34-40.

المعارك التي وقعت في عهده، مثل معركة المشيرة، ومعركة الخزيمة، ومعركة مراح الجازية، وحصار الحاج أحمد باي للزعاطشة، ومعارك القصر و بسكرة و بادس .[1]

وتحدث عن الخلاف الذي حصل بين شيخ العرب والحاج أحمد باي[2] لينتقل بعدها للقسم الثاني وهو عن الفترة الفرنسية، وهي فترة انتشرت فيها الفوضى في إقليم قسنطينة، فاستغلت الأسرة الفرصة وفرضت سطوتها على إقليم الزيبان.[3]

وذكر ارتياب الفرنسيين في البداية من العائلة، لصلتها بالحاج أحمد باي، وأنهم عهدوا بالمشيخة لفرحات بن السعيد بوعكاز ، كما تطرق لمعركة الصحيرة[4] وتخلي العائلة عن دعم الحاج الحاج أحمد باي، مقابل الحصول على بعض المكاسب، وعلى رأسها استرجاعها لمشيخة العرب، و ذكر تعيين الفرنسيين لبوعزيز بن بولخراص بن قانة شيخا للعرب، و الإجراءات التي اتخذها الماريشال فالي لتنظيم شؤون الحكم بإقليم قسنطينة[5].

و ذكر تفاصيل دخول الفرنسيين لبسكرة بمساعدة عائلة بن قانة، وحوادث سنوات 1844-1848 [6] واستسلام الحاج أحمد باي [7] و روى بالتفصيل حوادث سنوات 1849 و1850 و1851 و1852 و 1853 و 1854 وحودث ما بعد سنة 1854. [8]

وفي القسم الذي سماه الفترة المعاصرة، تحدث عن الحوادث التي عرفها إقليم قسنطينة عامة ومنطقة الزيبان على الخصوص قبل عام 1871 ،وأعاد سرد بعض الحوادث السابقة، ثم قدم تراجم مختصرة لأعيان من أسرته، مبينا مهامهم وأدوارهم عند توليهم المشيخة[9].

---

[1] - Bouaziz bengana: Opcit,p 40-47.
[2] - Ibid p 49-52..
[3] - Ibid,p 53.
[4] - Ibid,p 56-57.
[5] - Ibid,p 61-68.
[6] - Ibid,p 98-110.
[7] - Ibid,p 112-113.
[8] - Ibid,p 114-126.
[9] - Ibid,p 138-144.

وهكذا تبدو رواية بوعزيز للحوادث التاريخية ذات أهمية كبرى، خصوصا أنه يرويها كما سبق أن ذكرنا اعتمادا على الوثائق العائلية التي قال أنه لم يسبق أن استفاد منها أي باحث في تاريخ المنطقة.

## 2-* كناش عائلة بن حسين:

ذكر غوستاف ميرسييه أنه حصل من القايد لخضر بن حسين على مذكرة عن تاريخ هذه العائلة ولا سيما أصل جدهم سيدي ناجي، واعترف ميرسييه أنه حذف منها قسما من العهد الفرنسي، و ترجم الباقي من المذكرة وجعل لها عنوانا هو: " أصل سيدي المبارك بن قاسم بن ناجي و تاريخ ظهوره".[1]

وقد عرف مخطوط خنقة سيدي ناجي بالكناش، وهو مخطوط تاريخي هام افتتح التسجيل به الشيخ محمد بن محمد الطيب المتوفى سنة 1154 هـ/ 1741 م[2] وأتم القايد لخضر بن حسين تدوين المعلومات المتعلقة بالفترة الفرنسية التي عاصرها، وقدم الكناش لميرسيي الذي ترجم قسما منه ونشره، وفيما عدا هذه النشرة الفرنسية فإن الكناش لا يزال – على حد علمنا – مخطوطا لا يمكن الاطلاع عليه إلا من قبل أفراد قليلين[3].

ويفيد هذا الكناش إن أصل سيدي المبارك بن قاسم ناجي " يرتقي إلى ثالث الخلفاء الراشدين سيدنا عثمان رضي الله عنه، وقد غادر أسلاف سيدي المبارك بن قاسم بن ناجي المدينة المنورة ليستقروا في بلاد الشام في عهد الخلافة الأموية، وظلوا هناك إلى غاية وصول العباسيين للحكم، وقد انتقل الحكم الأموي إلى الأندلس بعد فتح هذه البلاد التي حكموها قرابة أربعة قرون

---

[1] - Gustave Mercier : Khanguet Sidi Naadji in R.S.A.C 1915,p153

[2]– كريمة بن حسين: خنقة سيدي ناجي إبان العهد العثماني، ضمن كتاب: في الذكرى المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي، دار الهدى عين مليلة:2002، ص 53.

[3]– ذكرت لنا الدكتورة كريمة بن حسين أنها استفادت من المخطوط في نشر مقالها السابق عن الخنقة دون ان تتمكن من تصويره، وذلك لحرص مالكه على الحفاظ عليه باعتباره ملكا عائليا.

وبعد سقوط الخلافة الأموية بالأندلس لجأ أسلاف سيدي المبارك إلى تونس، وهناك عاش سيدي قاسم وسيدي ناجي وحظيا ببعض الشهرة" .[1]

وبعد وفاتهما غادر سيدي المبارك تونس، متوجها إلى صحراء ورقلة، يصحبه عدد من العرب، وذاع صيته في الصحراء، وارتفع عدد أتباعه الأوفياء، واستقر الشيخ بعد ذلك في نواحي بسكرة وحاز هناك على بعض الأملاك، وفي عام 1602م انتقل إلى صحراء الزاب الشرقي، وأقام هناك الزاوية المعروفة باسم خنقة سيدي ناجي، وساعده في ذلك أتباعه، وشرع هناك في أعمال الزرع الأولى، وذلك بأن أوجد قناة تسمى ساقية موسى، استغلها في سقي النخيل والأشجار المثمرة، وتوفي الشيخ سيدي المبارك عام 1621م.[2]

وانتقلت شؤون الزاوية بعده –حسب هذا الكناش – إلى ثالث أبنائه وهو سيدي أحمد وهو آخر أبناء سيدي المبارك، وجد عائلة حسين بن ناصر الذي اقتفى سيرة سيدي أحمد في طريق الورع والعلم والعدل، وذاع صيت الزاوية، وقدم إليها طلاب من كل مكان لطلب العلم، ورغب البايات والباشاوات في إعانة الزاوية بالمال، فبعد آن تحققوا من الخدمات التي أدتها بنشر العلم ورعاية الطلبة، منحوها زكاة وعشور الزاب الشرقي، وجزء من جبل ششار بواسطة الأتاوى وفي عهد سيدي أحمد عام 1640م تم غرس كثيف للأشجار في القناة المسماة ساقية محرز بأمر من حكومة الترك، و شقت هذه القناة في القسم المسمى الجناح الأخضر، ويسمى اليوم وطن الخنقة وأصبحت الزاوية مشهورة.[3]

ويواصل المخطوط تتبع سيرة شيوخ الخنقة، والأعمال الزراعية التي قاموا بها، والظهائر التي منحهم إياها البايات، والتي تعطيعهم بعض الامتيازات، فقد تلقى أحمد بن ناصر ظهيرا من حسين باي عام 1165هـ/ 1751 م ، وظهيرا ثانيا من الباي حسين عام 1177 هـ/ 1763 م، وتوفي أحمد بن ناصر مغتالا اغتاله بوزيان من الشابية عام 1780م في صحراء نقرين خلال رحلة قام بها إلى تونس، وخلفه ابنه وهو الذي وهب اسم العائلة المعروفة باسم عائلة " حسين بن ناصر"

---

[1] - Gustave Mercier : Opcit,p 154.
[2] - Ibid,p 155.
[3] - Ibid,p156

كما أنه هو من بنى منارة المسجد بعد سقوطها عام 1789م، و هو من قام بغرس النخيل الواقعة في الأماكن المسماة الولجة والفيتون أسفل ساقية محرز التي تعود لعام 1810م، وكان حسين رجلا نشيطا وسياسيا نبيها، وكانت أسفاره كثيرة إلى قسنطينة والجزائر وتونس،وتزوج في تونس واكتسب هناك منزلا كان يتخذه مقاما له خلال مدة مكثه في هذه الحاضرة.[1]

و تلقى ظهير توليه من أحمد باي عام 1184هـ/ 1770 م، ثم ظهيرا آخر من حسين باي عام 1207هـ/ 1792 م، ثم من مصطفى باي عام 1209هـ/ 1794 م، ومن عثمان باي عام 1218هـ/ 1803 م، ومن محمد نعمان باي عام 1224هـ/ 1809 م.

وتوفي حسين عام 1817م وخلفه ابنه سيدي محمد الطيب، وفي عهده أنشئت ساقية الغديرة التي تعود لعام 1829م، وأعاد بناء قناة أخرى عام 1847م أعلى من الأولى، واستغلها في تخصيب البلاد المعروفة باسم فيض سالة غرب الخنقة، ولكن للأسف فإن إنجازات في هذا الجانب لم يكتب لها البقاء بسبب مجاورة سكان ليانة الذين قاموا بتخريب قنوات السقي، وأتلفوا المزروعات كما يفيد الكناش.[2]

ويسرد الكناش تفاصيل هامة للحوادث التي أعقبت سقوط الخنقة بيد الفرنسيين، واستمرار الأسرة في التمتع ببعض الامتيازات، ويقدم بعض النماذج من مراسلات الإدارة الفرنسية مع شيوخ الخنقة، كما يتحدث عن الاضطرابات التي عرفتها المنطقة خصوصا عام 1845 وتعيين الفرنسيين لحكام محليين لحكم المنطقة هم القياد[3].

والمخطوط رغم كونه عائليا إلا أنه يتضمن معلومات هامة في التاريخ المحلي للخنقة والمناطق المجاورة لها، وسيكشف نشره حقائق جديدة عن تاريخ الشرق الجزائري من القرن 17 م إلى أواخر القرن 19 م .

---

[1] - Gustave Mercier : Opcit,p156 -160

[2] - Ibid,p 162.

[3] - Ibid,p 164.

## 3-* تقييد عائلة عبد القادر بن قارة سليمان القايد:

### المؤلف:

ورد في هذا التقييد أن مؤلفه هو القايد عبد القادر بن محمد بن قارة سليمان، و يبدو أنه من كراغلة مدينة تلمسان، وقد كانت تلمسان أكبر تجمع للكراغلة ، هذه المدينة التي اشتهرت كمركز حضاري هام في العهد العثماني، وكانت أهم ميزة يتميز بها سكانها هي أنهم حرفيون متميزون يعيشون من مردود مختلف أنشطتهم.

وجاء في هذا التقييد العائلي أن والد المؤلف كانت مدة قيادته سبعة سنين و"كان من أشهر الضباط في الأحكام، في كل ليلة يلوج في الأزقة لنشر السلام في البلاد، والدليل على هذا زمام سنينه في القيادة" ويفيد المخطوط أنه قد وقعت مجاعة في زمن ذلك القايد فيقول:" كثر الجوع من ثلة الصابة حتى صار الناس يعبرون بشر قارة سليمان "

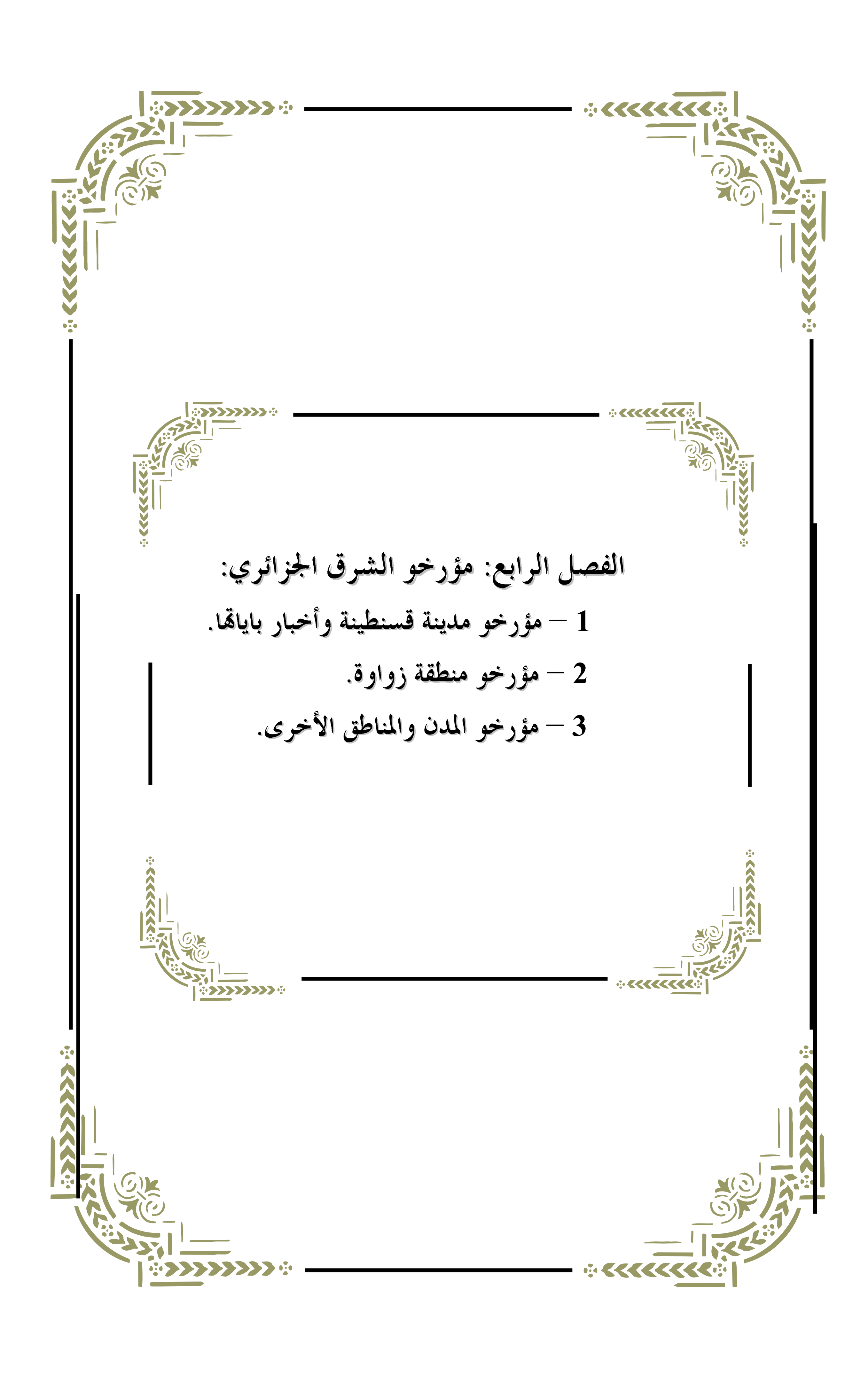
وجاء في التقييد أيضا أن هذا القايد لما توفي ترك ولدا في الرضاعة قال المؤلف عنه" وجدنا شاهد القبر مكتوبا عليه أما بعد هذا قبر الشاب الأسعد سليمان بن المعظم الأرفع الفارس الأشهر القائد قارة سليمان توفي رحمه الله سنة ثمانية عشر ومائتين بعد الألف [1218هـ /1803 م] وترك ولدين ملقبين سليمان بن قارة سليمان والثاني محمد بن قارة سليمان.

ويقول إن سليمان مات مقتولا في دخول الجزائر سنة ستة وأربعين ومائتين بعد الألف[1246هـ/1830 م] وبقي أخوه محمد ، وكان قد انضم للأمير عبد القادر كعسكري فلما بلغ من عمره 89 سنة خرج لأداء فريضة الحج سنة 1313هجرية[1895م] ومات بمكة قبل الحج وخلف أولادا وبنات أما أولاده الآن مشتغلون بالتجارة والسلام "[1]

وفي ختام هذا الفصل نقول أن بعض المواضيع والحوادث قد حازت على اهتمام مؤرخي المرحلة، كما عمد بعضهم إلى وضع تآليف في تاريخ عائلاتهم انطلاقا من الأرشيف العائلي، وكان الهدف من هذه التآليف حفظ الحوادث من الضياع والنسيان بتقييدها ، وهو الهدف الرئيسي لكل مؤرخ.

---

[1] -August Cour : L’occupation marocaine de Tlemcen, R.A 1908, p 64-65.



## الفصل الرابع: مؤرخو الشرق الجزائري:

1 – مؤرخو مدينة قسنطينة وأخبار باياتها.

2 – مؤرخو منطقة زواوة.

3 – مؤرخو المدن والمناطق الأخرى.

سنهتم في هذا الفصل بالمؤرخين الذين ألفوا عن تاريخ النواحي الشرقية للجزائر أو ما كان يعرف في العهد العثماني ببايلك الشرق، و الذي كانت عاصمته قسنطينة، و يمتد شرقا حتى الحدود التونسية وغربا حتى زواوة، وقد وجدنا كتابات كثيرة في هذا المجال اختلفت مشارب أصحابها واتجاهاتهم الفكرية والسياسية.

## المبحث الأول: مؤرخو مدينة قسنطينة وأخبار باياتها:

### 1-*البابوري وتقييده عن تاريخ قسنطينة:

#### * المؤلف:

لا نملك عن البابوري غير معلومات قليلة ومتفرقة بإمكاننا من خلالها إعداد ترجمة مقتضبة له، فهو محمد بن أحمد البابوري [1] الذي وصفه فايسات بأنه" شخصية متعلمة جدا، وإنه من أهل قسنطينة، و بسبب كبر سنه فهو شاهد عيان معاصر للأحداث التي كتب عنها "[2] والعبارة الأخيرة توحي لنا بأن البابوري قد ولد في الفترة الأخيرة من العهد العثماني، أي في عهد صالح باي " 1772 – 1791 " ، كما أن عبارة شخصية متعلمة تعني أن البابوري قد نال نصيبا هاما من العلم على مشايخ العلم في قسنطينة في تلك الفترة، ولكن رغم هذا فإننا نجهل الكثير عن هذه الشخصية، وفي هذا الشأن يقول سعد الله :" ورغم ذلك فإنه لم يرد له ذكر إلا نادرا في الوثائق المعاصرة "[3].

وجاء ذكر البابوري كناسخ لأحد العقود الإدارية في أواسط شهر محرم سنة 1247 هـ/ 1831 م أي في عهد الحاج أحمد باي، مما يعني تبوئه لمنصب كاتب إداري أو خوجة كما كان يعرف هذا المنصب.[4]

---

[1] – توحي هذه النسبة بأن أصل عائلته من جبال البابور بين سطيف وجيجل وإن كان هو نفسه من مواليد مدينة قسنطينة حسبما ذكر فايسات.

[2] - Vayssettes : Histoire des derniers beys de Constantine, in Revue africaine 1858 p 109.

[3] – أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 7، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2000 ، ص 352.

[4] -L.J. Bresnier : Chrestomathie arabe, Alger, Bastide libraire éditeur 1867 p 48.

و يؤكد ذلك ما ورد في مخطوط لابن المبارك اعتمد عليه شيربونو [1] قال فيه إن البابوري كان يشغل منصب خوجة، لدى قائد الدار محمد بن البجاوي، الذي قتل في الدفاع عن قسنطينة سنة 1837،كما ذكر شيربونو أن محمد البابوري كان الوسيط بينه وبين ابن المبارك من أجل الحصول على مخطوط الدرة الثمينة [2]، وكان البابوري حيا سنة 1858 كما يستنتج من كلام فايسات، وكان مُسنًّا.

***الكتاب:**

ذكر فايسات أن شيربونو- الذي حل بقسنطينة بعد احتلالها عند إنشاء كرسي اللغة العربية بها – هو الذي كلّف البابوري سنة 1848 بالكتابة عن تاريخ قسنطينة، ووصَف المخطوط بأنه في حوالي الثلاثين ورقة، وإنه لم يطبع وإنما تناقله النُّسّاخ فوقعت نسخة منه في يد فايسات فقام بترجمتها وإدماجها في كتابه:" تاريخ قسنطينة تحت السيطرة التركية"[3].

و جاءت ترجمة فايسات للمخطوط في ست وخمسين صفحة، وسماه:" صفحة من تاريخ حكم أواخر بايات قسنطينة من سنة 1229 هـــ إلى سنة 1243 هـــ" أي من عهد محمد شاكر باي سنة 1229 هـــ/ 1814 م إلى سنة 1243 هـــ/ 1827 م حين تولى الحاج أحمد باي، ولا تزال هذه الترجمة المخطوطة في أرشيف مقاطعة روديز مسقط رأس الكاتب الفرنسي [4] وهذا يعني أن البابوري لم يضع عنوانا لكتابه هذا وإلا لكان أشار إليه شيربونو أو فايسات أو بيربروجر الذين استفادوا منه.

وصف فايسات أسلوب المخطوط بـــ" السيء والممل " لأنه يورد في الصفحات الأولى – التي اعتبرها غير ذات قيمة كبيرة – بعض كرامات أولياء قسنطينة مع تراجم بعض العلماء

---

[1]– هو مخطوط : " الدرة الثمينة في التعريف بمشايخنا أهل قسنطينة وهو مخطوط مفقود اعتمد عليه شيربونو ولعله ضاع معه، أنظر :

- A .Cherbonneau : Biographie du vénérable cheikh Ben El Habib taleb de la medersa de Sidil-Akhdar , nouvelles annales des voyages,tome 4 , 1850, p 33.

[2] - Cherbonneau : Exercices pour la lecture des manuscrits arabes, librairie Hachette, Paris 1853 , p 41.

[3] -Vayssettes : Histoire des derniers beys de Constantine, in revue africaine 1858 p 109.

[4] -Vayssettes : Histoire de Constantine sous la domination turque, de 1517 à 1837, Paris, éd Bouchéne 2002, p 17.

والمرابطين، كالمرابط الشهير سيدي أحمد الزواوي، والكتاب يعوزه- حسب فايسات- الترتيب الكرونولوجي للأحداث، كما إنه لم يتناول سيرة كل بايات قسنطينة.[1]

ورغم كل هذا فإن كتاب البابوري يبدو ذا قيمة تاريخية هامة، فقد استفاد منه شيربونو الذي كان مهتما بتاريخ قسنطينة، ولكنه لم ينشره، واقتبس منه فقط بعض المعلومات التاريخية في بحوثه، أما فايسات فقد لجأ إلى ترجمته كاملا، وإدماجه في بحثه السابق عن قسنطينة كما فعل مع كتاب العنتري، كما استفاد منه بيربروجر حين كان يجمع نصوصا حول حملة أوريلي على الجزائر سنة 1775 ونشر نصا منه في المجلة الإفريقية .

ومن خلال نقول فايسات من هذا المخطوط -والتي للأسف لا يشير إليها دائما- أمكننا أن نعرف أن البابوري اهتم بسرد بعض التفاصيل التي لم يذكرها معاصروه كالعنتري وابن المبارك، ورغم أن مخطوط البابوري تناول نظريا - حسبما يستفاد من فايسات- الفترة الممتدة فقط بين 1814 و 1827 إلا أنه تناول أحداثا أخرى تسبق هذه الفترة في سياق حديثه عن المرابطين الذين ذكرهم في كتابه.

ويذكر بيربروجر الذي استفاد من مخطوط البابوري -وقد كانت نسخة منه بالمكتبة العمومية بالجزائر- إن هذا الأخير به تراجم لبعض المرابطين وهم: أحمد الزواوي، ومحمد بن بودراهم، والشيخ محمد بن عياد، وسيدي عبيد، والشيخ الحسناوي، كما أن به فصلا عن حكم أحمد شاوش الملقب بـــ" باي راسو" [2] ولعله هو الفصل الذي قام بنشره شيربونو سنة 1852 وقال إنه فصل من تاريخ غير منشور عن قسنطينة.[3]

والبايات الذين أرّخ لهم البابوري هم : محمد شاكر باي " 1814 – 1818 " وقارة مصطفى " من يناير إلى فبراير 1818 " وأحمد باي المملوك " من فبراير إلى نهاية أغسطس 1818 " و محمد باي الميلي " من نهاية أغسطس 1818 إلى يوليو 1819 " وإبراهيم باي الغربي " من يوليو 1819 إلى أغسطس 1820 " وأحمد باي المملوك للمرة الثانية " من أغسطس 1820 إلى يوليو

---

[1] - Vayssettes : Histoire des derniers beys de Constantine,p 109.
[2] - Berbrugger : Expédition d'Oreilly en 1775, partie légendaire, revue africaine1865, p304.
[3] -Cherbonneau : Gouvernement d'Ahmed Chaouche surnommée le Kabyle, in revue orientale et algérienne t 3, décembre 1852, Paris, Guide et Baudry libraires-éditeurs, 1852, pp 397-402.

1822 " و إبراهيم باي الكريتلي " من يوليو 1822 إلى ديسمبر 1822 " و محمد باي منامانى " من ديسمبر 1822 إلى أغسطس 1826 " و الحاج أحمد باي " من أغسطس 1826 إلى 13 أكتوبر 1837 " .[1]

نقل بيربروجر ما كتبه البابوري عن الزواوي، وقال إن البابوري اعتمد على خدم الشيخ الزواوي، وهم من رجال أولاد بن رحمون، ومن خلال ما ذكره عن الشيخ الزواوي يتبين لنا أنه لم يخرج عن روح عصره، في الإيمان بالخوارق والكرامات فهو يقول مثلا : " من بين كرامات المرابط سيدي الزواوي الذي يُزار ضريحه، ويتوافد عليه أهل قسنطينة، يمكن أن نذكر ما قام به حين هجم النصارى على الجزائر [ يقصد حملة أوريلي سنة 1775 ] فقد كان الشيخ يملك فرسا رائعة تدعى الرقطاء اختفت في إحدى الليالي من اسطبله، فأمضى خدمه كامل الليل في البحث عنها، وفي اليوم الموالي عادوا إلى مترل سيدهم خجلين من فشلهم في العثور عليها، وكانوا ينوون عدم إخبار الشيخ باختفائها، لكنهم ذهلوا حين رأوا الفرس في مكانها بالإسطبل ..... "[2]

و أورد فايسات نصا كاملا من مخطوط البابوري حول علاقة الشيخ أحمد الزاوي بحسونة بن حسين باي "هذا الأخير الذي حكم المقاطعة من 1792 إلى 1795" وعزا فيه البابوري تنبؤ الشيخ الزواوي بنهاية مأساوية لحسونة هذا، بعدما حذره من لبس البرنوس الأسود، كما نبهه إلى أنه في حال توجه إلى منطقة سيدي مبروك" فعليه أن يكون قلبه نقيا خاليا من الأفعال الخبيثة" [3].

كما نقل فايسات ما كتبه البابوري عن الشيخ الحسناوي [4]واستفاد مما كتبه البابوري عن الشيخ محمد بن عياد في رواية سماها :" حنينة عذراء قسنطينة ." [5]

وهكذا فقد توزعت نصوص الكتاب، وتناقلها الكتاب الفرنسيون دون أن ينشروا النسخة العربية له، التي من الأرجح أنها ضاعت، كما ضاعت الكثير من مؤلفات ذلك العصر.

---

[1] - Vayssettes : Histoire de Constantine sous la domination turque, pp 190- 228.
[2] - Berbrugger : Opcit , p 304 – 305.
[3] - Vayssettes : Histoire de Constantine, p 157-158.
[4] - Ibid, p 213
[5] - Vayssettes : Hanina ; la vierge de Constantine , Alger ,Juillet saint-lager libraire 1873, p1.

## 2-* المؤرخ القاضي مصطفى بن جلول ومخطوطه حول تاريخ قسنطينة :

### * المؤلف:

كتب الضابط الفرنسي شارل فيرو عند وفاة هذا الشيخ مع الشيخ المكي البوطالبي يقول :" إن أحسن رثاء يمكن أن يوجه لهذين العالمين اللذين توفيا تقريبا في نفس الفترة، هو الإشارة إلى المثل الذي صار يضرب في مدارس قسنطينة بعد وفاتهما وهو " إن العلم عند المسلمين[ يقصد أهالي الجزائر ] انطفأ مع سي مصطفى بن جلول وسي المكي البوطالبي" [1] فمن يكون هذا الشيخ الذي استحق هذه المكانة ؟

ينحدر مصطفى بن جلول من عائلة بن عبد الجليل العريقة بقسنطينة، التي عرفت بابن جلول، وهي عائلة علمية قديمة بقسنطينة، قال عنها نور الدين عبد القادر " وأسرة بن عبد الجليل وعرفت بابن جلول واستمر فيها العلم زمانا مديدا"[2] .

ولكن الأسرة لم يظهر دورها جليا إلا منذ القرن الثامن عشر، حتى أننا لا نجد لأحد من أفرادها ذكرا في منشور الهداية المُؤلَّف في القرن السابع عشر، وتعود أصول هذه الأسرة –حسب رواية الشيخ مصطفى بن جلول التي أفاد بها شيربونو– إلى المغرب الأقصى [3]، وكان الجد الأول قد استقر بقسنطينة في نهاية القرن 9 هـ/ 15 م ، ويُعدّ عباس بن علي بن جلول أول أفراد الأسرة الذين دخلوا في خدمة المخزن التركي، فقد شغل منصبا هاما هو منصب الباش كاتب لدى الباي حسين بوكمية.[4]

و اشتهر من عائلة بن جلول عدد من العلماء، منهم الشيخ شعبان بن جلول الذي وصفه الورثلاني في رحلته بقوله :" العالم على الإطلاق والأديب بالاتفاق سيدي شعبان بن جلول قاضي

---

[1] - Feraud : La Prise d'Alger raconté par un algérien, in R.S.A.C 1865, p 68.

[2] – نور الدين عبد القادر: صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي ، نشر كلية الآداب الجزائرية مطبعة البعث 1965 ، ص 214.

[3] - Cherbonneau : Inscription arabe de la province de Constantine , in annuaire de Constantine 1855 – 1856 , p 103.

[4] - Feraud : Opcit, p 67.

الحنفية" [1] الذي تتلمذ على المفتي محمد بن علي الجعفري البوني القسنطيني، و أجازه إجازة عامة بعد سنة 1139 هـ/ 1727م إثر القراءة عليه سنين عديدة، كما ذكر الكتب التي قرأها عليه كالألفية ومختصر خليل وألفية العراقي، والمحلى في الأصول، وصغرى السنوسي في الفلك، وصحيح البخاري[2] و توفي شعبان بن جلول بعد أن عاش مائة سنة [3] شغل خلال 67 سنة منها منصب القاضي الحنفي، ورقي نتيجة خصاله التي صار يضرب بها المثل في قسنطينة [4] كما برز اسم المرابط المسعود بن جلول الذي كانت له إدارة شؤون زاوية عائلته سنة 1833 . [5]

وبالنسبة للمؤرخ محل الدراسة واسمه كاملا هو مصطفى بن محمد [6] بن عباس بن علي بن عبد الجليل المعروف بابن جلول [7] فقد ولد بقسنطينة سنة 1768 [8] وتلقى تعليمه ببلده في زاوية العائلة التي تعرف بزاوية الزواوي[9]، ولعلّه درس على عمه الفقيه أبي العباس أحمد بن عباس بن علي علي بن عبد الجليل الذي توفي بقسنطينة في 21 صفر سنة 1201 هـ/ 1786 م "[10] كما يكون قد تلقى العلم على جملة من مشايخ العلم بقسنطينة.

---

[1]- الورثلاني : نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ، ط 2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت 1974 ، ص 692.

[2]- كان الشيخ شعبان مهتما بالنحو والألغاز ولذلك كلف سالم بن محمد من أولاد عيسى بن لكحل سنة 1146 هـ/ 1734 م بنسخ كتابين لبركات بن باديس الأول في تراجم النحاة عنوانه " التنقيح في التعريف ببعض أحوال رجال طالعة التصريح على التوضيح" وهو كتاب ترجم فيه تراجم مختصرة لعلماء النحو الذين يتعرض لهم أثناء تدريسه لهذه المادة بقسنطينة ومنهم حوالي 28 ترجمة ، والكتاب الثاني في الألغاز بعنوان " نزع الجلباب في جمع ما خفي في الظاهر من الجواب" ويقع في 21 صفحة ، أنظر : سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1988، ص 44.

[3] – لا يقدم فيرو الذي أورد هذه المعلومة أي تاريخ سواء للميلاد أو للوفاة.

[4] - Feraud : Opcit,p, 68.

[5] - L.J. Bresnier Opcit , p 52.

[6] – كما جاء في رسالة قرض بها كتاب لمصطفى باش تارزي سنذكره فيما بعد.

[7]– كما ذكر هو للمستشرق الفرنسي شيربونو ، أنظر :

Cherbonneau : Inscription arabe de la province de Constantine, in R.S.A.C –1856–1857 , 121

[8] - Feraud : Opcit, p 68.

[9]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، ص 123.

[10] - Cherbonneau : Inscription arabe, p 121.

و تولى مصطفى بن جلول منصب باش كاتب لدى الحاج أحمد باي آخر بايات قسنطينة[1] وفي عهد الاحتلال الفرنسي تولى القضاء الحنفي بالمدينة سنة 1265 هـ/ 1848 م وظل فيه إلى غاية سنة 1273 هـ/ 1856 م،[2] وفي 19 نوفمبر 1849 م عُيّن إماما بزاوية رضوان براتب قدره 200 فرنك، وفي 01 يناير 1850 م تم تجديد إقراره كمدرس بجامع سيدي لخضر براتب قدره 200 فرنك، وهي وظيفة كان يمارسها شرفيا مع وظيفته كقاضي[3].

شارك مصطفى بن جلول في عدد من أحداث عصره، فقد وجدناه يقوم بتحرير رسالة إلى السلطات الفرنسية هي عبارة عن شكوى بعثها أعيان قسنطينة ضد حمودة بن الشيخ الفكون الذي عينته الإدارة الفرنسية حاكما على المدينة [4]، كما وجدناه من بين الموقّعين على رسالة تهنئة بعثها أعيان قسنطينة سنة 1856 م في الذكرى الأولى لتولي نابوليون الثالث منصب إمبراطور فرنسا [5]، و و توفي الشيخ مصطفى بن جلول في خريف عام 1864 م عن عمر يناهز 96 سنة، ودفن بقسنطينة بمقبرة عائلته[6].

و ترك الشيخ بن جلول عددا من الآثار نعرف منها تقريضه لرسالة " تحفة الناظرين في إبطال القول بنقض الحكم بصحة الوقف بعد موت الواقفين" لمصطفى بن عبد الرحمن باش تارزي المتوفى سنة 1252 هـ/1832 م[7] وكتاب عن تاريخ قسنطينة.

---

[1] - Feraud : Opcit , p 68

[2]– محمد المهدي بن علي شغيب : أم الحواضر في الماضي والحاضر أو تاريخ مدينة قسنطينة ، مطبعة البعث ، قسنطينة، 1980 ، ص 331.

[3]- Megnaoua,C : Le registre du Caid el Bled de Constantine ,in recueil de Constantine , 1929 p 27.

[4] – جمال قنان: نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1993 ، ص 101.

[5]– أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج 1، قسم 1، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1992، ص 391.

[6] - Feraud : Opcit, p 68

[7]– سليمان الصيد : نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار ، ط1، المطبعة الجزائرية للمجلات والجرائد ، بوزريعة 1994 ، ص 99-100.

* **الكتابة:**

كان الشيخ مصطفى مهتما بالتاريخ، حيث ذكر الكاتب الفرنسي فايسات في كتابه "تاريخ قسنطينة تحت السيطرة التركية" أنه استفاد من تأليف تاريخي حول قسنطينة ألفه الشيخ مصطفى بن جلول، و اعتمد عليه فايسات في كتابه المذكور.[1]

و حصل فيرو من السيد حسن بن جلول الذي كان يشغل منصب خوجة في إدارة الشؤون العربية بقسنطينة أوائل الاحتلال على تقييد تاريخي به وصف للحملة الفرنسية على الجزائر بقلم الشيخ مصطفى بن جلول، و قام فيرو بترجمة النص العربي إلى الفرنسية، ونشره في مجلة الجمعية الأثرية والتاريخية لمنطقة قسنطينة سنة 1865 بعنوان : "احتلال الجزائر سنة 1830 حسب شهادة كاتب مسلم" وذكر فيرو أن هذه الوثيقة منتخبة من أوراق محفوظة لدى عائلة بن جلول.

وهكذا يبدو أن تأليف بن جلول الذي يعد مفقودا اليوم ذا قيمة تاريخية كبيرة، بحكم أنه اعتمد على أوراق العائلة التي اشتغل جل أفرادها في الإدارة [2] والذين كتبوا ملاحظات حول الأحداث التي عرفها الإقليم في مختلف العصور وهذه الملاحظات قام بجمعها وتنظيمها سي حسن بن جلول .

و ذكر شيربونو أن مصطفى بن جلول قد أرسل له وثيقة تتحدث عن علاقة جده عباس مع الباي حسين بوكمية، وكيف حوّل الباي جامع سوق الغزل الذي بناه عباس بن جلول سنة 1730 إلى اسمه الخاص، جاء فيها ما يلي :" إن جدي السيد عباس بن علي جلول أصيل مدينة فاس بالمغرب قد تخلى عن المذهب المالكي واعتنق مذهب أبي حنيفة وشغل وظيفة باش كاتب لدى باي قسنطينة حسين بوكمية ، وبما أنه كان يتمتع بثروة كبيرة فقد كان يعلم أيضا كيف ينفقها في عمل شريف، فقرّر سنة 1143 هـ/ 1730 أن يبني على نفقته الخاصة مسجدا بحي سوق الغزل، ولتخليد ذكرى هذا العمل الخيري وضع عباس بن علي جلول أعلى الباب الرئيسي نقيشة بخط مشرقي ذو أناقة نادرة ".

---

[1] - Vayssettes : Histoire de Constantine,p20.

[2] - تذكر المصادر أن العائلة قد احتكر أفرادها منصب الباش كاتب لدى بايات قسنطينة.

ويضيف مصطفى بن جلول أن جده ولتثبيت هذا العمل الجدير بالتقدير فقد استدعى علماء قسنطينة لتوثيق عقد بهذا العمل تم حفظه في وثائق العائلة ، لكن الباي كما ذكر الشيخ مصطفى " لم يتوان عن إظهار حسده لشهرة باش كاتبه فاستدعاه إليه وقال له : يا عباس لقد عشنا إخوة في الحياة الدنيا فلنكن كذلك في الحياة الأخرى، ومن اللائق أن نتقاسم النفقة حتى أحصل على حصتي من البركة التي خصك بها الله " وهكذا تنازل عباس بن جلول عن تدوين اسمه في مدخل هذا المسجد لصالح الباي بوكمية [1].

ويذكر فايسات الذي استفاد أيضا من مخطوطة الشيخ مصطفى بن جلول أن هذا الأخير قد كتب عن التنظيم الإداري للبايلك في العهد العثماني وأسهب في ذكر الدنوش الذي كان يتوجب على بايات قسنطينة دفعه مرة كل ثلاث سنوات إلى باشا الجزائر.

و قال فايسات:" سنقوم بإعطاء التكوين الكامل للدنوش كما وج دناه في مخطوطة الشيخ مصطفى بن جلول الذي يتوجب أن يكون على دراية وخبرة كبيرتين في هذا المجال، فوظائف الباش كاتب يمكن القول أنها كانت وراثية في عائلته "[2].

وذكر بن جلول إن هذه الضريبة أي الدنوش صنفان واحد في الربيع والآخر في الخريف، والدنوش العادي أي ذلك الذي يكون فيه الدفع معهودا لخليفة الباي يضم الضرائب المالية والعينية وهو يتكون كما يلي :مائة ريال بسيطة "أي حوالي 250 ألف فرنك فرنسي سنة 1830 " وخمسون فرسا وخمسون بغلا جيدا وثلاثمائة بقرة وثلاثة آلاف من الغنم، وعشرون قربة من الزبدة المذابة وعشرين كيلا من الـــمْحَوّرْ " الكسكسي " وعشرون كيلا من الفريك، وعشرون قفة من التمر الجيد وخمسون قفة من الزيتون الجيد وجلود الأسود والفهود وبرانس الجريد وحياك للتغطية وسبحات من العنبر والمرجان ومختلف أنواع العطور والطرابيش الحمراء المصنوعة في تونس.

ويقول بن جلول أن هذه الضرائب لا تذهب كلها لخزانة الدولة، فالباشا وكبار الموظفين يأخذون نصيبا هاما منها، فيأخذ الباشا عشرة آلاف ريال بسيطة ومائتا محبوب من الذهب وخمسون فرسا وعشرة بغال وخمسون بقرة ومائتان من الخراف وقربتين من الزبدة المذابة وكيلتين

---

[1] - Cherbonneau :Sur une inscription arabe trouvée à Constantine, in annuaire de Constantine 1855 p 103-106

[2] - Vayssettes : Histoire de Constantine,p.37

من المْحَور وكيلتين من الفريك وخمسة وعشرون قفة من التمر وخمس قفف من الزيتون، وأربع برانس وأربعة حياك ومسبحتين من العنبر ومسبحتين من المرجان ونصيب من عطور الورد والياسمين وجلدين من جلود الأسود وجلدين من جلود النمور وأربع دزينات من الطرابيش الحمراء .

وأما الخزناجي والباش آغا ووكيل حرج باب الجزيرة فيأخذ كل منهم مائة ريال بسيطة ومائة محبوب وفرسين وبغلين وعشرة أبقار وخمسون غنما وقربة من الزبدة المذابة وكيلة من المحور وكيلة من الفريك ودزينة من الطرابيش الحمراء التونسية وبرنسين وحايك ومسبحة من العنبر وأخرى من المرجان وعطور وخمسة وعشرون قفة من التمر وبضعة قفف من الزيتون وجلد أسد وجلد نمر.

وأما خوجة الخيل ووكيل بيت المالجي ووكيل الباي [ ممثل الباي في قصر الداي ] فيلأخذ كل واحد منهم ألف ريال بسيطة وخمسون محبوبا وفرسا واحدا وبغلا واحدا وقربة من الزبدة المذابة وكيلة من المحور ونصف كيلة من الفريك وخمس قفف من التمر ونصيب من الزيتون وبرنسا وحايكا وست طرابيش وسبحة من العنبر وسبحة من المرجان وبعض العطور[1].

وتوهب هذه الهدايا من قبل الخليفة شخصيا بدءا من الباشا ثم بقية الموظفين الكبار الذين ينتهزون هذه المناسبة لتناول الضيفة الفاخرة التي تعد لمثل هذه المناسبة وعدا كل الهدايا السابقة فهناك هذايا أخرى أقل قيمة من الأولى تسلم لبعض الموظفين الصغار كخوجة الترك وخوجة العرب ووكلاء حرج دارل السلطان والخزندار ومماليك القصر والصبايحية والترجمان وآغا القل وآغا دار سركاجي والمزوار وقايد الزبل .

ومن جهته فالباشا لا يترك خليفة الباي يعود خالي الوفاض فهو يقوم بإهدائه قفطان تجديد التولية ولباس كامل وبندقية وحصان ويطغان كما يقوم كبار الموظفين بإهداء الباي عبر خليفته بعضهم بنادق والبعض أشياء ذات قيمة كل حسب مكانته ودرجته.[2]

1 - Vayssettes : Histoire de Constantine,Opcit,p31

2 - Ibid,p32.

ويواصل بن جلول قوله إنه في اليوم الثامن لوصول الخليفة للجزائر فإنه يغادر عائدا لقسنطينة، وعند اقترابه منها فإن الباي وكامل حاشيته يذهبون لاستقباله، ولما يصل هؤلاء يترل الخليفة من حصانه لتحية الباي مسلما إياه برنوس الشرف والهدايا الأخرى التي أحضرها ثم يدخل الموكب إلى المدينة مع هتافات الناس وصوت قرع الطبول ودوي المدافع ، وفي دار الباي تجدد مشاهد التولية ويقوم الباي بترع برنوسه ويهبه للخليفة الذي يجلب إليه في أبهة كبيرة .

وإضافة إلى دنوش الربيع فإن الخليفة يقود معه القوات التي ترافقه من الجزائر، وقوامها ستون خيمة،والتي تعوض نوبة السنة الماضية، وتعين في العمليات العسكرية واستخلاص الضرائب، ولما يقوم الباي بقيادة رحلة الدنوش في ربيع ثالث سنة فإن الضرائب تتضاعف قيمتها نتيجة غلاء الهدايا التي يتوجب عليه اصطحابها معه.

ويضيف بن جلول أن موكب الدنوش حين يصل إلى ذراع لحمر قرب بني عباس فإنه يتوجب على الأتراك تقديم ضريبة لزعماء أولاد مقران لضمان عبور موكب الدنوش سالما عبر البيبان وتتمثل الضريبة في بعض الأبقار والأغنام وهذا يدل على استقلال بعض القبائل عن الأتراك في العهد العثماني[1] .

ويتبين لنا من هذه النقول أن المؤرخ بن جلول تميز في كتابته بالدقة المتناهية في تقييده للأمور الإدارية والاقتصادية.

و جاء في وثيقة عربية نادرة كانت ضمن أوراق عائلة القاضي مصطفى بن جلول ما يلي :" الحمد لله ذكر لنا جذر الولاة ومنبع الفضل والخيرات سيدنا صالح باي أبقى الله تعالى وجوده أن النصراني الذي جاء مع جماعة منهم لأجل بناء القنطرة المعروفة قديما بالمشبكة عند حي باب القنطرة ، أخبره أن تاريخ بنيان القنطرة في السابق كان كما هو مكتوب بالسرياني بعد... سيدنا عيسى... بثلاثمائة وخمسة وثلاثين سنة في أوائل جمادى الثانية 1206 هـــ/ 1792 م ".[2]

واعتبر الشيخ مصطفى بن جلول في مخطوطه إن الاحتلال الفرنسي للجزائر قضاء وقدر فنجده يقول : "بمشيئة الله تعالى استولى الفرنسيس على الجزائر" كما اعتبر أن مسألة نصب

---

[1] - Vayssettes : Histoire de Constantine,Opcit ,p33.

[2]- ناصر الدين سعيدوني : ورقات جزائرية ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، بيروت: 2000 ، ص 294.

الفرنسيين لمدافع خشبية فوق منشآهم بالقالة هو ما عكّر– حسبه – صفو العلاقات مع الإيالة فقد كان الفرنسيون" أقاموا بالقالة دارا واسعة لتكون مسكنا لتجارهم الذين يتاجرون مع الأهالي في تجارة الجلود والصوف والشمع والسلع الأخرى، والحال أن سكان المناطق المجاورة لم يتوقفوا عن إقلاق هؤلاء الأوروبيين بسرقتهم والقدوم كل ليلة للطواف حول بنايتهم وقد جعلت هذه الجولات الليلية الفرنسيين يأخذون في الليل كما في النهار إجراءات الاحتراس وحتى يبعدوا ويمنعوا عدوان الأشرار فقد صنعوا مدفعين من الخشب لهما هيئة المدافع الحقيقية وقاموا بوضعها في نوافذ بنايتهم". [1]

ويذكر أن العلاقات مع فرنسا انقطعت أربع سنوات وخلال هذه المدة فإن العساكر كانت تجول دوما على الساحل لمنع السفن الجزائرية من ركوب البحر وخلال هذه المدة اعلم الباشا بطريق مؤكدة أن الفرنسيين يستعدون للهجوم عليه فقام حينذاك باستدعاء البايات للتعجيل بمساعدته بقواهم وجمع الحاج أحمد باي قوات القبائل مثل: الحنانشة والحراكته وأولاد عبد النور والتلاغمة وعامر والصحاري والحشم الذين يقودهم أولاد مقران، وكل الدايرة والزمول والزناتية والصراوية وأولاد بوسلاح الذين يقودهم الآغا بن الحملاوي، وزودت كل هذه القبائل بثلاثة آلاف وبعض الفرسان، دون حساب المترجلين الذين لحقوا بالمحلة خلال سيرها نحو الجزائر وجلب الباي معه فرقة من الجنود الأتراك لحراسة موكب ضريبة الدنوش التي تعوّد على دفعها لخزينة الباشا[2].

ويمضي بن جلول في سرد تفاصيل في غاية الأهمية عن الحوادث التي سبقت الاحتلال كما يذكر أعمال المقاومة المنظمة ضد النزول الفرنسي، ومشاركة عدد من القبائل في هذا المجال مثل قبائل فليسة وبني جناد وقبائل جرجرة، وجهود الحاج أحمد باي في المقاومة، لكننا نجده يثني على الفرنسيين فيقول :"ولو استخدم الفرنسيون الذين كانوا بقربنا سلاحهم فإنهم سيقدرون في تلك اللحظة أن يهلكوا كل الفارين منا، و لكن على العكس، فقد توقفوا ليتركوا لنا الوقت لنبتعد، و كانت لدي فرس جعلها صخب البارود ومنظر المعركة نفورة، ويضاف إلى كل هذا كبر سني الذي انتزع مني كل نشاط، وقد تكبدت مشقة كبيرة للابتعاد عن ساحة المعركة وكانت تفصلني

---

[1] - Feraud : Opcit, p 70.
[2] - Ibid, p 71-72

بضعة خطوات عن الفرنسيين ورغم هذا فإنهم لم يسببوا لي أي أذى، وقد أثبت لنا هذا العمل الكريم أن الفرنسيين لهم قلب شريف وإنهم لا يقومون بالحرب لمجرد القتل."[1]

ثم يذكر إن وفدا من الأعيان دعوا الداي حسين لعقد الصلح مع الفرنسيين ، ويقدم مثالا عن عدم مبالاة الداي نقله له أحد شهود العيان فيقول :" عندما دخلوا لدار الباشا وجدوه يتحدث مع ساعاتي كان يحرك رقاصات الساعة، وساعات موسيقية، وقد قال له الباشا: ضع هذا الرقاص في هذا المكان، وضع ذاك في مكان آخر، وظل رجال الوفد الذين كانوا منشغلين بعمق بجسامة الوضع حائرين أمام عدم اكتراث الباشا الذي كان يمضي وقته في تفاهات في وقت عصيب وخرجوا مذهولين دون أن يعرضوا سبب مسعاهم، لكنهم قالوا أن قدرة الباشوات قد اضمحلت وإنهم صاروا منذ ذلك الحين غير قادرين على حكم البلاد"[2].

ثم يتتبع بن جلول مسار الأحداث وانتصار الفرنسيين وتراجع المقاومة ووعود الفرنسيين باحترام شخصية وثروة الجزائريين ومنحهم الأمان لداي الجزائر الذي رخصوا له أن يلجأ إلى المشرق مع عائلته وثروته، وتراجع الحاج أحمد باي إلى قسنطينة وصراعه مع الاتراك من أجل توطيد سلطته في الإقليم [3].

وهكذا فإن مخطوط بن جلول قد ضم إضافة إلى معلومات عن قسنطينة وإقليمها معلومات هامة عن الحملة الفرنسية على الجزائر وكان صاحبه شاهد عيان على هذه الحوادث.

---

[1] - Feraud: Opcit, p 73 -74.
[2] - Ibid,p 74.
[3] - Ibid, p 75.

## 3-* أحمد بن المبارك العطار القسنطيني[1] وكتابه تاريخ حاضرة قسنطينة :

### * الكتاب:

وضع ابن المبارك هذا الكتاب حوالي سنة 1852 ويذكر عدد من الدارسين إنه كان بطلب من مدير المكتب العربي بقسنطينة " بواسوني" [2] ولكن المؤلف نفسه وضّح دافعه لهذا العمل فقال: " سألني بعض المحبين رزقني الله وإياه خير الدارين، أن أقيد له بعض أخبار قسنطينة، فأجبته بقصوري عن إدراك هذا المرام لعدم وقوفي على تاريخ لها لأحد من الأعلام، فاكتفي مني بالنزر القليل.." [3] ولا نعتقد أن المؤلف قد قصد بواسوني بهذه العبارة.

اتفق جل من درسوا حياة ابن المبارك أنه لم يضع عنوانا لكتابه حول تاريخ فسنطينة فلم يذكر له دورنون ولا نور الدين عنوانا يتلاءم مع عناوين التآليف العربية التقليدية.[4]

واعتمد الشيخ أحمد المبارك في كتابه تاريخ حاضرة قسنطينة على بعض الكتب المتداولة ذكر منها: المؤنس لابن أبي دينار القيرواني، على أن مصادره الأساسية هو ما أخذه عن الشيوخ الذين عاصروا الأحداث وخلافا للعنتري، فإن أحمد بن مبارك لم يجد، كما قال، الوثائق والمراجع التي يعتمد عليها فاعتمد على الروايات الشفوية، ويقول نور الدين عبد القادر، أنه لم يذكر سوى ابن أبي دينار القيرواني صاحب كتاب المؤنس، ومن الأرجح انه اعتمد على مصادر أخرى لكنه لم يذكرها[5] ويكتفي بالقول "ذكر أصحاب التاريخ" ، أو "نسمع من أهل العلم" [6].

والكتاب كما قال عنه سعد الله هو نوع من التاريخ والآثار والذكريات العامة والأحداث البارزة التي عرفتها قسنطينة وإقليمها، وبذلك يجد فيه القارئ معلومات غير موثقة أحيانا عن بعض

---

[1]– سبق التعريف بالمؤلف في الفصل الثاني.

[2]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 345 ، وانظر أيضا:. ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي، المرجع السابق، ص 511.

[3]– أحمد بن المبارك القسنطيني: تاريخ حاضرة قسنطينة، تحقيق رابح بونار، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ، ص 32.

[4]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 347.

[5]– ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي، المرجع السابق، ص 510.

[6] – أحمد بن المبارك القسنطيني: المصدر السابق، ص 34.

المدن مثل باغاي، ونقاوس، وحروب الكاهنة، وهجوم أبي عنان المريني، وهجوم مراد باي تونس، وابن الأحرش، وحمودة باشا، بالإضافة إلى الحديث عن بعض البايات .

وكان ابن المبارك يذكر ما وقع في عهد كل باي، وقد ختم عمله بالحديث عن الشيخ فتح الله وأحمد القبائلي، ويشعر المرء أن الكتاب غير منته، وأنه قابل للتوسع والإضافات، لأن خطته ربما كانت كذلك، فهو ليس كتابا بالفصول والأبواب المضبوطة[1] .

يذكر لنا ابن المبارك في بداية كتابه اختلاف الأقوال حول بناء قسنطينة ومن بناها، فيقول أن من بناها هو الذي بنى القسطنطينية العظمى، وقام بالبناء عامله على أفريقية ونسبها إليه، وقيل غير ذلك أنها مدينة قديمة بناها الذي بنى قرطاجنة بقرب تونس ، وكان فيها كرسي أفريقية ، ويضيف ناسباً ذلك إلى أصحاب التاريخ دون أن يذكر من هم قائلاً:" ذكر أصحاب التاريخ أن قرطاجنة بنيت زمن عاد قبل إبراهيم الخليل عليه السلام ،ويشهد لهذا القول إننا نسمع من أهل العلم أن قسنطينة من زمن إبراهيم وهي عامرة لم تطفأ لها نار".[2]

ويصفها بأنها كانت في سالف الزمان تسمى الحصن الإفريقي، ويضرب بها المثل في التحصّن، وهى مبنية على جبل ، والهواء يحيط بها من كل جهة "كما الخاتم في الأصبع" أو يقول: المدينة مبنية على أقواس وبناء عظيم إلى باب الوادي".

و يعرض المؤلف ويقارن ويناقش الآراء المختلفة التي قيلت في المدينة حيث يذكر أن "القول أن المدينة كلها بنيت على فراغ قول لا يصح" ، ويحدد لنا طريقة بنائها وبناء مرافقها، فأهلها إذا أرادوا بناء بئر أو ساقية لماء المطر أو أزبال المدينة كسّروا الجبل بالبارود والمعاول[3].

ويصف آثارها حيث كان يحيط بها سور عظيم من كل ناحية، وقد انهدم لطول زمانه وأن آثاره قد بقيت إلى اليوم، وكان بها سبع قناطر "يحدد لنا مواقعها " انهدمت واختلف الرواة في سبب هدم القناطر، ويذكر لنا سبب الهدم حتى يتسنى له تفصيل تاريخ قسنطينة، يقول هناك رأ ي

[1]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 344.

[2]– أحمد بن المبارك القسنطيني: المصدر السابق ، ص 34.

[3]– المصدر نفسه ، ص 34-35.

أنها هدمت بسب طول الزمان، ورأى آخر أنها هدمت في زمن الكاهنة، التي سيتحدث عنها فيما بعد. [1]

ويواصل المؤلف بيان آثار المدينة ، ففيها ساقية بديعة بنيت تحت الأرض بهندسة وميزان وأقواس غاية الإتقان ، وبها من جهة الغرب برج بقيت منه بقية يعرف ببرج سوس كان في غاية العلو والارتفاع يوجد في أعلاه فناره، ويرجح أنه من بقايا الملوك الحفصيين ، ويرتبط ذلك بحصانة المدينة، وإن دلل على ذلك ببراهين خطابية يقول: " يقال أن حكماؤها الأوائل العارفون بوضع الطلاسم وعلم النجوم جعلوا ببلب الوادي رصدا لا يدخلها عدو " ويضيف: " مقيد على ظهر كتاب أنها غزيت ثمانين مرة فلم يدخلها عدو ولا نال منها شيئا لرصد بها من عمل الحكماء ."[2]

ويتابع ابن المبارك بالتفصيل تاريخ قسنطينة ويشير إلى فترات كانت فيها تحت طاعة سلاطين المسلمين: المرابطين والموحدين وبنى مرين وتارة تحت طاعة سلاطين تونس إلى أن دخلها الأتراك العثمانيون، فقد غزاها أبو عنان المريني وغزاها مراد باي بن على باى حاكم تونس عام 1112هـ/ 1700 م وهو الذي ضرب القلعة وبعث بمدافعها إلى تونس وحين خرجت محلة الجزائر لنصرتها رحل عنها مراد باي[3].

ويوضح لنا المؤلف صمود قسنطينة وطردها للغزاة سواء القادمين من المغرب أو تونس، فحين غازها الشريف الأحرش وهو مغربي يزعم أنه من شرفاء فاس عام 1219 هـ/1804 م كان حاكمها عثمان باي، خرج إليه قائد الدار الحاج بن أحمد بن الأبيض وانضم إليه ناس قسنطينة انهزم الشريف وفر هارباً.[4]

ويصف صمود قسنطينة أمام حملات وحصار حمودة باشا تونس ورجاله فلم يقدروا عليها، رغم أنه لم يكن بها باي ولا خليفة ولا عسكر سوى أهل البلد وقليل من الأتراك ، و هنا خرجت

---

[1]– أحمد بن المبارك القسنطيني: المصدر السابق ، ص 35.

[2]– المصدر نفسه ، ص 37.

[2]– المصدر نفسه ، ص 43-44.

[4]– المصدر نفسه، ص 46-47.

جماعة عظيمة من الجزائر معها أحمد آغا ولقيت حسين باي،"ووصلوا جميعاً إلى قسنطينة وقاتلوا التوانسه حتى انتصروا".[1]

ويحدثنا المؤلف عن التوافق والصلح والوئام بين القوى الاجتماعية والسياسية في قسنطينة الذي يحدد مشاركة كل منها في الحكم: الأتراك والعرب والقبائل "حيث يكون تصريف الوطن بينهم أثلاثا ثلثه لابن علي شيخ العرب، و ثلثه لشيخ نجع الحنانشة و ثلثه لحاكم الترك، وتعاهدوا على هذا واصطلحوا عليه " وظل هذا الوضع على تلك الصورة حتى وقت المؤلف، فالباي إذا أتته خلعة الولاية من الجزائر يتقلدها هو أولاً ثم بعده شيخ العرب وبعده شيخ الحنانشة، فولايتهما كما يقول كولاية الباي[2] .

ويذكر المؤلف ما كان للشيخ الفكون وذريته من المزايا العديدة حتى زمان المؤلف كما يخبرنا برضاه وقبوله الانضواء تحت لواء الأتراك.[3].

ويشير المؤلف إلى قضية انحسار الحكم في عائلة واحدة بقوله:" كانت ولاية قسنطينة لأولاد فرحات باى، منهم علي خوجة المتقدم ذكره، وغيره يتوارثونها بينهم، وهم من أسرة عربية، إلا أنه حين ظهر عجزهم وضعفهم عن مقاومة العربان وأهل الوطن جاء حاكم تركي من عسكر الجزائر هو حسين كلياني يصفه المؤلف أنه كان بطلاً شجاعاً استطاع أن يدبر أمر الرعية أحسن تدبير، وإطاعة الجميع، بنى الجامع الأعظم بسوق الغزل ، وقد استطاع حسين كلياني مهاجمة تونس في صراعها مع الجزائر واستولى عليها" [4].

وقد تولى بعده حسين باي بوحنك، وهو كما يصفه ابن المبارك "رجل داهية صعب" اجتمع مع الولي الصالح الشيخ الشليحي في حاجة عرضت له عنده ، وهنا يلجأ المؤلف إلى تجسيم صفات الولي الصالح، وقدراته بشكل يوضح لنا مدى إيمانه بكرامات الأولياء، فإذا أهوال عظيمة أحاطت بحسن باي حين استهان بالشيخ، حيث رأى نفسه جالساً على هواء عظيم والنار تشتعل تحته وشاهد ما لا طاقة له على رؤيته، فاستغاث بالشيخ وحسنت نيته فيه واعتقد في كرامة الأولياء

---

[1] – أحمد بن المبارك القسنطيني: المصدر السابق ، ص 47-48.

[2] – المصدر نفسه ،ص 56-57.

[3] – المصدر نفسه، ص 57-58.

[4] – المصدر نفسه، ص 59-60.

فأغاثه، وأعطاه الباي داراً وأرضاً وجعل له زاوية ببلد أولاد عبد النور لازالت موجودة ومعروفه باسمه حتى الآن، وحسن باي بوحنك هو الذي بنى الجامع الأخضر وجعل عليه أوقافاً وحين مات دفن به[1].

ويتوقف عند حسن باى أزرق عين، الذي تولى خاله ولاية الجزائر فارتفعت مترلته وعلت كلمته وقويت العداوة بين باشا تونس وباشا الجزائر الذي عزم على غزو تونس وقتل حاكمها في عام 1169 هـ / 1755 م . [2]

ويحدثنا عن تولي صالح باي عام 1185 هـ/ 1771 م، وقد حسنت أيامه وبلغ ما لم يبلغ من هو أكبر منه من ولاة الجزائر وولاة تونس ، وجمع من الأموال ما لم يجمعه غيره، وبنى جامع سيدي الكتاني وغرس البساتين المعتبرة ، وكانت له اليد العليا على صاحب تونس وغيره ، وقام بتعمير البلاد وبناء القنطرة التي أحضر لها مهندسين أوروبيين، وأنفق عليها أموالاً كثيرة :" وسعدت الناس في دولته" كما قال المؤلف الذي أضاف إن مدة حكمه دامت نحو 22 سنة[3].

ويروي المؤلف خبر خروج صالح باي عن طاعة باشا الجزائر، ومحاولته الاستقلال بولاية قسنطينة، مما أثار حاكم الجزائر الذي غضب غضباً شديداً ، وأراد تجهيز الجيوش لمحاربته وتخريب قسنطينة، إلا أنه عدل عن ذلك بتعيين حاكم جديد هو إبراهيم بوصبع باي الذي ولاه على قسنطينة وسار إليها في قوة لملاقاة صالح باي الذي أراد أن يستعين بأهل البلدة لنصرته على الباي الجديد الذي عينه باشا الجزائر فلم يجيبوه إلى ذلك كما يقول المؤلف ، ولم يرضوا بالخروج عن طاعة الجزائر ووقعت الفتنة ، وانحاز الأتراك إلى صالح با ي، ثم سرعان ما انفضوا عنه فلم يبق معه إلا القليل وتم النصر للباي الجديد الذي دخل قسنطينة وتم له الأمر[4].

ويتحدث المؤلف بعدها عن مقتل الباي إبراهيم بوصبع على يد أعوان صالح باي وحدوث اضطرابات في المدينة ومحاولة صالح باي استرجاع الحكم من جديد وتدخل داي الجزائر الذي اتفق

---

[1]– أحمد بن المبارك القسنطيني: المصدر السابق ، ص 60-61.

[2]– المصدر نفسه، ص 63-66.

[3]– المصدر نفسه، ص 69- 70 .

[4] – المصدر نفسه ، ص 71-72.

مع أعيان البلد وعساكرها لقتله، وكان هذا هو آخر خبر يرد في كتاب ابن المبارك يخص بايات قسنطينة[1].

انتقل ابن المبارك بعد ذلك لترجمة شخصيتين الأولى منهما هو الشيخ فتح الله المتوفى سنة 1223 هـ/ 1809 م [2]والثانية أحمد شاوش القبايلي.[3]

تميز تاريخ حاضرة قسنطينة بأسلوبه السهل الذي يغلب عليه ضعف الربط واللغة البسيطة التي تتخللها الألفاظ الدارجة والتراكيب العامية التي تعكس مستوى ثقافة عصره [4]، ولم يهتم ابن المبارك في كتابه هذا بحياة العلماء ورجال الدين والطرق الصوفية والأدب، وهو من المآخذ التي يمكن تبيينها على الكتاب، كما أن قلة المعلومات التي وردت فيه و توقفه عند الباي صالح، وعدم ذكره البايات الذين عاصرهم هو، كل ذلك أنقص من قيمة عمله.

ولكن يبقى كتاب ابن المبارك عملا تاريخيا هاما عن قسنطينة واستطاع صاحبه أن يتبوأ مكانة هامة بين مؤرخي المدينة رغم أن الدكتور سعد الله قد كتب يقول أن "الشيخ ابن مبارك لم يكن مؤرخا بالمعنى الدقيق للكلمة، بل ليس له إحساس بالتاريخ كالذي نجده عند زميله العنتري، وإنما كان راوية وعارفا ببعض الأخبار فسجل ذلك في تأليفه عن قسنطينة"[5].

## 4-*صالح العنتري[6] والفريدة المؤنسة:

### * الفريدة المؤنسة:

يعتبر تاريخ العنتري مصدرا أساسيا للفترة الأخيرة من العهد العثماني والسنوات الأولى للاحتلال[7] وقد عرف هذا المصنف بعناوين مختلفة منها: **"كتاب الأخبار المبينة لاستيلاء الترك على قسنطينة"** أو **"الأخبار المبينة في تاريخ قسنطينة"**، و**"الفريدة المؤنسة في حال دخول الترك**

---

[1]– أحمد بن المبارك القسنطيني: المصدر السابق، ص 73-75.

[2]– المصدر نفسه ،ص 76-78.

[3] – المصدر نفسه، ص 79-83.

[4]– ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي، المرجع السابق، ص 510.

[5]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 347-348.

[6]– سبق التعريف بالمؤلف في الفصل الثالث.

[7] – ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي، المرجع السابق، ص 535.

**بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها وذكر شيء مستفاد من سيرة باياتها إلى انقضاء دولتهم واحتواء الفرنسيين على مملكتهم".**[1]

وأما عن دوافع التأليف فقد كان الضابط بواسوني قد طلب من العنتري كتابة هذا التاريخ، إذ كان بواسوني من الضباط المهتمين بالدراسات العربية وتاريخ المنطقة، وكان رئيسا للمكتب العربي (بلدية عسكرية) منذ إنشائه في قسنطينة حوالي1843 [2].

ألف العنتري عمله وهو شاب مندفع، إذ أنه بقي على قيد الحياة إلى ما بعد سنة 1877 وقد اعتمد على وثائق جده، وكان هذا الجد أيضا مهتما بالتاريخ وله فيه تقييد حول حملة الإسبان على الجزائر سنة 1775 م، وكان صالح العنتري يتمتع بخط جيد وتلك عادة الخوجات قديما [3].

يعالج العنتري في كتابه تاريخ بايات قسنطينة من الاستيلاء العثماني عليها إلى احتلالها من قبل الفرنسيين وسقوط نظام الحاج أحمد باي، و في نهايته جدول بأسماء البايات الحكام مع سنوات حكمهم بالتقويم الهجري، ثم الحكام الفرنسيين وسنوات حكمهم بالتقويم الميلادي، و تاريخ كتابته حوالي 1847 ، وألحق به قصيدة في مدح قسنطينة وأهلها ، وما قاله بعض المداحين ، وهى قصيدة بالعاميةن وقصيدة ثالثة قصيرة مما قاله السيد محمد الشاذلي عن أهل قسنطينة[4].

يقول العنتري في بداية الكتاب بعد حمد الله: "ولما كانت الأخبار السابقة والآثار السالفة تحتاج كل اللبيبب الحاذق إليها ويتسلى الذكي الفاهم بمطالعتها اقتضى الحال لذلك ترجمة لطيفة ونبذةة مستحسنة ظريفة لمن أرادها من ذوى العقول الراجحة، وجلساء السلاطين والملوك الفاخرة فألزمت نفسي لقرع هذا الباب ، واستعلمت فكر ي فيما ر غبوه مني أولئك الأحباب ، وسميتها "فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها وذكر شيء مستفاد من سيرة باياتها إلى انقضاء دولتهم واحتواء الفرانسيس على مملكتهم". [5]

---

[1]- هو مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 2320.

[2]- أبو القاسم سعد الله: رسالة من العنتري إلى المترجم فيرو، المرجع السابق، ص 104.

[3]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 343

[4]- صالح العنتري : الفريدة المؤنسة ، ص11-12.

[5]- المصدر نفسه، ص 57.

ويقول العنتري إن دخول الأتراك إلى قسنطينة كان عام 1052 هـ/ 1642 م[1] ويذكر أسماء اثنين وأربعين باياً من حكامها، وأول من ذكرهم هو فرحات باي الذي تولى سنة 1058هـ/1648م[2]وآخرهم الحاج أحمد باي الذي تولى عام 1241 هـ/ 1825 م [3].

أما الحكام الفرنسيين في قسنطينة بعد الاستيلاء عليها يوم الجمعة 12 أكتوبر 1837 فيبدأ بذكر الجنرال بي غي أواسط يناير 1837 وينتهي برجوع دوك دومال مرة ثانية على سبيل الضيافة في 2 جوان سنة 1847.[4]

وخلال عرضه للأحداث يتطرق العنتري لجملة من القضايا منها ارتباط قسنطينة بالجزائر ومراعاة الدولة العثمانية والحضرة العليا مما يتضح في موقف فريق من أهل البلاد وسيدي الشيخ ابن الفكون وباشاً الجزائر، حيث" كان الترك قد ملكوا الجزائر وبعد تملكهم قدموا إلى قسنطينة وراموا دخولها من غير حرب ولا قتال فلم يتح لهم شيء من ذلك إلا بعد المقاتلة الكثيرة والمحاصرة الطويلة" كما يقول العنتري[5].

واختلف أهل البلاد في الرأي، ففريق مهادن أذعن للاحتلال ورأى تسليم البلاد والراحة من الجهاد، وآخر رفض ذلك، وحسم الأمر موقف الشيخ الفكون، الذي أشار عليهم بعدم المقاتلة ودخل الترك قسنطينة، مما أدى إلى رضا باشا الجزائر، الذي أرسل بخطابين أحدهما للشيخ الفكون فيه تقدير لموقفه ورضى عنه وطلب الدعاء، والثاني إلى "ناس البلاد" لكونهم آثروا العافية عن الفتنة وحقن الدماء . [6]

ويقدم العنتري بعض اللمحات المقتضبة حول المراكز الأربعة الأساسية التي تتحرك انطلاقاً منها أحداث تاريخ قسنطينة وهي: الباي في قسنطينة والباشا الحاكم في الجزائر والعدو الغازي الذي يأتي دائماً من تونس وناس الوطن أو العرب من أهالي الإقليم، وتدور هذه الإشارات حول

---

[1]- صالح العنتري : الفريدة المؤنسة، المصدر السابق ، ، ص 59.

[2]- المصدر نفسه، ص 61.

[3]- المصدر نفسه، ص 115.

[4]- المصدر نفسه،ص 141-150.

[5]- المصدر نفسه،ص 58.

[6]- المصدر نفسه، ص 59-60.

عدل وظلم البايات ومواقف المواطنين منها وموقفهما من العدو القادم من خارج الحدود وإلى أي هذه المواقف ينضم الباشا في الجزائر.

يخبرنا المؤلف كذلك عن موقف ناس وأكابر الوطن من الترك بعد استيلائهم على قسنطينة والفوضى والمجاعة والظلم الذي عم، هذا الموقف المتمثل في ضرورة وجود حاكم عادل ، وهو يصف سي فرحات هذا الذي اختاره أهالي قسنطينة بأنه " كان ذا عقل ودار [كذا]كبيرة فاتفقوا عليه فدخل الناس في طاعته وأذعنوا لحكمه واذهب عنهم الفتن وكثر الرزق" .[1]

وقد تكون للباي الحاكم "سيرة مليحة" وهو الوصف الذي يصف به المؤلف رجب باي الذي تولى 1077هـ/ 1666 م، وهو عم محمد باي فرحات، وهو الذي بنى في قسنطينة جامعا[2]، أو أن يكون ظالماً مثل دالي باي الذي تولى سنة 1087هـ/1676 م ، وكان يأخذ أموال الناس بالباطل اشتكى منه أهل قسنطينة إلى الباشا فقتله.[3]

ويصف على خوجة باي الذي تولى سنة 1104 هـ/ 1692 م بأنه" رجل مليح أحكامه بالعدل وسيرته مرضية " وحين تناول أحمد باي ذكر أنه "صاحب ديانة وله في الحروب شجاعة"، وكذلك صالح باي الذي كانت سيرته طيبة كما كتب المؤلف ، كما يذكر لنا وقوع فتنة عظيمة بين صالح باي وناس قسنطينة الذين أرسلوا للباشا فعين لهم حاكماً آخر. [4]

ويصف حاج مصطفى باي إنقليز وهو تركي قديم من قسنطينة ، بأنه :" رجل عاقل وصاحب العرب وولايته تشبه ولاية صالح باي في الرخاء والعافية وتمهيد الوطن " وهو وصف يقترب مما يصف به عثمان باي، وكان من بايات وهران " وهو رجل حزم في أموره يكره الترك من أجل ظلمهم ويحب العرب "وكذلك علي باي بن يوسف الذي " كان عادلاً بين العرب والترك". [5]

---

[1]- صالح العنتري: الفريدة المؤنسة، ص 61-62.

[2]- المصدر نفسه، ص 62.

[3]- المصدر نفسه، ص 63.

[4]- المصدر نفسه ، ص 64.

[5]- المصدر نفسه، ص89.

وفي كتاب العنتري معلومات هامة تتعلق بالعلاقة مع تونس ، وهى تنقسم إلى علاقات جوار يحدث فيها التعايش أحياناً والحرب أحياناً أخرى ، مثلما حدث في عهد حسين باي[1] وغزو قسنطينة وسيطرتها على تونس ، و استيلاء حسين باي بوكمية على تونس ، ويصف المؤلف ذلك أنه أخذها بغير حرب ولا قتال ولا معارضة "[2] و في عهد الباي زرق العين وقعت الحرب مرة أخرى مع حاكم تونس مما جعله يهرب ويطلب أهلها الأمان حتى يتمكنوا من خداع با ي قسنطينة[3].

احتل تاريخ العنتري منذ صدوره مكانة محورية في الكتابات التاريخية المحلية حول قسنطينة، وهو ما يؤكده إقدام المترجمين، وضباط المكاتب العربية من الفرنسيين على النقل عنه دون ذكره أحيانا، ومن هؤلاء فايسات – الذي كان مترجما ومدرسا في قسنطينة — والذي نقل عنه كثيرا في كتابه تاريخ قسنطينة، كما استفاد منه أيضا إرنست ميرسيي الذي أرخ لقسنطينة، وكذلك شارل فيرو، ويبدو أن المترجم الأنبيري قد استفاد منه أيضا في كتابه المسمى " علاج السفينة" كما قام دورنون بترجمة كتاب العنتري ترجمة كاملة ونشره في قسنطينة عام 1929، ويمكن القول إن تاريخ العنتري، رغم شباب مؤلفه وسرعة تنفيذه، بقي مصدرا هاما لتاريخ قسنطينة وإقليمها. [4]

وأما منهج الكتاب فيعتبر تاريخ بايات قسنطينة للعنتري من أوائل الكتب التاريخية التي عالجت تاريخ قسنطينة بالتفصيل، وهذا ما جعله ينفرد بإيراد أخبار لم يذكرها أحد من معاصريه مثل أحمد المبارك، على أن ما يلاحظ عليه هو تهجمه على الحاج أحمد باي، ذلك لأن العنتري ظل يُحمّل هذا الباي مسؤولية قتل والده سنة 1837 بعد أن اتهم من طرف منافسيه وعلى رأسهم ابن عيسى قائد الباي بأخذ الرشوة من الفرنسيين مقابل عمله على تثبيط عزائم المسلمين، عندما أوفده الباي أحمد باعتباره كاتبه الخاص، للتفاوض مع قائد الجيش الفرنسي دامريمون في نواحي حمام المسخوطين بالقرب من قالمة، ولعل هذا ما جعل العنتري يميل إلى الفرنسيين ويبدي إعجابه بإنجازاتهم مدفوعا بتأثير الضابط الفرنسي بواسوني عليه ومحاولته إقناعه بذلك، وقد أدى به نفوره

---

[1] – صالح العنتري: الفريدة المؤنسة، المصدر السابق، ص 69.

[2] – المصدر نفسه، ص 72.

[3] – المصدر نفسه، ص 78.

[4] – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص343

من أحمد باي إلى إثارة حفيظته على الحكام العثمانيين لا سيما المتأخرين منهم ووصفهم بالضعف والظلم والاستبداد، وهذا ما عبر عنه في الفريدة المؤنسة بقوله: "إن الأتراك في بدء أمرهم حين لم يتمكنوا من الوطن كل التمكن عدلوا بين الناس و لم يظلموا أحدا، وحين تمكنوا صاروا يظلمون الناس، ويسفكون دماءهم ويأخذون أموالهم بغير حق، ويعدون ولا يفون ويؤمنون ويغدرون، كما يعلم مما تقدم، و لم يزل ظلمهم يزداد حتى تجاوز الحد في ولاية الحاج أحمد بن محمد الشريف الذي أخذت قسنطينة في زمان ولايته". [1]

وأما مصادره فقد اعتمد العنتري على الروايات الشفهية والمشاهدات، ولا شك أنه استفاد أيضا من وثائق المحاكم والعائلات العريقة بالمدينة، وكذا الوثائق الرسمية التي وضعها المكتب العربي تحت تصرفه.

وأما أسلوبه فقد كتب العنتري بأسلوب تـــميّز بالبساطة في التعبير والوضوح في اللغة إلا أنه لا يخلو من أخطاء لغوية، وضعف في التركيب مع الميل إلى الإنشاء الديواني وأسلوب السجع والتَّكَلُّف واستعمال بعض التعابير العامية المتداولة. [2]

وهو في الواقع لا يؤرخ للعصر والمدينة والناس، ولكنه يذكر البايات حسب تواريخ ولايتهم، وما حدث في زمن كل واحد منهم، وما أنشأ كل باي من مآثر، وقد خصّص للحاج أحمد باي قسما كبيرا في الكتاب، لأنه من جهة يهم الفرنسيين، ولأن العنتري نفسه قد عاصر قسما من عهد هذا الباي[3].

## 5-* محمد العنابي و مخطوطه كشف البضائع في ذكر الوقائع:

### * المؤلف:

كان محمد العنابي من علماء قسنطينة المخضرمين أي أنه عاصر أواخر العهد التركي وبداية العهد الفرنسي، ولعله جاء قسنطينة من عنابة حيث شهرته ونسبته، و تولى العنابي بعض الوظائف الدينية العالية، مثل الفتوى المالكية في آخر عهد الحاج أحمد، وظل كذلك إلى ما بعد

---

[1]- صالح العنتري: فريدة منسية، المصدر السابق، ص 168.

[2]- ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي لغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص 535.

[3]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 343.

الاحتلال، وكان من ضمن الموقعين على عريضة كتبها أعيان من قسنطينة ضد الشيخ حمودة الفكون الذي كان المارشال فالي قد عينه حاكما للبلد، وكان ذلك في سنة 1842، وكان توقيعه على أنه مفتي المالكية [1] ولعله بقي في ذلك المنصب إلى وفاته أو عزله، حين حل محله الحاج أحمد بن المبارك، وقد عزل ابن المبارك نفسه من منصبه سنة 1848 حين رحب بالحاج أحمد، باي قسنطينة السابق، وبذلك يكون عزل أو وفاة محمد العنابي بين 1842-1848.[2]

ويذكر سعد الله أنه عثر في الوثائق على اسم من أسرته قد يكون ابنه، حصل صاحبه على جائزة سنة 1868 من المدرسة السلطانية" الكوليج الإمبريالي" في قسنطينة.

*** الكتاب:**

توجد نسخة وحيدة من مخطوط كشف البضائع عند السيد محمد بن عبد الكريم، و لم نتمكن من الاطلاع عليها، و قد استفاد منه كل من الباحث التونسي عبد الجليل التميمي [3] والشيخ عبد الرحمن الجيلالي [4]، و قال عنه سعد الله "وهو كتاب يحتوي على مادة تاريخية مفيدة، سيما حول الفترة المعاصرة للاحتلال". [5]

ومن خلال نقول التميمي من الكتاب يبدو أن هذا الأخير في حجم يفوق 61 ورقة[6]، ويذكر محمد العنابي في مخطوطته إنه" بفضل إجماع العلماء والمشايخ والأعيان وكافة أهل قسنطينة فإن الحاج أحمد باي قد أعيد اختياره لتولي أمور البايلك. "[7]

ويُعَبِّرُ أيضا عن موقفه المؤيد للحاج أحمد باي قائلا :" لما أرسلت لنا نعمة الله هذا الأمير فإنه سعى لنشر السلم في البلاد والعباد ، و لم يأخذ غير حكور الأرض والزكاة، وعوايد الشيوخ

---

[1]- جمال قنان : المرجع السابق، ص 101.

[2]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 348.

[3] -Abdeljelil Temimi : Le Beylik de Constantine,Opcit, p 20.

[4] - عبد الرحمن الجيلالي : تاريخ الجزائر العام، ج 3، المصدر السابق، ص 224

[5] - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 7 ، ص 348.

[6]- خلال لقائنا بالدكتور التميمي في مركزه للبحث أكّد لنا أن المخطوط بحجم ضخم، وكتابته دقيقة وأنه استفاد منه عن طريق الأستاذ محمد بن عبد الكريم.

[7]- محمد العنابي : مخطوط كشف البضائع، ورقة 46 نقلا عن : Abdeljelil Temimi : Le Beylik de Constantine, p 64.

والولاة، وهكذا فقد هدأت النفوس ...، وانشغل بالبلاد واجتهد في أن يسوس الأسواق والعباد ، فألغى المغارم ، ومنع الجور وتدليس الدراهم ، وجعل ناس البلد ترتاد الأسواق التي غمرها بالسلع والمؤن حتى الإغراق، وهكذا رخصت الأسعار كل سنة وعمّ المكسب وادُّخِرت بالعادة النِّعَم ، وتَشرَّف العلماء بالإحسان والمحاباة والنِّعَم."[1]

وجاء في مخطوطة العنابي إن ناظر الوقف على عهد الحاج أحمد باي هو محمد العريسي على غير ما هو مذكور في بعض المصادر من أنه مصطفى بن العربي.[2]

وذكر العنابي" إن الحاج أحمد باي أرسل صالح بن أحمد رسولا من قبله إلى عنابة وكلّفه بنقل رسالة إلى سكان المدينة واجتمع الرسول مع عدد من أعيان البلد الحناشية وجنّد أهلـــــها ليكونوا مع الحاج أحمد للدفاع عن البلاد".[3]

وأضاف العنابي إن :" ابن عيسى لما اقترب من عنابة قرب زاوية سيدي ابراهيم بن تومي استقبل شيخ البلد والمفتي محمد العنابي وعددا من الناس، وبعد أن تشاور الجميع فإنه أوصاهم بطاعة الباي والاعتناء بالجهاد قائلا لهم : " نحن إخوة في دين الله ، وسنتعاون على القيام بالجهاد من أجل النفع العام لأن بلدنا وبلدكم واحد و ما هو نافع لنا نافع لكم وما هو مهلك لنا مهلك لكم أيضا ."[4]

## 6-* الطاهر بن أحمد النقاد ومخطوطه تاريخ صالح باي أمير بلد قسنطينة :

### *المؤلف:

هو الطاهر بن أحمد النقاد المولود بقسنطينة ، و جاء في ملفه العسكري إن ولادته كانت في فبراير سنة 1829م[5] ولكن تحديد هذا التاريخ بهذه الدقة كما تؤكد الباحثة الفرنسية إيزابيل قرونقو " أي ذكر الشهر والسنة بالميلادي" هو موضع جدل، ففي تلك الفترة لم يكن نظام الحالة

---

[1]- المصدر نفسه: ورقة 45 ، نقلا عن :التميمي: المرجع السابق ، ص 62.

[2] – Abdeljelil Temimi : Le Beylik de Constantine, p 64.

[3] - Ibid ,p 111.

[4] - Ibid , p 112.

[5] -Isabelle Grangaud : Un point de vue local sur le milieu du XIX siècle : A propos d'historiens de la conquête, in revue Insaniat n° 19-20- Janvier-Juin 2003 CRASC, Oran, p 106.

المدنية موجودا، كما أن التأريخ للميلاد والوفاة بالنسبة للأهالي – حتى المتعاونين منهم مع الإدارة الفرنسية – كان يتم بالهجري.

ولا يضم ملف النقاد العسكري أي وثيقة رسمية يمكن اعتمادها لتأكيد تاريخ ميلاده [1]، و أول إشارة متعلقة بالنقاد تشير إلى أنه مثقف متواضع فهو معلم قرآن في مدرسة سيدي لخضر ابتداء من شهر نوفمبر 1848، وهذا التعيين في منصب طالب حزاب يشير إلى أول تجربة له في مجال التعليم ، وجاء تعيين النقاد في مكان شخص آخر استدعي لمهام أخرى كما جاء في سجل قايد البلاد، ولا يسمح مضمون قرار التعيين بمعرفة ما إن كان قد تولى سابقا وظيفا مشابها، فقد كان شابا حين تم تعيينه، وكان يتلقى راتبا متواضعا هو 18 فرنك في السنة وهو من أدنى الرواتب المذكورة في سجل قايد البلاد[2].

في 28 فبراير 1850 عُوّض الطاهر النقاد بموظف آخر لأنه غادر قسنطينة وعين في وظيفة مترجم بالمكتب العربي بعين البيضاء، وهي معلومة لم ترد في ملفه العسكري الذي ذكر أن أول وظيفة له كمترجم عسكري كانت في فبراير 1855 كمترجم في المكتب العربي بباتنة وقفز راتبه كمترجم إلى 1200 فرنك.

وينفرد الملف العسكري للنقاد بإشارته لشغله لوظيفة معلم مساعد في المدرسة الفرنسية – العربية بداية من سبتمبر 1851 وحتى نهاية عام 1854، وفي ديسمبر 1854 التحق النقاد بالحملة الفرنسية المتوجهة لاحتلال توقرت، ويشير إلى ذلك مصدران الأول هو كتاب للنقاد نشر سنة وفاته 1863 وهو محادثات فرنسية عربية الذي يشير في مقدمته إلى هذه الحملة والتي اقتبس منها فصلا في كتابه، وهذه الشهادة يعززها شيربونو الذي يشير إلى وجود النقاد في الأماكن التي جلب منها نقائشه المترجمة[3] ونلاحظ أن شيربونو قد أشار إلى اسم من نقل له الخبر وهو النقاد.

وكان النقاد قد تعلم الفرنسية على يد شيربونو ربما في الفترة ما بين 1847 – 1850 قبل إنشاء المدرسة الفرنسية –العربية التي سيسيّرها شيربونو[4].

---

[1] - Isabelle Grangaud : Un point de vue local,Opcit, p 107.

[2] - Megnaoua,C : Le registre du Caid el Bled de Constantine ,in recueil de Constantine , 1929 p 27.

[3] - Cherboneau : Inscription arabe de la province de Constantine, in A.S.A.P.C 1855, p 141.

[4] - Isabelle Grangaud : Un point de vue, Opcit,p 107.

ظل النقاد يعمل بباتنة لفترة خمس سنوات حتى جانفي 1860، وكان قد صار يحتل منصب مترجم مساعد من الدرجة الأولى وارتفع راتبه ليصل إلى 1500 فرنك منذ شهر في مارس 1858، ومن جانفي 1860 إلى مارس 1861 عمل بالمكتب العربي بالقالة ثم بجيجل لبضعة أشهر.

وفي جانفي 1862 عُين بالمكتب العربي بقسنطينة، وكانت تلك ترقية له دون شك، وجاء في تقرير التفتيش الذي أعد في أكتوبر من تلك السنة أن الجنرال قائد الناحية كتب حول النقاد يقول :" إنه من بين كل الأهالي من يمتلك ناصية كبرى في اللغة الفرنسية" وبعد ذلك بسنة واحدة كان النقاد ببوسعادة، و اعتبر مرؤوسوه أنه كان مرشحا رائعا للتجنيس مما يسمح له " بالتقدم في الترقيات" وهذا لأن الأهلي مهما قدّم من خدمات فإنه يتلقى راتب مساعد من الدرجة الأولى.

ولكن ملفه العسكري كما تقول الباحثة قرانقو قد أظهر أن مرؤوسيه بدؤوا بعد ذلك يتحفظون من عمله، فالعقيد حاكم سطيف الذي وقّع تقرير التفتيش اعتبر أن النقاد : " يهمل كثيرا إتمام واجباته، لأنه في الغالب مريض وغير قادر بالكامل على النشاط في الخدمة " وكان ذلك في 4 سبتمبر 1863 .

وفي 29 ديسمبر 1863 توفي النقاد في العيادة العسكرية ببوسعادة، نتيجة مرض لازمه لفترة طويلة وإذا صدقنا المعطيات العسكرية فإن سنه كان بالضبط 35 سنة، ويمكن أن نفترض أن النقاد تعرض لمرض أدى لوفاته .

أما عن حياته العائلية فإن الملف العسكري له يشير أنه كان عام 1855 متزوجا وأبا لطفل وفي سنة 1862 كان أرملا دون ولد، وفي 1863كان أعزبا، ففي فترة قليلة من الزمن فقد زوجته وابنه، و هكذا فعند وفاته ببوسعادة كان شابا دون ثروة ودون عائلة[1].

### * الكتاب :

هو كتاب مخطوط في المكتبة الوطنية بتونس تحت رقم 263 ، وقد أخطأ الأستاذ سعيدوني حين اعتبر أن هذا المخطوط هو نسخة ثانية من مخطوط آخر عن صالح باي قام هو بنشره و هو منسوب لابن إسماعيل أحمد بن إسماعيل بن صالح باي حيث قال " ولهذا النص نسخة أخرى

---

[1] - Isabelle Grangaud : Un point de vue local, p 107-108

توجد بالمكتبة الوطنية بتونس منسوخة بقلم كاتب يعرف بالنقاد على الأرجح، وهو يحمل عنوان "ذكر طرف من ولاية صالح باي" تحت رقم 263 " [1].

وذكرت الباحثة جميلة معاشي أن نسخة أخرى من هذا المخطوط توجد بدار الكتب التونسية بقلم عثمان الكعاك وهي اختصار للنسخة الأولى.[2]

استهله المؤلف مخطوطه المؤلف عام 1264 هـ/ 1848 م كما يلي:" بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد، ذكر طرف [من] ولاية المرحوم السيد صالح باي أميرا ببلد قسنطينة..".

وأما منهجه فقد قسم هذا الكتاب إلى أربعة [3]فصول:

الفصل الأول في وقت ولايته.

الفصل الثاني في بيان وزرائه، وأهل مملكته، وعلماء بلده.

الفصل الثالث في رأفته وشفقته على أهل بلده ورعيته.

[الفصل] الرابع في وقعة موته."[4]

وبدأ في ذكر ظروف تولي ذلك الباي فقال " اعلم أنه لما انقضت دولة أحمد باي، تولّى مكانه السيد صالح باي، في شعبان سنة 1185هـ، خمسة وثمانون ومائة وألف" .

واستطرد بعد ذلك فذكر الدول قبل الإسلام كـ: الفراعنة والعمالقة والقياصرة والأكاسرة والجراكسة والتبابعة.

وأما دولة الإسلام من لدن عصره إلى يومنا هذا سبع دول:

الأولى: دولة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الأربعة من بعده.

الثانية: دولة بني أمية وهم اثني عشر.

---

[1]- أنظر : ناصر الدين سعيدوني: دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر، ج 1، المؤسسة الوطنية لكتاب، الجزائر 1984، ص 347.

[2]- جميلة معاشي : مخطوط عن صالح باي حاكم بايلك قسنطينة، المجلة التاريخية المغربية، ع 140، جويلية- سبتمبر 2010 ص 31-32.

[3]- جاء في النص ثلاثة فصول فقط .

[4]-محمد الطاهر بن أحمد النقاد: ذكر طرف من ولاية المرحوم السيد صالح باي أميرا ببلد قسنطينة ، مخطوط المكتبة الوطنية بتونس، رقم 263، ص 1-3.

الثالثة: دولة بني العباس، وهم ثلاث وثلاثون.

الرابعة: دولة العبيديين، وعددهم ثمانية.

الخامسة: دولة الأتراك، وهم طائفتان، منهم دولة الأكراد، وهم ثلاثة عشر.

السادسة: دولة الجراكسة، والمرافق لهم على عدد و السابعة دولة بني عثمان[1].

ومضى يعدد سلاطين العثمانيين بدءا بسليم الذي قدم إلى مصر في أواخر سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة، وانتهاء بحسين باشا المجنون، ثم قال :" هذا ما تيسر نقله من الكلام على الدول، ولنرجع الآن إلى الكلام على ما نحن بصدده فأقول كملت بعون الله وحسن عونه على يد كاتبها محمد الطاهر بن أحمد النقاد وكلن الفراغ منه ليلة السبت في أوائل ذو القعدة سنة أربع وستين ومائتين وألف[1264هـ]"[2]

ثم رجع لموضوعه واستهله بالفصل الأول وهو في ذكر ولايته فقال أن أحد أعيان المدينة وهو السيد الحاج مسعود بن زكري ذهب إلى الجزائر وكان حاكمها إذ ذاك محمد باشا ويقول صاحب المخطوط أن بن زكري هو من اقترح على داي الجزائر تعيين صالح بايا على قسنطينة[3].

ونوه صاحب المخطوط بأعمال صالح باي بعد توليه الحكم، واهتمامه بتنظيم شؤون البايلك الإدارية والاقتصادية، وتحدث عن أعمال صالح باي قائلا :" فلما استقام له الأمر وصفا له الشرب التفت إلى تعمير البلد وسد عوراتها لتعظم بذلك ويذكر اسمها في الأمصار ويعلو ذكرها في الأقطار" ثم ذكر بنائه للشارع وبنى به منازلا والجامع المعروف بسيدي الكتاني عام 1191 هـ/ والمدرسة الكتانية وما يدرس فيها من القرآن والعلوم وأجور المدرسين بها والنظام العام بها، وبناءه لخان كبير خارج البلد به دكاكين لبيع الملابس.[4]

وذكر المؤلف بعض مآثره العمرانية كبناء الجامع الكتاني والمدرسة الملحقة به ويقدم وصفا دقيقا لكل ذلك، ويتطرق للرخاء الاقتصادي الذي عرفه الإقليم في ذلك العهد وتنظيم الباي للحرفيين تنظيما محكما بوضع شخص مكلف بكل حرفة.

---

[1]– محمد الطاهر بن أحمد النقاد: المصدر السابق، ص 5- 7

[2]– المصدر نفسه،ص10.

[3]– المصدر نفسه، ص 14.

[4]– المصدر نفسه، ص 20.

ويتطرق لعلاقة الباي مع الداي حاكم الجزائر ويقول إنها كانت حسنة ، ويذكر جوانب من العلاقات الحسنة لباي مع باي تونس حمودة باشا واستفادة تجار قسنطينة من ذلك، ويذكر حملة الباي على تقرت بسبب رغبته في إخضاع أهلها للبايلك[1]، ويتطرق لبعض الموظفين في عهده وسيرتهم وينتهي المخطوط دون أن يكمل المؤلف ما خططه في مقدمة كتابه هذا.

ومهما كان النقص الملاحظ على هذا المخطوط ، فإن الاطلاع عليه يكشف لنا الكثير من التفاصيل الهامة التي تخص حياة وسياسة أحد أهم حكام قسنطينة في العهد العثماني ويؤرخ لفترة لا يزال يسودها الكثير من الغموض[2].

## 7-* أحمد بن إسماعيل بن صالح باي ومخطوطه ذكر طرف يسير يتعلق بأيام صالح باي الأزميرلي بولاية الجزائر:

***المؤلف:**

ينسب هذا المخطوط التاريخي إلى أحمد بن إسماعيل بن صالح باي الذي انتهى من كتابته في 25 فيفري 1856 .

ولا ندري ما صلة المؤلف بصالح باي، ولكنه يبدو من أهالي قسنطينة العارفين بأخبارها، كما قد يكون دوّن تقييده هذا بناء على طلب من أحد الفرنسيين المهتمين بتدوين تاريخ قسنطينة ولعله فايسات أو شيربونو أو الضابط بواسوني.

***الكتاب:**

هو مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت د 709 تحت عنوان :"ذكر طرف يسير يتعلق بأيام صالح باي الأزميرلي بولاية الجزائر" يستهله المؤلف بالعبارة التالية: " بسم الله الرحمن الرحيم هذا ذكر طرف يسير يتعلق بأيام المرحوم السيد صالح باي الأزميرلي "

ويتطرق مؤلف هذا المخطوط إلى الأحداث التي أدت إلى تنحية صالح باي من حكم بايليك قسنطينة .

---

[1]– محمد الطاهر بن أحمد النقاد: المصدر السابق، ص 22-35.

[2]–جميلة معاشي : المرجع السابق، ص 48.

وقد استفاد من هذا المخطوط بعض المؤرخين الفرنسيين أمثال فايسات Vayssettes وكذلك دورنون Dournon الذي قام بترجمة هذا النص إلى الفرنسية، ولا تزال هذه الترجمة بخط يده ملحقة بالنص العربي لمخطوط الرباط دون ذكر اسمه، مما دفع واضعي فهرس المخطوطات العربية بالرباط إلى الإشارة إلى أن الترجمة الفرنسية لا يعرف صاحبها، مع العلم بأن بروكلمان ذكر في ملحقه أن هذه الترجمة من وضع دورنون[1].

يتميز هذا النص بأسلوبه السهل الذي يخلو من كلمات دراجة وتعابير عامية وبخطه المغربي المقروء باستثناء بعض الكلمات التي تصعب قراءتها، كما يتميز هذا النص باختصاره إذا أجمل الأحداث الذي انتهت بقتل صالح باي في 15 صفحة كل صفحة تشتمل على 14 سطرا.

يلاحظ على هذا النص من حيث مضمونه أنه يتعرض في أوله إلى طبيعة العلاقات بين حكام تونس وبايات قسنطينة وما نتج عنها من قضايا الحدود وبسط النفوذ، ثم ذكر جوانب من العلاقات الجزائرية– التونسية قائلا :" اعلم أنه لا يخفى على الخاص والعام أن الولاية الجزائرية كانت متغلبة على أمير تونس وما ذاك الا لما فرط من الحروب الواقعة بين الأيالتين وكانت العاقبة في الظهور للدولة الجزائرية. [2]"

وذكر حملة صالح باي على تونس عبر الحنانشة وإرساله أحد رجاله وهو محمد خوجة لاسترجاع بعض الفارين، ومداهنة باي تونس لصالح باي وهو ما صرح به المؤلف قائلا " ثم أن باي تونس أعطى لمحمد خوجة صلة سنية وأرسل إلى صالح باي هدية عظيمة ورجع محمد خوجة بجميع ذلك." [3]

ثم تطرق بعدها إلى الأحداث التي انتهت بالقضاء على صالح باي [4]، هذه الأحداث التي وردت على خلاف الروايات الأخرى في شيء من التفصيل، بحيث أمكن لنا التعرف على بعض الشخصيات التي لعبت دورا هاما بقسنطينة، وهذا ما يؤكد لنا أهمية هذا النص في إلقاء الضوء

---

[1]– سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ج1، ص 346.

[2]– أحمد بن إسماعيل بن صالح باي : ذكر طرف يسير يتعلق بأيام صالح باي الأزميرلي بولاية الجزائر ، مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم د 709، ص 222.

[3]– المصدر نفسه ، ص 223.

[4]– المصدر نفسه، ص 225.

على التعرف على تاريخ قسنطينة أواخر القرن 18 م، لاسيما وأنه يعكس لنا بصدق تلك الرواية التي كانت شائعة بين القسنطينيين والتي بقيت متداولة حتى الاحتلال الفرنسي لقسنطينة 1837م.

وتكمن أهمية هذا النص في أنه يكمل مجموعة المصادر العربية المتعلقة بتاريخ قسنطينة، والتي نشر البعض منها وظل البعض الآخر مخطوطا بعيدا عن أيدي القراء وأنظار المؤرخين[1].

## 8-* الطيب الكيرد و مخطوطه عن تاريخ صالح باي:

### * المؤلف:

هو الطيب الكيرد الذي قال عنه شيربونو خطأ إنه هو القاضي المالكي بقسنطينة سنة 1850 ، والحقيقة أنه كان فقط من العدول كما ذكرت الباحثة قشي، والمعروف إن عائلة الكيرد من العائلات القديمة في قسنطينة[2].

### * الكتاب:

إن المستشرق الفرنسي شيربونو هو الوحيد – على حد علمنا – الذي أشار إلى هذا المخطوط واستفاد منه في أحد أبحاثه، وذكره بعنوان " التاريخ السياسي لصالح باي" [3] ونعتقد أن هذا العنوان من وضع شيربونو، وليس من وضع المؤلف، فهو عنوان لا يعبر عن روح ذلك العصر الذي طغت على مؤلفاته وعناوينها الروح التقليدية في الكتابة التاريخية وغلبة السجع، ومما جاء في هذا المخطوط كما ورد عند شيربونو ما يلي : " بجانب مسجد سيدي الكتاني الذي أقامه صالح باي سنة 1191 هـ / 1775 م توجد مدرسة مقسمة إلى مائدات وخلايا ، وهناك أربع وعشرون طالبا اتخذوا هذه الخلايا مقرا لهم وعكفوا ليل نهار على قراءة القرآن وفي كل شهر كانوا يعكفون

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ج1، ص 346.

[2]- فاطمة الزهراء قشي: قسنطينة المدينة والمجتمع ، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ، جامعة تونس الأولى، 1998، ص 32.

[3]- ذكره شيربونو بالعنوان التالي Histoire politique de Salah Bey وقال إنه يملك نسخة مخطوطة منه وأشار إلى الصفحات التي اقتبس منها وهي ص 7 وص 8 وللأسف الشديد فإن هذا المخطوط النادر لم يذكره أحد عدا شيربونو كما إنه لم ينشر لا بالعربية ولا مترجما للفرنسية ما عدا الفقرات السابقة.

على ترتيله وحفظ عن ظهر قلب أجزاء من الكتاب ، وفي يومي الخميس والجمعة كانت مهمتهم تنحصر في ختم كتاب دلائل الخيرات لمحمد بن سليمان الجزولي.

وكانت لكل طالب مخصصات في كل ستة أشهر هي تسع ريالات، ويتلقى العلماء المكلفون بالتدريس أجرا قدره مائة ريال في السنة، وعدا هذا فالبعض له الحق في كمية من الزيت." [1]

وقد لاحظنا أن هذا النص الذي نشره شيربونو موجود بحذافيره في مخطوط النقاد ولا ندري من أخذ عن الآخر فهما معاصران لبعضهما، وكتاب الكيرد اليوم مفقود، ولا نعلم عنه إلا ما ذكره شيربونو، الذي قال إنه ضمن مجموعته الخاصة، ولعله نقل إلى إحدى مكتبات فرنسا كما حدث مع عدد من المخطوطات الجزائرية.

## 9-*المؤلف المجهول ومخطوطه رسالة في أخبار قسنطينة وحكامها:

يوجد بالمكتبة الوطنية بالجزائر مخطوط تاريخي يحمل رقم 2717 وهو من الحجم المتوسط، استهله المؤلف بالعبارة التالية:" الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى وبعد فهذه البعض من أخبار قسنطينة وحكامها وما جرى فيها."[2]

والمخطوط لم يذكر فيه اسم مؤلفه،ولكن من خلال عدد من القرائن يتضح إنه من أهل قسنطينة، ومن المعاصرين لفترة الاحتلال الفرنسي من خلال ذكره اسم العملة عند ذكر الأسعار بالفرنك، وليس بالريال المتعامل به في العهد العثماني [3]، كما أن هذا المخطوط قد ألف في عهد

---

[1] - - A .Cherbonneau : Biographie du vénérable cheikh,Opcit,p 36

[2]– مؤلف مجهول : رسالة في أخبار قسنطينة وحكامها، مخطوط المكتبة الوطنية رقم 2717، ص 1

[3]– المصدر نفسه، ص 2-3.

الحاج أحمد باي أو بعده، حيث جاء في المخطوط عند ذكر ثروات صالح باي ما يلي :" قيل أن الحاج أحمد باي حين هدم دارا من ديار صالح باي وجد فيها خزانة كبيرة."[1]

ويبدأ المؤلف كتابه بسيرة صالح باي أشهر بايات قسنطينة، بتقديم لمحة عن أعماله، ووصفه صاحب المخطوط بقوله:" ..كان رحمه الله حسن السيرة، صاحب حق وعدل وكانت تحبه جميع الأوطان والجبايلية.."

وقدم المؤلف نماذج من الرخاء الذي عرفته قسنطينة في الفترة الأولى من عهد هذا الباي فقال :" فمن جملة ذلك كانت البقرة السمينة تسوى ثمان فرنكات، والفرد باثني عشر، والكبش السمين بفرنك، والعود[ الحصان] المليح الأليق بركوب الاصبايحية يسوى مائة فرنك، والصاع من القمح يسوى زوج فرنك، والشعير بفرنك واحد والرطل من السمن نصف فرنك."[2]

وينتقل لذكر المجاعة التي عرفتها قسنطينة في عهد صالح باي وأدت لوفاة 1200 شخص في يوم واحد، كما تحدث عن خروج الباي بالأمحال لجمع الضرائب من القبائل وإرساله لشيخ العرب لجمع الضرائب من القبائل الصحراوية[3].

وذكر مشاركة صالح باي في الدفاع عن مدينة الجزائر ضد الهجوم الإسباني أو ما عرف بحملة أوريلي سنة 1775 م التي تزامنت مع قدوم الباي للجزائر لدفع ضريبة الدنوش للداي وأشاد بموقف الباي وحسن أدائه في تلك المعارك.

وذكر المؤلف ما قام به خزناجي الداي محمد بن عثمان باشا الذي سرق طابع الداي وبعث رسالة مزورة لصالح باي تأمره ببيع الحبوب للأوروبيين وانكشاف تلك المؤامرة وتبرئة صالح باي مما اتهم به.

---

[1] – مؤلف مجهول : رسالة في أخبار قسنطينة المصدر السابق، ص 4.

[2] – المصدر نفسه، ص 5.

[3] – المصدر نفسه،ص5-7

وتحدث عن انتقال الحكم بعد وفاة الداي المذكور لحسن باشا وقيام هذا الأخير بعزل صالح باي وتعيين باي جديد على قسنطينة هو إبراهيم بوصبع وما تبع ذلك من سجن صالح باي وتمرد الجند على إبراهيم بوصبع وقتله[1].

و وأورد خبر مقتل صالح باي بعد ذلك على يد العسكر بالاتفاق مع أعيان قسنطينة وعلى رأسهم شيخ البلد، والاستيلاء على ثرواته، وتولي باي جديد هو الباي حسين الذي حكم سنتين ونصف ثم عزل ومات مخنوقا بسبب علاقاته السرية مع حاكم تونس .

ثم ذكر خبر تولي مصطفى باي الوزناجي الذي اشتهر بقوته كما قال وغزواته لبعض المناطق الجبلية التي لم يسبق لأحد من سابقيه وأن نجح في اختراقها، وانتقل للحديث عن تولي الباي مصطفى الإنجليز الذي قال عنه أن الناس فرحت بتوليه فرحا شديدا " ورخت الأسعار في دولته مثل أيام صالح باي أو أكثر من ذلك[2]."

وقال إن هذا الباي قد عزل بسبب سوء سيرة أحد أبنائه الذي كان يتعدى على الرعية فشكوه للداي الذي عزل والده، فلجأ هذا الأخير إلى تونس، وتآمر مع حاكمها حمودة باشا لغزو قسنطينة، وفشله في ذلك[3].

وذكر صاحب المخطوط بعد ذلك خبر تولي عثمان بن محمد الكبير بايا على قسنطينة، وقال إن عهده تميز بالاضطرابات والفوضى وظهر في زمنه الثائران الشريف بن لحرش والدرقاوي، وكاد بن لحرش يستولي على قسنطينة بعد أن جهز من القبائل جيشا كبيرا بلغ عشرة آلاف فرد.

---

[1] – مؤلف مجهول : رسالة في أخبار قسنطينة، المصدر السابق، ص8.

[2] – المصدر نفسه، ص 7

[3] – المصدر نفسه، ص8-9.

وتحدث عن مقتل الباي عثمان عند مواجهته لقوات بن لحرش خارج المدينة، وتولي باي جديد في تلك الظروف العصيبة هو عبد الله باي الذي ذكر المؤلف إنه كان يتصف بالشجاعة واستطاع القضاء على الفتن والاضطرابات ، ولكنه عزل بعد ذلك نتيجة مؤامرة دبرت ضده[1] .

وذكر المؤلف خبر تولي حسين بن صالح باي مكان عبد الله باي المعزول، وانشغاله باللهو والطرب وشرب الخمر وترك أمور الحكم فعادت الفوضى للإقليم واستغل التونسيون الفرصة لتوجيه حملة لاحتلال قسنطينة ووصلت الحملة التونسية حتى وادي الزناتي وهرب حسين باي الذي تم عزله بعد ذلك[2].

ومن خلال هذا العرض لمحتويات المخطوط يبدو لنا أنه ذو أهمية تاريخية عن قسنطينة وبعض حكامها، وإضافة للأخبار السياسية والعسكرية ففي المخطوط كما رأينا معلومات عن الجانبين الاجتماعي والاقتصادي.

وقد لاحظنا أن بعض أخبار المخطوط قد وردت بنصها وتفاصيلها في بعض المؤلفات المعاصرة التي قد يكون المؤلف استفاد منها، فخبر صالح باي والخزناجي ذكره أحمد الشريف الزهار في مذكراته [3]، كما أن خبر مقتل صالح باي قد أورده بصيغة مشابهة الحاج أحمد بن المبارك[4] .

---

[1] – مؤلف مجهول : رسالة في أخبار قسنطينة، المصدر السابق، ص 9.

[2] – المصدر نفسه ، ص 10.

[3] – أحمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص 101

[4] –أحمد بن المبارك:تاريخ حاضرة قسنطينة، المصدر السابق، ص 32.

## 10-*مصطفى الدلسي و تقييده حول طبائع أهل بلد قسنطينة:

### * المؤلف:

لم نتمكن من العثور على ترجمة لهذه الشخصية، ويظهر إنه وفد إلى قسنطينة من دلّس بعد سقوطها بيد الفرنسيين، وإنه أقام بها مدة كافية تجعله يكتب عنها تاريخا، وقد كان حيا سنة 1878 حسبما يستفاد من كلام فيرو الذي نشر جزءا من عمله[1].

### * الكتاب:

وضع الدلسي عنوانا لتقييده ذكره فيرو هكذا :" **تقييد حول طبائع أهل بلد قسنطينة"** ومن خلال ما ورد في تقييده هذا يبدو حانقا على الحكم التركي، وهو ما جعل فيرو يعتمد عليه لتبيان مساوئ الحكم التركي للجزائر.

لم يذكر فيرو حجم هذا التقييد ولا كيف حصل عليه، ولجأ إلى اقتباس بعض الصفحات منه في بحثه عن الحنانشة، وهي صفحات تخدم التوجه الفرنسي في الكتابة التاريخية، فهو يذكر جملة من مساوئ الحكم التركي فيقول مثلا " عندما يتولى أحد البايات حكم البايلك فإنه يعين قايدا أو أي صنف آخر من الرجال، الذين كانوا زمن حكمه المظلم في خدمته وخدمة زوجته، وهو لا ينظر في هذا الاختيار إلى أي اعتبار أو للأهلية للوظائف التي يعهد بها، فأحيانا يكون الشخص المختار يعمل بالفلاحة أو راعيا ومع ذلك يلقى محاباة الباي"[2] .

ويضيف المؤلف أن تعيين الإداريين كان يتم بطرق غريبة ويكتب في هذا الشأن قائلا: " يغتنم هذا الفلاح أو هذا الراعي موت أحد البايات ضحية اغتيال و تولي أحد الشواش مكانه، و يستدعي في الحال زوجته أو ابنته لإتمام الحرث أو حراسة القطعان، ويذهب على الفور للقاء شيخ قبيلته أو قايده، ليعلن له الخبر ويستعير منه لباسا نظيفا ومناسبا حسب الموسم، ثم يرتدي ذلك اللباس ويذهب على جناح السرعة لصاحبه المتولى ذلك اليوم، ليوجه له تمنياته بالحظ السعيد وتهنئته بالمنصب الجديد".[3]

---

[1] - Charles Freaud : Les Harar seigneurs des Hanencha,in revue africaine n° 18 (1874) p 84
[2] - Ibid,,p 85.
[3] - Ibid, p 84.

و يضيف الدلسي :" عندما يستعلم المتولي الجديد عن اسم القبيلة التي يقيم فيها ذلك الفلاح يقوم بتعيينه قايدا أو شيخا لهذه القبيلة، شرط دفع بعض المال، ويقبل الفلاح ذلك لكنه يقول أنه من الواجب قتل سلفه وأنه يملك المال الكثير ويستحسن حاشية الباي هذا الاقتراح ويلحون على ضرورة اغتيال الموظف المخلوع وحبس عائلته وحجز أملاكه".

ويضيف المؤلف إن الباي يعطي موافقته على هذه الاقتراحات، و يقوم بإلباس ذلك الشخص برنوس التولية ويُرجع له الطابع، وهذا الأخير عند خروجه يجد اليهود الذين هم في خدمة الباي يدورون حول القصر للترصد، فيعجّلون باستقباله وتهنئته على توليته ويعرضون عليه إمداده بحصان وسرج وأسلحة ذهبية وألبسة فاخرة لزوجته وأولاده.

ويضيف صاحب هذا المخطوط قائلا:" يتركهم الموظف الجديد المتنكر بعدها ويرجع لقبيلته ويعجل للقاء الشخص الذي أعاره لباسه فيقوم بقتله، ثم يقوم بتحويل الأسلاب وثروة الضحية إلى مكان إقامة الباي، وإن كان المتولي الجديد فاسقا فإنه يهتك عرض نساء وبنات سلفه، لكنه قبل أن يرسل للباي كل الغنيمة فإنه يحتفظ بحصته، ويترك أيضا حصة لأولاده وأتباعه، وفي بعض الأحيان عندما يكون من أصل وضيع، ويكون ضحيته من أصل شريف فإنه يتزوج إحدى نسائه أو بناته وهكذا كانت تجري الأمور".[1]

"وعندما تصل ثروة وأسلاب القايد المتوفى إلى قصر الباي وقد اقتطع منها ما اقتطع من المتولى الجديد فإنها تخضع لسلب جديد من جانب رجال قصر الباي والكتاب والشوَاش وحتى نسائه وما يتبقى يرجع للباي، ويقتطع هذا الأخير ما يوجد من ذهب وحلي، وتسجّل الماشية والأشياء الأخرى في سجل الخزينة، و يتساءل صاحب هذا التأليف قائلا : كيف يمكن لرجل كهذا أن يُسعد شعبه ؟ "

ويضيف المؤلف الناقم على حكم الأتراك حسبما يستفاد من كتابه قائلا أن الشخص الراغب في تولي منصب إداري إذا لم ينجح في مسعاه فإنه يستخدم كان الكذب والاغتيال والنميمة والرشوة لمساعدته على تحقيق مآربه خاصة وأن ذلك الشخص هو في الغالب رجل فاسق ودون شرف فهو يكتسب حمايته مذلا نفسه بمجاملات مخزية.

---

[1] - Charles Freaud : Les Harar, p 85.

ويختم فيرو اقتباسه من مخطوط الدلسي موردا عبارته التالية:" لما يصبح الفساد عاما فإن يد الله تشتد على الولاة وعلى الناس، ويُنبذ العلم، وتصبح الصنائع الشريفة في طي النسيان وتصير كل المطامح موصلة إلى المنكر". [1]

وهكذا فالمخطوط المسمى "طبائع أهل بلد قسنطينة" الذي وضعه الدلسي يقدم لنا تصور بعض الأهالي للحكم العثماني وسلبياته، تلك السلبيات التي استفاد منها الفرنسيون في إقناع بعض الأهالي بالكتابة عنها، وهو ما حصل مع مصطفى الدلسي الذي أقام بقسنطينة وكان مطّلعا على بعض أحوالها.

## 11-* مخطوط ابن القج في تاريخ قسنطينة:

قام أحد الفرنسيين الذي رمز لاسمه بحرف س S بنشر قسم من هذا المخطوط التاريخي في المجلة الإفريقية عام 1895 [2] وقال إنه عثر في المكتبة العمومية بالجزائر على مخطوط هو عبارة عن ألبوم من الأشعار والقصائد التي تعود للقرنين الثامن عشر و التاسع عشر، والذي تعود ملكيته حتى احتلال قسنطينة إلى عائلة القج التي قال إنه لا يزال يوجد بعض أفرادها في المدينة .

و يذكر زوزو اعتمادا على إحدى الوثائق الفرنسية أن أحد أفراد هذه العائلة وهو محمد القج كان إماما في زاوية بقسنطينة وذلك سنة 1890[3] و عائلة ابن القج من العائلات ذات الأصل التركي، وهي عائلة كان يحترف عدد من أفرادها – حسبما ورد في دفتر وفيات المحكمة المالكية بقسنطينة- الدباغة[4].

وقال الكاتب الفرنسي إن أحد أفراد هذه الأسرة قد استعمل الأوراق البيضاء للمخطوط فيما بين سنتي 1803 و 1819 ككتاب حقيقة، وسجّل فيها بنفسه وسط سجلات الأعمال وحسابات التجارة والأشغال وتواريخ الميلاد والوفاة ...الخ بعض وقائع التاريخ المحلي التي حفظتها ذاكرته، ويبدو أن الكتاب قد ألف في نهاية الثمانينات أو بداية التسعينات من القرن التاسع عشر.

---

[1] - Charles Freaud : Les Harar Opcit, p 86.

[2] –S. : Notes chronologiques pour l'histoire de Constantine, in R.A.1895 p164.

[3]– عبد الحميد زوزو : نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984، ص 82.

[4]– فاطمة الزهراء قشي: المرجع السابق، ص 112.

والقطعة الأكثر أهمية هي تلك المخصصة للحملة التونسية على قسنطينة سنة 1807 والمعلومات التي جمعها ابن القج تصحح بشكل كامل ودقيق الرواية التي يقدمها فايسات في كتابه تاريخ قسنطينة.

و ذكر ابن القج تولية أحمد شاوش القبايلي، كما حدد بدقة تواريخ تعيين ووفاة ثلاث بايات، ويذكر ناشر المخطوط بأنه حافظ على صياغة كاتبه و لم يتدخل إلا لتصحيح بعض الأخطاء النحوية.

ومما أورده مخطوط ابن القج تمرد بعض القبائل على باي قسنطينة عام 1219 هــ/1804 م وهو التمرد الذي يسميه صاحب المخطوط " عيطة القبائل" و يقصد بها حوادث ثورة الشريف بن الأحرش التي زعزعت أركان البايلك.

كما تطرق المخطوط للجفاف الذي خلف مجاعة كبيرة حدثت في تلك السنة، وأدت إلى ارتفاع الأسعار وقدم نماذج عن ذلك قائلا:" ...حتى وصل القمح عندنا بخمسة عشر ريالا للصاع، وكذلك الشعير بثمانية ريالات للصاع، وهذا الشر باق إلى سنة التاريخ وهي سنة إحدى وعشرون، والله يلطف بعباده ويجعل الفرج قريبا بمنه وكرمه آمين وصلى الله على سيدنا محمد وسلم.."[1].

كما تطرق إلى الحملة التونسية على قسنطينة في عهد حسين باي، وما جرى من حوادث وفرار الباي، ومقتل عدد كبير من الناس وأسر عدد آخر، وقدوم آغا الجزائر بقوات عسكرية كبيرة لطرد حاكم تونس وإعادة الأمور إلى نصابها في قسنطينة.

وتحدث عن خروج الآغا في حملة عسكرية مشتركة مع باي تونس لغزو تونس " فوصلوا إلى صرّاط بعد نحو شهر وتقابل الفريقان، فغلب في اليوم الأول عسكر الجزاير وتفاتنوا في اليوم الثاني إلى غروب الشمس، وتفرق الفريقان فوجد عسكر الجزاير الباي هرب وكذلك القوم فلحق هو بالليل وخاف المحلة خالية فاحتوت محلة تونس على جميع ما فيه"ا.

[1] –S. : Notes chronologiques pour l'histoire de Constantine, in R.A.1895 p164.

وتطرق لخروج داي الجزائر لغزو تونس مرة أخرى سنة 1223 هـ/ 1808 م قائلا:"ولما أقبل العام القابل خرج من الجزائر حسين آغا بعرضي أقوى من الأول فوصل إلى قسنطينة يوم الجمعة اثنين [ورقة 5 وجه] وعشرين في ربيع الثاني فقام عليه العسكر وكذلك [على] علي باي فقتلوهم بالجامع الأعظم وهو جامع سوق الغزل وكانت فتنة عظيمة وقعد أحمد باي على الكرسي ثم مشى إلى الجزاير ليقعد باشا فبعث أحمد باشا فيه وفي كل من قام معه بالقتل فوصل إلى بير البقيرات ودارت به القوم وتولى مكانه أحمد الطبال ولحق بالقوم وردهم بالفتن حتى إلى المحلة ودارت بهم القوم من كل جانب فعند العشية قتلوا العسكر الذين معه فكانت مدة الأيام التي تولى فيها باي ثم باشا خمسة عشر يوما وزالت الفتنة بأمر الله تعالى ولطفه بعباده سنة 1223..."[1]

وأشار إلى مسألة اقتصادية هي تغيير العملة في الجزائر سنة 1232 هـ/ 1816 م فقال :" تبدلت السكة بعد الثلاثة أرباع ولّت أربعة أرباع في شهر الله المحرم ذا الحجة سنة 1232."

وذكر وفاة محمد باي يوم الخميس أربعة في ظهر صفر من سنة 1233 هـ/ 1817 م ، وتولي قارة مصطفى باي في اليوم المذكور ، ووفاة هذا الأخير بعد أن حكم مدة قصيرة وذلك في يوم الاثنين 7 ربيع الأول سنة 1233 و تولي أحمد باي في اليوم المذكور[2].

وقد ذكرنا سابقا أن ناشر هذا القسم من المخطوط قد اختار منه فقط فقرات رآها مهمة عن تاريخ قسنطينة، ومعنى هذا أن المخطوط به أخبار أخرى، ولعلها تشمل فترة أطول من تاريخ المدينة وأخبار باياتها، وبعض أحوال ذلك العصر.

[1] -S. : Notes chronologiques pour l'histoire de Constantinep164.

[2] -Ibid, p 165.

## المبحث الثاني: مؤرخو بجاية و زواوة:

### المطلب الأول : مؤرخو بجاية ومنطقتها:

### 01-* السعيد بن علي البجائي و تاريخ بجاية:

*** المؤلف:**

تحدّث السعيد بن علي البجائي عن نفسه في إحدى الرسائل التي وجهها للإدارة الفرنسية والتي نشرها بلقاسم بن سديرة في كتابه الرسائل في جميع المسائل، فقال إنه يعرف العربية والقبائلية، وإنه عارف بالشريعة الإسلامية والعرف البربري، وإنه مدرس في علوم اللغة العربية، وقام أيضا بجمع المسائل العرفية عن زواوة، وقدمها إلى القاضي الفرنسي سوطرة، كما ذكر هو أنه كان يجيد الخط العربي ويعرف بعض الفرنسية، ولذلك كتب البجائي إلى السلطات الفرنسية طالبا منها هذا الوظيف.

*** الكتاب:**

كتبه بطلب من شارل فيرو وقدمه له، و لا ندري حجم ولا محتوى الكتاب ، ويبدو أنه تأليف صغير الحجم أي تقييد، جمع فيه البجائي معلومات ضرورية عن تاريخ بجاية عبر العصور، ولا سيما العهد العثماني، وكان فيرو مهتما بالتأريخ لمدن الشرق الجزائري، فاستعان بالبجائي في مشروعه هذا.

ويقول البجائي في رسالة إلى أحد أعيان السلطة الفرنسية سنة 1890 إن فيرو قد قام بترجمة عمله "زمان كونه مع الجنرال بوثوت بقسنطينة" [1]، وكان فيرو قد توفي عندئذ و يبدو أن التاريخ الذي قدمه لفيرو عن بجاية ذو أهمية، وكذلك القوانين العرفية التي قدمها القاضي سوطرة هذا الأخير الذي كان مبرزا في القانون الفرنسي والشريعة الإسلامية، و كان سوطرة هذا ضد القضاة المسلمين، وقد ساهم في الحملة المضادة للشريعة والقضاء الإسلامي، وكان رئيسا لمحكمة الاستئناف بالعاصمة.[2]

---

[1]- بلقاسم بن سديرة :كتاب الرسائل في جميع المسائل، مطبعة جوردان ، الجزائر ، 1884، ص 125-126.

[2]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج7 ، ص 348-349.

ولا ندري الآن مصير هذا الكتاب فقد رجعنا لبحوث فيرو عن بجاية و لم نجد إشارة له فيما عدا ذكره عرضا عند الحديث عن مصادر الأهلية لتاريخ المدينة[1].

## 02-*مولود قايد ومونوغرافية منطقة بني يعلى :

### *المؤلف:

ولد مولود قايد في 20 جوان 1916 بقنزات بالقبائل الصغرى شمال غرب سطيف، تلقى دراسته الأولى بمسقط رأسه بمدرسة تيمنغاش قبل أن ينتقل إلى مدينة الجزائر والتحقت به أسرته حيث عمل والده في قطاع النقل ، وهناك نال شهادة الدراسات في جوان 1929 بمدرسة بلكور ثم نال الشهادة الأساسية والعليا سنة 1935 ونال دبلوما من ثانوية المدية سنة 1938.

وفي الفترة ما بين 1938 – 1940 تم تجنيده في الجيش الفرنسي ليسرّح ويعود فيعين معلما بإيفرن ببجاية وتم إيقافه بقنزات بتهمة العداء للفرنسيين وأبعد للجنوب، ليجند في قالمة سنة 1943 ويطلق سراحه سنة بعد ذلك، وخلال سنة 1943 – 1944 عين بمدرسة إيعياشن في بلدية البيبان المختلطة.

واهتم مولود منذ حداثته بالعمل النقابي والسياسي فمثل الاتحاد العام للعمال الجزائريين في مؤتمر بروكسل كما كان مساعدا لعيسات إيدير ، وكان عضوا في اللجنة المركزية للاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري في مؤتمر البليدة سنة 1946 ، وكان مقرّبا من كريم بلقاسم وعبان رمضان والعقيد عميروش[2] .

نشط منذ سنة 1955 أولا في منطقته ، وفي منزل العائلة بتامنغاشت عقدت الاجتماعات الأولى لقادة الكفاح المسلح بضعة أيام فقط قبل انعقاد مؤتمر الصومام .

---

[1] -Charles Feraud : Histoire de Bougie,in R.S.A.P.C 1869 p 90.

[2] - Boualem Bourouiba : Les syndicalistes algériens: leur combat de l'éveil à la libération, L'Harmattan , 1998, Paris,p199.

وفي ديسمبر 1955 شارك في اجتماع القبة في المقر الذي كان يشغله البشير الإبراهيمي ليعجل بميلاد الاتحاد العام للعمال الجزائريين ، واختير مساعدا لعيسات إيدير ، وكلف بتمثيل ترشح الإتحاد العام في الكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة التي انعقد مؤتمرها ببروكسل[1].

اختارته لجنة التنسيق والتنفيذ في ديسمبر 1956 عضوا في وفد جبهة التحرير المفوض في مؤتمر الدول الإفريقية المستقلة مع امحمد يزيد وبن يحي .وكان رئيس البعثة النقابية في اجتماع النقابات العربية بالقاهرة، ثم كلف بمهمة بروما ومدريد وطنجة وجنيف وبون . وفي 20 أوت 1957 كان حاضرا في اجتماع المجلس الوطني للثورة بالقاهرة كمستشار لكريم بلقاسم، وعلم حينها بالحكم عليه غيابيا 20 سنة أشغال شاقة من طرف محكمة الجزائر.[2]

في سنة 1958 شارك مولود في الاجتماع التنفيذي للكونفدرالية الدولية للنقابات الحرة ببروكسل، ثم في اجتماع تونس ، وقاد بعثة UGTA في المؤتمر الجهوي للنقابات الإفريقية بآكرا بغانا ، ثم ذلك الذي عقد بطنجة وتونس .

وكان مكلفا بمهمة لجبهة التحرير في عدد من العواصم الأجنبية،وحكم عليه غيابيا بالأشغال الشاقة من طرف محكمة الجزائر سنة 1957، و عين مديرا لمكتب محمدي السعيد ثم أصبح نائبا في الجمعية التأسيسية من سنة 1962 وحتى سنة 1964 .

و بعد أن تولى الإدارة التجارية للخطوط الجوية الجزائرية عاد للتعليم سنة 1968 ليشغل منصب مفتش التعليم الأساسي والمتوسط، وأحيل على التقاعد سنة 1978، وكان مولود قايد شغوفا بالتاريخ وترك فيه عددا من المؤلفات، وتوفي سنة 2000. [3]

### * الكتاب:-

نشره بالفرنسية سنة 1953 بالمطبعة الجزائرية واعتمد فيه على تاريخ ابن خلدون وبعض المصادر المحلية وعدد من روايات مسني المنطقة الذين ذكر أسمائهم وهم :أفراد من عائلة كشيدة ومامون ومدور وبناني يحي وأوجحان العلجة التي كان سنها حينذاك 103 سنوات وكانت لا تزال

---

[1] - محمد عباس: رواد الوطنية شهادات 28 شخصية وطنية، دار هومة، الجزائر: 2005، ص 474.

[2] - Boualem Bourouiba :Opcit,p 200-201.

[3] - Ibid,p 201.

تحتفظ ببعض الذكريات عن ثورة 1871 وذكر قايد إن هؤلاء الأشخاص جميعا مسنون ومتعلمون وحكماء وهم يعرفون أصل أغلب سكان المنطقة ويتذكرون بعض الأغاني التي كانت تنشد حول بعض الشخصيات التاريخية مثل بومزراق وقال قايد إن هؤلاء الرواة قد شكّلوا له مصدرا ثمينا لإعادة بناء تاريخ المنطقة.[1]

قسّم المؤلف دراسته إلى قسمين رئيسيين، كل قسم تضمن مجموعة من الفصول فتضمن الأول الحديث عن الوضع الجغرافي لمنطقة بني يعلى، وأصول السكان المحليين، والحياة الاجتماعية والثقافية.

وقام بتحديد جغرافي للمنطقة، فقال إنه يحدها في الشمال الشرقي جبال البابور، وفي الجنوب والغرب تحدها جبال البيبان، وتحدث عن طبيعة المنطقة ومواردها الطبيعية، وجبالها والطرق والمسالك المستعملة.

وفي الفصل الثاني تحدث عن أصول السكان انطلاقا مما ذكره المؤرخ ابن خلدون، وقال أن المنطقة تسكنها قبيلة صنهاجة المشكّلة من فرعين هما : الزواوة وكتامة، تقيم الأولى في السفح الشمالي والغربي من جرجرة وحتى تنس، والثانية تقيم في السفح الجنوبي من جرجرة و البيبان والبابور وحتى جيجل، وقال أن بجاية كانت تشكل العاصمة السياسية والتجارية والإدارية لكل هده المناطق.[2]

ومضى المؤلف يعدد فروع قبيلة كتامة ومواطنها، ونقل فقرات بكاملها من ابن خلدون كما تحدث عن حكم الزيريين للبلاد وأصلهم الصنهاجي، وانتقل للحديث عن الغزو الهلالي لبلاد المغرب نتيجة القطيعة المذهبية بين الزيرين والفاطميين، وذكر انتقال الحماديين من بجاية إلى القلعة.

ثم تحدث عن يعلى الذي تنتسب إليه المنطقة، وقال انه بربري متعلم انتقل إلى المنطقة للإقامة فيها، واعتمد المؤلف في هدا الخبر على الروايات المتداولة بين أهالي المنطقة العارفين بتاريخها، وذكر مصاهرة يعلى لبعض أسر المنطقة ووفاته بعد مدة، وبناء الأهالي ضريحا على قبره لا يزال موجودا بتاوريرت، وتركه ذرية هي التي شكلت أسلاف الفروع القبلية الموجودة ببني يعلى

---

[1] - Mouloud Gaid: Monographie des Beni-Yala, imprimerie algérienne, Alger :1953, p3 .

[2] - Ibid, p9.

كآيت سعيد أو يعلى آيت عثمان وآيت مسعود التي تقيم بقترات وآيت المشري وآيت حمادة التي تقيم في تيمنقاش، وذكر بعض الوافدين إلى المنطقة للاستقرار بها وعلى رأسهم المرابطين والأشراف الدين يحضون بمكانة هامة عند أهالي المنطقة[1].

وخصص الفصل الثالث للحديث عن الحياة الاجتماعية، فذكر تنظيم القرى والبنية الاجتماعية فيها، وأن الخلية الأساسية فيها هي الأسرة " آخام" ومجموع الأسر يشكل ما يسمى " تاعرافت" أي الفروع، وهي التي تنحدر من أصل واحد رغم أنها أحيانا لا تحمل نفس اللقب العائلي.

وكان لكل فرع ممثله في ما يعرف بـــ" تاجماعت" وهي أعلى سلطة في المنطقة ، وتطرق المؤلف في هدا الفصل إلى مكانة الأب والأم والبنت وحقوقها في المجتمع اليعلاوي، و عادات الزواج، والحياة المترلية ودور كل فرد فيها، وذكر بعض التقاليد الشعبية اعتمادا على ما جمعه هانوتو عن عادات القبائل.

وذكر بعض العادات التي اندثرت، أو هي في طريقها إلى دلك كتراجع دور الجماعة " تاجماعت" ، وتحدث أيضا عن ما سماه " التأثيرات والإسهامات الخارجية" اعتمادا على ما كتبه أندري جوليان وأوغست بيرنار ودوسو وستيفان قزال، وقال أن الحضارة البربرية وخصوصا الجانب اللغوي منها قد وفد على المنطقة من آسيا الصغرى عبر مصر، وذكر استقرار الفينيقيين بالمنطقة وتأثيرهم الحضاري عليها، كما ذكر اخذ البربر لنظام ترتيب المترل عن الرومان وقال أن الديانة الوثنية قد أخذت عن البونيقيين.[2]

والفصل الرابع تحدث فيه المؤلف عن الحياة الثقافية واللغة والدين وقال إن الديانة عند البربر قبل الإسلام كانت خليطا بين الوثنية المحلية وبعض الممارسات التي جلبها الفينيقيون من الشرق.

ثم تحدث عن الفتح الإسلامي وانتشار الإسلام في صفوف البربر وتقبلهم لتعاليمه وانتشار التعليم القرآني في منطقة بني يعلى وبناء عدد من المساجد، كما ذكر أسماء جملة من علماء المنطقة، وتطرق كذلك للتعليم في المنطقة خلال العهد العثماني من خلال بعض زوايا المنطقة.

---

[1] - Mouloud Gaid: Opcit, p 28-38.

[2] - Ibid, p 41-60.

وانتقل للحديث عن التعليم في العهد الفرنسي وقال أن ممارسة الأهالي للشعائر الإسلامية كان جانبا من جوانب المقاومة الثقافية للغزو الثقافي الاستعماري وسياسة الإدماج .

وفي القسم الثاني الذي خصصه للفترة الاستعمارية قدم له بتمهيد أشار فيه لموقف السكان من الوجود العثماني في المنطقة، ثم تطرق لغزو الفرنسي وإخضاع المنطقة، وتنصيب قسم إداري في سطيف ومكتب عربي في برج بوعريريج.

وعالج موضوع السياسة الاستعمارية وموقف السكان الذي تجلى في رد فعل قوي تمثل في ثورة 1871 التي شملت كامل أرجاء المنطقة، وما تبعها من أعمال انتقام من الجانب الفرنسي ضد السكان .

وانتقل للحديث عن النشاط السياسي منذ سنة 1900 فأشار لدور جماعة النخبة عبر نشاطهم السياسي والصحفي، انتقالا بعد دلك للفترة الممتدة بين 1920-1945 وهي فترة انبثاق الأحزاب السياسية في الجزائر وركز على الخصوص على حزب الشعب الذي تتبع مساره حتى اكتشاف المنظمة الخاصة.[1]

وهكذا فقد قدم مولود قايد في هذه المونوغرافيا عرضا شاملا ومفصلا لتطور منطقة بني يعلى عبر التاريخ من خلال التطرق لمختلف جوانبها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

## المطلب الثاني : مؤرخو زواوة:

### 01- تقاييد بن كانون في تاريخ زواوة أواخر العهد التركي:

حصل الضابط روبان على مخطوط عربي تعود ملكيته لعائلة أولاد بن كانون من يسر، والتي زاول عدد من أفرادها وظيفة الشاوش عند آغوات العرب المتأخرين، واستغل روبان هذا المخطوط لتحرير بحوثه عن منطقة زواوة أواخر العهد العثماني وعن يحي آغا، وقال في هذا الصدد :" إننا لا نملك لا الوسائل ولا النية لكتابة تاريخ كامل ليحي آغا، ولكننا سنقتصر على ذكر وقائع إدارته التي تتعلق بمنطقة القبائل الكبرى."

---

[1] - Mouloud Gaid: Opcit,p 59-104.

وقال روبان إنه أخذ أغلب أقسام هذه الرواية من هذا المخطوط العربي الذي اكتشف وترجم سنة 1858 من طرف الضابط Meyer وهو مترجم عسكري و لم يقم بنشره.[1]

وأكد روبان أن المعلومات الواردة في هذا المخطوط الذي حرر قسمه الأخير محمد بن كانون قايد يسر ، يكتسي أهمية كبيرة لطابعه الرسمي وروايته تحظى بالثقة.

وجاء في المخطوط خبر عن ثورة أهل فليسة ضد الأتراك سنة 1767 م، بسبب رفضهم دفع الضرائب وورد في المخطوط أسماء قادة فليسة حينها وعلى رأسهم الشيخ بن بوزيد أمين بني مكلا الذي عينه آغا الجزائر قايدا على فليسة قبل هذه الحوادث[2].

ومما جاء في هذا المخطوط التاريخي أن يحي آغا عند استلامه لمهامه اندلعت فتنة في قيادة بوغني، فثارت قبائل قشطولة وبني صدقة ضد القايد بسبب معاقبة بعض أهل زواوة المتهمين بالسرقة، وهاجم الثوار برج بوغني الذي دافعت عنه نوبة الانكشارية، وعبيد الزاوية الذين كانوا بداخلها.

ويقدم المخطوط معلومات هامة عن الأوضاع التي كانت تعيشها منطقة زواوة أواخر العهد العثماني، وحالة الفوضى السياسية وعدم الاستقرار، ثم الأعمال التي قام بها يحي آغا لتنظيم للمنطقة بالاستعانة ببعض القبائل المحلية وعلى رأسها عمراوة [3].

وللأسف الشديد فقد ضاع هذا المخطوط التاريخي الهام الذي ضم معلومات مختلفة عن منطقة زواوة أواخر العهد العثماني، بعد أن استفاد منه روبان في أبحاثه التي أشرنا إليه سابقا.

## 02-أبو يعلى الزواوي وكتابه تاريخ زواوة:

### المؤلف:

هو أبو يعلى الزواوي هو السعيد بن محمد الشريف بن العربي من قبيلة آيت سيدي محمد الحاج الساكنة في إغيل زكري من ناحية عزازقة بمنطقة القبائل الكبرى أو زواوة، وينسب إلى الأشراف الأدارسة.

---

[1] - Robbin : Note sur Yahia Agha, in R.A n° 18 ( 1874 ) , p 61.

[2] - Robbin : Les Oulad ben Zamoum, in R.A n°(1875) p 33.

[3] -Robbin : Note sur Yahia Agha,Opcit, p 62.

ولد أبو يعلى الزواوي حوالي عام 1279 هـ/ 1862م، درس أولا في قريته فحفظ القرآن الكريم وأتقنه رسما وتجويدا وهو ابن اثنتي عشرة سنة ، والتحق بزاوية اليلولي ومنها تخرج، وأبرز شيوخه الذين استفاد منهم: والده محمد الشريف/ والحاج أحمد أجذيذ، والشيخ محمد السعيد بن زكري– مفتي الجزائر – والشيخ محمد بن بلقاسم البوجليلي.

أكثر أبو يعلى من التنقل والترحال قبل أن يستقر في الجزائر العاصمة سنة 1920، وقد أومأ في بعض المواضع إلى أن دافع ذلك هو الفرار بالدين والعرض و لم يحدد الأسباب المفصلة لذلك .

ومع بداية الحرب العالمية الأولى اضطُر للخروج من دمشق لاجئا إلى مصر، لأنه كان معروفا بمعاداته للحكومة التركية، ومناصرته لأصحاب القضية العربية كما سميت في ذلك العصر، وفي مصر استزاد من العلم بلقاء أهل العلم وأعلام النهضة فيها، وممن جالس وصحب هناك محمد الخضر حسين الجزائري والطاهر الجزائري ومحمد رشيد رضا[1].

ورجع إلى الجزائر سنة 1920م بعد انتهاء الحرب ، فقضى مدة في زواوة ، ثم سكن الجزائر العاصمة وتولى إمامة جامع سيدي رمضان بالقصبة بصفة رسمية، ومع كونه من الأئمة الذين رضوا بالوظيفة عند الإدارة الفرنسية فقد تبنى الفكر السلفي الإصلاحي بقوة وحماس كبيرين، وعاش محاربا لمظاهر الشرك والبدع والخرافات وغيرها من أنواع المنكرات. وكانت له بعد ذلك تنقلات في طلب العلم والدعوة إلى الله منها ما كان إلى بجاية أو البليدة[2].

انخرط أبو يعلى في سلك التدريس والخطابة أمر طبيعي أن يكون هذا من نشاطه بحكم وظيفته، ولكنه كان حر التفكير والتعبير والتحرير والتحبير، ووقف صامدا أمام العوائق والمغريات يثبت الحق ويبطل الباطل، لم يقيد الوظيف الذي تقلده لسانه و لم يحدد من نشاطه، فكان صريحا في الحق جريئا مقداما، يدافع عن الدين والفضيلة والعقيدة الصحيحة واللغة العربية والوطن، وقد هددته السلطات مرارا بالفصل من إمامة جامع سيدي رمضان، ولكنها لم تجرؤ على ذلك، ولا وجدت سبيلا إلى كم لسانه وتجميد نشاطه وإيقاف زحفه

---

[1]– عز الدين رمضاني:الأستاذ الإصلاحي الجسور الشيخ أبو يعلى الزواوي ، مجلة منابر الهدى ، ع 7، ص 73.

[2]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص 206.

مارس أبو يعلى النشاط الصحفي لما كان مقيما في الشام، فكتب في جريدة المقتبس التي كانت تصدر بدمشق، وفي جريدة البرهان التي كانت تصدر بطرابلس الشام، وفي جريدة المؤيد المصرية وثمرات العقول البيروتية والمجلة السلفية بمصر.

ولما رجع إلى الجزائر استمر في نشر بحوثه وآرائه في الصحف، فنشر في جريدة النجاح مدة ثم في مجلة الشهاب لابن باديس وفي جريدة الإصلاح للطيب العقبي التي قلَّما خلا عدد من أعدادها من شيء من كتاباته ، ونشر في كل جرائد الجمعية بعد تأسيسها. بل وكتب أول الأمر حتى في جريدة البلاغ الطرقية مما أثار عليه نقمة بعض إخوانه[1].

كان الشيخ أبو يعلى الزواوي ممن لبى نداء رجال الإصلاح في الجزائر لتأسيس جمعية العلماء، وقد تولى الرئاسة المؤقتة يومها حتى انتخب المجلس الإداري ورئيسه العلامة ابن باديس ، وبعد مضي مدة عن تأسيس الجمعية ترأس لجنة العمل الدائمة بعد انسحاب رئيسها عمر إسماعيل وهي لجنة كُوِّنت من الأعضاء المقيمين في العاصمة لإدارة شؤون الجمعية لما كان أغلب أعضاء المجلس الإداري المنتخب مقيمين خارج العاصمة بحكم السكن والنشاط. وترأس أيضا مدة لجنة الفتوى وقد نشرت له في البصائر لسان حال الجمعية عدة فتاوى ومقالات، كما نشر عددا من الكتب منها: الإسلام الصحيح و وجماعة المسلمين والخطب وخصائص أهل زواوة

و توفي أبو يعلى في 8 رمضان 1371 الموافق لـــ 4 جوان 1952م عن عمر يناهز التسعين وشيع جنازته خلق كثير وعدد كبير من رجال العلم والفضل[2].

* **الكتاب:**

حدَّد أبو يعلى الخطوط العريضة لكتابه تاريخ الزواوة سنة 1912م و فرغ من تأليفه سنة 1918م وهو في القاهرة ونشره في دمشق سنة 1924م ، وقدم له الشيخ الطاهر الجزائري والسعيد اليجري، و أهدى الزواوي كتابه إلى شخصية شريفة أيضا، تقيم في الناحية وتحتفظ لنفسها بنسب قديم، وهو أحمد بن علي الشريف (الهاشمي العلوي الفاطمي الزواوي) وقد خاطبه بقوله: "مولاي،

[1] – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3،ص 207.

[2] – رابح لونيسي: دعاة البربرية في مواجهة السلطة، دار المعرفة، الجزائر، ص 28.

كان لتاريخ الزواوة شأن عظيم وأنتم من الأعاظم، وكان لهم نسب كريم، وأنتم من الأكارم... فأهديه إلى سيادتكم العظمى، ولكم فيه الكلمة العليا" .

قسم أبو يعلى الزواوي كتابه تاريخ زواوة إلى سبعة فصول، رغم صغر حجمه، فجعل الفصل الأول في فضائل التاريخ، والثاني والثالث في نسب الزواوة ومحامدهم (وقد تعرضنا إلى ذلك)، والرابع في زواياهم وعلمائهم وخدمتهم للغة العربية، والخامس في بعض عاداتهم، والسادس في الإصلاح المطلوب، والسابع في لائحة نظام التعليم المقترح وبيان طريق التعليم، ومن الواضح أن فصول الكتاب ما هي إلا توسع في ما جاء في المشروع، وقد دافع الزواوي عن علم التاريخ وذكر فوائده الجمة للأفراد والجماعات، بل افتخر الزواوي بأنه أول من عالج الموضوع، منذ قرون، وأنه خدم به الزواوة والأمة خدمة جليلة، ويقول : " هذا آخر ما تيسر في وضع هذا الكتاب الذي لم يقدم مثله في هذا الموضوع، وخدمت به الطائفة والأمة خدمت لم يخدمها أحد منذ قرون.

ورغم تعريف الزواوي للتاريخ بما يتفق وما عرفه عن الفرنسيين والأوروبيين عموما ومع ماله من أهمية في حياة الأمم والشعوب والشعور القومي، فإنه في الحقيقة لم يلتزم بذلك في الكتاب، وإنما جعل الكتاب مجموعة من المعلومات الاجتماعية والدينية والثقافية من تراجم وعادات وزوايا، وقد أدخل فيه أيضا رأيه في الإصلاح العام.[1]

و أوضح الزواوي أنه قضى في البحث عشر سنوات عن أصل الزواوة ونسبهم لكي يجيب على ما إذا كانوا عربا أو بربرا، وهذه هي نتائج بحثه، كما قال، و رجع إلى من كتب قبل ابن خلدون وإلى من كتب بعده، مشارقة ومغاربة، ثم رجح الاعتماد على ابن خلدون في نسب الزواوة لعدة اعتبارات منها: أن ابن خلدون مغربي-أندلسي- يمني، وأنه درس في بجاية، وأنه جاء إلى زواوة مبعوثا من قبل أحد السلاطين، وأنه عمل حاجبا لأبي عنان المريني، وأن أحد أساتذته زواوي، وهكذا يصبح ابن خلدون أكثر علما بأهل زواوة من غيره وهو أهل لذلك و أحق بالشهادة عليهم، مع أدلة أخرى وبراهين قاطعة"[2].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص 149.

[2]- أبو يعلى الزواوي: المصدر السابق، ص 21.

والخلاصة عنده أن كتامة وصنهاجة من الحمير يرجع إلى يعرب بن قحطان. (فالزواوة إذن عرب مستعربة وعرب عرباء بأصلهم المتقدم). فهم عرباء لأنهم حميريون وهم مستعربة لأنهم دانوا بالإسلام والقرآن الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم، وهو من ولد إسماعيل المستعرب[1].

## 3-*عمار بن سعيد بوليفة وكتابه جرجرة عبر التاريخ:

### * المؤلف:

يمثل عمار بن سعيد بوليفة أحد النماذج البارزة للمثقفين الجزائريين في الحقبة الاستعمارية، وهو نموذج للمثقف المعتز بهويته الأمازيغية بالرغم من انضوائه في التيار الفرانكوفوني وكونه موظفا في الإدارة الكولونيالية التي عهدت له بمهام مختلفة.

ويمثّل كتابه "جرجرة عبر التاريخ" حلقة هامة في كتاباته، فهو ثمرة جهود من البحث التاريخي واستقراء الوثائق للدفاع عن فكرة جعلها عنوانا فرعيا لكتابه وهي استقلال زواوة في العهد العثماني واستمرار ذلك الاستقلال في بداية العهد الفرنسي، ولعل هذه الفكرة التي أراد بوليفة تمريرها تكشف بوضوح تمسّك هذا الأخير بهويته ودفاعه عنها رغم احتكاكه بالحضارة الغربية، ورغم ما تمثله هذه الفكرة من خطر على مستقبله المهني خصوصا إذا علمنا أن صدور هذا الكتاب سنة 1925 قد تزامن مع اقتراب الاحتفال بالذكرى المئوية لاحتلال الجزائر.

ولد سي [2] عمار بن سعيد من آل بلقاسم بن اعمر الملقب ببوليفة بقرية عدني حوالي سنة 1865[3] في بلدية إيرجن التابعة لدائرة الأربعاء نايث إيراثن من عائلة مرابطية، و هو من أسرة فقيرة، توفي والده مبكّرا ولكن والدته احتضنته فقرّبته من أعيان تامزيرت وربته عائلة أمه آيت عامر التي كانت تسيّر زاوية من صنف ثانوي تدرّس الفقه الإسلامي بتامزيرت وهو نفس المكان

---

[1]- المصدر نفسه، ص 28-29.

[2]- نظرا لأصله المرابطي فقد أضيف إلى اسمه لفظة "سي".

[2]- هناك اختلاف كبير في تحديد سنة مولده التي تتراوح بين سنة 1861 و 1864 و سنة 1865 وقد فضلنا اختيار التاريخ الأخير الذي ذكره شاكر بحكم اعتماده على الوثائق الشخصية لبوليفة ، أنظر : -Salem Chaker: Documents sur les précurseurs. Deux instituteurs kabyles : A. S. Boulifa et M. S. Lechani ,Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, Année 1987, Volume 44, Numéro 1, p 102.

الذي نشأت فيه سنة 1873[1] أول مدرسة ابتدائية لائكية بمنطقة القبائل، والتي التحق بها بوليفة بإيعاز من عمه المدعو "مُولى" والذي كان الإخباري المميّز لهانوتو، وكان الترشّح لهذه المدرسة نادرا .

و أثناء دراسته بهذه المدرسة برزت مواهبه التي جذبت مدير المدرسة أوجين شير Eugène Sheer الذي لمح في بوليفة اهتمامه البيداغوجي الكبير، وثقافته الأمازيغية الواسعة فعيّنه بالمدرسة، وهكذا بدأ بوليفة مسيرته معلما ممرنا بسيطا في قرية تامزيرت، ليصبح بعد ذلك مكلّفا سنة 1890 بتدريس الأمازيغية بمدرسة ترشيح المعلمين ببوزريعة.

كلف بوليفة سنة 1901 بالتدريس بمدرسة الآداب بالجزائر كمعيد للبريرية مع ريني باصي[2] ربما إثر شغور المنصب حيث شغل مكان الهاشمي بن لونيس الذي عين سنة 1880 أو وفاة بلقاسم بن سديرة كما ذكر سعد الله [3].

وقد استفادت السلطات الفرنسية من معارفة في اللغة البربرية فأرسلته في بعثة علمية للمغرب الأقصى خلال خريف 1904-1905 عرفت بمهمة Ségonzac لأنها كانت تحت توجيه الماركيز دي سيقونزاك مما سمح له بالاطلاع على بعض المخطوطات والوثائق البربرية التي قدّم عنها تقريرا سنة 1905 [4]،كما كُلّف بوليفة ببعض المهام العلمية في منطقة القبائل في 1909-1910 كانت نتائجها مثمرة على صعيد البحث الأثري كما أكّد روني باسي [5] حيث أجرى مهمتين بالمنطقة ودرس نقيشة إيفيغا الليبية التي من المحتمل أن تكون دليلا على حضارة بربرية

---

[1]- ورد هذا التاريخ عند فرانسوا بويون لكن شاكر يقدم تاريخ 1875 أنظر :

- François Pouillon; Dictionnaire des orientalistes de langue française, édition Karthala, p 136.
-Salem Chaker: Opcit, 102.

[2] - Daniella Merrola : De l'art de narration tamazight (berbère), édition Karthala p 38.

[3]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 8 ، بيروت ، در الغرب الإسلامي ، 1998 ، ص59.

[4] - -Salem Chaker: Opcit,p102.

[5]-René Basset : Note sur la mission de M. Boulifa en Haute Kabylie,in Académie des inscriptions et belles-lettres, 56e année, N. 5, 1912, p 335.

سابقة للاحتلال الروماني، وقام بوليفة بأبحاث أثرية لترقية معارفه التاريخية ، وفي أفريل — ماي 1912 قام بمهمة ثالثة بمنطقة القبائل في أعالي سباو كما قام بدراسة زاوية سيدي منصور.[1]

و رغم كل هذه الجهود إلا ان السلطات الفرنسية لم تعترف له بصفة المعلم في مدرسة ابتدائية إلا قبل وفاته بتسع سنوات أي سنة 1922 ومع ذلك فقد قضى كل حياته تقريبا في ميدان التعليم الابتدائي[2]، وتوفي بوليفة في مستشفى مصطفى باشا بالعاصمة في 8 جوان 1931 ودفن في مقبرة باب الواد بالغا من العمر حوالي ستين سنة.

و لم يترك بوليفة أولادا وإنما قام بتربية أبناء أخيه أحمد وبلقاسم وكان صالح بن بلقاسم هو الذي زود سالم شاكر بالمعلومات عن عمر سعيد بوليفة عم أبيه، وكان صالح ما يزال يعيش بآدني سنة 1987 حين كتب سالم شاكر مقاله.

ووصف شاكر بوليفة بأنه : بربري متعدد الجوانب ومن رواد اليقظة البربرية فهو بتدريسه البربري واتخاذه الطريقة المباشرة في تعليمها واهتمامه بتاريخ وآداب زواوة كل ذلك جعل منه رائدا من الرواد في هذا المجال [3].

*** أعماله:**

و أما أعمال بوليفة فهي في غالبيتها عبارة عن دراسات عن اللغة والأدب الأمازيغي وكتب تعليمية، ودراسات عن أعراف بعض مناطق زواوة كقانون عدني وهو مجموعة الأعراف الأمازيغية التي كانت معروفة بهذه المنطقة من زواوة ، كما نشر قانون زاوية سيدي منصور، إضافة إلى دراسة عن بعض المخطوطات البربرية التي جلبها من المغرب أثناء رحلته سنة 1904 – 1905 وهي مخطوطات شلحية عبارة عن نصوص اثنوغرافية عن الحياة الاجتماعية لقبائل الشلوح تتضمن الحرب و الطقوس الجنائزية و الألعاب والرقصات و الربيع وبعض القصص [4]، ومواد خاصة بقواعد

---

[1] - Ouahmi Ould-Braham ;Voyages scientifiques de Boulifa (Maroc, 1905 ; Kabylie, 1909-1912) " Etudes et documents berbères" , n°13,Paris, 1995, pp. 27-28

[2] - أبو القاسم سعد الله : المرجع السابق، ص 63.

[3]-Salem Chaker: Opcit,p 103.

[4] -René Basset : Rapport sur les études berbères et Haoussa 1902-1908 ,in Revue africaine 1908 , p 255.

اللغة والمعجمية وترجمة بربرية لبردة البوصيري ، ومجموعة أشعار في المدائح النبوية وسيرة الصحابة كما جلب بوليفة نسخة من مخطوط الحوض في الفقه وهو أيضا بالبربرية [1] وكانت هذه الرحلة الأساس المحرك لكتابته لمذكرات رحلته المليئة بالمعلومات [2] و ووضع دراسة تاريخية هامة عن منطقة جرجرة .

## * كتاب جرجرة عبر التاريخ:

من أبرز أعمال بوليفة –كما قال سعد الله– والذي ظهر في المرحلة الأخيرة من حياته هو عمله التاريخي الهام جرجرة عبر التاريخ، الذي تناول فيه تاريخ المنطقة من أقدم العصور حتى سنة 1830 وظهر هذا الكتاب في عصر بدأت فيه الحياة السياسية تعرف منحى جديدا حيث بدأت الحركة الوطنية تعرف تطور ا جديدا بظهور حركة الأمير خالد، وبداية الاستعداد للاحتفال الفرنسي بمئوية احتلال الجزائر، وكانت الحرب العالمية الأولى قد تركت بصماتها على الجزائريين ولا سيما العمال والجنود الذين كان شباب جرجرة من أكثرهم عددا [3].

صدر هذا الكتاب باللغة الفرنسية وعدد صفحاته 409 إضافة إلى ملحق بالعربية في 10 صفحات عن زاوية سيدي منصور.

و قسّم بوليفة كتابه إلى ثمانية فصول على النحو التالي :

الفصل الأول: عن العصور القديمة.

الفصل الثاني: عن الفترة العربية.

الفصل الثالث: عن الفترة البربرية.

الفصل الرابع: عن الفترة التركية.

الفصل الخامس : عن ارتقاء وقوة ابن القاضي وعن كوكو والقلعة .

---

[1] –René Basset : revue critique, n° 43, 28 octobre 1907, p 123.

[2] – نشر سالم شاكر نص رحلته للمغرب اعتمادا على الكراس الذي قدمه له صالح بن بلقاسم بوليفة، أنظر:
-Salem Chaker: Opcit,p 106-113.

[3] – أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 8 ، بيروت ، در الغرب الإسلامي ، 1998 ، ص 63.

الفصل السادس : عن المرابطين واستقلال القبائل .

الفصل السابع : عن منطقة القبائل ضد السيطرة التركية ، ومحاولات الاستعمار التركي في منطقة القبائل بين 1650 و 1830 .

الفصل الثامن : عن تحرير منطقة القبائل : زعموم ومَحمد نايث قاسي وآخر القياد الأتراك

ثم ختم بخلاصة و ملاحق على النحو التالي :

الملحق الأول : وبه ثلاث مباحث الأول ملاحظة حول البربر والثاني سماه مواهب وصفات العرق البربري والثالث ملاحظة حول الزواوة .

والملحق الثاني : وبه أيضا ثلاث مباحث الأول عن زاوية سيدي منصور والثاني عن حياة وكرامات سيدي منصور والثالث عن التنظيم المدرسي بزاوية سيدي منصور.

بعد أن ذكر بوليفة أسماء المراجع التي اعتمد عليها وهي أكثر من عشرين، نوّه بعمل الضابط الفرنسي بيربروجر حول الفترات العسكرية في منطقة القبائل الذي صدر سنة وقال عنه بوليفة أنه من المؤلفات النادرة حول هذا الموضوع.[1]

وقال بوليفة إن عمله هذا يختلف في مخططه عن عمل بيربروجر خصوصا في التاريخ الاجتماعي، وذكر إنه بعد بحث طويل وصبور قام بجمع الأخبار التي لها صلة مباشرة أو غير مباشرة مع منطقة القبائل وأكمل هذه الأخبار بمعارفه الشخصية بحكم أنه ابن المنطقة .

وذكر أن المنطقة عرفت طورا جديدا في العهد الفرنسي هو طور " الحرية والبحث عن حياة أفضل في كنف فرنسا المحررة " sous l'égide de la France émancipatrice" كما قال، وأضاف أن عمل "فرنسا المحرّرة" في منطقة القبائل أعطى نتائج رائعة.[2]

إن هذا الكتاب الذي صدر سنة 1925 قد أنهاه بوليفة في 22 فبراير 1920 لكن ظروف الحرب وارتفاع الأسعار كما قال حالت دون نشره في وقته، وأضاف أن الناشرين في ذلك الوقت كانوا نادرين جدا، وأنه بذل قصارى جهده لإخراج عمله ، وقدم بوليفة شكره في مقدمة الكتاب

---

[1] – Boulifa : Le Djurdjura à travers l'histoire ,p VII-X.

[2] – Ibid, p XII.

لعدد من المسئولين الفرنسيين منهم مسؤولو مصلحة الخرائط بالحكومة العامة، وعميد كلية الآداب ريني باصي الذي كان متأثرا به كثيرا والسيد ميرانت مدير الشؤون الأهلية والسيد الحاكم العام للجزائر وغيره من المسئولين[1].

ظهر بوليفة في صورة الباحث الجاد في كتابه جرجرة عبر التاريخ،فقد وظّف في هذا الكتاب كل معارفه التاريخية واللسانية لإثبات استقلالية منطقة جرجرة واحتفاظها بخصوصياتها الثقافية عبر العصور، ففي العهد الفينيقي يذكر بوليفة أن تأثر البربر بالحضارة القرطاجية لم يتعد ظهور بعض المفردات لأسماء المعالم وهي مفردات مختلطة فينيقية - بربرية، وأرجع ذلك إلى العقلية التجارية للفينيقيين الذين آثروا الحفاظ على علاقات طيبة مع البربر مقابل الحفاظ على مصالحهم الاقتصادية [2]وهو أمر لم يحدث في العهد الروماني إذ أن هؤلاء الرومان كانوا بذهنية استعمارية وحاولوا اختراق المنطقة واحتوائها لكن مناعتها أجبرتهم على التراجع وقد عرفت المنطقة في العهد الروماني باسم: Mons Feratus. [3]

وفي العهد العربي – كما سماه – نبّه بوليفة أن ابن خلدون – الذي يسميه المؤرخ البربري – لم يذكر عددا من القبائل البربرية الشهيرة كبني جناد وفليسة ولاحظ أنه من الممكن أن يكون ذلك راجع إلى انضواء هذه القبائل تحت لواء قبائل أخرى .[4]

واعتمادا على ابن خلدون فقد ذكر بوليفة مرة أخرى أن منطقة جرجرة قد حافظت في العهد الإسلامي على استقلاليتها وبالتالي على هويتها الأمازيغية، و تأكّدت هذه الهوية في العهد الذي أطلق عليه اسم "العهد البربري" وهو الذي يشمل كلا من الدولة الحمادية والموحدية والحفصية .

---

[1] - Boulifa : Opcit, p XIV.

[2] -Ibid,p 07.

[3] -Ibid ,p 03.

[4] - Ibid,p 17.

وقال إن فترة الموحدين عرفت ازدهار الثقافة الأمازيغية بحكم أن المهدي بن تومرت كان بربريا ويدرّس العلوم الدينية بهذه اللغة، وهو ما مهّد لظهور المْرَابطين الذين لعبوا دورا كبيرا في المنطقة[1].

وينتقل بوليفة إلى الفترة التركية التي هي آخر الفترات في كتابه ويركز على دور أسرة ابن القاضي التي تعود أصولها إلى منطقة آيت غبرين ، و لعبت هذه الأسرة دورا محوريا في بداية العهد التركي، لكن قوة الأتراك أنهت هذا الدور، وظهرت بعد ذلك حركات مقاومة للتواجد التركي بالمنطقة شكل بعضها تهديدا حقيقيا لنظام الأوجاق لكن اعتماد الأتراك على سياسة الصفوف فتّت هذه الحركات وقزّم دورها ورغم ذلك فقد استطاع سكان المنطقة المحافظة على استقلاليتهم بفضل الموقع الهام الذي كانوا يحتلونه وحصانه جبالهم [2].

## المبحث الثالث: مؤرخو المدن والمناطق الأخرى:

### * محمد بن عبد الله قابة وتقييده عن تاريخ منطقة النمامشة:

#### * المؤلف:

هو محمد بن عبد الله قابة أحد أعيان البرارشة وهي فرقة من عرش النمامشة استقر بالمكان المسمى الشريعة في ولاية تبسة، وشيد به سكناه، وهو أول بناء أسس بالمكان الذي لا يزال بعض أحفاده يتخذه مسكنا، ثم أقام بإزائه مسجدا وبيتا ملاصقا له لتعليم القرآن وفقه العبادات وكان هذا سنة 1271 هـــ/ 1854 م وظل المسجد يؤدي مهمته والقرية حوله توسع تدريجيا حتى صارت بعدد معتبر ، وقوي نفوذ الشيخ محمد بن عبد الله قابة الذي حصل على منصب القايد على النمامشة عند احتلال الفرنسيين المنطقة، وقُتل في إحدى المعارك ضد التونسيين سنة 1869 م، وخلفه ابنه الحفصي قابة[3].

---

[1] -Boulifa : Opcit,p 35-37

[2] - Ibid,p 85.

[3]– معلومات شفهية مستقاة من عائلته التي تقيم بالشريعة بولاية تبسة.

* **الكتاب:**

قام القايد قابة بتسليم مخطوط تاريخي حرّره هو عن تاريخ منطقته للضابط فيرو، وذكر هذا الأخير إن المخطوط جاء في شكل سيرة ذاتية، ووردت فيه معلومات تاريخية استفاد منها فيرو في بحثه عن الأحرار أسياد الحنانشة [1].

وجاء في المخطوط أن " بني مهلهل بن كعب قد سكنوا بصفة نهائية مدينة شابة التي تقع قرب المهدية في الناحية المعروفة باسم قبودية، ومنذ ذلك الزمن عرفت ذريتهم باسم الشابية أي سكان مدينة شابة، وتذكر الرواية أن أصل اسم مدينة شابة كما يلي: كان هناك أمير يحكم مدينة المهدية له بنت بنى لها قصرا للنزهة عرف بعد ذلك بقصر شابة أي قصر البنت الشابة" .

ويضيف المخطوط إنه خلال الهجرات السنوية للشابية فإن رجلا معروفا يدعى سيدي عبد الحميد وهو الجد الأول للمرابطين الذين حكموا خنقة سيدي ناجي قد قام بنشر العدل بين البدو وفي هذا الشأن حملت خيمة كبيرة ووضعت وسط خيام الشابية عرفت ببيت الشريعة، وكانت تُسوّى فيها جميع المسائل القضائية سواءً كانت سياسية أو ذات منفعة عامة، وكانت بيت الشريعة حسبما ذكر صاحب المخطوط ملاذا للاجئين وملجأ لا يمكن الاعتداء عليه للمجرمين.

ويذكر صاحب المخطوط أن بيت الشريعة كانت خيمة واسعة من الوبر وكل قطعة منها خيطت وأهديت من طرف واحدة من قبائل التحالف، وأن قوائمها قد زيّنت بقطع من الحديد ووضعت مجموعة من النقوش والحِكَم التي قُطّعت في قماش صوفي جذاب اللون وخيطت على الجوانب الداخلية للخيمة، وفي داخل الخيمة وضعت خزانة بها مصاحف وعدد من الكتب الدينية.[2]

و في مقال آخر له ينقل فيرو مرة أخرى من مخطوط القايد قابة الذي سرد صاحبه أخبار الفتح الإسلامي للمنطقة انطلاقا من الرواية التي دونها الواقدي صاحب كتاب فتوح إفريقية والتي مفادها أن جيشا به جماعة من الصحابة بزعامة عبد الله بن جعفر توسّعوا في فتوحاتهم حتى سطيف وهناك واجهوا حاكم المدينة الذي هُزم وقتل في أول مواجهة .

---

[1] - Charles Feraud ; Les Hanencha, opcit,p 144.

[2] - Ibid,p 145.

وأضاف صاحب المخطوط أن ابنة حاكم سطيف تولّت شؤون الحكم مكانه، وقررت الرحيل من المنطقة، فعبرت كلا من خنشلة وقيبر وتليجان ودرمون، وأقامت هي ومن معها بصفة نهائية بجبل من جبال سيدي عبيد، وواصل صاحب المخطوط فقال إن هؤلاء قد حفروا آبار ماء وبنوا بعض البنايات، ولكن هؤلاء غيروا محل إقامتهم إلى بئر العاتر وحفروا بها البئر الكبرى المسماة بئر الكاهنة أو بئر العاتر .[1]

ويبدو أن صاحب هذا المخطوط كانت له ثقافة تاريخية حسنة استقاها من مطالعة بعض الكتب القديمة التي كانت متداولة في منطقته، ورغم أنه يورد بعض الروايات الأسطورية إلا أنه أمدنا بمعلومات تاريخية هامة عن منطقته، تلك المعلومات التي وظفها الضابط فيرو في دراساته التاريخية عن المنطقة.

وفي ختام هذا الفصل نرى أن حركة التأليف التاريخي في الشرق الجزائري قد عرفت تطورا ملحوظا وإن كانت أغلب المؤلفات قد خصصها أصحابها حول قسنطينة و لم نجد مؤلفات حول عنابة أو مدنا أخر هامة من الشرق الجزائري، ورغم أننا وجدنا أن بعض المؤرخين الجزائريين قد كتبوا أعمالهم بإيعاز من الضباط الفرنسيين إلا أن ذلك لم ينقص من قيمة أعمالهم التاريخية حول إقليم الشرق الجزائري.

---

[1] - Charles Féraud : Notes sur Tébessa, in R.A n° 18 (1874) p 464.



# الفــــصـــل الخامس: مؤرخو الغرب الجزائري

1 – مؤرخو الإقليم الغربي عامة.

2 – مؤرخو مدينة وهران وأخبار باياتها.

3 – مؤرخو المدن والمناطق الأخرى.

عرف إقليم الغرب الجزائري ظهور عدد من المؤرخين ، وتطورت حركة التأليف التاريخي خصوصا مع استقرار الأوضاع بنهاية أعمال المقاومة، على عكس الشرق الجزائري الذي استمر الوضع فيه غير مستقر بفعل كثرة الثورات وامتدادها، وما صاحبها من أعمال قمع وتخريب من الجانب الفرنسي، وبالتالي ضياع الكثير من الوثائق والمخطوطات، والملاحظ أن التأليف التاريخي خضع في الناحية الغربية أيضا لنفس الظاهرة التي سادت في الناحية الشرقية، ونعني بذلك الاستجابة لطلب ضباط المكاتب العربية والمستشرقين الفرنسيين تواريخ وصفية من أهل العلم والقضاء والأعيان في الناحية، وسنحاول الإلمام بالمؤلفات التاريخية التي دونت حول إقليم الغرب الجزائري ومختلف مدنه .

## المبحث الأول : مؤرخو الإقليم الغربي عامة:

### 1-*أبو القاسم بن أحمد بن الهواري البوزاغتي و تقييده في حوادث الغرب الجزائري أواخر العهد التركي:

#### * المؤلف:

ولد أبو القاسم بن أحمد بن الهواري البوزاغتي سنة 1201 هـ/ 1786 م وتوفي سنة 1284 هـ/1867م[1]، وهو من كبار فقهاء المالكية، تلقى تعليمه في معسكر وتلمسان، وولي القضاء في الأصنام في عهد الأتراك بمجاجة بالشلف، [2] ثم عُيّن في العهد الفرنسي عضوا في المجلس العدلي بالعاصمة، وقد وضع عدة تآليف منها: " شرح على كشف الأستار عن علم الغبار " في علم الحساب للقلصادي، الذي اختصره من كتابه كشف الحجاب عن علم الحساب و" شرح ملحة الإعراب " للحريري و" شرح نظم مقدمة ابن آجروم لابن الفخار.[3]

ورد اسمه هكذا بلقاسم بن البزغتي عند سعد الله، الذي ذكر إن أصله من العاصمة، وانتقل إلى مجاجة ربما في عهد الأمير، وكان يكتب اسمه " أبو القاسم "ويضيف سعد الله إنه عيّن من

---

[1]- المهدي البوعبدلي : مقدمة تحقيق كتاب الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ص 48-49.

[2]- عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر ، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط2، 1980، ص 353.

[3]- المهدي البوعبدلي : مقدمة تحقيق كتاب الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ص 48-49.

طرف وزير الحربية الفرنسي بتاريخ أكتوبر 1854 رئيسا للمجلس الفقهي للجزائر، وكان حينذاك يشغل منصب القاضي بأم السنام " الأصنام – الشلف حاليا "وكان له ابن يدعى مصطفى. [1]

ذكره الحفناوي فقال عنه :"وقد ساقتنا إليها "أي مجاجة " الأقدار سنة 1249 هـ/ فلقينا بها عالمين جليلين وثالث جزائري هاجر إليها يسمى بلقاسم البزاغتي ، له " شرح على كشف الاستار عن علم الغبار " في علم الحساب للقلصادي ، الذي اختصره من كتابه كشف الحجاب عن علم الحساب و" شرح ملحة الإعراب " للحريري و" شرح نظم مقدمة ابن آجروم لابن الفخار . [2]

وقد وصفه البوعبدلي بقوله" أحد أفاضل العلماء وهو الشيخ أبو القاسم بن أحمد بن الهواري البوزاغتي قاضي مجاجة (الأصنام) في عهد الأتراك" .

* **الكتاب:**

لم يشر له أحد عدا البوعبدلي الذي من المتوقع أن يكون قد حصل عليه حين كان قاضيا ناحية الشلف، و وصفه بأنه "مذكرات قيمة" دون أن يقدم لنا حجمه، و نقل البوعبدلي من هذا التأليف بعض الفقرات مما مكّن من معرفة أسلوب المؤلف ومنهجه التاريخي[3].

يقول البوزاغتي في مثالب الباي محمد بن عثمان الصغير المحكوم عليه بالإعدام في قضية درقاوة:"... إلى أن أراد الله بانقضاء أيام الباي المذكور أفسد الله رأيه، وخرج عن طاعة الباشا وتسرّع في قتل عسكر الأتراك الذين معه، بموافق ة كبراء أهل مخزنه وآغواته من الدوائر وغيرهم، ففر بهم ليلا خليفة الكرسي علي الملقب قارة باغلي وأصبح بهم في مازونة، وبقي معهم متحصنا بأهلها حتى أتاه الأمر من عند الباشا أنه باي بموضعه، وأمره بقبضه كما أمر آغواته بذلك، وعفى عمن وافقه على ذلك فلم يشعر أن قبضوه ووثقوه، وبعثوا به إلى الجزائر، فعذب على إخراج المال كما قيل، ثم قتل وقطع رأسه، فملئ قطنا وصلب على باب الجزائر، وكان هذا في نحو السابع والعشرين من هذا القرن 1227 هـ/ 1812 م وقد كان تولى بايا لولاية وهران سنة 1222

---

[1]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4، ص 440.

[2]– أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ج 1، ص 29 ، ص 427.

[3]– المهدي البوعبدلي : مقدمة تحقيق كتاب الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ص 48-49.

هــ/1807م إثر عزل محمد المقلش، وأما أمر الباي علي (قارة باغلي) فقد حكم في الرعية و لم يكن له يد الطاعة إلا على شلف وما والاها من القبائل، وكثر في زمانه الشقاق" .

ويضيف البوزاغيتي واصفا الاضطرابات وحالة النزاع بين القبائل اعتمادا على ما شاهده هو بقوله:" والقتال بين القبائل كبني راشد وتاشتة وحميس وبني مادون وغيرهم والعطاف وبني زقزوق، ونحن وقتئذ بالعطاف شاهدنا ذلك كله، وكان كبيرهم الشيخ البغدادي يحرضهم على ذلك مع كبراء ابراز كالسيد جلول بن عبد السلام والسيد ملوك، وكثر الفساد في البر من السرقة والمحاربة في الطرق في هذه الواسطة وبلغنا أنه في ناحية تلمسان أكثر من هذا...".[1]

ختم البوعبدلي نقوله من ذلك المخطوط الهام بقوله:" هذه صفحة ذكرها شاهد عيان يصف مؤلفها حالة البلاد وتدهورها في أواخر العهد التركي" [2]، ويبدو أن البوزاغيتي من خلال هذه النقول قد قدم وصفا دقيقا لأحوال الإقليم الغربي، ذاكرا عددا من باياته، ومتتبعا أخباره إلى عهده هو، ولعل البحث في مكتبة البوعبدلي يفضي إلى اكتشاف مخطوط البوزاغيتي كاملا .[3]

## 2-* أبو حامد المشرفي[4] وكتابه طرس الأخبار:

وهو أحد المؤلفات الهامة التي تجمع أخبار الاحتلال ودولة الأمير عبد القادر وما أحاط ذلك من علاقات داخلية ودولية، وفيه تعريض كبير بتصرفات الأمير وكونه قد تأثر " بأهل دائرته الفجار" حسب تعبير المشرفي، ورغم أنه من قوم الأمير، ومن أنصاره الأولين، فإنه قد تأثر من بعض مواقفه التي رآها منافية للعدل، فاختار الهجرة.

وقد رأى المشرفي أن الدعوة إلى الهجرة الجماعية بدعوى استيلاء "الكافر" الفرنسي على الجزائر غير وجيهة، وأنه من الواجب البقاء وعدم الهجرة، واستشهد بعد ذلك بعدة شواهد، رغم كونه قد خرج هو شخصيا من البلاد و هاجر إلى المغرب الأقصى.

---

[1]- بن عودة المزاري : طلوع سعد السعود، ص 313

[2]- المهدي البوعبدلي : مقدمة تحقيق كتاب الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، ص 49.

[3]- علمنا مؤخرا أن قسما من مكتبة الشيخ المهدي البوعبدلي قد أهديت للمكتبة الوطنية، وهي لم تفهرس بعد.

[4]- سبق التعريف بالمؤلف في الفصل الأول.

وضع المشرفي لكتابه طرس الأخبار خطة تشتمل على مقدمة وسبعة فصول وخاتمة والفصول هي كما يلي:

– في سبب ظهور هذا الجنس من الإفرنج "الفرنسيين" وغزو الجزائر من سيدي فرج. فهو موضوع يتعلق بأصل الفرنسيين وحملتهم على الجزائر عامة، وهو يسمى الفرنسيين "الكفرة وعبدة الأصنام" ويقول " دمرهم الله" كلما ذكرهم، أو" أذلهم الله" أو "كسر شوكتهم" .

– في ذكر السنة التي وقعت فيها الحملة وما جرى بين الفرنسيين وبين الأتراك من حروب واحتلال مدينة الجزائر وافتراق المسلمين.

– في ذكر احتلال وهران والمرسي الكبير وخروج الناس منهما، وظهور مبعوث سلطان المغرب، الأمير علي.

– في ذكر قيام أهل غريس وبني عامر ومن الأهم واتفاقها على الجهاد بدون أمير (لكن بقيادة الشيخ محي الدين).

– في ذكر مبايعة الحاج عبد القادر على الجهاد، وبعض الوقائع التي جرت حول الجزائر ووهران ومن مات فيها. وينفى المشرفي أن يكون الناس قد بايعوا عبد القادر على إمارة الجيش التي هي في نضره تختلف عن مبايعة الجهاد.

– في سبب استيلاء الفرنسيين على الجزائر عموما، من حدود المغرب إلى حدود تونس، وسبب تشتت العربان.

– فيمن عاير أخاه بالتنصر... وقال له: اهجر معي إني مهاجر، وإن بقيت فأنت كافر، أي معالجة مسألة الهجرة من الجزائر[1].

---

[1]– أبو حامد المشرفي : طرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار في عتو الحاج عبد القادر وأهل دائرته الفجار ، ضمن كتاب ثورة الأمير عبد القادر من خلال ثلاث مخطوطات، دار الحكمة، الجزائر: 2007، ص47- 50

يضم الكتاب أخبار الحملة الفرنسية والاحتلال، وتقدم المقاومة، وبعض المواضيع المتصلة بذلك كالمبايعة والإدارة والهجرة، وتدخل سلطان المغرب بتوسل من بعض الجزائريين، وباي تونس بالتحالف مع الفرنسيين[1].

و عالج المشرفي أيضا موضوع الفتاوى التي كان يطلبها الأمير من أعيان رجال الدين في المغرب ومصر لتطبيق حكم الشريعة بالنسبة للضرائب والمعونات المالية أو بالنسبة للهجرة والتعامل مع العدو، وجاء على أجوبة الشيخ التسولي الشهيرة، والشيخ الحراق، والشيخ عليش المصري، ومن رأي المشرفي بقاء المسلم الذي غلبه النصاري على وطنه وعدم الهجرة، ولا يعتبر ذلك منه عصيانا أو كفرا[2].

ومن رأي المشرفي أيضا أن سبب الاحتلال يرجع إلى كون فرنسا أرادت أن تسترد النقود التي دفعتها للجزائر مقابل موقفها المستقل من الدولة العثمانية [3]، كما أن المشرفي يترجم لعدد من أعيان الناحية والعصر، و قد حاول أن ينتقد سياسة الأمير وحاشيته، وذهب حتى إلى التعريض بوالده حين قال إنه أوصى ابنه الأمير بالاعتماد على الموظفين الرسميين وقتل الدرقاويين، والكتاب يتعرض أيضا لدور محمد علي باشا مصر في احتلال الجزائر، وهو الدور الذي لم يتحقق، ولحلول نائب باي تونس بوهران أيام المارشال كلوزيل [4].

---

[1]- أبو حامد المشرفي : طرس الأخبار ، ص 51-53.

[2]- المصدر نفسه، ص 55.

[3]- المصدر نفسه، ص 60-62.

[4]- المصدر نفسه، ص 65.

## 2-* أحمد ولد قادي وكتابه الدواير والزمالة وحركاتهم:

### *المؤلف:

هو أحمد بن محمد بن الموفق بن البشير البحثاوي [1] باشاغا فرندة وأحد أعيان هذه القبائل المخزنية الشهيرة في غرب البلاد، من قبائل الزمالة والدوائر، وضابط كبير في جوقة الشرف، ينتمي لعائلة البحايثية التي أصلها من الأمحال التي كانت تشغل المنطقة الممتدة من مليانة وحتى مستغانم .

ومؤسس هذه العائلة يسمى البشير الذي بعد أن حارب طويلا الأتراك بحث عن ملجأ عند هؤلاء نتيجة وفاة أحد أبناء عمه لأسباب تتعلق بصراع قبلي.

اختير الموفق وهو الابن البكر للبشير قايدا للدواير من طرف الأتراك ومنذ تلك الفترة بدأ يظهر النفوذ السياسي لهذه العائلة " ولد قادي" [2].

و أحمد ولد قادي هو ابن حفيد البشير البحثاوي والحفيد المباشر للموفق أول من تولى منصب القايد في هذه العائلة في عهد الأتراك، وهو في نفس الوقت ابن أخ الجنرال مصطفى بن اسماعيل، وكان إلى جانبه في كل العمليات الحربية تقريبا التي وقعت في مقاطعة وهران منذ سنة 1835 وحتى سنة 1881 [3] وفي تلك الفترة كان أحمد ولد قادي قايدا على الدواير تلك القبيلة الكبيرة مع قبيلة الزمالة التي تشكل مخزنا هاما استفادت منه الإدارة الفرنسية كثيرا .

وكان أحمد ولد قادي قد ورث وظيفة القايد من والده محمد الذي ورث هو الآخر المنصب من والده الموفق ، وكان ظهور ولد قادي سنة 1835 حين قدم خدمة للفرنسيين بتوصيل رسالة لعمه الجنرال مصطفى بن اسماعيل -الذي كان محتجزا بتلمسان- من الماريشال كلوزيل، ثم شارك في معركة بلاد الغز التي وقعت في سهل الغسال بين الأمير عبد القادر والجنرال d'Arlanger .

ولجأ الطابور الفرنسي في اليوم الموالي إلى رشقون وتتبعته قوات الأمير وحاصرته في تلك المنطقة وقامت خلال شهرين بإنهاكها بهجومات مستمرة، و تقاسم مخزن وهران بقائديه أحمد ولد

---

[1] – بن عودة المزاري : طلوع سعد السعود، ص 313.

[2] -Narcisse Faucon : Le livre d'or de l'Algerie, t 1 : biographie,ed Challamel,Paris : 1889, p 499-500.

[3] - Marthe et Edmond Gouvion : Kitab Aaayane el Marhariba, Opcit ,p65

قادي ومصطفى بن إسماعيل مصير الجيش الفرنسي وخلال هذا الحصار كان الأمير حمل بقوة على خيام الدواير قرب وهران وباغتهم وقام بعمليات فقد خلالها ولد قادي كل ثروته.

وكتب له الأمير يعده بإرجاع كل ممتلكاته إذا انضم إلى قواته ولكن ولد قادي رفض هذا العرض ، وفي معركة السكاك التي شنها الماريشال بيجو الذي جاء حديثا من فرنسا عبر رشغون فإن مخزن وهران قاتل بقوة ودحر خصومه وبعد ذلك بزمن قليل وقعت معاهدة مع الأمير في 30 ماي 1837.[1]

وبعد سنتين من الهدنة تجددت المعارك وأظهر ولد قادي ولاءه الشديد للفرنسيين في عدد من المعارك ، منها المعركة التي جرت بين تيغنيف ومعوسة بين جيش الأمير وقوات الماريشال بيجو الذي جاء من مستغانم وتوجه إلى معسكر وقام احد فرسان الامير ويدعى شكور باطلاق النار على الجنرال مصطفى بن اسماعيل لكن الطلقة لم تصبه فقام ولد قادي بقتل ذلك الفارس والاستيلاء على حصانه.

وفي البنيان سنة 1841 ساهم في انهزام كامل للحشم الذين بوغتوا في المقدمة بقوات الماريشال بيجو وفي المؤخرة بقوات الجنرال لا مورسيير ومصطفى بن اسماعيل التي كان ضمنها أحمد ولد قادي[2].

واستفاد الفرنسيون من تحالفهم مع الزمالة والدوائر، وحفظوا لهم بعض المصالح، فاستدعوا بعض رجالهم إلى فرنسا لحضور المناسبات الهامة إظهارا لتعاطفهم، ومن هؤلاء ولد قادي نفسه الذي زار فرنسا ثلاث مرات كانت الأخيرة سنة 1878 حسبما ذكره هو في رحلته التي نشرت في المبشر في نفس السنة، وقدم مطالب باسم الجزائريين تعتبر عندئذ مطالب جريئة.[3]

حاز ولد قادي نتيجة خدماته الكثيرة للفرنسيين على عدد من الأوسمة منها "علامة الافتخار الفضية ثم الوردية ثم الطوقية ثم علامة الافتخا ر الكبيرة وكان حافظا للقرآن موصوفا بالفهم الثاقب ، وقد توفي سنة 1302 هـ/ 1885 م أي بعد تأليفه لهذا الكتاب بسنتين، بداره

[1] - Marthe et Edmond Gouvion : Opcit,p 66.

[2]- Narcisse Faucon : Opcit ,p 501-503.

[3]- أحمد ولد قادي : الرحلة القادية في مدح فرنسا وتبصير اهل البادية، ضمن كتاب ثلاث رحلات جزائرية إل باريس ، جمع وتقديم خالد زيادة،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1، بيروت:2005، ص 49.

برأس العين بوهران وحمل لمقبرة أسلافه بالعامرية من جبال ملاتة البحرية بمقبرة سيدي علي البسيسي وخلف ثمانية أولاد ذكور"[1] .

حكم ولد قادي فرندة بلقب آغا، وكان له نفوذ واسع وسمعة في الناحية،واستغل ذلك في المشاركة في بعض الأعمال السياسية فقد كان من بين الأعيان الذين وجهوا رسالة إلى حكومة تور بفرنسا سنة 1871 احتجوا فيها على سوء معاملتهم داخل المجلس العام الذي هم أعضاء فيه، وعلى محاولة المساس بأحكام الشريعة الإسلامية وعادات المجتمع [2]، كما كان من بين الذين غضبت الإدارة الفرنسية عليهم رغم خدماته الكبيرة لهم، فقد تم توريطه في قضايا محلية معقدة، مثل قضية سيدي بلعباس في 1881 حين اعتقل الفرنسيون بعض الأعيان بدعوى أنهم كانوا يعقدون اجتماعا سريا في الليل وكان ذلك في نواحي سيدي بلعباس، وكان الفرنسيون متوترين من العلاقة بين أحداث تونس التي احتلوها في نفس السنة والمؤامرات في الجزائر ضدهم[3].

* **الكتاب:**

هو كتاب يجمع بين التاريخ والأنساب، وقد أنقذه صاحبه بنشره في المطبعة، خلافا لبعض زملائه الذين ظلت كتبهم نهب الأيادي العابثة، كما ذكر سعد الله،وقد أرخ فيه للدوائر والزمالة وهو يعتبر تسجيلا لدورهم منذ الاحتلال ودورهم في التاريخ عموما باعتبارهم من الارستقراطية المخزنية ذات النفوذ الواسع.

وأما عن دواعي تأليفه لهذا الكتاب فمن الملاحظ أن ولد قادي أراد أن يتخلص من الاتهام في التورط المذكور، وقد اعتبره بعض المؤرخين عملا دعائيا لصالح العائلة من جهة وصالح قضية الأهالي من جهة أخرى.

استهل المؤلف الكتاب كتابه بالحديث عن" أصل البحايثية ونسبهم" وهو ينتمي إليهم، وقال إنهم من أولاد المسعود، وهي فرقة من الأمحال يقال لهم أولاد بوبكر وهم من العرب، وذكر أن جدهم البشير كان قد قتل أحد أبناء عمه، وفر إلى الأتراك وانخرط في صفوفهم ضمن القبائل

---

[1]- بن عودة المزاري : طلوع سعد السعود، ج 2، ص 314 .

[2]- يحي بوعزيز: موقف وجهاء الإيالة الوهرانية من ثورة المقراني والحداد عام 1871، "الأصالة" السنة الخامسة، ع 29-30، جانفي –فيفيري 1976، ص 46.

[3] – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، ص 364.

المخزنية، ونال رتبة آغا الدواير، وذكر المؤلف أن أصل تسمية البحايثية هو أن جده البشير عندما فر قالوا عنه بحث في الأرض بمعنى هرب، فتميز بهذا اللقب الذي بقي في عقبه. [1]

وذكر أنه بعد وفاة البشير البحايثي دفن بمستغانم وترك أربعة أولاد هم: الموفق وإسماعيل وعدة ويوسف، ودخل الابن الأكبر الموفق في خدمة الأتراك بمعسكر وتولى منصب قايد على الدواير والتحق به إخوته.

وتوفي الموفق وترك ولدا هو قادي، رباه عمه إسماعيل الذي تولى منصب آغا الدواير وواصل تتبع انتقال هدا المنصب في أسرته حتى تولى محمد قايدا إلى نهاية العهد العثماني، واستيلاء الفرنسيين على الجزائر. [2]

وانتقل المؤلف بعدها لما سماه " ظهور الحاج عبد القادر " ليتحدث عن ظروف تولي الأمير عبد القادر وبيعته بمعسكر في 28 سبتمبر 1832 م، وهو يستخدم التواريخ الميلادية على غير عادة كُتّاب المرحلة، وذكر مكاتبته لأعيان الأعراش بالقدوم إليه في معسكر، وموقف أعيان الدواير والزمالة من بيعته، حيث اختار بعضهم مهادنته وإرسال الهدايا، واختار مصطفى بن إسماعيل عدم بيعته.

وذكر بعض المعارك التي خاضها مبايعو الأمير ضد بعض القبائل التي امتنعت عن الخضوع له، كما ذكر انتفاض الدواير على الأمير، والمعارك التي دارت بين الطرفين، والصلح الذي عقدوه واستقرار الدواير في تلمسان مع كراغلتها[3].

وأفاد أن والده محمد قد توفي سنة 1834 وخلفه هو في القيادة،كما ذكر علاقات الدواير الحسنة مع الفرنسيين، ورغبتهم في الانضواء تحت لوائهم، ومراسلة الجنرال تريزيل لأعيانهم لاستغلال هذا الموقف وضمهم إلى جانبه، ثم اللقاءات التي جمعت أعيان الدواير مع الفرنسيين واتفاقهم على التحالف ضد الأمير[4].

---

[1] – أحمد ولد قادي: الدواير والزمالة وحركاتهم، مطبعة هانتز، وهران: 1883، ص 3.

[2] – المصدر نفسه ،ص 4.

[3] – المصدر نفسه، ص 5-9.

[4] – المصدر نفسه ، ص 10.

وعقد فصلا لما سماه:" دخول الدواير والزمالة في طاعة الفرنسيس" تحدث فيه عن ظروف ذلك الدخول، واللقاء الذي جمع الجنرال تريزيل مع أعيان الدواير والزمالة، وتحولهم إلى قبيلة مخزنية في خدمة الفرنسيين، بعد أن كانوا مخزنا في العهد العثماني، وتكفلهم بمد الجيش الفرنسي بكل ما يحتاجه من مئونة، مقابل تعهد الفرنسيين بحمايتهم من قوات الأمير.

وذكر جملة من المعارك التي شنها الأمير ضدهم وضد قوات الجنرال تريزيل، وعودة هذا الأخير لفرنسا، ومجيء كلوزيل مكانه، وزحف الأمير على وهران، وقدوم الدوق دوريان سنة 1835 ، وقيام الفرنسيين بتعيين عدة ولد عثمان آغا الدواير، والحاج الوزاع آغا الزمالة.

كما ذكر المعارك التي دارت بين الدواير والزمالة وقوات الأمير، وأورد خبر استيلاء الأمير على أملاكه بعد هزيمته لهم، وعرضه عليه الدخول في طاعته مقابل إرجاع أملاكه، ورفض المؤلف ذلك ومواصلته التعاون مع الفرنسيين[1].

وذكر قدوم الجنرال بيجو بحرا لرشغون، ومعاركه مع الأمير في سكاك قرب تلمسان وجرح مصطفى بن إسماعيل في يده، وهزيمة الأمير بعد ذلك، وموت الكثير من قواته وأسر 200 عسكري،كما تطرق للصلح الذي عقد بين الأمير والفرنسيين، وهو ما عرف بمعاهدة التافنة في 30 ماي 1837 وذكر بعض نصوصها، ثم توجّه مصطفى بن إسماعيل إلى باريس للقاء ملك فرنسا ونيله رتبة جنرال وتعيينه لحفيده المؤلف قايدا على الدواير، ثم ذكر نقض المعاهدة وتجدد المعارك[2].

وتحدث عن اتفاق الدواير مع بيجو على غزو تاقدامت، وتفاجئهم بخلوها من السكان بأمر من الأمير، وقيام القوات الغازية بهدمها وتخريب برجها وبعض منشآتها العسكرية، وإفساد مصانع السلاح بها، وحدوث معركة بين الحشم والدواير أدت لانهزام الحشم، واستيلاء الفرنسيين على معسكر[3].

---

[1] – أحمد ولد قادي: الدواير والزمالة، المصدر السابق ، ص 13-18.

[2] – المصدر نفسه ، ص 19-21.

[3] – المصدر نفسه ، ص 22.

وأورد خبر وفاة مصطفى بن اسماعيل سنة 1843 ، وتعيين محمد بلبشير ولد قادي مكانه في القيادة، كما ذكر جملة من المعارك التي شارك فيها هو إلى جانب الفرنسيين ضد قوات الأمير، واتفاق الماريشال بيجو مع الجنرال لامورسيير على تعيينه قايدا على فرندة [1].

وانتقل لفصل آخر سماه :" بيان الخدمة التي انفرد بها أحمد ولد قادي بخاصة نفسه بعد الخدمة المشتركة المتقدم ذكرها آنفا" تطرق فيه لتوليه المنصب السابق سنة 1263 هــ/ 1846 م وتوجهه لفرندة، ومراسلاته لثوار المنطقة من أجل التهدئة.

وأورد في هذا الفصل نص خطبة الرائد "فالصا" أمام ممثلي الدواير والزمالة، والتي نوّه فيها بدور أحمد ولد قادي، كما أورد أيضا رسالة الماريشال فالي له بتاريخ ماي 1848، وذكر مشاركته مع الفرنسيين في كافة الأعمال الحربية التي خاضوها في الإقليم الغربي، وعمله مع الجنرال لامورسيير، ومن بعده الجنرال دولينيي، ومشاركته في الهجوم على الأغواط وورقلة والوقوف في وجه أولاد سيدي الشيخ الثائرين في البيض، وفصل في ذكر المعارك التي دارت في تلك النواحي لينتهي إلى مصيرها وهو الفشل، وأسر عدد من قادتها[2].

ووضع فصلا بعنوان :" هذا بيان الانقلاب الذي وقع في عام 1864 وسيرة باش آغة فرندة" وهو عن حصار ثوار أولاد سيدي الشيخ بقيادة سي لعلى بن بوبكر لفرندة انتقاما لأعمال الفرنسين والباشاغا ولد قادي، وتمكن هذا الأخير من إجلائهم، وقدّم في هذا الشأن النص الكامل لشهادة القبطان أديون عن تلك المعركة، وتطرق لمعركة فقيق سنة 1866 وهي تتمة لأعمال ثورة أولاد سيدي الشيخ وانتقالها حتى فقيق[3].

وتحدث عن آفة المجاعة التي حدثت سنة 1867 التي وصفها بأنها " مسغبة مدهشة لم يشاهد مثلها في البلاد وآل الأمر إلى أن أكل الناس بعضهم بعضا" وتحدث عن أعماله في مساعدة

---

[1] - أحمد ولد قادي: الدواير والزمالة ، ص 31.

[2] - المصدر نفسه ، ص 43-52.

[3] - المصدر نفسه ، ص 65- 70.

المنكوبين، وثناء الفرنسيين عليه في ذلك، وعاد بعد ذلك للحديث عن " اتفاق أولاد سيدي الشيخ الشراقة والغرابة على القتال" وذلك سنة 1871 [1].

و خصص المؤلف آخر مبحث له في الكتاب للحديث عن ظهور ثورة بوعمامة في شهر مارس 1881، وورد تاريخ تأليف الكتاب وهو 30 أوت 1882 ، وأنهى كتابه بقوله: وفي هذا القدر كفاية والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم[2]."

## 3-* أحمد بن عبد الرحمن الشقراني وكتابه القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط

### *المؤلف:

هو أحمد بن عبد الرحمن الشقراني الراشدي، من قبيلة بني شقران القاطنة ما بين غريس ومستغانم بالناحية الوهرانية، ولا توجد معلومات عنه، ولا عن الوظائف التي تولاها، ولا كيف عاش حياته المادية ولا العلمية، سوى أنه مكث مدة بمدينة معسكر حيث تلقى العلم على بعض الفقهاء بها في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري ، التاسع عشر ميلادي[3].

و ثقافته كما تظهر في كتابه، تدل على أنه من النخبة المتعلمة والمتسيّسة أيضا، ويعبر الشقراني عن مواقف مضطربة إزاء السلطة الفرنسية، وإزاء الثورات التي حدثت سواء في عهده أو قبله، فهو يعطي الانطباع أنه ضد الثورات لأنها تؤدي إلى التهلكة والتشتت والتضييق على الناس، ولأنها غير شرعية ما دامت تفتقر إلى الاستعداد والعدل والدين، ومن جهة أخرى يقدم الفرنسيين على أنهم أمة غنية ومتقدمة بالوسائل المادية التي لا يملكها الجزائريين، فكيف يطمعون إلى التغلب عليها بوسائل محدودة.

---

1 – أحمد ولد قادي: الدواير والزمالة ، ص71-72.

2 – المصدر نفسه ، ص 74.

3– ناصر الدين سعيدوني: "مخطوط القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط لأحمد بن عبد الرحمن الشقراني"، "المجلة التاريخية المغربية"، السنة 14، ع 47 – 48، ديسمبر 1987، ص 107 – 111.

وكان موقفه من بوعمامة أكثر وضوحا من موقفه من الثوار الآخرين: سي الأخضر، زعيم فليته، وأولاد حمزة سيدي الشيخ، والوطوطي، والخويدي، ويخبرنا الشقراني أن ثورات هؤلاء تعتبر من علامات الساعة.

ويبدو أن الشقراني كان يميل للمتصوفة أكثر من ميله إلى الأشراف الثائرين، فقد نوّه ببعض المتصوفة، وقال إن فرنسا لم تؤذهم، وتركتهم لحالهم ما داموا مبتعدين عن السياسة رغم شهرتهم، وعدّ من هؤلاء جماعة على رأسهم: ابن الحمياني، وعدة بن غلام الله، ومحمد الموسوم، وابن تكوك المجاهري، والمجدوب محمد بن أبي سيف التراري، ومحمد بن بلقاسم الهاملي، وكان هؤلاء ينتمون إلى مختلف الطرق الصوفية، مثل الشاذلية والرحمانية، والسنوسية، والدرقاوية. [1]

وقد دفعت به مطالعته للكتب وتأثره بالأحداث التي عاشتها الجزائر إلى وضع مصنفه " القول الأوسط " في نهاية التسعينات من القرن التاسع عشر الميلادي حسبما يفهم من فترة وردت في الكتاب تتعلق بتاريخ وفاة الأمير عبد القادر (1883).[2]

*** الكتاب:**

يعتبر القول الأوسط من المصادر المهمة للتاريخ الجزائري، فيما يخص النصف الأول من القرن التاسع عشر ولا سيما ما يتصل منها بالتوسع الفرنسي في الجنوب الوهراني، وما نتج عنه من مقاومة و صاحبه من أحداث، وقد نقل عنه من عاصره مثل محمد بن يوسف الزياني صاحب " دليل الحيران وأنيس السهران " والمزاري في " طلوع سعد السعود ".[3]

والمؤلف أعطى لكتابه عنوانا كبيرا يوحي بشمولية أحداثه لكامل الجزائر " المغرب الأوسط" ولكنه في الواقع كتاب صغير وأخباره محدودة وتعلق كلها بالناحية الغربية للجزائر.

و أوضح الشقراني غرضه من وضع تصنيفه "القول الأوسط في أخبار من حل بالمغرب الأوسط"، بقوله: " إني لما رأيت مغربنا الأوسط قد سكنته أمم وانقضت وملكته دول وانقرضت

---

[1]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص366.
[2]– ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي، المرجع السابق، ص 543.
[3]– المرجع نفسه، ص 546.

وثارت به ثوار جسيمة، أردت بعون الله أن أجمع فيه ما قيدته وأنقل ما وجدته في الواقع الذي شاهدته".[1]

يقول في تبرير إقدامه على التأليف: " إني لما رأيت مغربنا الأوسط قد سكنته أمم وانقرضت، وملكته ملوك وانفرضت... أردت... أن أجمع فيه ما قيدته ونقل ما وجدته، والواقع الذي شاهدته، وسميت هذا التقييد بالقول الاوسط... ماشيا فيه القهقرا (كذا)، سالكا فيه مسلك السادات الفقرا".[2]

واستعرض الشقراني في القول الأوسط الأحداث التاريخية باختصار، حسب الترتيب التصاعدي، فيبدأ بالأحداث التي عاصرها في القرن التاسع عشر، وينتهي بالفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي، ولكن عمله كان استعراضا سريعا للأحداث وليس دراسة لها، و لم يبوب عمله بطريقة منهجية، وإنما أخضعه لطريقة الأحداث نفسها، وهو متواضع في مؤلفة فليس هو بصاحب دعوى، وذلك سمى تأليفه تقييدا وهو في الواقع كذلك.[3]

وهو في ذلك إما أن يسجل الأحداث التي عايشها أو بلغت إليه عن طريق الرواية في الفترة القريبة منه، أو ينقل الأخبار عن المصادر التي سبقته، كما هو الحال بالنسبة للفترة الإسلامية وحتى العهد العثماني، ومما شاهده أو عاصره تسجيله لثورة بوعمامة ( 1864-1904) التي اعتبرها عملا شخصيا اتصف بالتسرع وعدم التبصر، بل رأى في ثورته هذه سببا في توسيع النفوذ الفرنسي بمناطق الجنوب الصحراوي الجزائري، وحجته في ذلك أن الوقوف في وجه فرنسا ومقاومتها لا يجدي نفعا، بعد أن فشلت كل محاولات التمرد على الحكام، مثل الثورات التي قادها كل من الشريف الدرقاوي والشيخ التجاني ويوسف الخويلدي وولد سيدي حمزة بن الشيخ.[4]

---

[1]- أحمد بن عبد الرحمن الشقراني: القول الأوسط في أخبار بعض من حل بالمغرب الأوسط، تح: ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1991، ص17-18.

[2]- المصدر نفسه، ص 18.

[3]- ناصر الدين سعيدوني: مخطوط القول الأوسط ، المرجع السابق، ص 18.

[4]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص366.

ويقول عن بوعمامة في بداية عمله : " ثار رجل من أولاد سيدي الشيخ بالقبلة يقال له أبو عمامة، على الفرنسيين (يريد) قطع دولتهم الراسخة، ومملكتهم الراسية الراخمة ؟ ويكون أحق بها وأهلها..." وأضاف عنه إن بوعمامة كان قد ظهر أول مرة في الصحراء، وظل يتردد هناك بدون فائدة كثيرة، ونسب إليه قتل العمال الإسبان، بغير حق "واقمه بالسفه وكونه لا يتعظ، مع العجز والظلم، ولذلك لم يطعه الناس ، وبعد أن كان الفرنسيون يهربون إليه أصبح هو الذي يهرب منهم، فهو " يتبع الخلوات كالطارق، ويتردد فيها كالسارق"، وذكر الشقراني أن الفرنسيين قد لجأوا إلى اتهام كل المسلمين بالثورة، فسلطوا عليهم "السخرة والركبة وشددوا عليهم، وضيقوا عقوبة لهم، كأن الضر جاء من جميعهم... ووقع الهرج والفزع بين الناس... و لم تبق حرمة لمن كان يستحقها من الناس وصار المسلم من أبغض ما يبغض عندهم (الفرنسيين)".[1]

ومن نتائج ثورة بوعمامة، حسب ما جاء في كتاب الشقراني، أن الفرنسيين قد أقاموا ضده التحصينات وملئوها بالجيوش والمدافع، وغزوا بعض المواطنين، وسفكوا دماءهم، وسبوا نساءهم وذراريهم " وأخذوا أموالهم وأمتعتهم وأخرجوهم من ديارهم... وما جاء ذلك إلا بسببه. واتهم بوعمامة بحرق خصومه والتمثيل بهم خلافا للفرنسيين، وقال أن الدولة تنقطع بالظلم والجور، ولا تنقطع بالشرك والكفر، وحتى هدم الفرنسيين لضريح سيدي الشيخ، ونبش قبره جعله الشقراني من نتائج ثورة بوعمامة، ولولاه لما فعل الفرنسيون ذلك بالضريح وعظامه.[2]

و تسائل الشقراني :" كيف غفل بوعمامة عن عظمة فرنسا وجيوشها الجرارة وقطاراتها التي تجوب البلاد على قضبان الحديد، "بقدرة الله القدير" وهي التي تتراسل بالبرق أيضا في زمن قصير، فالشقراني هنا يبدوا منبهرا بالتقدم العلمي والعسكري والصناعي الفرنسي، و لم يبق للجزائريين إلا الخوف من ذلك والاتعاظ والصبر.[3]

أما بوعمامة فقوته في نظر الشقراني لا تتجاوز 700 فارس، ثم إنه لم يحصل على البيعة الشرعية، فكيف يعطيه الناس ؟ إنه مجرد ثائر متمرد كالثوار الذين سبقوا في العهد العثماني أو

---

[1] – أحمد بن عبد الرحمن الشقراني: المصدر السابق، ص23.

[2]– المصدر نفسه، ص 25.

[3]– المصدر نفسه ، ص 25-26.

العهد الفرنسي، مثل عبد القادر بن الشريف الدرقاوي، وأبو سيف الخويدي، والأزرق الفليتي...)الذين ثاروا ضد الفرنسيين، ولكنهم لم ينالوا سوى التعب، وقد عرضوا حياتهم وحياة أتباعهم للفناء، فهم جميعا من الذين يسبقون ظهور "المهدي".

ونلاحظ أن الشقراني لم يذكر سوى ثوار الجهة الغربية، أما الزعماء الدينيون فهم في نظر الشقراني " كسائر المسلمين ينتظرون الفرج وزوال الحرج، وانتظار الفرج واجب، والعسر لا يدوم على أحد".[1]

ويرى أن نهاية مقاومة الفرنسيين كانت مع نهاية كفاح الأمير عبد القادر الذي يذكره بكل احترام وتقدير، ويرى أنه شخصية فذة، معقبا على عدم نجاحه في التصدي للاحتلال بقوله: " إن الفرج من عند الله القادر على تبديل الأحوال ما دامت الأيام لا تدوم على حال ".

هذا وقد تميز الشقراني في استعراضه للأوضاع التي ارتبطت بالاستعمار الفرنسي بخروجه عن الموضوع والانتقال إلى مواضيع بعيدة عن سياق التاريخ كذكره لحقيقة الرؤيا في المنام والفرق بين الرؤيا الصالحة وغيرها من الأحلام مستشهدا في ذلك ببعض الأحاديث النبوية الشريفة.[2]

بعد ذلك ينتقل أحمد بن عبد الرحمن الشقراني إلى الحديث عن الفترة التي حكم فيها الأتراك الجزائر مشيرا باقتضاب إلى تسلط الفرنسيين على البلاد من بعدهم، ثم ينتقل إلى مبايعة الأمير عبد القادر وجهاده ومعاركه مع الجيش الفرنسي، وما آل إليه أمره بعد ذلك، ثم يستعرض أهم القبائل بأقاليم المغرب وكذلك بعض المدن المهمة مركزا على وهران التي أشار إلى تأسيسها وتحصينها ووليها الصالح سيدي الهواري، ولم يفتح ذكر ما تعرضت إليه وهران من غزو خاصة من طرف الإسبان مشيدا بفضل الأتراك في مواجهتهم للنصارى ووضع حد للأعمال الشنيعة التي كان يقوم بها النصارى منثل خطف المسلمين وتنصيرهم أو بيعهم أسري يساعدهم في ذلك اليهود وبعض القبائل المتحالفة معهم " المغطسون".[3]

---

[1] – أحمد بن عبد الرحمن الشقراني: المصدر السابق ،ص26.

[2] – المصدر نفسه ، ص 32.

[3] – المصدر نفسه ، ص32-34.

وقد وصل حديثه إلى مهاجمة الفرنسيين بني شقران سنة 1845 وشمل الكتاب أيضا الحديث عن المجاعة والوباء الذي حل بالجزائر سنتي 1867-1868 وقد أحسن الوصف في هذه الصفحات القليلة "حوالي أربع صفحات" عن هذه النكبة التي عاصرها، والتي أودت بحياة الآلاف من الجزائريين، واستعار معلومات غزيرة من عجائب الأسفار لأبي راس الناصر حول القبائل التي سكنت الناحية مثل مغراوة وبني يفرن.

وقد جره الحديث على وهران إلى ذكر حكم المرابطين والموحدين والزيانيين لوهران باختصار، لينتقل بعد ذلك إلى ذكر بلاد المغرب وعواصم كل قطر فيها وأهم الأنهار بها ليعود من جديد إلى استعراض الأحداث التاريخية بالحديث عن تلمسان وتأسيسها ومن تولى شأنها.[1]

وضم مصنف القول الأوسط معلومات متفرقة عن البارود والمنجنيق وأول من استعمله، وشيئا من أخبار كسيلة وانهزامه، وقصة عقبة بن نافع الفهري ومسجده واصل الفرنج والإسبان والعلة في تسميتهم، وهذا ما يدل على أنه لم يضع نهاية لتاريخه وإنما اضطرته الظروف إلى التوقف لسبب نجهله.

يعتمد أحمد بن عبد الرحمن الشقراني في مصنفه القول الأوسط على السرد التقليدي للأحداث دون وضع عناوين للمواضيع التي تضمنها، وإن كان في مجمله يتميز بسلاسة اللغة واستقامة الأسلوب والميل إلى استعمال المحسنات اللفظية كالسجع والترادف، وإن غلب على بعض الفقرات ضعف في البناء وركاكة في اللغة واستعمال بعض الألفاظ الدارجة والتعابير العامية مثل البابورات (البواخر)، وعلى كل فهو يعكس لغة عصره وثقافة بيئته ومستواه الثقافي الذي يدل على اطلاعه على معارف وثقافة دينية سمحت له بحسن عرض الأفكار، والاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية وبعض الأبيات الشعرية[2].

رغم صغر حجم القول الأوسط إذ لا يتعدى عدد صفحات المخطوط الأصلي 29 صفحة من الحجم الكبير إلا أنه يتميز بتنوع معلوماته واختلاف مواضيعه وتسجيل بعض الملاحظات، وهذا ما جعله أقرب إلى المذكرات الشخصية منه إلى الكتب التاريخية العادية، وهو يتألف من

[1]– أحمد بن عبد الرحمن الشقراني: المصدر السابق ، ص 50-51.

[2]– ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي، المرجع السابق، ص 545.

قسمين الأول منهما لم يأت فيه المؤلف بجديد فهو ناقل عن الكتب المتداولة، ككتاب ابن خلدون وابن أبي زرع وأبي راس الناصري وعبد الرحمن الجامعي، و القسم الثاني وهو المهم سجل فيه الشقراني مشاهداته وعرض آراءه، فهو يرى أن الرجل الوحيد المؤهل لمنازلة الفرنسيين هو الأمير عبد القادر، وهذا ما جعله ينكر على بوعمامة قيامه بالثورة، لتخوفه من انتكاسات أخرى تكون في غير صالح المسلمين، كما سجل انطباعاته عما شاهده من أحوال العمران وظروف المعيشة وهو في ذلك أقرب إلى معاصره العنتري الذي اهتم بالأوضاع الاقتصادية للشرق الجزائري في كتابيه " فريدة مؤنسة " أو " تاريخ بايات قسنطينة " و " سنين القحط والمسغبة ببلد قسنطينة " ووجه الشبه كبير بين العنتري والشقراني، الأول يتخذ موقفا عدائيا من الحاج أحمد باي والثاني يتحيز للأمير ويقف ضد بوعمامة، وكلاهما يبدي إعجابه بالفرنسيين ويدعو إلى الرضا بالأمر الواقع، وآخر تاريخ مذكور في كتاب القول الأوسط هو سنة 1303، وبذلك يكون الكتاب مؤلفا بعد هذا التاريخ،ونحن نعلم أنه تعرض أيضا إلى وفاة الأمير التي كانت سنة 1300 هـ/ 1883م وبذلك يكون الكتاب قد ألف وسط الثمانينات.[1]

## 4-*بن إسماعيل بن عودة المزاري وكتابه طلوع سعد السعود:

### * المؤلف:

ينتمي المؤلف إلى ما كان يعرف بالطبقة المخزنية، وكان والده وعمه من أعيانها وقوادها، و ترجمته مجهولة إلى اليوم، بعد أن ضاع ما أدرجه عن سيرته الشخصية في الصفحات المفقودة من كتابه طلوع سعد السعود ص 538-545 لأنها بترت من الكتاب بفعل فاعل، حرصا عليها أو خوفا منها[2].

ولا يعرف عن المزاري سوى أن اسمه هو بن إسماعيل بن عودة بن الحاج المزاري البحثاوي وهو ينتمي إلى أسرة تولت بعض الوظائف المخزنية ببايليك الغرب، فقد شغل أبوه الحاج محمد

---

[1] – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 367.

[2]- المرجع نفسه، ص 380.

المزاري وعم أبيه مصطفى بن إسماعيل وظيفة كاتب الآغا لدى الأمير عبد القادر قبل أن ينضما إلى الفرنسيين في شهر شعبان 1251 هـ/ ديسمبر 1835م.[1]

و استمر محمد المزاري والد المؤلف في خدمة الفرنسيين إلى غاية تقاعده، ثم ذهب إلى الحجاز وجاور بمكة، ثم رجع إلى الجزائر واستقر فترة بالعاصمة، وحل بعدها بسهل ملاتة قرب وهران، و في الأخير استقر بهذه المدينة حتى وفاته سنة 1862، وقد ترجم له ابنه في الطلوع ترجمة واسعة وضمنها شجرة النسب العائلي.[2]

وقد تثقف على يد الأسرة الزيانية، ولا سيما محمد بن يوسف صاحب كتاب دليل الحيران،ويفهم من سياق عرضه أن له ولدين هما إسماعيل والحسين، وأنه تولى بدوره مثل أبيه منصب "الآغا" لدى الإدارة الفرنسية ومن الراجح أنه ظل على قيد الحياة إلى ما بعد عام 1215 هـ /1897 هـ وقد يكون توفي في مطلع القرن الحالي،و لكن تاريخ وفاته غير معروف.[3]

### * الكتاب:

أثار الباحث مارسيل بودان (M.Bodin) سنة 1924م إشكالية نسبة كتاب طلوع سعد السعود للزياني، و ذهب إلى القول بأنه من الشائع عند متعلمي وهران أن كتاب طلوع سعد السعود هو من عمل سي محمد بن يوسف الزياني، الذي يكون قد تنازل عنه للمزاري مقابل نيله وظيفة القاضي[4].

وخلاصة رأي بودان أن المزاري كان من رجال المخزن وليس من رجال العلم، وليس له دور في كتابة والبحث، وإنما استبد على بعض المؤلفين الحقيقيين أمثال شيخه محمد بن يوسف الزياني، مقابل ولاية القضاء وبعض المصالح الدينية، فالكاتب أصلا من تأليف الزياني. ويدل على ذلك أن الزياني قد ترك آخر جزء من كتابه دليل الحيران معلقا وذكر أنه سيتناول فيه الاحتلال الفرنسي " الدولة التاسعة" ونتج عن ذلك أن الطلوع قد احتوى هذه الدولة التاسعة "الاحتلال

---

[1] – ابن عودة المزاري : المصدر السابق،ج2، ص 136.

[2] –المصدر نفسه،ج2، ص 148.

[3] –ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي لغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص 568.

[4] -Marcel Bodin : « La brève chronique du Bey Hasan, extraite et traduite de la Tal'at-os-Sa'd-is-So'oud de Mazari »,in BSGAO, 44, 1924, p. 25-26.

الفرنسي" وكذلك تاريخ الدوائر والزمالة وأهل المخزن، ويقر بودان بأن الجزء الأخير فقط وهو المخزن قد يكون من تأليف المزاري، وقدم أدلة على ذلك، من بينها أن مؤلف هذا الجزء ذكر أن ذلك هو المقصود بالذات "عين المراد" من كل التأليف، ومنها أن الحديث عن العهد الفرنسي أولى بالزياني الذي وعد بذلك في دليل الحيران منه بالمزاري، كما أن الأساليب اللغوية والظروف التاريخية تساعد على نسبة الطلوع في أغلبه إلى الزياني وليس إلى المزاري[1].

وضم كتاب طلوع سعد السعود تواريخ قديمة وحديثة، ودولا كثيرة، وتوسع فشمل فترة الاحتلال الفرنسي، ثم حياة قبيلتي الدوائر والزمالة، أو المخزن، وكان المؤلف من الدوائر، و لم تحظ أي منطقة في الجزائر بعمل تاريخي كبير بهذا الحجم كما ذكر سعد الله.[2]

وكتاب طلوع سعد السعود الذي وضعه المزاري عن تاريخ وهران وباياتها ومخزنها، وضمنه عرضا بأخبار ملوك فرنسا، جعل منه موسوعة تاريخية، اشتملت على تراجم العديد من الشخصيات، وجرد لأحداث ووقائع مختلفة، مع اقتباسات متعددة، أغلبها جاء في شكل نوادر وقطع شعرية، وهذا ما أخل بتوازن المادة التاريخية، مما جعل الكتاب يبتعد عن التسلسل التاريخي والترتيب المنطقي للأحداث.

والعنوان الأصلي للكتاب هو:" طلوع سعد السعود في أخبار وهران ومخزنها الأسود" وأحيانا ترد عبارة جيشها مكان مخزنها، ولكن المحقق أو الناشر قد اختار الإضافة والإشهار للعنوان فأصبح "طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر" .

جعل ابن عودة المزاري كتابه طلوع سعد السعود في شكل مقاصد ابتدأها بمن بنى وهران واستعرض من خلالها أولياء وعلماء وهران والدول التي تعاقبت على حكمها من مغراوة وفاطميين وأدارسة ومرابطين وموحدين وزيانيين ومرينيين، وبعدها ذكر استيلاء الإسبان عليها، وعلاقتهم بحكام الجزائر، ومحاولة الأتراك استرجاعها وذلك قبل أن يتطرق إلى أوضاع بايليك الغرب وباياته وما وقع في عهدهم من الأحداث المهمة مثل ثورتي درقاوة والتيجانية.

---

[1] - Marcel Bodin : «  La brève chronique,p25.

[2]- أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 380.

وقد حشاه بمعلومات تاريخية منقولة عن غيره، أما الخامس الذي سماه عين المراد، والذي لا يمثل سوى جزء ضئيل " حوالي 50 صفحة" من المخطوط الضخم، فهو عن تاريخ أهل المخزن وأعيانهم الذين تولوا حكم الناحية الغربية في عهود مختلفة.

وبذلك يبدو الكتاب وكأنه خاص فعلا بتاريخ وهران من أقدم العصور إلى وقت المؤلف، وظهر أن في الكتاب حشوا لا علاقة له بالموضوع كحديث المؤلف عن الدول وملوك فرنسا وإسبانيا.[1]

مهد المزاري لفترة الحكم الفرنسي بذكر تاريخ ملوك فرنسا في مختلف الفترات التاريخية وتوسع في أحداث المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي وركز أساسا على جهاد الأمير عبد القادر وعلاقته بالفرنسيين وصلاته بمختلف قبائل الغرب الجزائري ووقائعه مع الجيوش الفرنسية، وذلك قبل أن يختم كتابه بذكر نسب القبائل التي كانت تشكل مخزن وهران، وفي طليعتها القبائل البحثاوية التي ينتسب إليها المزاري، وقد ذكر المزاري خطة كتابه في مستهله بقوله: " فإني لما طالعت كتاب التاريخ واجتمعت عندي منه وقائع جليلة تاقت نفسي إلى جمع تأليف جليل في أخبار وهران ومخزنها القساور ... ورتبته بإذن الله تعالى على خمسة مقاصد : الأول فيمن بنى وهران، والثاني في ذكر أوليائها، والثالث في ذكر بعض علمائها والرابع في ذكر دولها، والخامس في ذكر مخزنها وهو عين المراد والتعرض إلى سيرتها الجميلة التي لا يكون فيها الانتقاد.[2]

وأما مصادر الكتاب فكثيرة ،إذ بلغت حوالي الخمسين، فقد اعتمد ابن عودة المزاري على المصادر التاريخية التقليدية بالنسبة لأحداث الفترة الإسلامية والعهد العثماني مثل ابن خلدون، وابن خلكان، وابي راس، والزياني، فيشير إلى اسم الكاتب وقد يذكر عنوان الكاتب عندما يعمد إلى النقل مباشرة، أما الفترة المتأخرة فقد اعتمد فيها على الروايات التي جمعها والأحداث التي عاشها، وهذا ما جعل القسم الأخير من كتابه في غاية الأهمية، بينما غلب على القسم الأول السرد والنقل مع ورود أخطاء وتضارب في المعلومات، كل ذلك في لغة سهلة وبسيطة لا تخلو من أخطاء نحوية

[1]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 384.

[2]– ابن عودة المزاري: المصدر السابق، ج1، ص 51-52.

وإملائية، ويغلب عليها السجع المتكلف الذي لا يلتزم معه بقواعد اللغة، وإنما يركز على توافق أواخر الكلمات[1].

ولكن الاعتماد عليها غير متوازن أيضا، وقد اعتمد المؤلف على الكتب العربية والأجنبية، وأهم الكتب العربية المؤلفة حول الناحية هي مؤلفات أبي راس والحميري مسلم بن عبد القادر وحسن خوجة، والشقراني والزياني، وبالإضافة إلى ذلك اعتمد المزاري على مؤلفات تعرضت إلى حكام فرنسا وإسبانيا، وعلى تأليف ايسترهازي حول الحكم العثماني للناحية الغربية، ولا نعلم ما إن كان المزاري على دراية باللغة الفرنسية أو الإسبانية ليستعين بهما على تأليف عمله.

و كان مستوى التأليف ضعيف، فالمقاصد غير متوازنة في مادتها، إذ أن بعضها كان يشمل بضع صفحات، وبعضها الآخر يشمل المئات، بالإضافة إلى الحشو والاستطراد والأخطاء التاريخية، و الأخطاء اللغوية وضعف الأسلوب.

ويقدم لنا المازري رؤية جديدة لمقاومة الأمير عبد القادر، وتاريخ الدوائر والزمالة خلافا للرواية المتواترة حتى الآن، و تاريخ الانتهاء منه غير معروف، ويرجع الشيخ البوعبدلي أن يكون ذلك حوالي الستينات من القرن الماضي، ولكن وجود اسم الحاكم العام لويس تيرمان في آخر عهده 1890 يدل على أن الانتهاء منه كان أوائل التسعينات، رغم أن المكتوب لا يشمل العهد الفرنسي كله إلى نهاية التأليف[2]

ويعتبر كتاب طلوع سعد السعود من المصادر الأساسية لتاريخ الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، وفترة الحكم الفرنسي من احتلال وهران إلى حكم الوالي العام تيرمان ( 1881-1890) وإدارة محافظ وهران كارنو (1888).[3]

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني: من التراث التارخي التارخي والجغرافي، ص 569-570.

[2]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 384.

[3] - ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي، المرجع السابق، ص 570.

## المبحث الثاني: مؤرخو مدينة وهران و أخبار حكامها:

### 1- مسلم بن عبد القادر الحِميري و كتابه أنيس الغريب والمسافر:

*** المؤلف:**

هو مسلم بن عبد القادر الحميري [1] الزايري نسبة إلى القبيلة الغربية أولاد زاير الوهراني [2]، من أعيان الكتاب والإداريين في وهران، وكان لقبه باش دفتر" أي كبير الكتاب" في الإدارة المخزنية، ولا يعرف عن حياته الخاصة سوى أنه تولى في شبابه وظيفة "خوجة" للآغا المزاري أحد قواد مخزن الأتراك بنواحي وهران، قبل أن يترقى إلى منصب رئيس الكتاب "باش كاتب" لدى الباي حسن بن موسى آخر بايات وهران الذي ظل على اتصال مباشر به طيلة حكم هذا الباي للغرب الجزائري ( 1237 هـ/ -1248هـ / ).[3]

كان لمسلم معرفة بالعلوم الفقهية والفنون الأدبية [4] كما كان له موقف من قضايا عصره فقد كان ضمن القوة عسكرية التي أرسلها الباي حسن إلى الجزائر لمواجهة الفرنسيين سنة 1830، وعند عودته من المعارك غادر مدينة وهران قبل سقوطها في أيدي الفرنسيين ليستقر بعين تموشنت حيث وافته المنية في أوائل الاحتلال سنة 1248هـ/1832م كما ذكر سعيدوني[5] وأكده صادق بن قادة اعتمادا على إحدى الوثائق المعاصرة إن وفاته كانت سنة 1248 هـ/ 1832 م[6]و دفن في بلدة تارقة بمكان يعرف بسيدي المسعود.[7]

ينسب لمسلم بن عبد القادر عدة تصانيف منها نظم الجواهر في سلك أهل البصائر وهو شرح لمفردات لغوية وإيضاح لحكم منظومة، وضعه مرتبا على حروف المعجم وجعل فصوله عدد

---

[1]- الزياني: المصدر السابق، ص28.

[2]- صادق بن قادة: الذاكرة المكتوبة والتاريخ: أضواء جديدة حول شخصية مسلم بن عبد القادر الوهراني أديب ومؤرخ بايات وهران "القرن 13هـ/ 19 م"، مجلة إنسانيات، ع 3، شتاء 1997، ص 36.

[3]- ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي ، المرجع السابق، ص 470.

[4] -محمد بن يوسف الزياني: المصدر السابق، ص 62.

[5] - ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي ، المرجع السابق، ص 470.

[6]- صادق بن قادة: المرجع السابق، ص 38.

[7] - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 356.

منازل القمر حسب قوله، وطلب من أبي راس الناصري أن يشرحه، فوضع له هذا الأخير شرحا مختصرا بعنوان "إسماع الصم وشفاء السقم في الأمثال والحكم".[1]

* **الكتاب:**

عرف مسلم بن عبد القادر بتأليف في التاريخ بعنوان " خاتمة أنيس الغريب والمسافر في الطرائف والنوادر " وضعه سنة 1814، ولكنه أضاف إليه أمورا بعد الاحتلال أيضا، لأننا نجد فيه تاريخا آخر وهو 1832، ويبدو أن بقية الكتاب قد ضاعت.[2]

ركّز مسلم في كتابه هذا على أخبار وهران وناحيتها في الخمسين سنة الأخيرة التي سبقت الاحتلال الفرنسي (1192 هــ/ 1778 م – 1248 هــ / 1832م) وحاول فيه الإلمام بما حدث في عهد آخر بايات وهران وما وقع في عهدهم من الحوادث، و البايات الذين أرخ لهم هم على التوالي: محمد الكبير، وعثمان بن محمد الكبير، ومصطفى بن عبد الله العجمي، ومحمد المدعو المقلش، والفترة الثانية لمصطفى بن عبد الله العجمي، ومحمد بن عثمان المعروف ببوكابوس، وعلي قاربغلي، وحسن بن موسى[3].

يفهم مما ورد في خاتمة أنيس الغريب والمسافر أنها وضعت بغرض أن تكون فصلا ختاميا لكتاب مطور شامل في تاريخ الدول الإسلامية يتضمن اثني عشر بابا وخاتمة، استنادا إلى ما أشار إليه مؤلفه مسلم بن عبد القادر، ويبتدئ بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، وينتهي بتاريخ بايات وهران المتأخرين منذ محمد الكبير وحتى حسن بن موسى، ونظرا لعدم توفر الكتاب، فإننا نرجع أن باقي الكتاب يكون قد ضاع و لم يبق منه سوى الفصل الأخير، وهو خاتمة أنيس الغريب والمسافر، أو يكون الكتاب كله ظل مجرد خطة لم يتمكن صاحبها من إنجازها كلها، باستثناء ما وصل إلينا في صورة خاتمة، وهذا ما نرجحه لعدم ورود أية إشارة إليه من طرف معاصريه[4].

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي ، المرجع السابق، ص 471.

[2]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص357.

[3]- مسلم بن عبد القادر الوهراني: أنيس الغريب والمسافر في طرائف الحكايات والنوادر، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1974، ص 26-30.

[4]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 357.

وأما عن منهجه، فقد اعتمد مسلم بن عبد القادر على الطريقة التقليدية الموسوعية، فأدرج فيه الأمثال والحكم والقصص إلى جانب التاريخ، وذلك في أسلوب بسيط ولغة سهلة لا تخلو من مفردات عامية وأغلاط نحوية وصرفية، فجاء في مجمله عرضا تاريخيا مبسطا شاملا لأحداث يكون قد شاهدها أو سمع بها أو تعرف عليها عن قرب أو اطلع على تفاصيلها ممن عاشها، وهذا ما أكده مسلم بن عبد القادر بقوله: " وهي خاتمة نذكر فيها ما تيسر لنا من أخبار السنن الماضية في هذا القرن الذي نحن فيه وحوادثه الخاصة والعامة المشاهدة بالعيان والمطروقة بالآذان ...".[1]

التزم مسلم بن عبد القادر فيما سجله بالصدق وتحري الحقيقة والجهر بالحق، و لم يتردد في إبداي رأيه، فقد أنكر على الباي حسن بن موسى بعض تصرفاته رغم كونه كان موظفا بديوانه يعيش ضمن حاشيته مدة إحدى عشر سنة، وهي مدة حكم هذا الباي حسن بن موسى لوهران، كما آخذه على عدم احترامه للعلماء وقسوته على الرعية فذكر أنه: " في آخر عهده فسدت أخلاقه وأبطرته نخوة السلطان فصار يظلم ويتعدى كما ذكرنا من قبل ... " و لم يفت مسلم بن عبد القادر استخلاص النتائج، لا سيما وأنه عايش بداية الاحتلال الفرنسي وعرف نهاية حكم الباي حسن، فأرجع ذلك إلى ظلم الحكام وابتعادهم عن الحق ومجانبتهم للعدل.[2]

تعتبر خاتمة أنيس الغريب والمسافر مع اختصارها مصدرا مهما للتعرف على الوضع السياسي والعسكري والاجتماعي والاقتصادي للناحية الوهرانية في الفترة الأخيرة التي سبقت الاحتلال الفرنسي، والتي تميزت خاصة بأحداث مهمة، تتمثل في حلول المجاعات والأوبئة وحدوث حركات التمرد التي اشتهر منها عصيان درقاوة، الذي أولاه مسلم بن عبد القادر اهتمامه وذكر أهم المعارك التي خاضها المتمردون ضد البايليك مثل معارك أولاد الزائر وأجديرة وتافنة وغيرها فكان بذلك مرجعا للمتأخرين عنه من المؤرخين مثل ابن عودة المزاري الذي أخذ عنه في طلوع سعد السعود، والكاتب أدريان دالباش Adrien Delpech.[3]

---

[1] – ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي ، المرجع السابق، ص 471.

[2]– مسلم بن عبد القادر الوهراني: المصدر السابق، ص 113.

[3]– ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي ، المرجع السابق، ص 471

## *حسن بن أحمد خوجة بن الشريف وكتابه در الأعيان في أخبار مدينة وهران:

### * المؤلف:

هو حسن بن أحمد خوجة بن الشريف أحد الخوجات أو كتاب المخزن في وهران أيام الحكم العثماني،كان والد المؤلف أحمد خوجة أيضا من الأعيان، وأصل عائلته من مستغانم، وقد انتصب أحمد أيضا للتدريس في جامع وهران، وكان الأمير عبد القادر من تلاميذه هناك أثناء إقامة الأمير الجبرية مع والده في وهران على عهد الباي حسن بن موسى آخر بايات وهران، ويبدو من اللقب "خوجة " أن العائلة قد تكون كرغلية، أو قد تكون اكتسبت هذا اللقب بالوظيفة، [1] وصفه الزياني بقوله:" العلامة السيد حسن خوجة التركي مؤلف در الأعيان في أخبار وهران. " [2]

عاصر حسن خوجة الاحتلال الفرنسي، ولا شك أنه كان من الذين خرجوا من وهران أثناء غزوها في شتاء 1830-1831، إذ تثبت الأحداث أنه لم يبق بوهران عندئذ سوى حوالي 300 من اليهود والعجزة، وقد يكون التحق بمستغانم موطن أهله، والتي احتلت بعد ذلك بقليل[3].

### * الكتاب:

قام ألفونس روسو بترجمة مخطوط در الأعيان في أخبار مدينة وهران ونشره سنة 1855 في جريدة Moniteur algérien [4] وقد وجدنا أن المخطوط الموجود بالمكتبة الوطنية بالجزائر والذي يحمل رقم 1634 هو مفهرس باسم تاريخ بايات وهران لحسان [كذا] خوجة ، وذلك اعتمادا على الكتابة الموجودة أعلى إحدى صفحات المخطوط المكتوب على جانبه الأيسر أنه أهدي للمكتبة من قبل الفرنسي ألفونس روسو، لكن هذا المخطوط هو نفسه الذي نشر منسوبا لمسلم

---

1 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 358-359.

2 - الزياني: المصدر السابق،، ص 211.

3 - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 359.

4 - Chronique du beylik d'Oran, par un secrétaire du bey Hassan, dernier bey de la province d'Oran, insérée dans le Moniteur algérien du 30 mars 1855, numéro 1395.

بن عبد القادر تحت عنوان أنيس الغريب والمسافر، وهذه المسألة تحتاج إلى نقاش وتحليل لمعرفة جوانبها الغامضة.

اتفق جل الدارسين أن مخطوط در الأعيان لحسن خوجة يعد اليوم في عداد المؤلفات الضائعة، بعد أن استفاد منه الفرنسيون في أبحاثهم عن وهران، وكانت تلك عادتهم، أي إبادة المخطوطات العربية بعد أن يأخذوا منها ما يشاءون.

وقد يكون حسن خوجة ألف كتابه بطلب من أحد الفرنسيين، أ و يكون ألفه من وحي ظروف الاحتلال، بعد أن توقف عن نشاطه الإداري ولازم بيته، ولا شك أن له من الوثائق العائلية والإدارية القضائية ما تمكنه من أن يؤلف كتابا هاما.[1]

وقد وجدنا أن كلا من الزياني والمزاري قد أخذ من كتاب در الأعيان، كما أخذ عنه بعض الكتاب الفرنسيين أمثال : فاي و قويون .

ويبدأ مخطوط المكتبة الوطنية المبتور في الأول والأخير [2] بهذه العبارة:"...أحد ولا يملك شيئا من الدنيا ....فينوي عليه شرا ويصدونه بكلام قبيح فقدم موسى عليه السلام وكفنه وصلى عليه ودفن، وقال يا رب إني قمت بما أمرتني به في حق هذا الميت...." ثم يختم الصفحة بقوله:".. هذا ما قصدنا اختصاره من الكلام على الرجاء وما فيه عن النبي..." [3].

والصفحة التي تليها هي التي بها ما سماه :" الخاتمة في ذكر ما تيسر لنا بعون الله من أخبار بعض سني هذا القرن الثالث عشر وبعض شيء مما قبله وذكر حوادث بدت به خاصة وعامة شوهدت بالعيان وطرقت أسماعها بالآذان ...." [4]

وقد لاحظنا أن هذه العبارة وعبارات كثيرة من المخطوط موجود بنصها تقريبا في كتاب أنيس الغريب والمسافر لمسلم بن عبد القادر، فقد جاء في الصفحة الأولى من هذا الأخير العبارة

---

[1]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 358.

[2]– أنظر صورة من هذا المخطوط في الملاحق.

[3]– حسن خوجة : تاريخ بايات وهران، مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائر، رقم 1634، الورقة الأولى مما تبقى من المخطوط.

[4]–المصدر نفسه، الورقة الثانية.

التالية:" وهي خاتمة نذكر فيها ما تيسر لنا من أخبار الماضين في هذا القرن الذي نحن فيه وحوادثه الخاصة والعامة المشاهدة بالعيان والمطرقة في الآذان.." [1]

وهذه العبارة كما نلاحظ لا تختلف كثيرا عن ما ورد في مخطوط المكتبة الوطنية المنسوب لحسن خوجة.

ويبدو أن حسن خوجة قد أرخ لبايات وهران مثل مسلم بن عبد القادر وأن أحدهما قد استفاد من عمل الآخر، كما يبدو من خلال نقول بعض الكتاب أن حسن خوجة ذكر بايات وهران و ما حدث في ولاية كل واحد منهم، فقد نقل عنه الزياني اتفاقه مع صاحب أنيس الغريب والمسافر في قوله أن محمد بن عثمان باي وهران بقي في الحكم ثماني عشرة سنة"[2].

كما نقل عنه خبر الطاعون الذي حدث في عهد ذلك الباي فقال :" وحدث في أيامه الطاعون الذي ذهب قبله فمات الجل من الناس والعلماء كالعلامة الامام والفهامة الهمام الشيخ سيدي عبد القادر" [3].

وأهم ما نقله الزياني من كتاب در الأعيان التفاصيل التي أوردها حول ثورة درقاوة التي قدم فيها حسن خوجة تفاصيل دقيقة فقد ذكر مثلا أن انتصار الدرقاوي على قوات باي وهران كان يوم الأحد ثامن ربيع الأول سنة 1219 هـ/ 1804 م و قال: " ثم إن الدرقاوي لما استولى على المحلة، وعز جانبه، كتب للرعايا بالبشائر يقول لهم قد نزعنا عنكم ظلم الترك والذل والمسكنة والمغارم والمكوس " [4] ..

ونقل عنه قوله :" ولقد رأيت الجندي يأتي بثلاثة رؤوس أو أربعة ويضعها بين يدي الباي" ونقل الزياني أيضا خبر بعض الفضائع التي خلفتها فتنة درقاوة كقوله:" وإني رأيت امرأة قطع رأسها كسائر الرجال و لم ينج من فر بنفسه أو لجأ إلى ضريح الولي سيدي محمد بن عودة. [5]

---

[1]– مسلم بن عبد القادر: المصدر السابق، ص 61.

[2]– الزياني: المصدر السابق، ص 204.

[3]– المصدر نفسه، ص 207.

[4]– المصدر نفسه، ص 209.

[5] – مسلم بن عبد القادر: المصدر السابق، ص 217.

وقوله أيضا:" قال الشيخ حسن خوجة في كتاب در الأعيان: ويحكى عن الجندي انه يقبض على الأربعة والخمسة والستة الرجال ويأمرهم بقتل بعضهم بعضا إلى الآخر منهم فيقتلهم هو .."[1]

كما نقل عنه وصفه للباي حسن آخر بايات وهران بقوله:" وكان ذا عقل وافر وسياسة ورأي ناجح ورياسة ولما رآه الباي محمد الرقيق على تلك الحالة شغف بحبه إلى أن اخذ بمجامع قلبه لحسن خلقه وخلقه وأدبه ومعرفته وعفوه مغفرته ورحمته....." .[2]

وهذه العبارة وجناها بنصها تقريبا عند مسلم بن عبد القادر حيث قال:" وكان ذا عقل وافر وسياسة ورأي ناجح ورياسة، فلما رآه الباي محمد الرقيق أخذ بمجامع قلبه لحسن خلقه و وخلقه وأدبه و مغفرته ورحمته ...."[3]

ونقل هنري ليون فاي من در الأعيان العبارة التالية :" وحاصر محمد باي الملقب الكبير مدينة وهران على رأس قواته جعلها الله ذخرا ومستقرا أبديا للإسلام والسلام، وسقطت تحت حكمه في السادس من شهر رجب من سنة ست من القرن الثالث عشر [4]."

و لم نجد هذه الفقرة لا في كتاب مسلم بن عبد القادر ولا في مخطوط المكتبة الوطنية المنسوب لحسن خوجة.

كما نقل الدكتور قويون من در الأعيان خبر المجاعة التي وقعت سنة 1786 م [5] ووجدنا النص عند مسلم بن عبد القادر هكذا:" في أول توليته[ محمد الكبير] مسغبة عظيمة أهلكت فيها أمم كثيرة، حتى أكلوا الميتة والدم ولحوم بعضهم بعضا[6]."

---

[1] – مسلم بن عبد القادر: المصدر السابق ، ص 220.

[2] – المصدر نفسه ، ص 237.

[3] – المصدر نفسه، ص112-113.

[4] -Henri-Leon Fey :Histoire d'Oran avant, pendant et après la domination espagnole,typographie Adolphe Jourdan, Alger : 1858, p 264.

[5] -Docteur J.L.Guyon : Histoire chronologique des épidémies du nord de l'Afrique, imp du gouvernement,Alger :1855,p 347.

[6] – مسلم بن عبد القادر: المصدر السابق، ص 64، أنظر أيضا : حسن خوجة: المصدر السابق، ورقة 2 -3

كما نقل الدكتور قويون خبر الطاعون الذي تلا تلك المجاعة [1] " والذي مات به الجل من الناس من المدينة وخارجها، وكان الباي حينها مع أهله ومخزنه خارج المدينة، وظعنوا في خيامهم من مكان لآخر "[2].

ونفهم من هذا أن مخطوط المكتبة الوطنية قد يكون حقا من تأليف حسن خوجة، وفي هذه الحالة فإن مسلم بن عبد القادر الذي تولى وظيفة الكاتب لدى آخر بايات وهران بعد حسن خوجة، قد اقتبس نصوصا كثيرة من كتاب هذا الأخير، كما فعل المازري مع كتاب الزياني.

## 3-* محمد بن يوسف الزياني وكتابه دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران:

### المؤلف:

ينتمي محمد بن يوسف الزياني البرجي نسبة إلى برج عياش (برج ولد المخفي بناحية معسكر) إلى أسرة من الأسر العلمية والسياسية، اشتهر منها عمه العالم أحمد بن يوسف الذي كان على مستشارا للباي إبراهيم الملياني (1770هـ/1757م).[3]

عاصر الزياني الاحتلال الفرنسي وتثقف ثقافة مخضرمة، حيث تعلم بمسقط رأسه وتوسع في ثقافته بما قرأه من الكتب، وقد تولى منصب القضاء بالبرج سنة 1278هـ/1861م حسبما هو مسجل في إحدى المراسلات الموجهة إليه من طرف الحاكم العسكري الفرنسي للناحية، واستمر في هذه الوظيفة مدة طويلة، كما عين في نفس المنصب في وادي تليلات سنة 1883، ثم في سيق حيث استقر مع أسرته، و تولى أحد أبنائه الإمامة بأحد المساجد الحرة بها، وكانت لابنته حليمة مشاركة في الحياة العامة، في وقت كان من الصعب على المرأة أن يكون لها دور في النشاط

---

[1] - Docteur J.L.Guyon : Opcit ,p 348.

[2] – مسلم بن عبد القادر: المصدر السابق، ص 64، أنظر أيضا : حسن خوجة: المصدر السابق، ورقة 3 مع اختلاف طفيف في النص :" ومات به جل الناس بدوا وحضر أبادت فيه أهل الحضر حتى الباي المذكور بأهله ومخزنه في خيام الشعر ضاعنين ضعن الأعراب البالدية زمانا طويلا."

[3]– يحي بوعزيز: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة،ج2، دار الغرب الإسلامي،ط1، بيروت:1995، ص 249.

الاجتماعي، و ظل الزياني مقيما بسيق حتى وافته المنية في الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجري أي بعد عام 1320هـ/1902م على الأرجح.[1]

و لم يكن الزياني معزولا ولا مغمورا، فكتابه دليل الحيران قد استغله آخرون مثل مواطنه المزاري، كما أن الزياني كان على علاقة مع علماء الوقت مثل علي بن عبد الرحمن مفتي وهران، وهذا هو الذي كاتبه سنة 1902م حسبما جاء في تعاليق الشيخ البوعبدلي، وقد رأى هذا الأخير بعض الفتاوى للزياني، وبعض المراسلات و التعاليق على الكتب.[2]

حظي الزياني بتقدير معاصريه، لما عرف عنه من علم بأمور الدين واطلاع على التاريخ، فقد ذكره الآغا بن عودة المزاري في طلوع سعد السعود بقوله: " شيخنا الشريف الحسيني الصمداني والقدوة الرباني " وظل محمد بن يوسف على صلة ببعض علماء الجزائر مثل الشيخ علي بن الرحمن الجزائري مفتي وهران.[3]

ترك الزياني مجموعة من الفتاوى والتقاييد والمراسلات الشخصية، واشتهر خاصة بتأليفه في التاريخ المعروف " بدليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران".

* **الكتاب:**

ظل مخطوطا لفترة طويلة قبل أن يحققه وينشره الشيخ المهدي البوعبدلي، اعتمادا على مخطوط الشيخ البشير محمود البرجي، مع مقدمة مطولة عرّف فيها المحقق بمضمون الكتاب، وبعض الأحداث المهمة التي تناولها مثل حركة درقاوة.

حدد الزياني في مستهل كتابه حافزه وهدفه منه قوله: " وبعد فيقول العبد الضعيف الفاني المفتقر إلى رحمة مولاه الكريم الغني محمد بن يوسف الزياني، أن علم التاريخ والأخبار لما كان من العلوم التي ينبغي الاعتناء بها ولا تجعل في زوايا الادخار، وكان وقتنا الذي فيه يفر جيش الأعمار ... وسكت فيه أهل العلم ولازموا غض الأبصار. وفاه فيه بلسان الضلالة إلى أن سكنوا وأسكنوا

---

[1]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 372.
[2]– محمد بن يوسف الزياني: المصدر السابق، ص 16-17.
[3]–ابن عودة المزاري:المصدر السابق، ص 123.

تابعهم بدار البوار ... رأيتهم يخوضون بالجهالة والضلالة في زاخر البحار، أردت بعون الله وحوله وقوته أن أضع تأليفا كافلا بأخبار وهران، وتابعها في غاية الأسرار، وبادرت لوضعه بعد استخارة لموج النهار في الليل و في النهار، وسميته بدليل الحيران وأنيس السهران ...".[1]

والكتاب من المؤلفات التي تعرضت لتاريخ وهران و الناحية الغربية عموما منذ عدة عصور، واعتمد الزياني على النقل بصفة عامة، و لم يعالج الأمور من جهة نظره أو بناء على معطيات حديثة إلا في الجزء الخاص بالاحتلال الفرنسي أو القريب منه.

أما محتوى الكتاب فهو أساسا عن وهران ونواحيها، و يتعرض أيضا لتاريخ الجزائر عموما في العهد العثماني، وشمل ذلك الحديث عن البايات، وعن الفتح الثاني لوهران، أي استرجاعها من يد الإسبان سنة 1791، وخصص مكانا بارزا لثورة الطريقة الدرقاوية ضد بايات الغرب، معتمدا على عدة مصادر منها مؤلف مفقود لأبي راس، وكذلك الشعر الشعبي، ومثل معظم المؤلفين الجزائريين في عهد الاحتلال الفرنسي كان الزياني أيضا قاسيا على بعض البايات، فأظهر ظلمهم وتعسفهم.[2]

يتألف كتاب دليل الحيران من قسمين، الأول يشتمل على أربعة فصول ذكرها محمد بن يوسف بما نصه:"ورتبته على أربعة فصول بإتقان الأول في التعريف بوهران، والثاني في ذكر من اختطها وأي وقت ولماذا سميت بوهران، والثالث في ذكر بعض علمائها وأوليائها ومن جلب الماء لها إلى هذا الزمان مورد ضمان والرابع في ذكر من ملكها من حين أن اختطت إلى هذا الزمان".

وقد ركز المؤلف في القسم الأول على ولي وهران محمد الهواري(ت 843 هـ) وتلميذه إبراهيم التازي (ت 866 هـ) وعلى حكم أمراء مغراوة وعمال الأمويين بالأندلس، وأمراء المرابطين من صنهاجة، معتمدا في ذلك على كتاب أبي رأس الناصري المسمى عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، رغم أن هذا الأخير اعتمد هو الآخر على ما سجله ابن خلدون في كتاب العبر.[3]

---

1– ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي، ص 588.

2– محمد بن يوسف الزياني: المصدر السابق، ص 25

3–ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي ، ص 590.

أما القسم الثاني فقد بدأه بعهد السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني، وتناول فيه أيضا النزاعات بين الزيانيين والمزينيين، واحتلال الإسبان لوهران، ثم العهد العثماني الذي توسع فيه، وفي نهاية هذا القسم جعل فصلا ملفتا للنظر وهو عن دولة الفرنسيين، وقال إن الكلام على (الإفرنج) سيكون في سبعة مواضع، ولكن البوعبدلي الذي حقق المخطوط لم يظفر بمحتوى هذا الموضوع، وفي ظنه أن المؤلف توقف عن الكتابة خشية العواقب، إذ أنه لم يرد أن يتورط في إبداء رأيه في الاحتلال والنظام الاستعماري، ولجأ بدلا من ذلك إلى التنبؤات، ونفهم من هذا أن الزياني قد أكمل كتابه ولكن بطريقة غامضة.

والظاهر أن الزياني لم يقدم على كتابة ذلك الفصل حتى لا يورط نفسه مع الإدارة الفرنسية، أو أنه هذا الفصل اقتطع من الكتاب وأصبح موضوع تأليف آخر، إن لم يكن هو مضمون الكتاب الذي نسب إلى أبي رأس الناصري بعنوان: "أقوال التأسيس عما وقع وسيقع من الفرنسيين"، أو عجائب الأخبار ذات التأسيس فيما وقع وسيقع للفرنسيين" والذي هو عبارة عن مصنف في ذكر أصل الفرنسيين وتاريخهم مع إشارات وتنبؤات بما سيقع من الفرنسيين وما يؤول إليه أمرهم بالجزائر.

ومما يدفع على القول بأن الزياني نسب هذا الفصل الأخير وهو (أقول التأسيس) إلى أبي رأس ليتجنب متابعة الإدارة الفرنسية لما ورد فيه من أحكام وتنبؤات لا تخدم الإدارة الفرنسية لكون أبي رأس الذي ظل يحضى بثقة العامة، والذي توفي بسنوات قبل الاحتلال الفرنسي لا يمكنه أن يكتب عن أحداث ووقائع متأخرة عنه، وما يدعم رأينا هذا هو محاولة الإدارة الفرنسية منع تداول كتاب أقوال التأسيس، وسعي رجالها لمصادرة بعض النسخ الموجودة منه لدى بعض الطلبة باعتباره معاديا للفرنسيين، ومحذرا للجزائريين مما يؤول إليه أمرهم جزاء هذا الاحتلال.[1]

أما الكتب التي اعتمد عليها الزياني في كتابه فهي مؤلفات ابن خلدون وأبي راس، وحسين خوجة، ومسلم بن عبد القادر الحميري، ويبدو من مقدمة الكتاب أن الزياني كان متحمسا لموضوعه، وكأنه جاء لتصحيح خطأ شائع حول بناء وهران وما قيل في تاريخها، ويذهب

[1]–أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 370.

البوعبدلي الذي حقق دليل الحيران إلى أن الزياني قد اعتمد على المشافهة أيضا، ورجع إلى الأدب الشعبي، وكان أسلوبه يعتمد السجع بكثرة، رغم عدم احترام قواعد اللغة.[1]

اعتمد الزياني التقسيم المنهجي لمادة كتابه دليل الحيران، فرتب فصوله حسب الدول التي حكمت وهران وكانت لها سلطة على الناحية الغربية للبلاد الجزائرية، لكنه لم يستطع تغطية تلك الفترة الزمنية كلها، مما جعل الكتاب يفتقر إلى التوزيع المتوازن للمادة التاريخية، فهو يكاد يهمل فترة مهمة من تاريخ وهران على عهد المرابطين والموحدين والزيانيين، قد تكون ضاعت من الكتاب في الوقت الذي ينصب اهتمامه على الإسبان وحكمهم لوهران، ويحاول الإلمام بتفاصيل الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر، سواء بالنسبة للباشوات بالجزائر الذين حدد عددهم بخمسة وسبعين أو البايات الذين أوصل عددهم إلى ثلاثة وثلاثين بايا.[2]

ومما أنقص من قيمة العرض الشامل لتاريخ وهران وناحيتها إهمال الزياني لفترة الحكم الفرنسي، واكتفاؤه بعقد عنوان للدولة التاسعة وهم الفرنسيون (الإفرنج) وهذا ما ضيع على القارئ فرصة التعرف على أحداث هذه الفترة التي عايشها المؤلف، وتأثر بها وكانت له نظرته الخاصة إليها.[3]

وبغض النظر عما تميز به أسلوب دليل الحيران من ضعف، وما داخل لغته من عبارات دارجة وأخطاء في قواعد اللغة، فإن ما اشتمل عليه من معلومات تاريخية، يكسبه أهمية خاصة ويجعل منه مصدرا تاريخيا رئيسيا، إذ استند في تاريخه للفترة الإسلامية إلى العديد من الكتب التاريخية التي ظلت متفرقة وصار من الصعب الرجوع إليها.

ولعل ما نقله عن أصل مغراوة يقدم لنا نموذجا لطريقته في تسجيل الخبر دون إخضاعه للمراجعة والتحري، بينما في الفترة المتأخرة من الفترة العثمانية، لم يكتف الزياني بالنقل وإنما تحرى أخبارها وتتبع وقائعها عن كثب، مما جعلها تكتسي أهمية خاصة، فهي تقدم عرضا مفصلا ووصفا دقيقا للحياة السياسية والإدارية والاجتماعية للبلاد الجزائرية بصفة عامة ، وبايليك الغرب

[1]–محمد بن يوسف الزياني : المصدر السابق، ص 18.

[2]–ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي، المرجع السابق، ص 590.

[3]– المرجع نفسه، ص 591.

بصفة خاصة، ففي تمرد درقاوة لم يكتف المؤلف بما كتب عنه، و لم يقتصر على نقل ما جاء في در الأعيان في أخبار مدينة وهران لحسن خوجة، وخاتمة أنيس الغريب والمسافر لمسلم بن عبد القادر، ودرء الشقاوة في فتنة درقاوة لأبي راس الناصري، بل رجع في تاريخه لهذه الحركة التمردية إلى أقوال الرواة وانطباعات الشهود، وما نظم فيها من شعر، فجاء موقفه محايدا ونظرته شاملة لتلك الحركة التمردية التي حاول جل من كتب حولها وصفها بالفتنة والخروج عن الجماعة والإضرار بالمصلحة العامة.[1]

حاول الزياني تجاوز الخبر وعرض الوقائع إلى إبداء الرأي وتحديد الموقف بالنسبة للحكم العثماني خاصة، ولعله في ذلك كان متأثرا بالنهاية المأساوية لهذا الحكم وما أعقبه من مقاومة للاحتلال الفرنسي، فقد أرجع نهاية الوجود الثماني والقضاء على الدولة الجزائرية على يد الفرنسيين إلى تصرفات بعض بايات وهران الذين كثر ظلمهم وفسادهم وعتوهم وعنادهم، حسب قوله، وقد حمل آخرهم وهو الباي حسن بن موسى مسؤولية ما انتهى إليه أمر الجزائر من احتلال وغزو، وندّد بتصرفاته وشهر بظلمه وتعسفه وذكر أنه: "صار مهما مات أحد وهو ذو مال ومكوس إلا صير نفسه واحدا من ورثته فيأخذ حصة معهم على عدد الرؤوس"، كما ذكر عنه أنه: "كثر عبثه وظلمه وتعديه واجتراؤه على العلماء والأعيان والرعية".[2]

انتقد البوعبدلي كتاب الزياني من عدة وجوه، منها الاعتماد على النقل الكثير، ومنها عدم إبداء الرأي فيها ينقل، مما جعله أحيانا ينقل الأخطاء كما هي، و كان الزياني لا يخضع لقواعد العربية، ويتخذ أسلوب السجع.

أما مزيته فتظهر في أنه جمع في كتابه ما كان متفرقا، بل ما أصبح مفقودا مثل" درء الشقاوة" لأبي رأس، ودر الأعيان لحسن خوجة، ومن مزايا كتابه أيضا تعرضه لأحداث المغرب الأقصى، ومن جهة أخرى ضم كتابه تراجم لعلماء وملوك وأعيان، ولكن بعضهم كان معروفا، مثل ترجمة إبراهيم التازي، مما جعل الشيخ البوعبدلي يختصرها لأنها معروفة في غيره[3] .

---

[1] - ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي، المرجع السابق، ص 590

[2] - محمد بن يوسف الزياني : المصدر السابق، ص 252.

[3]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 373.

لم تخف أهمية كتاب دليل الحيران على المهتمين بتاريخ الناحية الغربية من البلاد الجزائرية، فقد أخذ الكثيرون عنه، واستشهد به الآغا بن عودة المزاري في طلوع سعد السعود الذي قد يكون جزء منه نقلا حرفيا عن دليل الحيران [1].

## * المبحث الثالث: في تاريخ ندرومة ومازونة ومليانة:

### 1-* حمزة بن رحال و تاريخ ندرومة:

#### * المؤلف:

هو حمزة بن البشير بن أحمد بن علي بن رحال الندرومي [2] ولد بتلمسان سنة 1812، ودرس بجامع القرويين بفاس على يد الشيخ التسولي، وعدد من مشايخ العلم بفاس، ولما سمع بوفاة والده عاد إلى تلمسان، التي تولى بها مهام العدل بالمحكمة، ثم ارتقى إلى منصب قاضي الجبايات بتعيين من الأمير عبد القادر ، ومع وصول القوات الفرنسية إلى المدينة هاجر سكانها ومن بينهم عائلة بن رحال، وسرعان ما لحق بها حمزة بعد مدة قليلة، واستقر بمنزل في الحي المعروف بحي الموحدين، ثم عين بعدها من طرف الأمير عبد القادر إماما خطيبا بندرومة، ثم قاضي محكمة المدينة في سنة 1255 هـ/ 1840 م، وكان لا يزال يشغل ذلك المنصب حين غزت القوات الفرنسية المدينة بقيادة الجنرال بيدو في 8 مارس 1842 وقام هذا الأخير بأخذ ستة رهائن من تلمسان كان من بينهم حمزة بن رحال وصهره الحاج محمد بوزيان الغماري قايد المدينة.

وعاد حمزة بن رحال إلى تلمسان حيث عهد له الجنرال رينو بمهام خطيب وقاضي بها في الخامس من رمضان من سنة 1263 هـ/ 1848 م، وفي شهر ديسمبر من تلك السنة استسلم الأمير عبد القادر وقابله حمزة في الغزوات Nemour ومثّل مصالحه عند تصفية أملاكه من طرف مصالح الأملاك العامة الفرنسية " الدومين " [3].

وفي 4 جوان 1849 غادر حمزة بن رحال الجزائر متوجها لأداء فريضة الحج، وعاد بعد ثمانية أشهر ليستعيد مهامه التي تكفل بها أخوه عباس، ثم عين بعدها في منصب آغا ندرومة في 29

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص 590.

[2] – محمد بن العابد الجلالي : تقويم الأخلاق ، المطبعة الجزائرية الإسلامية بقسنطينة، 1927، ص 62.

[3] - Gilbert Granguillome: Nedroma ,l'evolution d'une medina ,edition Brill, Leyden,1976, p 162.

رمضان من سنة 1276 هـ/ 1859 م من طرف العقيد Beauprétre القائد الأعلى لقطاع نيمور ثم منح وسام فارس جوقة الشرف في 7 جوان 1865 من طرف نابوليون الثالث عند زيارته لوهران ، وكان حمزة ذا نشاط فكري ملحوظ وكانت لديه مكتبة ثرية [1] وكان من أعضاء لجنة قاستنبيد Gatambid سنة 1865 التي كلفت بدراسة مشاكل المجالس القضائية [2] وفي سنة 1878 أحيل حمزة بن رحال إلى التقاعد من المجلس القضائي بسبب موقفه المعادي للنظام المدني[3].

* **الكتاب:**

في سنة 1848 حرّر حمزة بن رحال تقييدا بالعربية سماه :" تاريخ ندرومة "وقام ابنه مَحمد بن رحال بترجمته إلى الفرنسية، وهذا ما جاء في آخره "بدأ وكمل في شهر ربيع الأول من سنة الرحمة 1264 هـ/ كتبه خادم ربه، الفقير امحمد بن رحال رحمه الله آمين"[4].

ولكن هذه الترجمة ظلت مخطوطة حتى قرّر جوزيف كانال نشرها ضمن دراسته عن منطقة ندرومة في مجلة الجمعية الجغرافية والأثرية لوهران سنة 1888.[5]

على الرغم من صغر تقييد ابن رحال إلا انه امتاز بدقة سرد الأحداث التاريخية، وتحليل ونقد بعض الأخبار التي أوردها المؤرخون دون تمحيص.

ويعتمد المؤلف في التأريخ لندرومة في العهد الموحدي على كتاب روض القرطاس، ويقدم معلومات عن الأحداث التي وقعت بها في تلك الفترة فيقول مثلا إنه في سنة 554 هـ/1159 م قام عبد المؤمن بن علي بإخضاع البلاد المعروفة بإفريقية ووسع مملكته لتمتد من برقة إلى تلمسان.

وأضاف أنه في سنة 555 هـ/ 1160 م جمع عبد المؤمن جيشا عظيما غزا به المغرب الأقصى وفي طريقه من وهران إلى تلمسان طلب من القبائل العربية المنضوية تحت لوائه الرجوع لموطنها، وسرد المؤلف تفاصيل كثيرة عن غزوات الموحدين .[6]

---

[1] Gilbert Granguillome: -Opcit,p 161 .

[2]- سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج 4 ص 442.

[3]- عبد القادر جغلول: تاريخ الجزائر الحديث دراسة سوسيولوجية ، ط2، تر: فيصل عباس، دار الحداثة، بيروت: 1982، ص67.

[4] - Joseph Canal : « Monographie de l'arrondissement de Tlemcen,Nedroma et les Trara »,in B.S.G.A.O,t VIII 1888 ,p 217.

[5] – Ibid,p 212.

[6] - Ibid,p 212-213.

وأما عن تأسيس ندرومة، فقد ذكر أنه وقعت محاولة اغتيال لعبد المؤمن بن علي، ولكن المرابط أحمد البجائي علم بها و تدخل لإنقاذ الخليفة الموحدي وفداه بنفسه، وذكر المؤلف أن جثمان ذلك المرابط قد حُمل على ظهر ناقة ودفن حيث بركت الناقة، وذلك حسب وصيته تقليدا منه ربما لحادثة بناء المسجد النبوي في المدينة.

وأفاد المؤلف أنه تم بناء ضريح لهذا الولي، وأمام الضريح تم بناء مسجد، وبعد ذلك بنيت المدينة التي عرفت بندرومة، التي سكنتها في بادئ الأمر أكثر العناصر الهائجة في جيش الموحدين ، وقال المؤلف أن هذه الرواية قد أوردها صاحب روض القرطاس.

وهنا تدخل المؤلف لطرح تساؤل هام هو : هل أن عبد المؤمن هو مؤسس ندرومة؟ أم أنه فقط قام برفعها من الأنقاض؟ وهو يرجح الرأي الثاني، باعتبا ر أن نواحي ندرومة بها بنايات قديمة ترجع لفترات أسبق من الموحدين.

ويقول أن تحصينات المدينة الحالية — أي في عهده سنة 1847- في المقابل تعود للعهد الموحدي، ولكن سور المدينة أسبق تاريخيا من فترة قدوم الفاتح الموحدي، وقال أن المدينة كانت تشغل حيزا جغرافيا أكبر مما هي عليه اليم بالنظر لمحيط السور[1].

وينتقل المؤلف بعد ذلك إلى فترة ما بعد عبد المؤمن، وتداعي الدولة الموحدية، وبقاء ندرومة في تبعيتها مدة خمسين عاما.

وفي بداية القرن 7 هـ/ 13 م قام جابر بن يوسف حاكم تلمسان بحصار ندرومة، ولكنه قتل أثناء الحصار قرب أسوارها، فرفع الحصار، وظلت المدينة مستقلة حتى العهد المريني حين قدم هارون بن موسى لاحتلالها وضمها لدولة بني مرين.

ويذكر المؤلف الصراع الذي دار بين المرينيين والزيانيين للسيطرة على ندرومة، وإجلاء كل طرف للطرف المنهزم، وتعرض لأعمال السلب والنهب والتخريب التي شهدتها المدينة بفعل ذلك، ويقول أن المدينة قد خضعت بصفة نهائية للزيانيين، وصارت في عهدهم ذات أهمية كبيرة وعاصمة لعمالة إدارية ضمت إضافة إلى ندرومة كلا من الطرارة والسوحالية والجبالة ومسيردة وكل قبائل قيس[2].

---

[1] - Joseph Canal : : Opcit,p 213.

[2] - Ibid, p 213-214.

وانتقل المؤلف بعد ذلك للفترة التركية، وقال إن الأتراك قد استغلوا حالة الضعف الشديد الذي كانت تعرفه الدولة الزيانية، ففرضوا تواجدهم بالمغرب الأوسط، ويرى أن هؤلاء الأتراك قد جلبوا الطغيان والقسوة، وأن مدينة ندرومة لم تنعم في عهدهم بالراحة لحظة واحدة.

وأشار لغزو المولى إسماعيل العلوي للغرب الجزائري ومنه ندرومة ،ونهاية ذلك الغزو بعقد الصلح مع داي الجزائر، وأكد أن الحامية العسكرية التركية التي نصبت في ندرومة كانت تعامل سكان المدينة بقسوة، وذكر غزو الداي-الذي لم يذكر اسمه- لندرومة ومهادنة الأهالي له عبر تقديم الهدايا الثمينة.

وذكر أن المدينة حدثت بها اضطرابات وانقسم سكانها على إثرها إلى قسمين: الأول مؤيد للعلويين والثاني مؤيد لداي الجزائر، مما جعل هدا الأخير يجهّز حملة على المدينة، ويترك العنان لجنوده للقيام بأعمال السلب والنهب.

وانتقل المؤلف بعدها للحديث عن محاولة السلطان سليمان العلوي غزو الناحية الغربية للجزائر أواخر العهد العثماني، ثم عقد الصلح بينه وبين الداي، وذكر إحدى المعارك التي خاضها أهالي ندرومة إلى جانب الأتراك ضد بعض القبائل المجاورة[1] .

وخصص فقرة للحديث عن أهمية ندرومة كعاصمة لبايلك الغرب لفترة، فتحدث عن بعض المصنوعات التي اشتهرت بها كالقماش القطني والصوفي والخزف والأحذية، ونشاطها التجاري الكبير وسوقها الذي يرتاده كما ذكر قرابة الأربعة آلاف شخص من وجدة ومغنية وتلمسان .

وانتقل للحديث عن الغزو الفرنسي، وبيّن موقف السكان الرافض لبيعة الأمير، وقرارهم طلب تدخل سلطان المغرب، وخضوع المدينة للأمير، وتعيينه لحاكم طرده أهلها بعد ذلك ليتدخل الحاج مصطفى بن التهامي خليفة الأمير ويعيده لندرومة ليحكمها حتى عام 1258 هـ/ 1842 م حين استولى الفرنسيون عليها، وقدوم الجنرال بيدو رفقة فرسان الدواير.

---

[1] - Joseph Canal : Opcit ,p 214-215.

وذكر أخد الفرنسيين لعدد من الرهائن من ندرومة، حتى يضمنوا عدم استدعاء أهلها للأمير وقيام هذا الأخير بمحاولة استعادتها، ومواجهة الفرنسيين له في المكان المسمى باب تازة قرب ندرومة.

وتحدث عن وصول الجنرال كافينياك الذي جاء ليخلف الجنرال بيدو، وقيامه بوضع تنظيم إداري محكم، وتنصيبه لأحد الأهالي برتبة آغا على ندرومة يكون تحت سلطته كل من بني منير وبني مسهل، وأن هدا الآغا كان مكلفا بتقديم تقرير عن كل ما يجري في مدينة الغزوات التي كانت في طور النشوء[1].

وهكذا فقد ضم تقييد الشيخ حمزة بن رحال معلومات تاريخية هامة عن مدينة ندرومة منذ الفترة الإسلامية وحتى عهده هو، وامتاز التقييد بالدقة والتحليل كما رأينا.

## 2-* يوسف لوكيل وكتابه مازونة العاصمة القديمة للظهرة:

### * المؤلف:

هو يوسف بن محمد الشيخ بن عبد القادر بن محمد بن مصطفى بن بخدة ينتمي لعرش بوماتع ولد سنة 1884 بمازونة، تلقى تعليمه بالمدرسة الفرنسية ثم تابع دراسته بمدرسة المعلمين ببوزريعة ثم بقسنطينة وسافر لفرنسا لمواصلة دراسة الحقوق[2] و قد اشتغل في الإدارة الفرنسية فكان مترجما احتياطيا في الإدارة، ولعله كان يعمل في سلك القضاء كما ذكر سعد الله.[3]

### * الكتاب:

كان المؤلف قد نشر بعض المقالات في جريدة الأخبار عن مازونة، ثم جمعها ونشرها في هذا الكتاب الذي يعتبر من المؤلفات الاجتماعية، ويصنف ضمن المونوغرافيات أي الصور العامة عن المدن. [4]

---

[1] - Joseph Canal : : Opcit, p216-217.

[2]- محمد مفلاح : أعلام من منطقة غليزان ، دار المعرفة ، الجزائر 2009 ، ص 141.

[3]- أبو القاسم سعد الله : تاريخ ثقافي ، ج 7 ، ص 385.

[4] -Y.Loukil : L'Algérie racontée et décrite par les indigènes,Mazouna ancienne capitale du Dahara,Alger,imprimerie algérienne 1912, 50 p.

وقد نشر هذا الكتاب سنة 1912 وجاء مزينا ببعض الصور، ووضّح المؤلف أن هدفه هو التعريف بماضي إحدى المدن الهامة التي يقيم بها الأهالي، وتعريف الفرنسيين على الخصوص بطبائع هؤلاء الأهالي في معيشتهم، ومعرفة الجوانب المختلفة من حياتهم للتقريب -كما قال- بين المجتمعين " الأهلي والأوروبي " اللذين لطالما فرقت بينهما الحوادث التاريخية[1].

وجاء تقسيم الكتاب على النحو التالي: التاريخ والجغرافيا والطرق الصوفية والعادات والتقاليد.

واعتمد المؤلف على ما قاله ابن خلدون من أن مازونة قد أسستها قبيلة مغراوة في القرن السادس الميلادي، وأنه لخصوبتها وأهمية موقعها قد تداول عليها الطامعون، كبني هلال الذين استولوا عليها، ومن بعدهم بمدة طويلة خضعت المدينة للأتراك العثمانيين، وصارت عاصمة لبايلك الغرب، وصارت في ذلك العهد مركز علميا وتعليميا، ومحطة لأهل الأندلس الذين تركوا فيها بصماتهم الحضارية[2].

وعرفت المدينة في العهد الفرنسي عدة أحداث منها أحداث الظهرة الشهيرة، و ثورة 1845 حين قاد بومعزة حملة ضد الفرنسيين أو التدمير الذي عرفته قبيلة أولاد رياح "غار الفراشيش" في نفس السنة على يد العقيد بيليسييه Pellissier [3].

وإضافة للمعلومات التاريخية التي جمعها لوكيل فقد قدّم معلومات عن جغرافية المنطقة وتضاريسها، و افترض أنها بنيت في فترة قديمة، وأن العرب أعادوا بنائها من جديد.[4]

وفي القسم الثالث من الدراسة وضّح المؤلف أن مازونة عرفت تراجعا في مكانتها السابقة خلال العهد الفرنسي، ورغم ذلك فقد صارت مركزا دينيا لعدد من الطرق الصوفية التي يقيم مقدموها بها، و يوجد بها خمس مساجد كبرى مع مدرسة قديمة جدا تضم مكتبة بها نفائس الكتب.[5]

---

[1] - Y.Loukil :Opcit, p1-3.
[2] - Ibid, p 5-10.
[3] - Ibid, p 10-16.
[4] - Ibid, p 16-23.
[5] - Ibid, p23-30

وبالكتاب بعض المعلومات عن العادات والتقاليد الشعبية بالمدينة التي كان أهل مازونة لا يزالون يحتفظون بها ويظهرون اعتزازهم بها[1].

وهكذا جاء كتاب لوكيل ثريا بالمعلومات التاريخية الهامة حول مازونة وقدم —رغم صغر حجمه– صورة دقيقة عن هذه المدينة باعتبار مؤلفه من أهل المدينة، وخبيرا بشؤونها، وقد ذكر بوفا أن الكتاب يستحق الثناء و التقدير شكلا ومضمونا[2].

## 3-* عبد الله بن قوشيح وتاريخ قبيلة ريغة بمليانة:

### * المؤلف:

كانت منطقة مليانة تتبع لبايلك الغرب في العهد العثماني، رغم قربها من إقليم الوسط ولذلك وضعنا هذا التأليف هنا ، والمؤلف هو عبد الله بن قوشيح الملياني أحد أعيان المنطقة، وله اطلاع واسع بالأحداث، وهو ما جعل أحد الضباط الفرنسيين وهو جوليان يعتمد كثيرا على رواياته بصفته مقربا من مراكز اتخاذ القرار، فوالده كان صديقا لحاكم مليانة، كما لعب هو نفسه دورا بارزا في أحداث المنطقة، مما جعل روايته للأحداث تحضى بالمصداقية حتى عند الفرنسيين.[3]

والمؤلف هو من كبار أعيان قبيلة ريغة بمليانة سنة 1856، وقد ترجم تقييده الذي ألفه بالعربية الضابط الفرنسي جوليان ونشره بالمجلة الإفريقية.

استهل المؤلف تقييده بالحديث عن حلفاء قبيلته وأعدائها، فذكر من حلفائها بني فراح والشنوة وسوماطة وجندل ومطماطة وبني زقزوق وبني غمريان، وأما أعدائها فهم حسبه الأتراك أولا ، يليهم بني جناد وبني مناصر وبوحلوان والحشم وأهل مليانة" ويقصد بهم الحضر"[4].

ويقول أن قبيلته لم تكن خاضعة للأتراك، ولا تدفع لهم بالتاي أي مقدار من الضريبة، وكان أفراد القبيلة رغم دلك يرتادون سوق مليانة الذي كان حينها محاطا بالجنود الأتراك، وذكر

---

[1] - Y.Loukil : Opcit, p 31-45.
[2] - L.Bouvat : Une petite ville d'Algerie, in R.M.M , tome 7(1913 ) p 332.
[3] -Julienne : Les Rir'a de la subdivision de Miliana, in Revue africaine n°1(1856)p 281.
[4] -Ibid, p 282.

المؤلف إقدام الأتراك بعد ذلك على تدبير غزو القبيلة، وعلم أعيان هذه الأخيرة عن طريق حاكم مليانة وهو صديق والد المؤلف، وفراره الكثير منهم تاركين أملاكهم التي سلبها الغزاة.

ويفيد نص المخطوط وجود عدد من الكراغلة في القبيلة وغدرهم بأهلها عند قدوم الأتراك لغزوها، ويذكر وقوع عدد من القتلى من جانبهم وأسير البعض كذلك، ثم يتحدث عن إرسال الداي عمر باشا أمرا لباي الغرب علي وباي التيطري مصطفى بومزراق وإلى خوجة الجزائر لغزو قبيلة ريغة، ثم يقول أن قوات الأتراك عند وصولها لقبيلة منحت الأمان لسكانها، لكنهها لجأت بعد دلك لنفي أهلها من أراضيهم فأقاموا أولا بعين السلطان، ثم ساروا مسيرة طويلة مات على إثرها عدد منهم، وأظهر القايد المجدوب بن محمد بن يحي تفانيا كبيرا في الحفاظ على معنويات أهل قبيلته[1].

ويفيدنا مخطوط بن قوشيح أيضا أن عددا من أفراد قبيلته حصلوا على ملاذ لهم عند بعض القبائل التي مروا بأراضيها، وواصل البقية المسير حتى أرزيو، وقام باي وهران بمنحهم أبقارا وأغناما وماعزا وأراضي للزراعة، وأقاموا أربع سنوات ثم قرروا مراسلة داي الجزائر لالتماس العفو وكان من ضمن الوفد والد المؤلف عبد الله بن قوشيح[2].

وذكر صاحب التقييد أن الباشا طلب من الوفد تقديم قائمة بأسماء رجال ريغة الذين توزعوا في عدد من القبائل، وذكر أن البقية لا يمكنهم العودة لأراضيهم إلا بعد مرور خمسة عشر عاما، ودوّن الباشا ذلك -كما قال المؤلف- كتابيا في سجل خاص.

وذكر المؤلف أن قبيلته عادت بعد انتهاء مدة نفيها، وعند اقترابها من شرشال للعودة إلى جبل زكار نزل الفرنسيون بسيدي فرج ومعنى هدا أن النفي تم سنة 1815 وهي سنة تتوافق مع حكم عمر باشا كما جاء في التقييد[3].

وهنا تنتهي هده الرواية التاريخية الهامة التي دونها صاحبها عن تاريخ قبيلته، وما جرى لها على يد الأتراك حتى الاحتلال الفرنسي ، وتبين هذه الرواية الدور السياسي لقبيلة ريغة وموقف

---

[1] - Julienne : Op.cit, p 283.

[2] - Ibid, p 284.

[3] - Ibid, p 284.

أعيانها من الأتراك، وعلاقتهم ببعض الفئات كحضر مليانة والكراغلة الذين كانت علاقتهم بهم سيئة بسبب اختلاف المصالح.

وختاما لهذا الفصل نقول إن الغرب الجزائري حضي بكتابات هامة لاحظنا أن حجمها وأهميتها تفوق تلك المدونة عن الشرق الجزائري، ولعل ذلك مرده إلى الاستقرار الذي حضيت به المنطقة منذ فترة مبكرة على عكس إقليم الشرق الجزائري الذي استمرت حالة الفوضى والحروب به لمدة طويلة و من المعلوم أن الاستقرار السياسي هو أهم عامل لازدهار أي حركة الثقافية، بما فيها حركة التدوين التاريخي.



## الفـــصـــل السادس: مؤرخو الصحراء:

1 ـ مؤرخو وارجلان.

2 ـ مؤرخو ميزاب.

3 ـ مؤرخو توات.

4 ـ مؤرخو سوف.

سنحاول في هذا الفصل رصد التآليف التاريخية التي اهتم أصحابها بالتاريخ المحلي للصحراء الجزائرية، ويشمل ذلك أربعة مناطق هامة هي ورقلة وميزاب وتوات وسوف، وهي المناطق التي وجدنا مؤلفات تاريخية حولها، وقد يكون لباقي المناطق الصحراوية تقاييد تاريخية ألفها علماؤها سيكشف عنها البحث التاريخي بعد مدة زمنية.

## المبحث الأول : مؤرخو وارجلان:

### 1-* محمد الإدريسي وكتابه تاريخ بني جلاب ملوك تقرت:

#### * المؤلف:

هو الحاج محمد الإدريسي الذي شغل منصب إمام لدى الأمير عبد القادر، ثم إمام لدى الشيخ سليمان بن جلاب سلطان تقرت في عهد الاحتلال الفرنسي، ويبدو أن المؤلف قد اكتسب معرفة كبرى ومعمقة بتاريخ إفريقيا، وقد أرجع أصل بني جلاب إلى الأمير جلاب الظاهر، وهو من ذرية الأمير سعيد، من أسرة بني مرين سلاطين فاس، أخ السلطان المريني أبو سعيد الذي اغتيل في عاصمته سنة 1409 مع ستة من أبنائه ووزيره الأول أبو بابا، وقد شارك المؤلف في ثورة عرب الأغواط، وقُتل سنة 1852 في معركة ضد الفرنسيين.[1]

#### * الكتاب:

قام القس الفرنسي بارجيس بترجمة هذا المخطوط إلى الفرنسية ونشره بعنوان" جدول تاريخي حول سلالة بني جلاب بتوقرت" ، والكتاب أُلف أصلا بالعربية، وذكر مؤلفه في آخره تاريخ تدوينه وهو سنة 1268 هـــ/ 1851 م وتم ذلك في تقرت.

استهل المؤلف كتابه بقوله:" الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من نبي بعده" ثم قال إنه سيسرد سيرة ملوك بني جلاب، الذين نلاحظ أنه يسميهم تارة الأمراء وتارة المشايخ، وقد

[1] -L'Abbé Barges : Tableau historique de la dynastie des Ben Djellab sultans de Tougourt, par l'imam Cid El Hadj Mohamed ElIdrisi,in revue de l'Orient de l'Algérie et des colonies,t3,Just Rouvier,Paris 1853, p 220.

امتازوا حسبه بالعدل والإنصاف مع الناس، وأبدى إعجابه بهؤلاء الملوك الذين ينحرون من السلالة المرينية بالمغرب الأقصى.[1]

وقال إنه سيذكر أسمائهم وأصلهم، وتنظيم توارثهم للعرش منذ ظهورهم وحتى عهده هو، وعاد فأكد مرة أخرى تعلقه بهؤلاء الملوك بسبب فضائلهم كما قال، وأنه يكنّ لهم كل الود والاحترام، وذكر أن ازدهار مملكتهم جلب لهم خضوع وإخلاص رعاياهم.

وكتابه هذا كما قال هو لمحة عن هؤلاء الملوك، ووضع الخطوط الكبرى لملكهم وتوارثهم على العرش، وعن مصادره فقد قال إنه اعتمد على " مؤرخين جديرين بالثقة " لكنه لم يذكر أسمائهم، وقال عن منهجه إنه اتبع منهج العلماء من سابقيه، سواء الذين كانوا في بلده أم في بلاد أخرى، ومن الذين ألفوا ليحضوا برضى حكامهم أو رغبوا فقط في كتابه تاريخ أسلافهم.

واستهل قائمة هؤلاء الحكام بذكر الأمير عبد القادر الحليم بن الأمير إبراهيم بن الأمير عبد القادر الماهر بن إبراهيم الأمير جلاب الظاهر بن الأمير أحمد الشهيد بن الأمير جلاب الرشيد بن الأمير سعيد المريني.

وقال أن الحكم انتقل إلى ذلك الأمير بالتوارث وصولا إلى الأسرة المرينية بالمغرب الأقصى، وذكر أن ذلك الأمير وفد من فاس، وفرض سيطرته على وادي ريغ في كامل امتداده، وحكم تلك المنطقة برضى سكانها، وأنه أقام العدل ودحر الظلم في مملكته حتى آخر حياته، وأنه دفن بسيدي خليل، ثم قال أن حكم البلاد انتقل من حاكم لآخر، حتى وصل لحاكم توقرت في عهده وهو الشيخ سليمان[2].

وعاد المؤلف فذكر أعمال الأمير عبد القادر الحليم، وانتقال الحكم بعده لأخيه الشيخ خالد الذي حكم مدة ثم آل الحكم بعد وفاته إلى الشيخ محمد بن سليمان، وبعده حكم الشيخ محمد الأكحل، ثم آل الحكم لأخيه الذي لم يذكر اسمه، ثم آل الحكم للشيخ إبراهيم الذي ذهب للحجاز ومات بها وترك ولدين هما : الشيخ عبد القادر والشيخ أحمد اللذين تركا البلاد بعد وفاة والدهما[3].

---

[1] -L’Abbé Barges : Op.cit, p 221.
[2]- Ibid, p 222.
[3] -Ibid, p223.

ومضى الإدريسي يعدد ملوك بني جلاب، وقد لاحظنا أنه لم يبدأ في تقديم تواريخ حكمهم ووفاتهم إلا ابتداء من عهد الحاكم الشيخ عبد القادر بن إبراهيم الذي تولى عام 1137 هـ/1724 م وظل في الحكم سبع سنين كما قال.

أما الملوك الأوائل الذين ورد ذكرهم، فقد كان يقول عن كل واحد منهم أنه حكم ما شاء الله أن يحكم ثم توفي في المدة التي قضاها له الله، ولعل ذلك راجع لبعد الفترة زمنيا وقلة المصادر التاريخية حولها.

وفي الفترة الممتدة من سنة 1137 هـ/ 1724 م وحتى عهد هو سنة 1268 هـ/1851 م فإن المؤلف يقدم تواريخ دقيقة ومضبوطة للأحداث التاريخية، من تولية وعزل ووفاة، معتمدا في قسم منها على المصادر التاريخية، وفي القسم الأخير منها على معاصرته هو للأحداث، وهذا هو القسم الذي يستحق التنويه من كتابه، إذ برز فيه بوضوح منهجه التاريخي المعتمد على الترتيب الزمني للأحداث[1].

ويلاحظ من خلال العرض التاريخي الذي ساقه المؤلف أن مملكة بني جلاب لم تعرف الاستقرار أبدا لفترة طويلة، رغم أن المؤلف كان قد وصف عهودها في مقدمة كتابه بالازدهار، ويذكر تدخل أطراف خارجية، لعلها من القبائل ذات المكانة والنفوذ في تعيين بعض هؤلاء الحكام كما حصل مع الشيخ عمر، الذي قال أنه وُضع على العرش سنة 1179 هـ/1725 م دون أن يذكر من وضعه، ولكنه ذكر أنه حكم لمدة خمسة أشهر، وخرج بعدها من المملكة نتيجة تجدد الصراع القبلي[2].

وإن كان مؤلف هذا المخطوط قد تغاضى عن ذكر بعض الوقائع التي تهز من صورة ملوك بني جلاب، فإن مؤلف مخطوط آخر عن وارجلان قد ذكر الصراع القبلي الذين أدى لتدهور أوضاع المنطقة كما سنرى فيما بعد.

---

[1] - L'Abbé Barges : Op.cit, p 223-226.

[2] - Ibid, 224.

ووضح المؤلف في نهاية عرضه أنه قد سطّره " بذمة وحسب الوثائق المصدوقة، ويشهد الله على ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي القدير"[1].

وهكذا فإن الإدريسي قدّم تاريخا للأسرة الجلابية الحاكمة بتقرت، والذين كان آخرهم هو الشيخ سليمان الذي عاصره المؤلف، ووقع في عهده الاحتلال الفرنسي للمنطقة.

## 2-* المؤلف المجهول و تقييده في تاريخ جملة مشايخ سدرة من ورجلان إلى فران:

عثر الضابط الفرنسي شارل فيرو، أثناء إعداده لدراسته عن بني جلاب سلاطين تقرت على تقييد تاريخي بعنوان " **هذا تاريخ جملة مشايخ سدرة من ورجلان إلى فران** " ونشره بالعربية في المجلة الإفريقية[2]، وقال أن هذا التاريخ لم يُعرف مؤلفه، لكنه يبدو من أهالي المنطقة الذين لهم دراية كبيرة بتاريخها وأخبارها.

وعن ظروف الحصول على هذا المخطوط، فقد ذكر فيرو إنه كان أقام مدة طويلة بورقلة عامي 1871 و1872، وأنه جمع بعض الروايات الشفهية المحلية المتواترة بين الأهالي حول تاريخ المنطقة، وأن تلك الروايات قد أكدتها له مخطوطة كانت مودعة في مسجد نقوسة، وأنه بعد سير طويل حصل على نسخة من تلك المخطوطة، وهي للأسف غير كاملة مثلما أكّد له أهالي المنطقة.

وقام أحد النسّاخ بحفظ ما تبقى من تلك الرواية التاريخية، وكتبها في الصفحات الأولى لأحد المصاحف في إطار ما كان يعرف عند النسّاخ بـــ" تجريب القلم" قبل نسخ المصحف، فحفظ بذلك تلك الرواية النادرة، وقال فيرو بأن أوراق ذلك المصحف قد أخذ لونها يميل للحمرة بفعل عوامل الزمن.

قام فيرو كما قلنا بنشر النص العربي لما تبقى من هذا المخطوط للحفاظ على ذكراه كما قال، وحذف من النص العربي ما يتعلق بأخبار الأولياء والصالحين وبعض كراماتهم، مع أنه ترجم النص الكامل إلى الفرنسية .

---

[1] - L'Abbé Barges : Opcit, p226.

[2] - Charles Feraud :Les Ben Djellab,sultan du Tougourt,in Revue africaine 1882,p262.

يتحدث المخطوط بحسب الأوراق المتبقية منه عن سير بعض علماء وصلحاء منطقة ورقلة ويذكر جملة من كراماتهم، وذكر أسماء جماعة منهم " وهم الشيخ صالح بن موسى، والشيخ أبو نوح بن سعيد بن زنغيل، والشيخ أبو محمد بن عبد الله بن محمد الموخفي، والشيخ أبو سليمان بن زقوم، والشيخ بكر بن بوبكر، والشيخ عباس بن واسين، والشيخ أبو يعقوب بن سليمان بن إبراهيم، والشيخ سيدي صالح الطبرقي، وأبو عمر بن عبد الكافي، وأبو إسحاق، وأبو سقال، وأبو موسى بن عمر، والشيخ أبو خزر."

ثم يورد إحدى كرامات الشيخ صالح بن موسى " ففي أحد الأيام بعد أن صلى صلاة العشاء رجع إلى بيته، ولما وصل إلى داره التي تسمى دار سيدي صالح بن موسى لمح عمودا من نور يرتفع من الأرض وحتى السماء ....." [1]

وبدأ بذكر الحوار الذي دار بين الشيخ صالح وأهل ورقلة، وهم أهل تلي أزدوس، وأهل مكيد الوسط، وأهل تلي مماس، وأهل حيمة، وأهل فران، وأهل تمزوغت، الذين اجتمعو ا عنده في بلاده تلي أزدوس وتلي موسى وترمنت، وكان هؤلاء قد هالهم ما آلت إليه حالة البلاد من فوضى واضطرابات وتخوفوا من زوالها، ويذكر المخطوط إن الشيخ صالح تنبأ بزوال وخراب المنطقة، وأن الخراب سيطال أولا أهل حيمة، لينتقل بعدها إلى بقية المناطق [2].

ويقدم المخطوط سبب تسمية نقوسة بها الاسم بعد أن كان اسمها قبل ذلك اسمها تلي أزدوس، وهو أنها" نقصت وذهبت نوايحها" كما قال، وذكر وصف الشيخ صالح للمنطقة بأنها كانت قبل ذلك تمتد " من قرية محروز إلى قرية عين البغل ومن جبل العباد إلى فران ثلاثة مائة وخمسة وعشرون بلاد، بسط الله عليهم الرزق، وواد من المياه الجارية والعيون في تلك الحوزة ألف عين وواحد وخمسون عينا، وبسط عليهم العدل، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويعطون كل ذي حق حقه، فلما أراد الله إهلاكهم سلط عليهم الهلاك، فوقعت الفتنة بين أهل حيمة وأهل فران."

---

[1] -Charles Feraud :Les Ben Djellab,Op.cit,p 264.

[2] -Ibid, p265.

ثم ذكر انقسام السكان إلى صفين: الأول يمثله أهل حيمة و أهل تمزوغت وأهل ملوش وأهل تلي قبلية ومعهم كثير من البلدان، وأما الثاني فيمثله أهل فران ومعهم تلي مماس وأهل تلي أزدوس وغيرهم، وذكر أن أسباب الحروب بين الفريقين غالبا ما تكون أسبابا واهية لا تختلف عن حروب العرب في الجاهلية سببها التعصب والنعرات القبلية[1].

كما يقدم المخطوط معلومات هامة عن حركة الهجرة القبلية بعد هذه الحروب، حيث ارتحل قسم من السكان إلى المشرق، وقسم منهم إلى وادي مزاب، وقسم إلى المهلهل، والباقي ظلوا بوارجلان ونقوسة، وينتهي المخطوط بالعبارة التالية : " وافترقت العروش وخفيت العيون وذهبت العلوم ما بقي إلا الحي القيوم" .[2]

ويقدم لنا هذا المخطوط فوائد تاريخية هامة لا توجد في غيره، فهو رغم طابع السرد التاريخي، وربط التاريخ بالخرافة، يقدم معلومات تاريخية واجتماعية واقتصادية عن المنطقة.

### 3-* محمد الطالب بن دومة و مذكرته التاريخية عن بني جلاب:

#### * المؤلف:

هو محمد الطالب بن الطاهر بن عمر بن الطيب بن دومة، ولد بقرية تبسبست بتقرت سنة 1348 هـ/ 1918 م وكان والده من حفظة القرآن، وتوفي هذا الوالد في فترة مبكرة من حياة محمد الطالب فكفله عمه الذي تزوج أمه.

درس محمد الطالب على عدد من مشايخ المنطقة منهم الشيخ محمد الصغير مجوجة والطاهر العبيدي والشيخ المعراج فتوسعت معارفه اللغوية والفقهية.

وانتصب بعد ذلك للتدريس في قريته، وتخرج عليه عدد من الطلبة الذين صاروا مشايخ علم أمثال: الشيخ محمد الطيب سليماني، والشيخ أحمد مهاني، والشيخ السايح النوي، والشيخ أحمد عيشاوي.

---

[1] -Charles Feraud :Les Ben Djellab,Opcit,p 262-263.

[2] -Ibid, p263-264.

تفرغ بن دومة منذ سنة 1950 لتدريس العلوم الشرعية بمسجد قريته بين المغرب والعشاء وعهدت له سنة 1963 إمامة مسجد سيدي قاسم العتيق بتبسبست، كما مارس القضاء بصفة غير رسمية عبر توسطه لحل التراعات التي كانت تقع بين الناس لأسباب مختلفة.

وكان له ميل كبير للمطالعة، واكتسب مكتبة ضخمة بها 1500 كتاب، كما اهتم منذ شبابه بتدوين بعض الحوادث التاريخية عن منطقة تقرت ونواحيها، وهي التي ضمها مخطوطه المسمى:" مذكرة أخبار تاريخية عن واحة تقرت وبعض نواحيها" التي لا تزال مخطوطة.

أدى الشيخ محمد الطالب بن دومة فريضة الحج سنة 1976 وعاد للتدريس إلى غاية وفاته بمستشفى الأبيار بالعاصمة في 2 ماي 1982[1] .

***الكتاب:**

هو مخطوط بخط المؤلف قام أنجاله برقنه على الكمبيوتر مع وضع ترجمة لمؤلفه دون أن ينشروه، وقد استفدنا من النسختين المخطوطة والمرقونة، و استهله مؤلفه بالحديث عن الوافدين إلى الواحة، وبعضهم عبيد فروا من توات وغيرها من مشقة العمل كما قال، وذكر وفود سيدي نصر الله من ذرية مولاي علي الشريف، وهو القائم بشؤون الزاوية القادرية، كما ذكر وفود كل من سيدي علي بن كانون وسيدي بودرهم، وسيدي محمد بن يحي الريغي السطيفي صاحب العهد لدوبة بني جلاب سنة 937 هـ/ 1531 م، وقدوم سيدي أحمد الميكالي السبع بوعمرية، ومحمد أبو موسى الينبعي وجماعة من الأشراف، كما تحدث عن جملة من مشاهير رجال الواحة من الأولياء والعلماء وذكر مواطن استقراهم بها[2].

وتطرق لتطور الواحة، وزيادة عدد سكانها، خصوصا مع قدوم أولاد صولة من الدواودة وبعض الإباضية الذين جاءوا إليها قصد التجارة واستقروا بها مدة قرون، وتطرق أيضا لرجال الحشان وهم سكان وادي ريغ.

---

[1]– محمد الطالب بن دومة: مذكرة أخبار تاريخية لواحة تقرت وبعض نواحيها، مخطوط مكتوب على الوورد، ص 1-5.

[2]– المصدر نفسه، ص9-10

وذكر من يسموهم رجال لملاح، وتطرق لعادة أهل المنطقة منذ القرن 8 هـ/ 14 م في استدعاء أهل الزوايا من الصالحين للدعاء للناس، خصوصا المظلومين منهم، وأن تلك العادة قد حُوّرت منذ عام 1255 هـ/ 1840 وصارت مجالس للهو والمجون.[1]

ثم تحدث عن أخبار وأيام وادي ريغ، فذكر ما كان عليه السكان من جهل وخروج عن تعاليم الدين، والتراع الحاصل بين تقرت وتماسين، وما وقع بينهما من صلح سنتي 1841 و 1850، ومكانة الواحة كطريق هام للحجاج القادمين من المغرب الأقصى، وذكر جملة من القادمين إليها من العلماء.

وذكر نبذة من تاريخ مسجد سيدي قاسم، الذي كان تولى إمامته بعد الاستقلال كما ذكرنا في ترجمته، وذكر تاريخ بنائه الذي يرجع كما قال إلى سنة 1550، وترميمه سنة 1920 وتجديد الترميم سنة 1940[2].

وترجم للشيخين سيدي بوعزيز وسيدي بن جريو من خلال ما رواه له بعض المشايخ المسنين، وهم البدوي الحاج الهاشمي، وبوسيف عبد القادر، وذكر جملة من أخبارهما المأثورة، كما نقل عن أحد مسني المنطقة وهو أحمد بن حم، خبر الشيخين سيدي بوخلوة وسيدي بوغرارة، واعتمد كذلك على الرواية الشفهية التي زوده بها مهرية عمر وحفصية الناعة وهما أيضا من كبار السن.

وانتقل للحديث عن جملة من مساجد المنطقة وهي: مسجد أولاد هويمل بتبسبست ومسجد سيدي لخضر بها، ومسجد سيدي عبد الغفار، والمسجد المسمى سيدي منصور وسيدي الهادف ودرزين وسيدي لخضر ومسجد الإباضية بتقرت[3].

---

[1]– محمد الطالب بن دومة:المصدر السابق، ص 12-13.

[2]– المصدر نفسه، ص 13-16.

[3]– المصدر نفسه، ص 17- 22.

واستطرد بعد ذلك فأورد النص الكامل لإجازة الشيخ الحاج امبارك المكناسي للمقدم بوقندور ابراهيم[1]، ثم عقد مبحثا ذكر فيه مشايخ العلم الشرعي بتبسبست، وذكر بعض من تولى المشيخة الإدارية للمنطقة في العهد الفرنسي[2].

وانتقل للحديث عن أصل تبسبست من خلال بعض الروايات المتواترة، كما تحدث عن عائلته بن دومة، وأن أصلهم من أولاد مولات، وذكر عددا من أعيانها، ثم عقد بعد ذلك مبحثا لتاريخ بساتين النخيل بتبسبست وأنواع التمور بها [3].

وعاد للحديث عن بني جلاب وعلاقتهم بأعيان واحة تقرت، ووضّح أصل بني جلاب وتأسيس دولتهم، وبعض حوادث عصرهم، حتى نهاية دولتهم بقدوم الاستعمار الفرنسي للمنطقة، وذكر أن آخر ملوك بني جلاب الذي يسميه سلمان كان سفاكا للدماء، فقد قتل عددا من منافسيه من أسرته، و لم يستثن حتى النساء من ذلك[4].

وقال أن الفرنسيين بعد أن أخضعوا المنطقة لحكمهم قاموا بوضع إدارتها تحت إشراف علي باي بن فرحات بوعكاز في تقرت والوادي وورقلة، ومكث هذا في الولاية حتى سنة 1870 حين انتفض ضده السكان نتيجة تعدياته وسوء إدارته، وقدم بعد ذلك العقيد دولاكروا، وتولى على الواحة بن إدريس الباتني أربع سنوات ثم عزل، وتولى من بعده إسماعيل الوهراني فمكث سنة ونصف، ثم تولى إسماعيل مصرلي وهدأت بولايته الثورات كم ا قال المؤلف، الذي كتب قائلا في آخر كتابه :" والله أعلم في جميع النقول والأمر إليه لا غير "[5].

---

[1] – محمد الطالب بن دومة:المصدر السابق ، ص 23.

[2] – المصدر نفسه، ص 26-29.

[3] – المصدر نفسه ،ص 30-33.

[4] – المصدر نفسه، ص 34-37.

[5] – المصدر نفسه، ص 38.

## 4-* إبراهيم بن صالح باباحمو أعزام و كتابه غصن البان في تاريخ وارجلان:

### * المؤلف:

هو إبراهيم بن صالح بابا حمو أعزام، عالم ومؤرِّخ من وارجلان، هاجرت عائلته إلى تونس التي ولد بها سنة 1311 هـ/ 1893م، ثم عاد إلى ورجلة وتتلمذ هناك على عدد من المشايخ منهم الشيخ محمَّد السكوتي، ثمَّ انتقل إلى ميزاب، وأخذ العلم عن الشيخ الحاج صالح بن عمر لَعْلِي ببني يسجن، وعن الحاج عمر بن يحيى بالقرارة ، و عاد الحاج إبراهيم إلى وارجلان ليشرع تعليم الصبيان في محضرة أبي يعقوب يوسف بن سهلون "مدرسة بابا حيًّا".[1]

وكان الساعد الأيمن للشيخ الحاج أحمد بن محمد بومعقل إمام الإباضية آنذاك ، كما كان من مؤسسي جمعية الوفاق يوم 07 أوت 1930 التي كان رئيسها بجدارة، و كانت هذه الجمعية مساعدة للمسجد في أداء مهامها، كما كان يراسل مشايخ وادي ميزاب نيابة عن عزابة وارجلان ومن أشهر هؤلاء الشيخ يوسف بن بكير بهون علي والحاج سعيد محمد بن باحمد.

وأما عن حياته الشخصية فقد اقترن بامرأة من القرارة رزق منها ببنتين وبعد وفاتها تزوج بامرأة من تماسين عام 1355هـ/ 1936م أنجبت له ثلاث ذكور وثلاث إناث.

وبعد عام 1942 تفرغ لمهام الأعيان نظرا لحنكته في هذا المجال، وكان الناطق الرسمي للجماعة الإباضية في الإدارة عندئذ ،كما كان ملجأ وملاذ الجماعة وغيرها في كل القضايا ، و تولى منصب خوجة " أي كاتب " لدى قائد سعيد عتبة، و أنفق الأموال الطائلة التي ورثها من والده في تشجيع التلاميذ على الاجتهاد في التحصيل والتفرغ للعلم وفي مساعدة المعوزين.

وكانت له مكتبة ضخمة متعددة الفنون ، كما قام بنسخ بعض الكتب بخط يده ولشدة شغفه بالمطالعة لقب بأعزام ومعناها باللسان المحلي " القراءة " و كان أعزام الناطق باسم إباضية وارجلان لدى الحكومة الفرنسية.

[1]- محمد بن موسى باباعمي و آخرون : معجم أعلام الإباضية من القرن الأول إلى العصر الحديث ، قسم المغرب الإسلامي ، لجنة البحث العلمي لجمعية التراث ،طبع دار الغرب الإسلامي 2000 م ، ج 2، ص252.

وإلى جانب غصن البان خلف الشيخ سجلا يضم أسئلة وأجوبة تاريخية و "رسالة عن ما يجب على المكلف عند البلوغ"، ورسالة " الفرق بين الإباضية والخوارج"، منها نسخة مخطوطة في مكتبة جمعية التراث، وأحداث وأخبار تاريخية مسجلة على أوراق متفرقة، وقصيدة في رثاء الشيخ الحاج إبراهيم بن كاسي، ومقالات صحفية منشورة في جرائد أبي اليقظان إبراهيم وغيرها من الدوريات، وله كتاب في علم التجويد، وتوفي الشيخ بوارجلان في 23 فيفري 1965.

*** الكتاب:**

كان المؤلف يميل إلى هو التاريخ ، إذ كان يطالع كتبه ويدون الأحداث التي تقع، وقد حرّضه الشيخ بيوض على التأليف ، وكان ثمرة ذلك كتابه الذي يعد الكتاب الوحيد المؤلف عن تاريخ وارجلان، ويعتبر أهم كتاب في تاريخ المنطقة في العصر الحديث إلى حد الآن ، والذي لا يمكن الاستغناء عنه للباحث في تاريخ وارجلان ذلك الكتاب المسمى " غصن البان في تاريخ وارجلان " نظرا لتضلعه وتمكنه في تاريخ المنطقة، وكان مرجعا أساسيا للباحثين في تاريخ وارجلان حتى من الفرنسيين[1].

فرغ المؤلف من كتاب "غصن البان في تاريخ وارجلان" سنة 1350 هـ/1932م، وأقدم على طبعه غير أنَّ الظروف حالت دون ذلك، ولا يزال الكتاب مخطوطا.

أما مضمونه فقد جمع فيه ما تفرَّق في المصادر القديمة حول تاريخ وارجلان ونسبِ أهلها وعمرانها وأعلام سدراتة ووارجلان.

والمعروف أن الإباضية قد استقروا بوارجلان " ورجلة" مدة طويلة قبل أن ينسحبوا منها تحت وطأة القبائل المحلية فانزووا إلى منطقة وادي ميزاب، ورغم ذلك فقد استمر بعض الإباضية يقيمون بورقلة ومنهم المؤلف.

[1] – محمد بن موسى باباعمي و آخرون :معجم أعلام الإباضية، المرجع السابق، ص 253.

وقد ترجم المؤلف لعدد من أعلام المنطقة منهم أبو إسحاق من مدينة وارجلان الذي قال عنه :"كان شيخا فاضلاً مفتياً من العبَّاد،عاصر سليمان بن عبد السلام الوسياني أبا الربيع صاحب السير، ولعلَّه تعلَّم في حلقته، وكان في وارجلان مسجد بناحية بني سيسين يسمى باسمه."[1]

و ترجم لإسحاق بن إبراهيم بن أبي طاهر إسماعيل بن أبي زكرياء اليزماتي المزاتي أبو حمزة فقال عنه:" عالم وفقيه، أخذ طريق أجداده في الصلاح والاستقامة، وهو خال أبي زكرياء يحيى بن أبي بكر صاحب السيرة.روى عنه كل من ابن أخته الشيخ أبو زكرياء يحيى، وأبو عمرو عثمان بن خليفة السوفي مسائل فيها تفنيد ادِّعاءات المتشيعة، كما روى عنه الوسياني مسائل في الفقه".[2]

## المبحث الثاني : مؤرخو ميزاب:

### 1-*امحمد بن يوسف اطفيش والرسالة الشافية في تاريخ ميزاب:

#### المؤلف:

هو امحمد بن يوسف بن عيسى بن صالح بن عبد الرحمن بن عيسى بن إسماعيل بن محمد بن عبد العزيز بن بكير الحفصي ، أطفيش الشهير بـــ" قطب الأئمة " أشهر عالم إباضي بالمغرب الإسلامي في العصور الحديثة [3] ينتمي إلى عائلة شهيرة بالعلماء من بني يسجن، من عشيرة آل بامحمد، و ينتهي نسبه إلى عمر بن حفص الهنتاتي من العائلة الحفصية، و في بعض كتبه ينهي الشيخ أطفيش نسبه إلى أبي حفص عمر بن الخطاب.[4]

ولد أطفيش بغرداية سنة 1237 هـــ/ 1821م لما انتقل إليها والده، و عاش بها طفولته الأولى، و في الرابعة من عمره توفي والده، و تركه يتيما تحت كفالة والدته التي توسمت فيه بوادر النبوغ، فعهدت به إلى أحد المربين لحفظ القرآن، فختمه و حفظه و هو ابن ثمان سنين، ففتح له مجال العلم، و سارع إلى دور العلماء و حلقات الدروس بالمسجد، فأخذ مبادئ النحو و الفقه عن

---

[1]– محمد بن موسى باباعمي و آخرون :معجم أعلام الإباضية، المرجع السابق، ص 254.

[2]- المرجع نفسه، ص 255.

[3]- المرجع نفسه، ص399 .

[4]- بكير بن سعيد أغوشت: قطب الأئمة العلامة محمد بن يوسف أطفيش ، مكتبة الضامري السيب، سلطنة عمان:بلا تاريخ، ص 62.

أخيه الأكبر: إبراهيم بن يوسف، و تلقى مبادئ المنطق عن الشيخ سعيد بن يوسف وينتن، و كان يحضر دروس الشيخ بابا بن يونس في مسجد غرداية.[1]

بعد أخذه لهذه المبادئ، جعل دأبه الحرص على اقتناء الكتب و استنساخها، يجتهد في طلبها و شرائها من كل البلدان، رغم قلة ذات اليد، و صعوبة الاتصال فتجمعت لديه مكتبة غنية، تعتبر فريدة عصرها بالنظر إلى ظروف صاحبها، و بعده عن مراكز العلوم و العمران، وقد حرص على اقتناء بعض خزائن العلماء ، منها خزانة الشيخ ضياء الدين عبد العزيز الثميني، وقد تزوج امرأة علم تملك مكتبة ثرية ورثتها عن أبيها [2].

و ما كاد يبلغ السادسة عشرة، حتى جلس للتدريس و التأليف، و لما بلغ العشرين أصبح عالم وادي ميزاب، ثم بلغ درجة الاجتهاد المطلق في كهولته، كما يذكر ذلك بنفسه في كتابه: " شامل الأصل و الفرع ".[3]

وأنشأ أطفيش معهدا للتدريس ببني يسجن، تخرج منه علماء و مصلحون ومجاهدون، وكان له منهج في التدريس يعتمد على استغلال الوقت، و التركيز في التلقين، و تستمر دروسه طيلة أيام الأسبوع من الضحى إلى الزوال، إلا يوم الجمعة ثم يزيد دروسا في المساء بعد العصر.

و كان لا يدرّس في الليل إلا الغرباء و النجباء و المتفوقين ، لأنه كان يخصص الليل للتأليف و الإجابة عن الرسائل و الاستفتاءات المتهاطلة عليه، و كان غزير المادة، طويل النفس ، متفانيا في العلم، يدرس أحيانا أحد عشر درسا مختلفا في اليوم، وقد انهال عليه الطلبة من مختلف الأقطار الإسلامية، وبلغ عدد تلاميذه العشرات من ميزاب ومن ليبيا و من تونس و من المدينة المنورة.[4]

و لم يقصر الشيخ جهوده في المجال العلمي بل اهتم بالإصلاح الاجتماعي، و محاربة الجهل و البدع، و تولى رئاسة مجلس العزابة ببني يسجن، كما تولى منصب القضاء، ثم اعتزله لما بسط الاستعمار الفرنسي نفوذه على منطقة ميزاب سنة 1882م .

---

[1]- بكير بن سعيد أغوشت: : المرجع السابق، ص 63.

[2]- محمد بن موسى باباعمي و آخرون :المرجع السابق، ص 399.

[3]- بكير بن سعيد أغوشت: المرجع السابق، ص 63-64.

[4]- محمد بن موسى باباعمي و آخرون :المرجع السابق، ص 399.

و كان أطفيش ممن وقف بقوة في وجه الاحتلال، و دعا إلى مقاطعة المستعمر، و عدم التعامل معه، و يذكر أنه نصب خيمة في حومة الدبداية بين غرداية و بني يسجن، احتجاجا على دخول فرنسا المنطقة، و كان حريصا على وحدة المسلمين ، يعصره الألم على ما آل إليه أمرهم ، من فرقة وهوان ، وذل واستعمار ، يدعو بالنصر للمجاهدين في كل بلاد العالم الإسلامي .[1]

و كان أطفيش معتزا بإسلامه غيورا على دينه ، فقد أهديت له النياشين و شهادات التقدير من مختلف سلاطين العالم الإسلامي، و بخاصة لما أجاب على لغز الماء ، فقبل هذه الهدايا إلا نيشان الحاكم الفرنسي، فإنه لما جاء ممثل الحكومة ليوشح صدر الشيخ به ، قدم له طرف ردائه السفلي ليعلقه عليه ، و لما سئل عن ذلك قال : " الإسلام يعلو و لا يعلى عليه " [2].

توفي أطفيش يوم السبت 25 ربيع الثاني 1332هـ / 1914م بمرض دام أسبوعا، بعد أن قضى قرابة قرن في الجهاد العملي و الإصلاح الاجتماعي.[3]

* **تآليفه:**

من أهم آثار الشيخ اطفيش تآليفه التي أغنى بها المكتبة الإسلامية كمّا و نوعا، فقد عدها بعضهم وقال : إنها تبلغ الثلاثمائة مؤلف، ما بين كتاب و رسالة، و اتسع له العمر، ليترك هذا التراث الضخم ، فقد عمّر ستة و تسعين عاما ، و كان حريصا على الكتابة ، لا يتركها في حضر ولا سفر ، وصفه تلميذه أبو اليقظان بأنه " لا يعرف إلا في تدريس علم ، أو تأليف كتب" فألف في بني يسجن ، و القرارة ، و وارجلان ، و بريان ، والحجاز ، و في السفينة قاصدا الحج.

و شملت تآليفه مختلف فروع المعرفة ، في المنقول و المعقول : في تفسير القرآن له ثلاثة تفاسير، وله مؤلفات في التجويد وفي الحديث و في السيرة النبوية و في التوحيد و أصول الفقه و في الفقه و النحو و اللغة و العروض في البلاغة وفي المنطق وفي الشعر و في الخط، و في مواضيع مختلفة، وفي الأجوبة و الردود و الفتاوى، وله عدد من الرسائل راسل بها علماء من مختلف مدن الجزائر و من خارجها، كالبحرين و الحجاز و عمان و مصر و تونس و جبل نفوسة و جربة و

---

[1]- بكير بن سعيد أغوشت: المرجع السابق، ص 112.

[2]- المرجع نفسه، ص 96.

[3]- محمد بن موسى باباعمي و آخرون :المرجع السابق، ص 401.

و فاس والقسطنطينية، و بعض العواصم الأوربية، و لو جمعت هذه الرسائل لألفت مجلدات فيها من أنواع العلوم ، و الأخبار التاريخية الهامة ، ما يصلح لدارسات أكاديمية متخصصة، نذكر منها على سبيل المثال : " رسالة إلى الوالي العام الفرنسي بالجزائر " : مؤرخة في ربيع الأول 1304هـ بقسنطينة محفوظة في أرشيف إكس أون بروفانس و " مجموع الرسائل " مخطوط و " مجموع رسائل بين القطب و الإدارة العامة الإستعمارية " مخطوط .

كما ألف الشيخ : " إزالة الاعتراض على محقي آل اباض " مطبوع و" الإمكان فيما جاز أن يكون أو كان " مطبوع والرسالة الشافية التي نحن بصددها.[1]

## *" الرسالة الشافية في بعض تواريخ وادي ميزاب "

لهذه " الرسالة الشافية في بعض تواريخ وادي ميزاب " أهمية كبيرة، و منها نسخة مختصرة مطبوعة مرتين الأولى طبعت في وقتها على الحجر بالجزائر سنة 1880 ثم أعيد طبعها طبعة ثانية في الجزائر سنة 1908/1326 و هي تضم 191 صفحة، وهناك نسخة أخرى من الرسالة الشافية وهي موسعة ولا تزال مخطوطة بخزائن ميزاب.

وكان الشيخ أطفيش أعلم علماء ميزاب في وقته، وكان الفرنسيون قد اتفقوا مع أهل ميزاب على نصب الحماية سنة 1853، مع الإبقاء على مصالح أهل ميزاب وتقاليدهم وممارسة شعائرهم وتجارتهم، ولكن مع فاتح 1880 كانت النوايا الفرنسية تتغير نحو الصحراء عموما، سيما بعد حوادث السبعينات ونشاط بوشوشة، فطلب ايميل ماسكري، وهو مستشرق فرنسي اهتم بمدن ميزاب ولهجتها وتاريخها، من الشيخ أطفيش أن يكتب له خلاصة لتاريخ بني ميزاب تتضمن أنسابهم وأصولهم وعقائدهم وتواريخهم ورجالهم، فكتب الشيخ الرسالة الشافية.

واعتقد أنه أجاب فيها بما لا يضر بالإسلام والمسلمين، لأنه كان يخشى أن يتخذ الفرنسيون عمله ذريعة للإساءة إلى بني وطنه، فلم يكتب لهم إلا ما رآه نافعا غير ضار بالمسلمين كما صرح هو في كتابه.[2]

---

[1] – محمد بن موسى باباعمي و آخرون :المرجع السابق، ص 400-401.

[2] – أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، ص 388.

ويذكر محمد علي دبوز أن الشيخ أطفيش قد كتب تاريخا آخر لبني ميزاب توسع فيه أكثر من الرسالة الشافية، ولكنه لم يطبع، وأشار إلى أن نسخة منه كانت موجودة عند إبراهيم بن نوح امتياز في بني يسقن، ولكن دبوز لم يذكر النواحي التي توسع فيها الكتاب الجديد أو الإضافات، ولعل هذه النسخة الجديدة تكون أحق بالطبع والنشر ما دام المؤلف قد أشار في الأولى إلى أنه ألفها بطلب من شخص أجنبي، وأنه قد يكون محرجا من ذكر كل شيء للفرنسيين عندئذ.

وأما عن ظروف تأليف هذه الرسالة فقد أشار إليها المؤلف في الفصل العاشر وقال أنه ألفها بطلب من الفرنسي إميل ماسكراي Emile Masqueray الذي كلفه بكتابة كتاب عن أصل بني ميزاب فأجابه كما قال " بعبارات تخدم الإسلام ولا تضر به "[1] .

وأما عن فصول الرسالة فقد كان الفصل الأول عن تأكيد الرسالة المحمدية ورفض بعض الترابطية وتحريم الخمر ولحم الخنزير في التوراة والإنجيل والكتب السماوية الأخرى، ويلخص هذا الفصل الخلافات التي تطورت في كتب أخرى للشيخ مثل كتابه رد الشرود إلى هوى المورود الذي طبع عام 1320 هـ/ [2].

وكان الفصل الثاني عن أسلاف بني ميزاب في المدن الخمسة ومعنى اسم كل مدينة وأصل القبائب التي تقيم بها وينتهي الفصل ببيان أصل بابا السعيد نؤسس القصر الذي يقع قبل غرداية[3].

وفي الفصل الثالث أثار المؤلف قضيتين في الفقه الإباضي هما استحالة رؤية الله عز وجل وموقف الإباضية من مقتل عثمان،وفي الفصل العاشر نجده يحدد بدقة هذا الموقف[4].

---

[1]– أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، ص 388.

[2]– محمد بن يوسف أطفيش: الرسالة الشافية في بعض تواريخ وادي ميزاب، طبعة حجرية، الجزائر: 1299 هـ/ 1880 م ، ص 1- 11.

[3]– المصدر نفسه،ص 11-29.

[4]– المصدر نفسه، ص 30-59.

والفصل الرابع به قسمان: الأول جمع فيه الأحاديث التي رويت عن البربر، وأنهم دُعيو لإحياء الإسلام في المغرب، لما خبت حمية الفاتحين الأوائل، بسبب الصراعات السياسية التي حصلت[1].

وكان القسم الثاني مخصصا للحديث عن أصالة الإباضية الوهبية التي تنسب لعبد الله بن إباض، وتتميز عن الأزارقة والصفرية، ويقدم المؤلف وجهة نظره حول زمن تكوين الفرق الإباضية التي يقدم عنها نبذة مختصرة في نهاية هذا الفصل[2].

وأما الفصل الخامس فحول أصل كلمة ميزاب، وقدم فيه مختلف الآراء اللغوية والتاريخية حول ذلك، وقال إنها ربما ترجع لمصعب لأن ذلك كثيرا ما يرد في المصادر القديمة[3].

وكان الفصل السادس عن تطور الإباضية بالمغرب، تحدث فيه عن حملة العلم وإمامة أبو الحطاب، ومهمة عبد الرحمن بن رستم، واستطرد فذكر أصل البربر، ثم عاد وذكر تاهرت واستطرد مرة أخرى فذكر عثمان بن عفان وموقف الفرقة الإباضية من خلافته ومقتله، ثم ذكر المراحل الكبرى لدولة تاهرت حتى فرار الإمام، واستطرد مرة أخرى فذكر مختلف تسميات الحكام[4].

و تحدث في الفصل السابع عن الظروف والتقلبات التي جعلت إباضية المغرب ينتقلون من " دولة الازدهار" إلى مرحلة الطوائف ووضع الأقلية وقدم أمثلة عن تاريخ إباضية وارجلان والسودان[5].

وفي هذا الفصل تحدث المؤلف عن نسبه، فقال إنه ينتهي إلى عمر بن حفص الهنتاتي من العائلة الحفصية، وتحدث عن انتقا ل العلم عبر القرون الماضية في منطقة ميزاب، واستطرد كالعادة فتحدث عن الأندلس.

---

[1] – محمد بن يوسف أطفيش: المصدر السابق، ص 60-67.

[2] – المصدر نفسه، ص 68-76.

[3] – المصدر نفسه، ص 77-82.

[4] – المصدر نفسه ،ص 83-100.

[5] – المصدر نفسه، ص 100-120.

وكان الفصل الثامن مخصصا للغز الماء، وبه دفاع عن الدين ضد النصارى، وفي هذا الفصل أظهر الشيخ أطفيش ثقافته الدينية وغيرته على الإسلام من حملات التبشير المسيحي [1].

وخصص الفصل التاسع للحديث عن بعض نبوءات البعثة المحمدية عند أهل الكتاب وقدن نماذج من هذه النبوءات.

وكان الفصل العاشر حول شرعية بعض الأعراف التقليدية في ميزاب وأنها لا تتنافى مع الدين الإسلامي[2].

واستطرد في الفصل الحادي عشر للحديث عن بعض المواضيع الدينية كقصة يأجوج وماجوج...[3]

وفي الفصل الثاني عشر اقترح المؤلف أن تحاكم الفرقة الإباضية بعدل ووصف الصفرية بالتطرف الديني كما بين الموقف من التحكيم في معركة صفين[4].

وفي الفصل الثالث عشر تحدث عن الإمامة كركن من أركان الدين عند الإباضية، وتحدث عن الأئمة الأوائل للإباضية من البدء وحتى عبد الله بن يحي، وقدم لمحة موجزة عن كل إمام[5].

وفي الفصل الرابع عشر قدّم تراجم لبعض العلماء معتمدا نظام الطبقات كما قال، أي الترجمة حسب القرون التي ظهر فيها العلماء.[6]

وقدم في الفصل الخامس عشر والأخير الروايات المتناقلة حول عدد من الشخصيات التي تستحق الاهتمام وهي: محمد بن عبد العزيز أحد أسلاف المؤلف، وأبو عيسى بن إسماعيل، ومحمد بن بكر.[7]

---

[1] – محمد بن يوسف أطفيش: المصدر السابق ، ص120-129.
[2] – المصدر نفسه، ص 130-139.
[3] – المصدر نفسه، ص 140-144.
[4] – المصدر نفسه، ص 144-148.
[5] – المصدر نفسه، ص 148-159.
[6] – المصدر نفسه، ص 160-179.
[7] – المصدر نفسه، ص 180-196.

والرسالة الشافية أول كتاب يطبع ويعالج بوضوح أصل بني ميزاب، فالحوليات الإباضية لم تقدم سوى تلميحات مختصرة عن بني ميزاب،وحتى تراجم الشماخي المتوفى عام 928 هـ/ 1522 م لا يخصصها بالكامل لعلماء ميزاب.

ومن خلال محتوى الرسالة، فقد ظهر أطفيش فيها مفسرا وفقيها أكثر منه مؤرخا كما ذكر الباحث كوبرلي، ولن نندهش إذا رأينا أن الرسالة الشافية بالرغم من عنوانها قد ضمت بعض الأفكار العقدية للشيخ أطفيش، و لم ترد فيها تواريخ كثيرة، كما أنها تعتمد في عدد من المواضع على التخمينات، وبها عدد من الاستطرادات الخارجة عن صلب الموضوع[1].

ومع هذا فيجب كما قال ذلك الباحث أن نعترف أن أصول إباضية ميزاب ظلت ولمدة طويلة غامضة ومبهمة، وفي أغلب الأحوال -مثلما يؤكد الشيخ بيوض- لا يمكننا أن نحدد بدقة تاريخ تأسيس المدن الميزابية وأصل مؤسسات " العزابة" وتواريخ توارث الأئمة.

وفي ظل وجود عدد قليل من الوثائق، خصوصا منها المطبوعة، التي تعالج تاريخ ميزاب فإن الرسالة الشافية تظل مصدرا لا يستغني عنه المؤرخون.

ونلاحظ أيضا أن المؤلف لم يقم هنا فقط بعمل المؤرخ لبني ميزاب، وإنما رغب كذلك في تقديم لمحة عن الإباضية عامة في الجانب التاريخي والعقدي، وربط الإباضية المغربية بالتيار الكبير للإباضية الأولى البصرية والتاهرتية [2].

وهذا التصميم يعبر عنه على الخصوص في انشغال المؤلف بتقديم شجرة نسب قبائل ميزاب الرئيسية، وقائمة العلماء المشهورين للفرقة الإباضية منذ نشأتها وحتى القرن 10 هـ/ 16 م والتعيين الدقيق والمفصل لناقلي العلم.

---

[1] - Pierre Cuperly : « Muhammad Atfayyach et sa Risâla chafiya fî ba`dh tawârikh ahl Wâdî Mizâb » in IBLA 1972, pp 263.

[2] - Ibid, p 264.

وتقدم الرسالة لمحات سوسيولوجية عن حالة العالم الإسلامي ، والغربي، والطابع التبريري ليس غائبا فيها، فالكاتب يدافع عن موقف الإباضية، ويرفض إطلاق اسم الخوارج عليهم دون دراسة دوافع خروجهم بعد معركة صفين[1].

## 2-* محمد بن الشتيوي وكتابه تاريخ القرارة :

### * المؤلف:

هو الشيخ الإمام محمد بن الشتيوي بن سليمان بن عمر بن عبد الله بن أحمد العريف من مواليد سنة 1840م بالقرارة ولاية غرداية وهو من عائلة الشرفاء بوادي ميزاب كما ذكر هو في كتابه هذا الذي وضعه سنة 1880م، وتوفي محمد بن الشتيوي بن سليمان في سنة 1925م ودفن في مقبرة الشرفاء[2].

### *الكتاب:

حصل الضابط الفرنسي موتيلينسكي على النص العربي لهذا المخطوط التاريخي الهام، وقد قدمه له المؤلف بالقرارة، فنشره مترجما إلى الفرنسية في المجلة الإفريقية سنة 1884، وتحدث المؤلف في هذا الكتاب عن تأسيس القرارة، وقال أنه قبل تأسيسها كان هناك قصر يسمى المبرطخ أسسه منذ زمن بعيد أولاد نوح من بريان، وأن رجالا من بني يزقن وأولاد صياح وسعيد أولاد عمر والدرايس وبعض أولاد عطاش، وبعض العرب الآخرين من ذوي الأصول المختلفة، قد امتزجوا بعدد قليل من أولاد بخة[3].

وذكر المؤلف تاريخ تأسيس القرارة سنة 1040 هـ/ 1631 م وأن مؤسسيها هم أولاد بخة الذين كانوا يقيمون بغرداية ومليكة، وكانوا قبل ذلك يقيمون بالأغواط، لكنهم طردوا منها نتيجة صراع مذهبي، ولجئوا إلى غرداية التي أحسن أهلها استقبالهم ومنحوهم ربع المدينة للإقامة فيها[4].

---

[1] - Pierre Cuperly : Opcit, p265-266.

[2] – معلومات شفهية مستقاة من عائلته بالقرارة.

[3] - Motylinski : Notes historiques sur le Mzab : Guerara depuis sa fondation, in R.A 1884, p 372.

[4] -Ibid, p 373-375.

ويقول المؤلف إن أولاد بخة ظلوا مدة زمنية على وفاق مع أهل غرداية، قبل أن ينشب نزاع بين الطرفين، ويقوم أهل غرداية بتذكير أولاد بخة بأنهم غرباء، فكان عليهم العمل على تأسيس مدينة جديدة لسكناهم، فكان أن تأسست القرارة ، بمساعد ة سلطان تقرت بن جلاب الذي حاصر المبرطخ مقابل مبلغ مالي دفعوه له، في الوقت الذي كانوا هم فيه يشيدون المدينة الجديدة، وذلك حتى لا ينتبه أهل المبرطخ لهم ويمنعوهم من ذلك[1].

وقال المؤلف أن المدينة نمت وزاد عدد سكانها باستدعاء عناصر جديدة، ذكر منها الأشراف من أولاد سيدي عبد الله، وشرح ظروف قدوم هؤلاء للمنطقة، كما ذكر قدوم المرازي وساهمت العناصر الثلاثة وهي أولاد بخة والأشراف و المرازي في تطوير المدينة ، وتحدث عن الصراع القبلي الذي نشب بين أولاد بخة و أهل المبرطخ بسبب انتهاء مدة الهدنة التي كانت قد حددت بثلاث سنوات ثم ذكر إبرام الصلح بينهما[2].

وتحدث كذلك عن التنظيم الإداري للقرارة، فقال إنها وضعت تحت إدارة 36 شخصا منهم 12 طالبا يمثلون العزابة، وهم من حفظة القرآن، وكانت مهامهم الإشراف على مسجد المدينة والحفاظ عليه، وكذا تعليم الصبيان القرآن، وتعليم الكبار العلوم الدينية، ومعاقبة المجرمين وحماية الضعفاء من الأرامل واليتامى، وعقد قران المتزوجين، وتحرير العقود، وإعلان الأحكام حسب الشرع، وتعيين حدود الأراضي، وإدارة شؤون الأوقاف[3].

ويأتي بعدهم كما قال المؤلف 12 رجلا يشكلون جماعة العوام، وهم مكلفون بتسيير شؤون المدينة داخليا وخارجيا، ويستشيرون في ذلك جماعة العزابة، ويليهم في الترتيب كما قال المؤلف 16 رجلا يسمونهم المقاريس، وهم مكلفون بالأمن العام، والحفاظ على النظام، وتوقيف المجرمين والخارجين عن القانون، ثم يقدم المؤلف نماذج عن العقوبات التي تطبق على الأشخاص المخالفين لقواعد النظام العام، والتي تطبق كما قال دون تمييز بين الأشخاص[4].

---

[1] - Motylinski : Notes historiques, Opcit, p378-382.
[2] - Ibid, p 383-391
[3] -Ibid, p 404-409.
[4] - Ibid p 410-417.

ويقول أن القرارة بها ست فرق قبلية هي: أولاد حمو بن إبراهيم وأولاد بوسهلة وأولاد بوعلاهم وأولاد مرزوق وأولاد قاسي بن ناصر وأولاد جلحان، وحدد مكان إقامة كل فرقة من هذه الفرق، ثم انتقل للحديث عن تطور القرارة وازدهارها، وذكر أنه بعد قرن من تأسيسه ا صارت واحة ذات أهمية معتبرة[1].

ويعدد الفرق العربية التي قدمت للإقامة بها، وهي كلها كما قال كانت تقيم حول المدينة قبل تفرقها، وبقاء أولاد عطاش وحدهم بتلك الناحية، وتحدث بعد ذلك عن الصراعات القبلية التي عادة ما تكون لها أسباب واهية، والتي تؤدي إلى تدمير المنازل وحرق النخيل، وأن المدينة قد انقسمت نتيجة لذلك إلى قسمين شراقة وغرابة، ونفي كل قسم للآخر بعد انتصاره ثم عودته بعد مدة، والنفي الذي تعرض له أجداده من الأشراف ثم عودتهم للمدينة، ونفي أولاد علاهم وعودتهم[2].

وتحدث عن حصار الثائر محمد بن عبد الله للقرارة، وانسحابه منها والتطورات التي عرفتها المدينة بعد ذلك وصولا إلى سنة 1300 هـ/ 1882 م حيث قال إن ه في هذا التاريخ خضعت القرارة نهائيا للفرنسيين نتيجة الفوضى التي كانت سائدة بها، وذكر تولي عدد من القياد للشؤون الإدارية للمدينة آخرهم قاسي بن بوعون الذي تولى سنة 1294 هـ/ 1877 م[3].

## 3-* إبراهيم بن أيوب و تاريخ بني يزقن بميزاب :

### * المؤلف:

هو إبراهيم بن أيوب أحد أعيان الإباضية بقسنطينة في أواخر القرن التاسع عشر، فقد ورد في كتاب له أنه كان تاجرا بقسنطينة وأنه مقيم بـ: شارع كومبس رقم 51 بقسنطينة[4]، كما أنه يبدو من ذوي الثقافة المزدوجة العربية الفرنسية، ولعله درس في المدرسة الفرنسية – الإسلامية بقسنطينة التي تأسست سنة 1850.

---

[1] - Motylinski : Notes historiques, Opcit,, p 419.
[2] - Ibid, p 421-423.
[3] -Ibid, p 424- 442.
[4]-Brahim ben Eyoub : De l'indigénat, son application aux mozabites, imprimerie administrative et commerciale moderne, Philippeville : 1903, p 2.

و يبدو من خلال ما ورد في كتابه هذا أنه ينتمي لقبيلة أولاد عنان في منطقة بني يسقن بميزاب التي تعاطف معها كثيرا على حساب بقية القبائل في المنطقة.

و أظهر بن أيوب في تأليفه عن :" قانون الأهالي وتطبيقه على الميزابيين " معارفه السياسية وبدا مطلعا بشكل كاف على القوانين الفرنسية، ومناصرا لقضية الأهالي.

*** الكتاب:**

هو تأليف صغير الحجم به 16 صفحة من الحجم المتوسط نشره بقسنطينة في 28 أوت سنة 1890 بالفرنسيةوقد وضّح المؤلف في مقدمة كتابه هذا دوافع تأليفه فقال :" الحمد لله وحده، وبعد فهذا الكتيب هدفه التعرف على الحرية التي تمتع بها المزايبون منذ أن استقروا بميزاب وحتى يومنا هذا ." [1]

وقال في ختامه : " والخلاصة أنه كان لنا الشرف أن نبيّن أمام سلطات ميزاب، أنه في حال تولت الحكومة رئاسة المنطقة وتسييرها دون أن يكون للسكان دخل في ذلك، فسنكون راضين جدا ولن نعترض على شيء، في حين أن تلك الرئاسة إذا تُركت للانتخاب فإننا نطلب أن تتم تلك الانتخابات بناء على أغلبية الفرق التي عددها ثمانية وسبعون فرقة، أو على أغلبية السكان الذين حددنا عددهم فيما سبق، وهذه هي أمانينا، ونأمل أن تكون للحكومة رغبة جادة لتحقيقها في البلاد.... " [2]

وبدأ المؤلف كتابه بقوله أن بلاد ميزاب أو بالأحرى منطقة بني يسقن، كانت في الأصل موضعا صغيرا لا يضم سوى عدد قليل من السكان، وأنها كانت تضم ثلاث قبائل رئيسية فقط هي : أولاد عنان وأولاد موسى وأولاد يدّر، ووضح أن أفرادا من هذه القبائل هم الذين حكموا البلاد من الجانب الإداري أو القضائي.

وأفاد بن أيوب أن تنظيم الحكم كان قد عهد لاثني عشر رجلا ، يتم اختيارهم لتسيير شؤون المنطقة، وتختار كل قبيلة واحدا من الأعيان ليمثلها في هذا المجلس الإداري الذي يجتمع

---

1 - Brahim Ben Youb: Le Mzab(beni-isguen ) Imprimerie Shwab Welling,Constantine 1890 p 01.

2 - Ibid,p16.

أعضاؤه في مكان محدد، ويقرر في المسائل التي تتبعه، إذا تعلقت المسألة بموضوع ذو صبغة إدارية أو يدخل في مجال التنظيم القضائي، ونفس الشيء فيما يتعلق بالنساء فهن يحكمن ويزاولن القضاء في المسائل التي تخصهن .

وهناك تنظيم مشابه يقدم للسكان كل ضمانات العدالة والإنصاف، والسلطات العمومية مقامة على قواعد محددة، وتحريض الأهواء لا تجد له مكانا، وكل الناس خاضعون للطاعة.

وبفضل هذه الوضعية توسعت البلاد، وزاد عدد القبائل، حتى وصل في عهد المؤلف إلى خمسة عشر قبيلة تتشكل من 78 فرقة.

وهذا التنظيم كان في كل زمان قد تم احترامه من قبل سكان المنطقة حتى الفترة المعاصرة للشيخ عبد العزيز مؤلف النيل وشفاء الغليل، وهذا الفقيه أقام انتخابات لهذه القبائل الخمسة عشر واختارت لتسيير الشؤون العامة أولئك الذين تميزوا بالكفاءة والخبرة في التسيير، للإشراف على شؤون الناس في تلك الفترة، وعين في السلطة القضائية كل من عدون بن قاسم والحاج يوسف بن حمو والحاج بافاضل والحاج سعيد بن عدون ويوسف بن إبراهيم، وإبراهيم بن حمو، وحمو بن الحاج، والحاج سعيد بن أيوب، وكان جميع هؤلاء من قبيلة أولاد عنان ببني يسقن[1].

إضافة إلى ستة أشخاص اختيروا من قبيلة أولاد موسى وأولاد يدير والمجموع أربعة عشر شخصا على رأسهم الشيخ عبد العزيز الثميني المذكور آنفا، وذكر المؤلف عددا من الذين عينوا لممارسة السلطات الإدارية، وكانوا تحت سلطة الشيخ الثميني.

وقال أن تعليمات الشيخ الثميني كانت متبعة بحذافيرها من جانب كل القبائل إلى وفاته فآلت رئاسة المجلس إلى قبيلة أولاد عنان التي عملت على المحافظة على تعليمات الشيخ والتسيير الحسن للبلاد، ويبدو المؤلف متعاطفا كثيرا مع هذه القبيلة التي قال إنها جلبت المنافع للبلاد وساعدت على تنشيط الحركة التجارية، كما تعاملت بحكمة مع موضوع فرض الحماية الفرنسية على إقليم ميزاب، وقال إن أولاد عنان عملوا خلال مدة إدارتهم على نشر الأمن والاستقرار والقضاء على الفتن وعدم السماح بإثارة القلاقل والاضطرابات مثل إعادتهم سنة 1270 هـ/ 1854 م للشعانبة بعد فرارهم من البلاد نتيجة الأعباء الضريبية المفروضة عليهم، وتكفلهم هم

[1] - Brahim Ben Youb: Le Mzab Opcit,p 2-3.

لصبها في الخزينة الفرنسي، وعدم انسياقهم مع الثائر محمد بن الشريف الذي قدم للمنطقة وأراد فرض سلطته عليها، وقيامهم بحماية اليهود الذين سلبت أملاكهم في غرداية[1].

وألقى المؤلف كل اللوم على قبيلتي أولاد موسى وأولاد يدير، وعزا لهما التدهور الذي أصاب المنطقة، مقدما في ذلك بعض النماذج منها قيامهم بحجز أملاك أحد خدم أولاد سيدي حمزة سنة 1859 مع أن ذلك يتعارض مع المبادئ التي كان متعارفا عليها، وكذا دعم قائدهم المدعو الحاج يوسف بن محمد للثائر بوشوشة، ودعوته له للقدوم إلى ميزاب، رغم رفض باقي الفرق لهذا العمل الذي كان يهدد مصالحهم[2].

كما تحدث عن إبطال الحاج يوسف بن محمد لإحدى العادات التي ظل عبيد ميزاب يمارسونها لفترة طويلة في المكان المسمى بودراعو، وهي عادة الاحتفال بالموسيقى وبعض الألعاب، وتحدث عن إلغاء هذا القائد للعرف السائد في تولي النساء القضاء في المسائل المتعلقة بهم.

وختم حديثه عن هذا القائد بالقول أن قراراته هي التي أدت بالفرنسيين إلى تحويل الحماية التي فرضوها على ميزاب إلى احتلال عسكري فعلي سنة 1882 فقد قام عام 1878 بمراسلة الثائر بوعمامة .

وقدم المؤلف إحصاء للضرائب التي كان يدفعها أهل وادي ميزاب للسلطات الفرنسية والتي كانت 45 ألف فرنك في البداية لترتفع فيما بعد إلى 245 ألفا، ولكنها لا تذهب كلها للدولة في إشارة منه لسيطرة المستوطنين وأعوان الإدارة من القياد على موارد البلاد[3].

وقدم إحصاءً لعدد سكان ميزاب وهم 6000 من الرجال، دون حساب النساء والأطفال والشيوخ، يعمل 4300 منهم في مجال التجارة، والبقية يبقون في ميزاب لحماية النساء والأطفال من الاعتداءات الخارجية، وقال المؤلف أن ذلك أكبر دليل على فقر ميزاب والارتفاع الفاحش للضرائب المفروضة عليهم[4].

---

1- Brahim Ben Youb: Opcit,p 4-5.

2 - Ibid,p 6-7.

3 - Ibid,p8 -10.

4 -Ibid,p 12.

وفي ختام كتابه هذا وضح المؤلف أن هدفه من هذه اللمحة هو إطلاع السلطات على أمور ميزاب وعرض عادات البلاد أمامها بجلاء.

وهكذا فإن بن يوب الذي كانت له آراء سياسية في مسألة قانون الأهالي، قد رغب في تقديم دراسة تاريخية مختصرة، تعمق فهم الفرنسيين لطبائع المنطقة، وتجعلهم يخففون الضغط عن أهلها.

## المبحث الثالث: مؤرخو إقليم توات:

### 1-* عبد الرحمن سلكة و تقييده عن توات:

#### *المؤلف:

لا نعرف عن عبد الرحمن سلكة إلا ما ورد في آخر دراسته هذه، من أنه كان خوجة أي كاتبا في مركز توات سنة 1913 [1] ويبدو — كما ذكر سعد الله - أنه من أولئك الجزائريين الذين تعلموا في إحدى المدارس الفرنسية الرسمية الثلاث، ووجدوا عملا لهم كأعوان للضباط الفرنسيين في المناطق النائية، .[2]

#### * الكتاب:

اتبع المؤلف المنهج الفرنسي في إعداد دراسته فجاء المخطط هكذا: السكان، الصفوف ويقصد بها المجموعات القبلية،و سير الأولياء وأخبارهم، والتجارة والصناعة والفلاحة والرعي والعادات وتقاليد .

و قال عن السكان أنهم ينقسمون حسب الأصول والطبقات والصفوف، فبالنسبة للأصول فهناك أصلين البيض والزنوج، ويمثل الأول الأحرار، أما الثاني فيمثله الوصفان من الزنوج أو الحراطين كما يعرفون.

---

[1] -Abderrahmane Selka : « Notice sur le Touat », in B.S.G.A.A 1913, p 555.

[2]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 394.

وقال أن الأحرار كانوا قبل الاحتلال الفرنسي أسيادا للعبيد الزنوج والحراطين، وكانت لهم ملكية الأراضي، وهم ينقسمون بدورهم إلى ثلاثة طبقات هي : الشرفاء والمرابطين والعرب أو الزناتية، وكانت الطبقتان الأولتان تمتلكان غالبية الأملاك.

وتكلم عن الحراطين فقال أنهم الأحرار من الدرجة الثانية، وهم أبناء الزنوج الذين حرروا نتيجة الاستغناء عن خدماتهم بسبب كبر سنهم[1].

وتحدث عن الزنوج وهم العبيد الذين جلبوا من بلاد السودان ووضع عنوانا فرعيا هو : " أصل الزنوج وقابليتهم للعمل " تحدث فيه عن الفولان من مامبارا والمانيقوس والبوبوس والحابيين والموشي، وقال أن هؤلاء ليس لديهم أي فكرة عن العمل في الأرض.

وأما الحوسة والسرقو والفوتا فهم على العكس من ذلك، لذا تجدهم كما قال أعلى ثمنا كما أن هناك بتوات الزنجيات الحبشيات وهن مطلوبات لتكن حظيات، ووصف المؤلف زن وج توات بالخداع والكذب والغش والسرقة، و أنهم لا يعملون إلا تحت الرقابة[2].

وقدم إحصاء لعدد سكان توات عام 1909 حسب المقاطعات وهي : تيمي وسبع وبودا وتمنطيط ويوفدي وفنوغيل وتامست وزاوية كونتة وإنزغمير.

ثم انتقل للحديث عن الصفوف والصراع بينها، والصفوف التي ذكرها هي ياحمد وحلفائهم البرابر، وسفيان وحلفائهم ذوي منيع والشعانبة، وذكر الحروب والغزوات التي دارت بينهم بسبب التزاع القبلي الذي أدى للاستيلاء على القصور البعيدة والمنعزلة، مثل تارحمونت قرب تنلان، أو تلك التي لا أهمية لها مثل منطقة سيدي يوسف، وهو قصر يسكنه الحراطون العاجزون عن الدفاع عنه.[3]

وكتب عن اللغات السائدة في القصور التواتية، وهي العربية والزناتية والكورية وهي لغة زنوج السودان، ثم تحدث عن القصور التواتية وتقسيمها إلى تسع مقاطعات، وذكر الروايات

---

[1] -Abderrahmane Selka : Opcit, p 522- 524.
[2] - Ibid, p 524-525.
[3] - Ibid, p 525.

الأسطورية التي تنتشر في كل قصر، ففي قصر سبع المنتمي لصف ياحمد والذي سكنه اليهود سابقا كانت هناك روايات متداولة حول المرابط سيدي سليمان بن علي.

وتحدث عن لقرارة وهو قصر صغير ذو أهمية ثانوية، كما تحدث عن الشيخ المغيلي وقضيته مع يهود توات[1].

وكان كلما تعرض لقصر من القصور ذكر تاريخ تأسيسه إن وجده، و سير أولياءه والقبائل التي تسكنه، وعلاقتها بالقبائل المجاورة لها، فقال مثلا أن قصر أولاد أحمد قد تأسس سنة 1024 هـ/ 1615 م أسسته قبيلة من أنقاد.

وقال عن تاريدالت أنهم من الشرفاء العلويين، وعن أولاد إبراهيم أنهم قدموا من الساحل، ثم أورد قصة سيدي الحاج عبد الله مع أهل بني تامورت، وتحدث عن قصر أولاد عيسى الذي تسكنه ذرية قبيلة من العرب القادمين من المغرب، وهم الذين أسسوه[2].

كما روى خبر سيدي سعيد قدورة مع سيدي عبد الكريم، وخبر امحمد الونقالي مع أحد تلاميذه، وتحدث عن تمنطيط وعن لهجة أهلها الزناتية، وقدوم المغيلي إليها، وقصة سيدي ناجم الذي كان قاطع طريق ثم صار وليا يتبرك به[3].

وذكر زاوية الشيخ بن عبد الكريم، وعرّف بالشيخ المغيلي من خلال ما كتبه عنه صاحب كتاب دوحة الناشر ، وانتقل للحديث عن الضرائب التي كانت مفروضة على أهل توات قبل الاحتلال الفرنسي، وقدم إحصاءات لتلك الضريبة المسماة "الضيفة"[4].

وفي قسم آخر من دراسته، تحدث المؤلف عن التجارة والصناعة والفلاحة والرعي، فقال أن التجارة الرئيسية في توات هي تجارة العبيد، وهي تدر أرباحا وفيرة، ويجلب هؤلاء من السودان الذي ترد قوافله على توات في فصل الخريف و نهاية الشتاء ، وذكر مجموعة من المواد التجارية المتعامل بها وهي: الصوف والسمن والقمح والشعير واللحوم المجففة[5].

---

1 -Abderrahmane Selka : Opcit, p 528-529.
2 -Ibid , p 535.
3 - Ibid, p 538-539.
4 -Ibid, p 544-547..
5 - Ibid, p 547-548.

وقال عن الصناعة أن هناك بعض الصناعات التي تلقى رواجا، كصناعة الدكالي والكسي والقندورة والمجوهرات، وقال عن الفلاحة أن زراعة النخيل والبصل واللفت والجزر والفلفل هي الأكثر انتشارا.

وأما الرعي فقال أن كل أسرة تواتية ترعى عددا من الخراف والنعاج المسماة "دمان" وهي هجين بين الخروف العربي والتارقي[1].

وانتقل للكلام عن العادات والتقاليد بإقليم توات، فذكر طريقة الاحتفال بكل مولود جديد، وعادات الزواج، والحداد على الميت، والضيافة، وسرعة التصديق التي سمحت كما قال لبعض المرابطين اللئام من استغلال جهل الناس لتحقيق مآربهم، وقدم أمثلة عن ذلك.

وتحدث عن ما سماه غفلة أهل توات، وعدم أخذهم الاحتياطات للمستقبل، و أنهم يعيشون ليومهم فقط، و يبيعون سلعهم الأساسية بأسعار زهيدة ولا يختزنونها لوقت الشدة باعتبار ذلك من الاحتكار المحرم شرعا.

وفي الأخير قال أن الهدف المتواضع لعمله هذا هو معرفة قسم من ذهنية التواتيين محاولا تجسيد فكرة عزيزة عليه وهي:" مساعدة وتشجيع الحراطين قبل أي فئة أخرى بتوات" ، وذكر أن هذه الدراسة قد أعدها بمركز توات في 27 ديسمبر 1913.[2]

## 2-*محمد بن عبد الكريم البكري[3] وكتابه درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام:

### * الكتاب:

هو كتاب مخطوط يتناول تاريخ توات على غير ما يفهم من عنوانه من أنه يتناول أخبار الفتح الإسلامي للمغرب العربي مثلما ذهب البعض.

---

[1] - Abderrahmane Selka : Opcit, p 549-550.
[2] - Ibid, p 551-553.

[3]- سبق التعريف بالمؤلف في الفصل الثاني.

اشتمل الكتاب على أربعة فصول، الأول منها هو وصف عام لإقليم توات، وبداية عمارته وما كان بين أهله، وعدد قصوره، وقاعدة الحكم في كل قصر، ومذهب سكانه، ودخوله تحت الإمارات المختلفة[1].

عرّف المؤلف ببلاد توات ووصفها، ووضّح المسافات بينها وبين بعض المناطق كبلاد السودان وغدامس وبلاد الزاب ولبيض سيدي الشيخ، وذكر أن عدد القصور التواتية خلال القرن 11 هـ/ 17 م كان مائتين، وأن قضاتها كانوا يقيمون بالقصور الثلاثة: بودة وتيمي وتمنطيط، ثم ذكر شيئا من جغرافية المنطقة اعتمادا على ما أورده العياشي في رحلته 16، وذكر سبب عمارة توات واستقرار قبيلة زناتة به في القرن 4 هـ/ 10 وبداية بناء القصور التواتية[2].

وذكر خبر فرار باقي زناتة من سطوة المرابطين في القرن 5 هـ/ 11 م وتوافد القبائل على الإقليم 18، وذكر أسماء عدد من القبائل، مع تحديد تاريخ وفود كل منها لتوات، والحروب والصراعات القبلية، وتوافد العرب الهلالية على المنطقة، مستغلين حالة الفوضى التي كان عليها الإقليم.[3]

وكتب عن فرض الموحدين للضرائب والإتاوات على المنطقة، ورجح أن اسم المنطقة مشتق من الإتاوات، ثم عاد لوصف الحروب التي جرت بين أهل توات، والتي أدت إلى ضعفهم وانقسامهم إلى فئتين: محمد وسفيان، وتمسكهم رغم ذلك بالمذهب المالكي، رغم التيارات المذهبية التي تنازعتهم، ثم استطرد فذكر أقاليم الدنيا السبعة، وعاد لذكر عامل الموحدين على أهل الصحراء وهو المسعود بن ناصر، وجباية الموحدين للضرائب من المنطقة[4].

وانتقل للفصل الثاني وهو عن أهم الحوادث التي وقعت بالإقليم في الألف الأول حسب تسلسلها الزمني، كغزو أهل تشيت لتوات عام 675 هـ/ 1276 م، وغزو عبدة له عام 690 هـ/

[1]- محمد بن عبد الكريم البكري : درة الأقلام ، المصدر السابق، ص 14-15.

[2]- المصدر نفسه، ص 15-17.

[3] - المصدر نفسه،ص 19.

[4] - المصدر نفسه، ص 19-20.

1291 م وغزو أولاد الطالب الوادريغي عام 705 هـ/ 1305 م و708 هـ/ 1308 م، والصراع بين أهل تيمي وأهل تمنطيط.[1].

و ذكر قدوم بعض القضاة للمنطقة، وأبرزهم الشيخ أبو يحي سنة 815 هـ/ 1412 م الذي جاء من المغرب موفدا من الوطاسيين، ونزل تمنطيط، وسار بالعدل بين أهلها حتى وفاته، والشيخ يحي بن يدير سنة 862 هـ/ 1457م ، وقدوم الشيخ المغيلي لتوات سنة 870 هـ/ 1465 م وقضيته مع يهود توات وقد فصل فيها المؤلف، وأورد آراء العلماء فيها، وذكر رسائل الشيخ المغيلي، ثم سفره لبلاد السودان، وإرساله من هناك رسالة لأهل توات حول يهود توات أورد المؤلف النص الكامل لها.[2]

وتحدث عن تولي الشيخ عمر بن عبد الرحمن شؤون توات من قبل الوطاسيين وحسن سيرته إلى وفاته سنة 933 هـ/ 1526 م واستخلاف عدد من أبناء هذا الشيخ لإدارة توات.[3]

وسرد المؤلف أسماء عدد من الذين تولوا شؤون توات، وقال إن الفوضى سادت في البلاد بعد وفاة المنصور السعدي. [4]

وذكر بعض الكوارث الطبيعية كالجراد الذي غزا توات عام 1053 هـ/ 1643 م سنتين وغلاء الأسعار سنة 1076 هـ/ 1665 م [5]

و أورد المؤلف محاولة السلطان إسماعيل العلوي فرض الطاعة على أهل توات، وتعيينه لمثلين له لإدارة الإقليم، بعد أن تجددت التراعات القبلية فيه، وحدثت حرب كبيرة سنة 1126 هـ/ 1714م [6]

---

[1] – محمد بن عبد الكريم البكري : درة الأقلام ، المصدر السابق، ص 21-22.

[2] – المصدر نفسه، ص 23-27.

[3] - المصدر نفسه، ص 32.

[4] – المصدر نفسه، ص 34-36.

[5] – المصدر نفسه، ص 36.

[6] – المصدر نفسه،ص 37.

وواصل الحديث عن الصراع القبلي بتوات، وقدم نماذج كثيرة عن ذلك، وذكر تعيين السلاطين العلويين لقائد يتولى شؤون الإقليم دون إشراك الأهالي في اختياره، وان الحق في اختيارهم القائد لم يعط بهم إلا في عهد السلطان الحسن[1].

وتحدث عن دخول الفرنسيين إلى تيديكلت، ومقاومة أهل توات لهم بزعامة القائد إدريس بن الكوري، وذكر المؤلف قائمة لحكام الإقليم في العهد الفرنسي، كما ذكر وفيات عدد من الأعيان والقادة، وذكر مغارم البلاد التواتية التي فرضها سلطان المغرب عبد الرحمن بن هشام سنة 1241 هــ/ 1825 م ثم ذكر مجموعة من الحوادث الواقعة بالإقليم كبناء أول كنيسة بتوات سنة 1358 هــ/ 1939 م، وتواريخ وفيات بعض العلماء، وعاد مرة أخرى للحديث عن الحروب والتزاعات بين القبائل ومحاولات الصلح بينها[2].

وخصص الفصل الرابع من كتابه للحديث عن خطة القضاء، وترتيبها بين أهل توات، وبدأ بترجمة الشيخ سالم العصنوني، ثم أورد مجموعة من قضاة توات، مع ذكر نبذة من سيرتهم، وآخر القضاة المذكورين في كتابه هذا هو أخ المؤلف السيد الحاج عبد الحق بن عبد الكريم الذي تولى محله لما انقطع هو عن القضاء.[3]

وهكذا فإن كتاب درة الأقلام قد ضم أخبارا تاريخية موثقة عن تاريخ توات في مختلف النواحي، وعبر فترات مختلفة، وقد سعى صاحبه ليكون موضوعيا، فاستبعد الروايات الأسطورية واعتمد فقط على ما رواه الثقاة، وبعض المصادر المكتوبة كرحلة الشيخ العياشي، وقد رجحنا أنه اعتمد على عدد من الوثائق القضائية بصفته قد شغل منصب القضاء ، كما اعتمد على بعض الوثائق الإدارية في تحديد تواريخ تعيين حكام الإقليم التواتي، ولو أنه هو شخصيا لم يصرح بذلك إلا أن دقة المعلومات التاريخية التي أوردها تصب في هذا الافتراض.

---

[1]– محمد بن عبد الكريم البكري : درة الأقلام ، المصدر السابق، ص 38-44.

[2]– المصدر نفسه،ص 44-49.

[3]– المصدر نفسه،ص 50.

## 3-*الحاج إدّا اليومرادي و كتابه تاريخ قورارة :

### * المؤلف:

هو إدّا محمد بن الحاج محمد سالم اليومرادي [1] الذي يرجع أصله كما جاء في كتابه إلى قصر حيحة الواقع شمال غرب القورارة، لكن حمله لقب اليومرادي يشير أن أجداده قد استقروا أولا بقصر يومراد، وولد بها حوالي سنة 1930 تقريبا[2].

والمعلومات التي يوردها هو عن ذلك القصر تفيد أن آل اليومرادي هم في الواقع أصيلي قصر عربة بالأطلس الصحراوي، وأنهم ينحدرون من ذرية عيسى بن عمار، وهو أخ الولي محرز بن خلف التونسي، والكل من ذرية الخليفة أبي بكر الصديق، وقد وفد الجد الأول لليومرادي إلى قورارة في حوالي سنة 1600 م أي قبل مجيء سيدي الشيخ [3].

وكان الحاج اليومرادي عالما وخبيرا في شؤون الميراث، وذاع صيته خارج قريته قصر أولاد سعيد، وقد درس بزاوية تمنطيط على يد الشيخ سيدي أحمد بن ديدي، واستقر بأولاد سعيد وصار كاتبا لدى قايدها، وبعد استقلال الجزائر سنة 1962 رحل المؤلف لأداء مناسك الحج، ثم عاد إلى أولاد سعيد وكرّس نفسه هناك للتعليم في مدرسة ابتدائية، واستمر في استقبال أهالي القصور لحل المنازعات التي تنشب بينهم بسبب الميراث وتوفي الحاج إدا سنة 1992 عن عمر يناهز 62 سنة خلال رحلته الثانية للحج[4].

### *الكتاب:

قال رشيد بليل الذي استفاد من المخطوط، ونشر قسما منه بالفرنسية كملحق لعمله حول قصور قورارة، إنه لم يعلم بوجود نص إدا إلا في نهاية دراسته الميدانية عن القصور، وأنه ذهب اليه بعد توسط صديق له من تيميمون إلى منزله في أولاد سعيد، طالبا منه معلومات عن القصور فقام الحاج إدا بتزويده ببعض المعلومات الشفهية، ولكن عند رجوع ذلك الباحث في السنة الموالية وهي

---

[1] - Rachid Bellil : Ksours et Saints du Gourara dans la tradition orale, l'hagiographie et les chroniques locales, C.N.R.P.A.H , Alger 2003, p 287.

[2] -Ibid, p 286.

[3] -Ibid, p 287.

[4]- Ibid, p 288.

سنة 1991 ذكر له إدا أنه يحوز على كراس جمع فيه خلال شبابه معلومات حول عدد من قصور القورارة وفي ذلك الكراس ذكر المؤلف اسمه كاملا وهو إدّا محمد بن الحاج محمد سالم اليومرادي وهو مؤرخ بسنة 1959.[1]

يضم كتاب اليومرادي تاريخ عشرين قصرا من قصور القورارة، والمعلومات المفصلة التي تركها حول أصل القبائل، وتاريخ وصولها للقورارة تجعلنا نعيد بناء تاريخ التوطن البشري بهذه المنطقة منذ القرن 15 م وحتى القرن 20 م، وللأسف الشديد فالمؤلف لا يزودنا إلا بالقليل من المعلومات عن المجموعات البشرية الزناتية التي كانت مستقرة بالمنطقة منذ القرن 15 م[2].

وقد اعتمد المؤلف على بعض الوثائق، وعدد من الروايات الشفهية المتواترة بين شيوخ وأعيان المنطقة، ورغم ذلك فهو مفيد في التاريخ المحلي لقورارة، ولا توجد مصنفات موازية له في هذا المجال حتى نقارنه معها.[3]

والمعطيات التي يقدمها لنا غير متجانسة، وتغطي فترات لا ترتبط الواحدة بالأخرى ومن الصعب محاولة إعادة بنائها باستمرارية تاريخية.

وألف كتابه وله من العمر 29 سنة، وعندما وضع بين يدي الباحث رشيد بليل كراسه ذكر له أنه كتبه بعد أن حاز على الكثير من الأرشيفات التي تعود ملكيتها إلى قايد القصر، وهذه الوثائق المخطوطة يبدو أنها كانت لا تزال محفوظة لدى أحد أبناء قبيلة آت لحسن الذي احتفظ بالسلطة في أولاد سعيد، والحاج إدا وجه الباحث إلى ذلك الشخص، الذي لم يتوقف لحظة، طوال لقاء الباحث به عن التأكيد أنه لا يملك أوراقا قديمة[4].

وقد حرر المخطوط سنة 1959 على كُرّاس مدرسي به 96 صفحة وخطه مغربي، وقد قام بليل بالاستعانة بأحد قدماء تلاميذه في ثانوية تيميمون الذي قرأ عليه نص المخطوط فكتبه هو بالحروف اللاتينية، وكان ذلك سنة 1990، ولكن عند عودة ذلك الباحث في السنة التالية لمراجعة النص مع المؤلف واستكمال بعض المعلومات الواردة في المخطوط وجد المؤلف قد مات في الحج.

---

[1] - Rachid Bellil :Opcit Ibid, p 286.
[2] - Ibid, p 286-287.
[3] -Ibid, p 287.
[4] - Ibid, p 288.

ويضم الكراس قسمين والأكثر أهمية هو ما يتعلق بالقبائل التي استقرت بالقصور وماضيها والثاني ذو طابع إثنوغرافي، عمد فيه المؤلف إلى تبيان الفروق بين الزناتية والعرب في اللباس والغذاء والمظهر الجسدي والمسكن والعادات ..الخ والقسم التاريخي هو المهم.[1]

وأما عن دوافع التأليف فيبدو أن المؤلف كانت له رغبة في الانتفاع بوثائق القايد، أو أن هذا الأخير أو أحد الإداريين الفرنسيين وبوساطة القايد أراد تدوين تاريخ محلي للمنطقة، يسهّل الانتفاع به عند الحاجة، وحتى يُقدم للقايد والإدارة الفرنسية معلومات تاريخية عن المجموعات المقيمة بالقصور، والتي هي تحت سيادتهم في ذلك الحين[2].

وأما منهجه فهو يقدم المعلومات عن كل قصر على حدا، وهناك 17 قصرا ، يُعرّف المؤلف بالقبائل التي استقرت بكل قصر، وأصله الجغرافي، وتاريخ وصول سكانه، ويقدم في الغالب تفاصيل حول مختلف مراحل الهجرة، ويزودنا بأسماء المجموعات القبلية من الموالي التي رافقتها وحتى أسماء العبيد الذين تملكهم.

ويذكر نمط اكتساب الأراضي، وأحيانا القصور، وكذا أسماء الفوقارت التي حفرتها كل قبيلة، وأخيرا فالكاتب يشير أحيانا إلى تدرب القادمين الجدد على اللغة الزناتية .

وبالنسبة للتواريخ التي يعتمدها المؤلف فلا يمكن نفيها أو تأكيدها لانفراده هو بذكرها، ومع هذا فالملاحظ أن بعض التواريخ محددة بدقة، أما الغالبية العظمى من التواريخ فالمؤلف يذكر فيها القرن أو نصف القرن، كأن يقول حدث ذلك في القرن العاشر الهجري، أو حدث في النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري، مما يجعلها جد تخمينية.

وهناك ملاحظة أخرى، وهي أنه رغم ذكر الكاتب أسماء القبائل الوافدة لقورارة، وتاريخ وفودها، إلا أنه لا يذكر كما ذكرنا سابقا أسماء القبائل والمجموعات التي كانت موجود قبلها، وهذا يعود ربما لقلة المصادر حول استيطان الزناتية والحراطين بالمنطقة وقلة الأخبار حول الحوادث السابقة للقرن 16 م[3].

---

[1] - Rachid Bellil :Opcit Ibid, p 286.
[2] - Ibid, p 289.
[3] - Ibid, p 290.

## المبحث الرابع: مؤرخو سوف:

### 1-* الشيخ العروسي وكناشه في تاريخ سوف:

#### * المؤلف:

هو الشيخ محمد العروسي المدعو حمة بن الشيخ محمد الصغير بن الحاج علي التماسيني، ولد بقمار سنة 1845 وبها نشأ وتربى وحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ محمد الطيب الشنقيطي منذ صباه كعادة أبناء الزاوية.

بعد أن أتقن حفظ القرآن تلقى أصول الفقه والدين على يد الشيخ لخضر بن أحمد حمانة قاضي بلدة قمار، وأخذ مبادئ التصوف على والده محمد الصغير، وكان متعلما نبيها كما كانت له اهتمامات في مجالات مختلفة من العلوم والمعارف.

تولى الشيخ محمد العروسي في عهد والده مهمة المقدم على شؤون زاوية قمار التيجانية ونظرا لشخصيته القوية فقد جعل من الزاوية قبلة للجميع، وصار صاحبها ملجأ لحل النزاعات مثلما حدث مع بوضياف بن أحمد التاغزوتي، الذي بعث للشيخ رسالة شكوى تتعلق بخلاف بينه وبين غريمه علي بن نصر التركي، وكان ذلك سنة 1894 ، كما زار الزاوية في عهده الشيخ محمود بن المطماطية مقدم التيجانية في قسنطينة وذلك سنة 1906.

وإلى جانب نشاطه بالزاوية، فقد كان للشيخ اهتمام بالهندسة والنقش، كما أظهر اهتماما كبيرا بتقييد الحوادث التاريخية التي وقعت بسوف في كناش تاريخي ضاع للأسف الشديد و لم تبق منه سوى بعض النقول.

توفي محمد العروسي سنة 1920 بعد أن جعل من مقر سكناه المسمى سطح سيدي حمة العروسي مكانا للدرس وغذى مكتبته بالكثير من الكتب النفيسة[1].

---

[1]– سعد العمامرة وأحمد منصوري: أعلام من سوف، المرجع السابق، ص 17-18.

***الكتاب:**

اعتمد محمد الساسي لعوامر في تأليفه الصروف كما ذكرنا سابقا على كناش تاريخي من تأليف الشيخ محمد العروسي، وذلك دون أن يذكر لهذا الكناش عنوانا أو يصف لنا حجمه.

ويستفاد من كلام محمد الساسي لعوامر أن للشيخ العروسي كناش ومخدرة تاريخية لعل الثانية اختصار للأول فهو يقول أحيانا :" جاء في كناش العروسي ما نصه، وإن كان مجملا وكذلك في مخدرته."[1]

وقد نقل منه العوامر أخبارا عن مجيء الرومان إلى أرض سوف " منذ دهر طويل" كما قال " وقاتلوا من فيها وأخرجوهم منها فتفرقوا في إفريقية، وسكنوا في مساكنهم الجردانية، والبليدة وجددوا ما تهدم منها وتعقبوا في أراضيها."

كما نقل منه أخبارا كثيرة عن سوف في العهد العثماني، منها خبر خروج الشيخ أحمد من توقرت، وتراجع عدد أتباعه، وإرساله لأهل قمار يطلب الأمان، وقبولهم لجوءه إليهمن فقدم إليها سنة 1199 هـ/ 1785 م، ولكنه لم يستقر وأرسل رسلا إلى نفطة بتونس للسماح له بالاستقرار فيها، وسفره إليها سنة 1201 هـ/ 1787 م[2].

كما نقل عنه أن" الشيخ فرحات كانت له وقائع بنواحي الزاب الغربي ومداشر تقرت الشمالية فأراد الذهاب أيضا إلى سوف".

ونقل عنه نصا حافظ على صيغة الشيخ العروسي فيه هو : " وفي رمضان من هذه السنة 1201 هـ/ 1787 م أتى الشيخ فرحات وابراهيم بن الحاج بن قانة بمحلة إلى الرقوبة جمرت من جرت العرش ومن معهم نحو الثلاثمائة مخلة وقطعت جريد الرقوبة وما حولها."[3]

---

[1] – إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 215.

[2] – المصدر نفسه: ص 214.

[3] – المصدر نفسه، ص 215.

ويبدو أن الشيخ العروسي قد اعتمد على الرويات الشفهية المتداولة عن المشايخ، فقد نقل عنه لعوامر قوله: " قال القدماء أنه لما تمكنت قدما الشيخ محمد في تقرت، و لم يبلغ صوته مسامع بعض أهل سوف أخبر الباي صالح بذلك.." [1]

وأورد العروسي في كناشه خبر خروج حسن باشا لغزو قمار، وتوجيهه محلة بقيادة الشيخ إبراهيم وتصدي أهل قمار لهم، وقتل أفراد كثيرين من تلك المحلة، وكان ذلك سنة 1215 هـ/ 1801 م.[2]

و لم يكتف الشيخ العروسي بتقييد الأخبار السياسية فقط، بل أورد بعض الكوارث الطبيعية التي حدثت في سوف منها قوله :" وفي آخر هذه السنة -أي سنة 1207 هـ/ 1793 م - وقع جدب بالصحراء أضر بالمواشي وتزاحم الناس على موقع المطر.."[3]

## 2-* إبراهيم العوامر[4] وكتابه الصروف في تاريخ الصحراء وسوف:

### * الكتاب:

يعد كتاب" الصروف في تاريخ الصحراء و سوف " من كتب التاريخ المحلي الخاصة بالجنوب الجزائري، و قد ألفه سنة 1331 هـ /1934 م، بطلب من أحد الفرنسيين الذي لم يذكر اسمه و عبر عنه بولاة الأمور[5] .

وكان العوامر في الثلاثين من عمره عندما ألف الصروف في عهد الحاكم الفرنسي ليتو ونظرا لطموحه وشبابه وتعلمه طلب منه بعض الفرنسيين تأليف كتابه الصروف، ولعله فعل ذلك طمعا في الوظيف أو تفاديا لغضب الإدارة.

---

1 – إبراهيم العوامر : المصدر السابق ص220.

2 – المصدر نفسه، ،ص 224.

3 – المصدر نفسه، ص220.

4 – سبق التعريف بالمؤلف في الفصل الثاني.

5 – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر اتلثقافي، ج7،ص 390.

ألف لعوامر كتابه حسب بعض النسخ سنة 1331هـ/ 1913م، وتقول بعض المصادر إنه كتب أيضا نسخة أخرى بدأها سنة 1916، وهي تكاد تكون كالأولى، غير أن التنقيحات التي أضافها جعلت الكتاب يتوسع ليشمل نواحي أخرى غير سوف، كالحديث عن أجزاء من الصحراء ذات الصلة بوادي سوف.

ونظام كتاب الصروف يشبه نظام الكنانيش والمذكرات فهو بدون فصول ولا أبواب، وإنما يشمل الأحداث والعناوين المستقلة، وكلما انتهى من تغطية الحدث أو الموضوع انتقل إلى آخر، وهكذا فالكتاب عبارة عن مسائل وحوادث متفرقة، وليس تاريخا مترابطا، وقد اعترف المؤلف نفسه بذلك حين كتب يقول :"وبعد فهذه نبذة لطيفة ومسائل شريفة في بيان أحوال الصحراء وسوف، وما اشتملت عليه من الحوادث والصروف" [1].

و ينقسم الكتاب الذي هو عبارة عن مسائل و حوادث متفرقة و ليس تاريخا مترابطا إلى قسمين متميزين : الأول في المسائل النبذ التاريخية ، و الثاني في الأنساب و هو أقل حجما ، و من موضوعات القسم الأول مسائل عامة في الجغرافية و صفة المنطقة و نباتها و عمرانها ، و الشعوب القديمة السابقة للفتح الإسلامي ثم الفتح نفسه ، و الهجرة الهلالية خصوصا قبيلة طرود و عدوان و ما جرى في عهدهم من وقائع ، و كذلك مسائل و أحداث جرت في القرن التاسع عشر بما فيه العلاقات مع الفرنسيين[2].

و أما مصادره فقد اعتمد إبراهيم العوامر على مصادر عديدة، بلغت حوالي العشرين منها: ابن خلدون و ابن أبي دينار و الزركشي و العدواني وكناش الشيخ العروسي ومحدرته.

ونلاحظ أن مصادره بعضها له صلة مباشرة بالموضوع كتاريخ العدواني، ومحدرة وكناش الشيخ العروسي اللتان كانتا من المصادر الهامة في كتابه هذا، ولكن المؤلف ذكر مصادر لا علاقة لها بموضوعه وهي: كتاب عجائب المخلوقات للقزويني، وكتاب النخبة الأزهرية وتذكرة

[1]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، ص 391.
[2]- إبراهيم مياسي: المرجع السابق، ص 179 .

الأنطاكي، ولا شك أنه كانت للمؤلف مخطوطا ت ووثائق تمكنه من الكتابة عن الأمور لا يعرفها كل المتعلمين عندئذ فقد كان على صلة بالإدارة الفرنسية و أعيان بعض قبائل المنطقة[1].

اعتمد العوامر على الرواية الشفوية وأقوال القدماء، من بعض علماء المنطقة وهو مرجع ضروري عند انعدام الوثائق المكتوبة، وذكر منهم خصوصا الشيخ نصر بن قطحيزة القرفالي الذي نقل عنه أخبارا كثيرة.[2]

ويتضمن الصروف مسائل عامة في الجغرافية، وصفة المنطقة ونباتها وحيوانها وعمرانها، وهذا يشمل أيضا الأغواط وبسكرة وغرداية وتقرت وورقلة [3]، ومسائل تاريخية بعيدة عن سوف مثل الأمم والشعوب القديمة السابقة للفتح الإسلامي كالكنعانيين والرومان والوندال والروم- ثم الفتح نفسه وبداية استقرار الفاتحين[4].

وجاء في الصروف أخبار عن هجرة بني هلال وبني سليم إلى بلاد المغرب، ولا سيما هجرة قبيلة طرود وعدوان، والوقائع التي جرت في عهدهم سواء مع الزناتيين أو الشابية أو بايات تونس وعلاقاتها مع النواحي المجاورة كالزبيان[5].

كما ورد في الكتاب الحوادث التي جرت في النصف الأول من القرن التاسع عشر كالمناوشات والغارات من أجل العيش وتأمين الأمن والحدود، وتحركات قبائل سوف، وبناء بعض القرى، وبعض الأخبار التي تخص العلاقات مع الفرنسيين منذ احتلال سوف سنة 1854 إلى أحداث السبعينات مع نهاية مقاومة بوشوشة تقريبا 1874، وبداية حكم الفرنسيين لسوف بطريقة مباشرة[6].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 391

[2]- إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 101، 177، 215، 216،217، 222، 229، 247.260.

[3]- المصدر نفسه، ص 3-15.

[4]- المصدر نفسه، ص 16-23.

[5]- المصدر نفسه، ص 33-48.

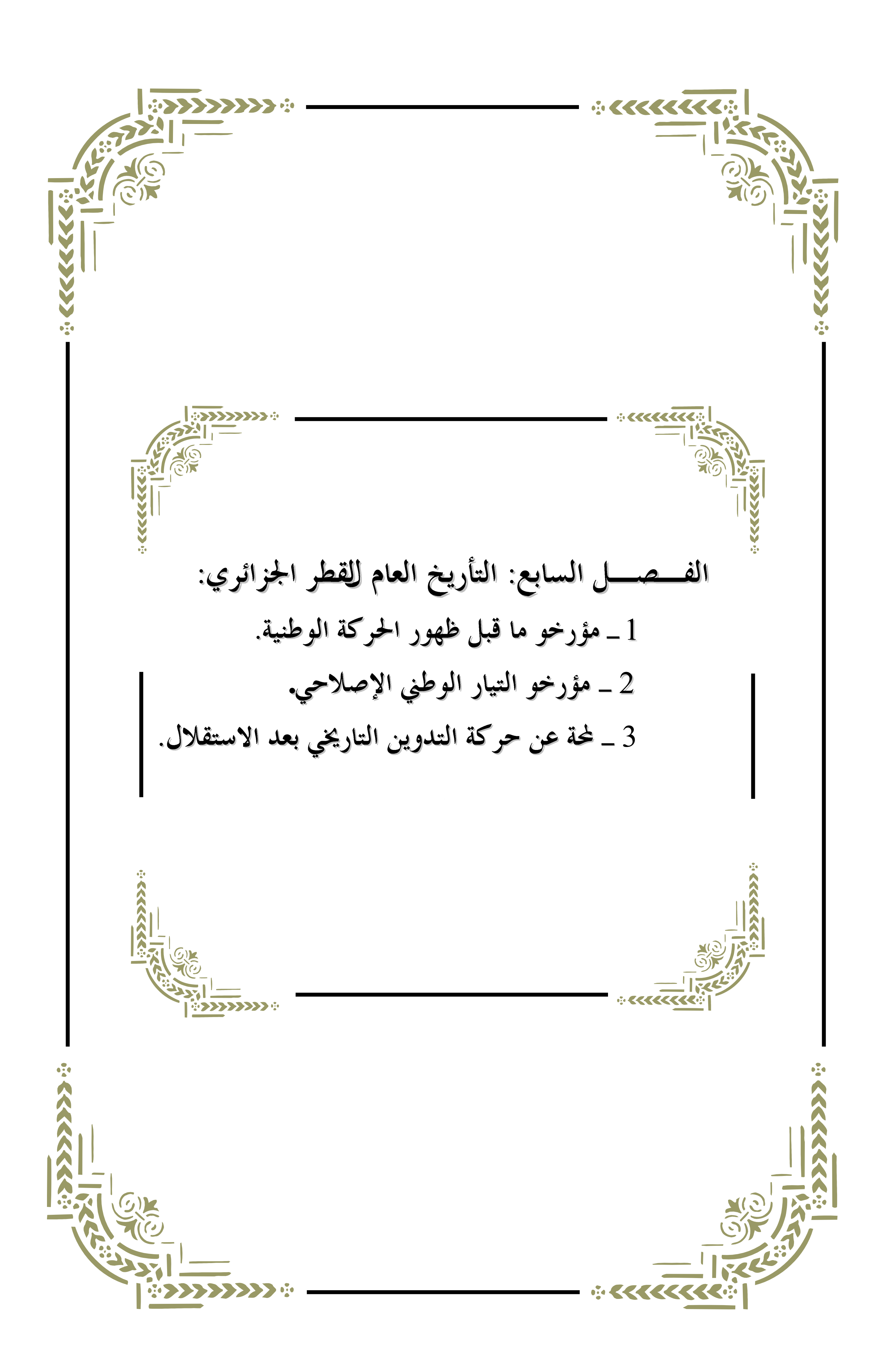
[6]- المصدر نفسه، ص 123-156.

أما القسم الثاني وهو عن الأنساب فقد تحدث فيه العوامر عن نسب قبائل سوف ومنهم قبيلته الشبابطة وذكر فروع هذه القبائل ومواطنها و هي كوينين و قمار و تاغزوت و الدبيلة و سيدي عون و الزقم و البهيمة و غيرها و لم يذكر مصادره في هذا القسم من الكتاب[1].

وفي ظل ندرة المصادر التاريخية المحلية عن تاريخ سوف فإن كتاب الصروف لإبراهيم العوامر يظل ذو أهمية بالغة كمصدر نادر في هذه الناحية.

وهكذا فقد لاحظنا أن الطبيعة الصحراوية القاسية لم تعق بعض مؤرخي الصحراء عن تدوين مؤلفات تاريخية هامة انطلاقا من واجب وطني هو التعريف بمناطقهم، وتوضيح أهم المحطات التاريخية التي مرّ بها قديما، مع تقديم تراجم مختصرة لأهم علماء تلك المناطق.

[1]- إبراهيم العوامر : المصدر السابق، ص 261-335.



# الفـــصـــل السابع: التأريخ العام للقطر الجزائري:

1 ـ مؤرخو ما قبل ظهور الحركة الوطنية.

2 ـ مؤرخو التيار الوطني الإصلاحي.

3 ـ لمحة عن حركة التدوين التاريخي بعد الاستقلال.

سنعالج في هذا الفصل الكتابات التاريخية التي تناول أصحابها تاريخ القطر الجزائري عامة بكل أقاليمه، دون الاقتصار على إقليم من الأقاليم ، وكان هذا الصنف من الكتابات قد ارتبط بالاحتلال والآثار المترتبة عنه، وأبرزها بداية تشكّل مفهوم الوطن عند هؤلاء الكتاب ، إما بالاحتكاك مع الفرنسيين والتأثر بأفكارهم، وآرائهم في القومية، كما هو الحال عند حمدان خوجة أو مع تنامي التيار الوطني الإصلاحي، كما هو الحال عند كل من مبارك الميلي وأحمد توفيق المدني[1].

## المبحث الأول: التأريخ للقطر الجزائري قبل ظهور الحركة الوطنية:

### 1- حمدان بن عثمان خوجة و كتاب المرآة :

#### المؤلف:

ينتمي حمدان بن عثمان خوجة إلى عائلة جزائرية عريقة ذات ثروة وجاه، اشتغل بعض أفرادها بالتجارة وبتولي الوظائف الإدارية، فقد كان أبوه عثمان فقيها مدرسا ومقربا إلى السلطة الحاكمة بالجزائر العاصمة، أما خاله الحاج محمد فكان أمينا للسكة قبل الاحتلال الفرنسي[2].

ولد حمدان حسبما ذكر سعد الله سنة 1773[3]، و تلقى تعليمه الأول عن أبيه الذي حفظ على يده القرآن وبعض العلوم الدينية، ثم دخل المرحلة الابتدائية التي نجح فيها بتفوق، فأرسله والده سنة 1784 مكافأة له لمرافقة خاله في رحلته إلى اسطنبول لتقديم هدايا ديوان الجزائر إلى مقام السلطان العثماني، وقد تردد بعد ذلك مرات عديدة على مركز الخلافة العثمانية إستانبول فأعجب بمناهجها، وتعلق بمظاهر الحياة بها، كما زار بعض أقطار المشرق العربي وأقاليم البلقان، وفي طريق عودته من إحدى رحلاته نزل بمدينة تونس سنة 1801 ، وتعرّف على معالمها وحظي بحفاوة حاكمها حمودة باشا الذي حضر مجلسا له، كان يشكو فيه من تصرفات بعض الجزائريين بتونس[4].

---

1– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 396.

2– عبد الكريم وصفصاف وآخرون: معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق،ج2، ص 102.

3– أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية،ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ، ط3، الجزائر: 1983، ص 29.

4– ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي، المرجع السابق، ص 487.

واصل حمدان تعليمه في المؤسسات العلمية القائمة في الجزائر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، فتعلم العلوم الدينية واللغوية والمعارف القانونية والتاريخية والفلكية والطبية، كما أتقن عدة لغات منها: الفرنسية والتركية والإنجليزية[1].

بعد وفاة والده شغل مكانه كمدرس للعلوم الدينية لمدة قصيرة، ثم مارس التجارة مع خاله ونجح فيها، و عاش حمدان خوجة حياة موسرة بمدينة الجزائر، واكتسب ثروة كبيرة درتها عليه أعماله التجارية المربحة، ومردود أملاكه الزراعية، فأصبح أحد أثرياء البلد، إذ تجاوز رأس ماله ثلاثمائة ألف فرنك حسب ما صرح به هو نفسه للفرنسيين، وهذا ما أكده القنصل الإنكليزي في رسالة له مؤرخة في شهر أفريل 1830 عندما وصف حمدان خوجة بأنه أهم تاجر بالجزائر[2].

بعد الاحتلال الفرنسي عمل خوجة عضوا في بلدية الجزائر، وفيها حاول الحفاظ على ما تبقى للجزائريين من ممتلكات، حيث رفض تسليم عدة مساجد للفرنسيين الذين اتخذوا ذلك حجة لتدميرها وإقامة مؤسسات وطرق عمومية بدلها، كما شارك في لجنة التعويضات الفرنسية لتعويض الأشخاص الذين هدمت ممتلكاتهم لفائدة مل كان يسمى بالمصلحة العامة، وفيها بذل حمدان جهودا معتبرة لخدمة إخوانه الجزائريين، ولكن الاستعمار الفرنسي تفطن لنوايا الأعضاء الجزائريين المشاركين في هذه اللجنة فحلها وأغلق باب التعويضات، بعد ذلك شارك كوسيط بين أحمد باي والفرنسيين، وأرسل إلى الجنرال سولت مذكرة يصف فيها التجاوزات التي قام بها الفرنسيون في الجزائر، فكان من نتائج هذه المذكرة إنشاء اللجنة الإفريقية للبحث عن الأوضاع في الجزائر، وفي باريس راسل السلطان العثماني وناشده بالتدخل لإنقاذ الشعب الجزائري، ثم غادر باريس نحو القسطنطينية في سنة 1836 [3].

عرف حمدان خوجة بأفكاره السياسية، واستيعابه للتطورات الاجتماعية التي كانت تعيشها الشعوب الأوروبية، وتتأثر بها أقاليم الدولة العثمانية، فقد كان عارفا باللغات، وتأثر بالفكر القومي السائد آنذاك في أوروبا، كما دفعه إطلاعه على التطورات الدولية إلى محاولة الاحتكاك

---

[1]– محمد بن عبد الكريم الجزائري: حمدان بن عثمان خوجة الجزائري ومذكراته، دار الثقافة، بيروت 1970، ص 139.

[2]– عبد الجليل التميمي : بحوث ووثائق في التاريخ المغربي ، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، زغوان: 1985، ص 133.

[3]– أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج2،المرجع السابق، ص 30-31.

بالإدارة الفرنسية التي نصبها الفرنسيون بمدينة الجزائر عند احتلالهم لها سنة 1830 و لم يتردد في إرسال ابنه إلى قائد الحملة الفرنسية الجنرال دو بورمون سعيا منه للحد من تأثير الإجراءات التي اتخذها الفرنسيون في الحق الجزائريين، كما سعى بتكليف من القيادة العسكرية الفرنسية بالجزائر للاتصال بحاكم مقاطعة التيطري الباي بو مزراق، وحاكم مقاطعة قسنطينة الحاج أحمد باي، عسى أن يضع حدا لحالة الحرب، ويحول بذلك دون توسع الاحتلال الفرنسي في كامل أنحاء الجزائر.

اضطر حمدان خوجة إلى مغادرة الجزائر بعد أن يئس من عدالة الفرنسيين، وفهم أبعاد سيادتهم الاستعمارية التوسعية، فتوجه إلى إستانبول حيث كان يتتبع التطورات بالجزائر، مواظبا على القراءة والتأليف حتى وافته المنية، ودفن بمقبرة الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري حوالي عام 1261هـ/ 1845م[1].

ألف حمدان خوجة عددا من التآليف التي تعتبر من المصادر الأساسية لدراسة الفترة الأخيرة من العهد العثماني في الجزائر والفترة الأولى من الاحتلال الفرنسي، كما تعطينا صورة واضحة عن مستوى الفكر في العالم الإسلامي، منها مذكرة قدمها للجنة الإفريقية في 26 أكتوبر 1833م، كما أن له تأليف في قضايا تتصل بالعقيدة وقضايا المجتمع منها رسالة "حكمة العارف بوجه ينفع لمسألة ليس في الإمكان أبدع" ورسالة أخرى عن مرض الوباء بعنوان "إتحاف المتصفين والأدباء بمباحث الاحتراز من الوباء. [2]

### * كتاب المرآة:

وهو العمل الذي اشتهر به حمدان خوجة وصُنّف به ممن أثروا التراث التاريخي للجزائر [3]، وكان تأليفه سنة 1833، فهو من أوائل الكتب التي صدرت بعد الاحتلال، وتناولت أحداثه وحكمت عليه بالفشل من البداية، واستنكرت فظائعه وبذرت البذور الوطنية، وبشرت بالتضامن الإسلامي للتحرر من الاستعمار[4].

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي، المرجع السابق، ص 489.

[2]- محمد بن عبد الكريم الجزائري: المرجع السابق، ص 141.

[3]- ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي، المرجع السابق، ص 491.

[4]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 396.

وكتاب المرآة قد ضاع أصله العربي و وصلتنا ترجمته الفرنسية الصادرة بباريس عام 1833 بعنوان لمحة تاريخية وإحصائية عن إيالة الجزائر، وقد ذكر ولده علي رضا باشا في كتابه مرآة الجزائر في النسخة التركية المترجمة عن العربية، أن والده عندما كان مقيما بباريس أراد أن يطلع وزراء الحكومة الفرنسية على مساوئ الإدارة المدنية بالجزائر، الناتجة عن احتلال الجزائر، فألف كتابا بالعربية ثم ترجمه إلى الفرنسية وطبعه واتخذ لتحريره مصادر تاريخية بالعربية والفرنسية.[1]

وكان غرض خوجة في كتابه أن يقدم إلى اللجنة الإفريقية كتابا يضم معارف ووثائق وإحصاءات عن الجزائر قبل أن تتوجه إليها، لأنه كان يعرف أن هذه اللجنة ستواجه أكداسا من الوثائق والبيانات من الأوروبيين أنصار استعمار والاستيطان، سواء كانوا إداريين أو عسكريين أو مواطنين عاديين[2].

قسّم حمدان خوجة عمله إلى كتابين: الأول يتشكل من ثلاثة عشر فصلا تمس مختلف أوضاع الجزائر استهلها بمقدمة تحدث فيها عن الظلم الذي حل بالجزائريين، وقارن بينهم وبين وضع غيرهم في أوروبا، وبيّن فيها الأسباب التي دفعته إلى هذا التأليف، والهدف الذي قصد به أن يكون جوابا شافيا وشرحا مفصلا للحالة التي آلت إليها الجزائر، أما مضمون الفصول فهي كالتالي:

الفصل الأول: في بدو الجزائر في السهول (العرب) والجبال (وهم البربر) مع إشارة إلى فكرة تقديس الأولياء عند البربر[3].

والفصل الثاني: في طبائع وعرب البربر كالألبسة وطريقة العيش[4].

والفصل الثالث: تابع فيه وصف طبائع البربر من حيث المسكن وطريقة الحياة[5].

والفصل الرابع: عرّف فيه بسهل متيجة وسكانه وسكان التل والصحراء.[6]

---

[1]– عبد الجليل التميمي : بحوث ووثائق في التاريخ المغربي،المرجع السابق، ص 133.

[2]– أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص 31.

[3]–حمدان بن عثمان خوجة: المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،ط 2، الجزائر: 1982،ص 53-60.

[4]– المصدر نفسه، ص 61-64.

[5]– المصدر نفسه، ص65-68.

[6]– المصدر نفسه، ص 69-84.

والفصل الخامس: في أوضاع سهل متيجة وطبيعة سكانها والشروط المناخية غير الملائمة التي يتميز بها هذا السهل القريب من مدينة الجزائر[1].

والفصل السادس: تحدث فيه عن سكان الجهات الغربية من البلاد الجزائرية وأوضاع مدنه مثل تلمسان ووهران ومعسكر ومليانة مع ذكر مدينة الواقعة إلى الجنوب من مدينة الجزائر، وعن ما شاهده من أحداث في أوائل عهد الاحتلال (الفرنسي)[2].

والفصل السابع: في أوضاع مدينة الجزائر البشرية والثقافية خاصة[3].

و الفصل الثامن: في أصول الحكم التركي وتنظيماته مع ذكر أسباب مجيء الترك للجزائر وطبيعة حكمهم لها[4].

و الفصل التاسع: في كيفية صناعة السفن وطريقة توزيع الغنائم مع مسائل تتصل بالتنظيم العسكري بالديون[5].

الفصل العاشر: في تحديد مهام الداي وصلاحياته ودور الجزائريين في الحياة العامة وفي إدارة البلاد مع ذكر ألقاب الموظفين الإداريين[6].

الفصل الحادي عشر: في كيفية تحديد الرسم على الأراضي، وفي طريقة جمع الضرائب قبل الاحتلال الفرنسي[7].

الفصل الثاني عشر: في انحطاط حكومة الأتراك وسقوطها وذكر أسباب الضعف السياسي والعسكري الذي أصابها[8].

---

[1]– حمدان بن عثمان خوجة: المصدر السابق، ص 85-92.

[2]– المصدر نفسه، ص 93-100.

[3]– المصدر نفسه، ص 101-106.

[4]– المصدر نفسه، ص 107-116.

[5]– المصدر نفسه ، ص 117-124.

[6]– المصدر نفسه، ص 125-142.

[7]– المصدر نفسه، ص 143-148.

[8]– المصدر نفسه، ص 149-160.

الفصل الثالث عشر: في ذكر آخر بايات الجزائر في عهد الباشا حسين داي ( 1818-1830) دافع فيه عن هذا الباي وحاول دحض الاتهامات الموجهة إليه[1].

أما الكتاب الثاني من المرآة، فهو نوع من المذكرات أو اليوميات، فهو يصف فيه الصراع بين إدارة الاحتلال و الأهالي في مدينة الجزائر، وتحدث فيه عن الحملة الفرنسية والنزول في سيدي فرج[2]، والأعمال الفظيعة التي ارتكبت أثناء الاستيلاء على مدينة الجزائر، ثم تحدث عن البايات بعد الاحتلال، ولا سيما مصطفى بومزراق باي التيطري [3]، ثم غزوة كلوزيل البليدة والمدينة، ومصادرة أوقاف مكة والمدينة، ووصف الأملاك الأوروبية الجديدة، وتقرب اليهود من الفرنسيين.

ضم هذا الكتاب ملحقا من عدة وثائق كلها عن النتائج السياسية للاحتلال خلال السنوات الثلاث الأولى، منها مجموعة من العرائض التي تقدم بها الأهالي بزعامة حمدان خوجة في اللجنة المعروفة بلجنة المغاربة، وقد أعلن خوجة في نهاية كتابه المرآة أنه سيؤلف جزءا آخر، ولكننا لا نعرف إن حقق ذلك، ولعل خيبة أمله في لجنة التحقيق، واستحالة عودته إلى بلاده في تلك الظروف قد ثبطت من عزيمته وجعلته يهتم بمصيره فلجأ إلى اسطانبول[4].

من خلال عرض مضمون كتاب المرآة يتضح لنا أن مؤلفه تناول فيه أوضاع الجزائر الطبيعية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية بصفة شاملة وبنظرة متفحصة ومعلومات جديدة تعكس اطلاعه على أحوال الجزائر وتظهر مدى معرفته بواقع الإدارة العثمانية فيها، بعضها كان نتيجة ثقافته الشخصية ومعرفته الخاصة، وبعضها استقاه من الحكام والموظفين والتجار الذين كان على اتصال بهم، وفي طليعتهم التجار اليهود المتنفذين مثل بكري وبوشناق وقد أشار إلى أحدهما في قوله : " لقد أخذت عن هذا الشريك نفسه هذه المعلومات"[5].

---

[1]- حمدان بن عثمان خوجة: المصدر السابق، ص 161-173.

[2]- المصدر نفسه، ص 177-187.

[3]- المصدر نفسه، ص 219-226.

[4]- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص 31.

[5]- حمدان خوجة: المصدر السابق، ص 43.

وقد عبّر حمدان خوجة فيما كتبه في المرآة عن مواقفه من الأحداث، وأبدى رأيه في القضايا المطروحة، وحاول قدر المستطاع استخلاص النتائج انطلاقا من المعلومات التي عرضها و الوقائع التي سجلها وهو في ذلك يهدف إلى إقناع القارئ والمتلقي، وقد التزم في كل ما عرضه الدقة والصدق في تسجيل الأخبار لأنهما ضروريان لإقناع مخاطبه كما عمد إلى ترتيب المعلومات ومقارنتها مما أكسبها منطقية وقربها من ذهن القارئ.

وأما المنهج المتبع في كتابه هذا فإن حمدان خوجة لا يذكر التواريخ إلا عرضا، و لم يتبع الطريقة الإسلامية في الاعتماد على السنوات، وذكر الدول والعهود، بل إنه كان ينتقي موضوعاته التي كانت تبدو اجتماعية واقتصادية وإدارية، أكثر منها سياسية[1].

ورغم ذلك فإن كتاب المرآة يعتبر اليوم مصدرا أساسيا لتاريخ الجزائر في أول الاحتلال، وهو أول وثيقة سياسة وتاريخية كتبها أحد الجزائريين، وقدم فيها أحكامه عن النظام العثماني من جهة والاحتلال الفرنسي من جهة أخرى.[2]

## * أحمد الشريف الزهار و مذكرات نقيب أشراف الجزائر:

### *المؤلف:

ينتمي أحمد الشريف الزهار إلى عائلة شريفة قديمة، يعود نسبها إلى الأشراف الأدارسة وتوارثت نقابة أشراف الجزائر أبا عن جد بالجزائر ، تنحدر من الجد الأول سيدي محمد الشريف الزهار الذي عاصر بدايات الحكم العثماني بالجزائر[3].

ولد الحاج أحمد بن علي النقيب بالجزائر سنة 1196 هـ/ 1781م حسبما ذكر توفيق المدني[4] أو سنة 1210 هـ/ 1796 م حسبما أفاد قوفيون[5]، وتلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه وظل وظل يَحْظَى بمكانة متميزة في مجتمعه حيث كان على صلة بموظفي البايليك ورجال الديوان، مما

---

[1]– عبد الحميد زوزو: "حمدان خوجة ومنهجه في كتابة التاريخ"، مجلة الأصالة، ع4، أكتوبر 1971، ص 92.

[2]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 401.

[3]-Marthe et Edmond Gouvion : Kitab Aaayane el Marhariba, (département d'Alger) Imprimerie Fontana frères, Alger 1920 , p 177.

[4]– أحمد الشريف الزهار: مذكرات نقيب أشراف الجزائر، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر: 1974، ص 10.

[5] - Marthe et Edmond Gouvion :Opcit,p177.

سمح له بتولي رئاسة نقابة الأشراف بعد والده ودرس على والده وبعض شيوخ العصر أمثال أحمد بن عمار ومحمد بن الشاهد وعلي بن الأمين، وتولى بعد أبيه نقابة الأشراف[1].

وقد شارك الزهار في أعمال المقاومة الأولى ضد الاحتلال الفرنسي، وكان ممن نفاهم الفرنسيون، إذ توجه إلى تونس سنة 1832 وحضر هناك دروس الشيخ إبراهيم الرياحي والحاج الطيب بن عيسى الجزائري في الزيتونة، ثم عاد ودخل لقسنطينة وانضم إلى الحاج أحمد.

وبعد احتلال قسنطينة سنة 1837 تحول إلى زاوية سيدي الحبش قرب بوفاريك ليقيم فيها بعض الوقت، ومنها اتصل بأعوان الأمير عبد القادر بَمليانة، و تولى الكتابة للأمير والتحق مع عائلته في معسكر، لأن المدني يقول إن والدة الزهار كانت من بين الأسيرات اللائي حملهن الفرنسيون إلى بلادهم [2]،كما يذكر قوفيون إن ولداه قدور وعلي قد أسرا بعد سقوط الزمالة، ويضيف أن الزهار ذهب إلى المغرب الأقصى بتكليف من الأمير عبد القادر، ولكنه عوض الذهاب لفاس لمقابلة السلطان المغربي، فإنه وبإيعاز من أحد وزراء السلطان المغربي نفسه توجه الى طنجة واستقبله هناك القنصل الفرنسي ليون روش وأعانه في الرجوع لمعسكر، و بعد الإقامة منفيا بجزيرة سانت مارغريت سنة واحدة عاد الزهار للجزائر التي توفي بها سنة 1871 .[3]

ولكن الزهار نفسه يذكر انه زار مدينة فاس سنة 1259 هـــ/ 1843 م كما قال المدني [4] ويذكر سعيدوني أن الزهار لما أقام بالمغرب مكث بتطوان ثلاث سنوات يستزيد من العلم والمعرفة ويعطي دروسا للطلبة، وساعده ذلك على التعرف على الوسط العلمي هناك بعد أن زار فاس، لكن تقدمه في السن وظروف الحياة الصعبة اضطرته إلى العودة إلى الجزائر رفقه ولديه الحاج قدور وسيدي محمد، ليتولى نقابة الأشراف من جديد تحت الإدارة الفرنسية سنة 1259م- 1843م منذ ذلك الحين وحتى وافته المنية سنة 1289هـــ/ 1872م.[5]

---

[1]–ناصر الدين سعيدوني : من التراث التاريخي والجغرافي، المرجع السابق، ص514.

[2]– أحمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص 10.

[3] - Marthe et Edmond Gouvion : Opcit, p178.

[4]– أحمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص 10.

[5]– ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي، المرجع السابق، ص 515.

وأثناء اشتغاله بالتجارة في دكانه الذي استأجره بمدينة الجزائر، واظب الزهار على الكتابة والتأليف، وجمع مختلف أخبار الجزائر في العهد العثماني [1] وبحكم منصبه السابق كنقيب لأشراف الجزائر الذي توارثه عن عائلته، فمن المؤكد أنه كانت له وثائق كثيرة ساعدته على تسجيل الحوادث والأسماء، وكان كتابه هذا نتيجة من نتائج هذه المرحلة من حياته[2].

أثبت الحاج أحمد الشريف الزهار ما سجله في شكل مذكرات في دفاتر وكراسات خاصة بعضها كان مستعملا لتقييد حسابات عائلية، و لم تسمح له الظروف بتصحيح ما كتبه، وإتمام ما كان ناقصا منه، وسد الفراغات التي تركها للتحقق من شأنها، وملء انقطاع التسلسل التاريخي في سرد الأحداث، حتى أن الكراس الذي سجل فيه أحداث العهد العثماني ترك في مستهله ثلاث عشرة صفحة فارغة دون أية تقاييد، وهذا ما جعل مذكراته تبتدئ بولاية الداي علي باشا بوصبع سنة 1168 هـــ / 1754م، كما أنها لا تتضمن سوى إشارات مقتضبة لحكم عروج ولعله كان ينوي الرجوع إلى كتب وتقاييد بحوزته لتغطية تلك الفترة من تاريخ الجزائر.

وكتاب مذكرات الزهار أقرب إلى السرد التاريخي والتجارب الشخصية والملاحظات العامة في الحياة ومجريات الأحداث، صدرت من شخص مارس وشاهد ما كان يتحدث عنه،وهو نقيب الأشراف في مدينة الجزائر، حيث كانت له مكانة معنوية مرموقة لدى الشعب والحكام، ولغة الزهار في كتابه عربية بسيطة قريبة من العامية، وكانت في شكل مسودة، وفيها آراء جديدة عن الدايات وعلاقاتهم بالشعب والسلطان والبلدان الأجنبية[3].

الملاحظ أن مذكرات أحمد الشريف الزهار المنشورة هي في الواقع جزء من مجموعة متكاملة من التقاييد الشخصية تتناول بالخصوص الفترة الأخيرة من العهد العثماني وفترة المقاومة بزعامة كل من الحاج أحمد باي والأمير عبد القادر[4].

وقد أرجع الأستاذ أحمد توفيق المدني الذي قام بتصحيح وتبويب ونشر هذه المذكرات هذا النقص الملاحظ في مذكرات الشريف الزهار إلى ضياع قسم منها، وهو الخاص بسنوات

---

[1]- أحمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص 10.

[2]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 457.

[3]- المرجع نفسه، ص 456-457.

[4]- ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي، المرجع السابق، ص 516.

المقاومة المنظمة ضد الفرنسيين (1830– 1847) ولعل ذلك راجع إلى أن ما كان في حوزة الحاج قدور من هذه التقاييد، والذي يتعلق بالسنوات الأولى للاحتلال، قد تعرض للضياع أو أخذه منه مدير الشئون الأهلية بالإدارة الفرنسية لوسياني، و لم يحافظ عليه، فلم تبق منه سوى نتف تتصل بعادات أهل الجزائر، وذكر بعض علمائها، أثبتها أحمد توفيق المدني في آخر ما نشره من المذكرات، أما القسم الذي كان من نصيب سيدي محمد وهو الخاص بالفترة الأخيرة من العهد العثماني فقد وصل إلينا كاملا بعد أن احتفظ به صاحبه لفترة طويلة، وظل يحافظ عليه ابنه سيدي محمود بن محمد، ورفض تسليمه لمدير الأمور الأهلية ميرانت خشية ضياعه، وفضل أن يسلمه للأستاذ أحمد توفيق المدني الذي حرص على نشر قسم منه يتعلق بسيرة محمد عثمان باشا سنة 1937.[1]

تتميز مذكرات أحمد الشريف الزهار بأنها سجل حي وواقعي للأحداث التي عرفتها الجزائر منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر وحتى السنوات الأولى للاحتلال، ومما زاد في قيمة هذا الكتاب أنه سجل بأسلوب بسيط مؤثر يميل إلى اللغة العامية، و لم يخضع لمراجعة أو تصحيح فبقي محافظا على هدفه، وبالتالي فهو صورة صادقة عن أحوال الناس وطبيعة الأحداث التي كانت مثار اهتمام العامة[2].

ومن خلال الكتاب تبرز لنا شخصية الشريف الزهار فهو حسبما يستنتج مما قيده رجل يتفاعل مع الأحداث ولا يتردد في إبداء رأيه، والحكم على سلوك وتصرفات الأشخاص، وهو متعاطف مع الجهاد ضد النصارى متحمس للدفاع عن الإسلام متأثر بما أصاب المسلمين ناقد لتصرفات الحكام وسلوكهم الجائر، محب للإصلاح معجب بعظيم الأعمال، يذكر بكل أسى وحسرة مقتل صالح باي ويحي آغا فيشير إلى الأول بقوله: " أنظر في أمر هؤلاء ملوك الأتراك كيف يقتلون رجالهم وخصوصا خيارهم" [3] ويقول عن الثاني: " يحي آغا هو أحسن رجال تلك الدولة عقلا ومعرفة والذي تولى بعده مثله مثل الحمار، لا يعرف إلا الأكل والنكاح لعنة الله

---

[1]– أحمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص 10

[2]– ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي، المرجع السابق، ص 517.

[3]– أحمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص 65.

عليه[1]" كما نجده ينتقد تصرفات حسين داي ويأخذ عليه أنه: " كان يغتر بأهل البدع فيحسن اعتقاده فيهم ويكرمهم ويستبشر بمقالتهم، وكان الواجب عليه التغيير على أهل البدع وزجرهم على فعلهم القبيح ومخالفتهم للسنة "[2].

وبذلك يعتبر أحمد الشريف الزهار بما قيده من أحداث وما أبداه من آراء وأحكام من أهم مؤرخي الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر، وذلك بما امتاز به من أصالة في الرأي وصدق في الرواية،وابتعاد عن محاباة الحكام، فكان ما كتبه مرآة صادقة وصورة حقيقية لأوضاع الجزائر قبل الاحتلال[3].

يقول المدني الذي حصل على نسخة من كتاب الزهار من أحد أحفاده ونشرها إن هذا العمل مقسم إلى قسمين: قسم يبدأ من سنة 910 هـ أي بداية العهد العثماني، ويحتمل أن يكون هذا القسم من الكتاب قد ضاع، أمام القسم الثاني فيبدأ من سنة 1168 هـ وينتهي بالاحتلال الفرنسي.

وهذا القسم هو الذي قدمه الشيخ المدني بعد أن عثر على النسخة الوحيدة منه لدى الشيخ محمود الشريف حفيد المؤلف، وكانت هذه النسخة على وشك الضياع أيضا كما سبق وذكرنا، وذكر المدني أيضا أن للمذكرات قسما آخر ثالثا يبدأ من الاحتلال، مشارا إليه بعدة سطور فقط في آخر القسم الثاني، ولكنه يعتبر في حكم الضائع لأن المدني يؤكد أن دومينيك لوسياني الذي سبق ميرانت في إدارة شؤون الأهلية، قد استولى عليه ولم يظهر له خبر بعد ذلك.[4]

ورغم أهمية القسم الثاني من المذكرات، فإنه يبدو أن القسم الثالث وهو الضائع يعد أهم قسم منه، ذلك أن تجربة الشيخ الزهار مع الحاج أحمد والأمير وسفره الى المغرب وتونس، وما عاشه من آثار الاحتلال، ومن عاصره من علماء كان سيساعدنا على فهم النصف الأول من القرن الماضي الذي يفتقر إلى المصادر الوطنية[5].

---

[1] – أحمد الشريف الزهار: المصدر السابق ، ص163.

[2] – المصدر نفسه، ص142.

[3] – ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي، المرجع السابق، ص 517.

[4] – أحمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص 10

[5] – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 458.

## المبحث الثاني: المؤرخو ن المنبثون من الحركة الوطنية

انطلق المؤرخو ن الاستعماريون الفرنسيون في كتابتهم لتاريخ الجزائر من معطيات ثلاثة هي: كونهم تغلبوا على الجزائريين بالقوة، وكونهم شعباً متحضراً يحكم شعباً متخلفاً، وكونهم مسيحيين قبضوا على زمام شعب مسلم.

وهذه المنطلقات هي التي حددت أهداف واتجاهات هذا النوع من الدراسات التاريخية التي نصفها بالاستعمارية، التي كانت ترمي إلى إضعاف الوعي القومي بالماضي ، وإبعاد الناشئة عن الاعتزاز بأحداثه، والتأثر بمآثره والالتزام بقضاياه.[1]

فالتاريخ بالنسبة للاستعمار مرتبط بضمان السلطة والهيمنة على المجتمع الجزائري ،و قد استعمل هؤلاء المؤرخون جميع المصادر النابعة من العلم أو من الخيال في سبيل الحصول على أدلة تبرر طروحاتهم الأيديولوجية المتمثلة في كون الجزائر بلدا تابعا لفرنسا بالفطرة ، و لعب قوتييه E.F.Gautier و قزال S.Gsell دورا رائدا في هذا المجال [2].

والملاحظ أن الدراسات التاريخية التي ظهرت خلال هذه المرحلة كانت تعكس مدى ذاتية المؤرخ عندما يرتبط بمصالح وطنه ، ذلك أن كتابات هذا العهد كانت تعمل على تبرير الاستعمار والتأريخ له وتعمل في النهاية على نجاحه واستمراره ، وبالتالي استمرار نموذج المجتمع القائم في الجزائر كما أراده المعمرون ، ويذكر أنه انعقد بين 14-16 أفريل عام 1930 المؤتمر الثاني للعلوم التاريخية وكان المؤتمر الأول قد انعقد بباريس سنة 1927 .

وإذا كان عدد من المؤرخين الفرنسيين قد عملوا على تغييب الماضي العربي الإسلامي للجزائر لإبعادها عن تراثه ا الوطني والحضاري ، فإن مؤرخي النخبة الإصلاحية الجزائرية قد استجابوا لهذا التحدي بنظرة جديدة من أجل دعم مقاومة الإسلام ضد الحضارة الأوربية، وهكذا ظهرت كتابات تاريخية جادة استعمل أصحابها التاريخ لتأكيد الهوية الوطنية والرد على شبهات

---

[1]– أبو القاسم سعد الله: "منهج الفرنسيين في كتابة تاريخ الجزائر"، مجلة الأصالة، ع14-15، جويلية-أوت: 1973، ص 18.

[2]– إسماعيل العربي: مساهمة المؤرخين الفرنسيين وهل تصلح أساسا لتنمية تاريخنا القومي"، مجلة الأصالة ، ع 14-15، جويلية-أوت: 1973، ص 189.

الكتابات الاستعمارية، وكان على رأس هذه الكتابات كتاب مبارك الميلي الذي كان رائدا في هذا الميدان.

## * مبارك الميلي و كتابه تاريخ الجزائر في القديم والحديث:

### * المؤلف:

وُلد الشيخ مبارك بن محمد الإبراهيمي الميلي في قرية أورمامن في جبال الميلية بشرق الجزائر في 23 ماي 1896، و مات والده وهو في الرابعة من عمره ، وعكف منذ صغره ،كغيره من الكثيرين من أبناء الجزائريين آنذاك على حفظ القرآن الكريم، فأتمّ حفظه على يد الشيخ أحمد بن الطاهر مزهود في جامع سيدي عزوز بأولاد مبارك ، وبعد إتمام حفظ القرآن، رَغبَ الميلي في مواصلة مسيرة طلب العلم، فاتجه إلى مدرسة الشيخ محمد بن معنصر الشهير بالميلي ببلدة ميلة مكث أربع سنوات، ثم اتجه إلى مدينة قسنطينة وانضم إلى دروس الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس، وأصبح من بين أعظم تلاميذه وأكثرهم انتفاعاً بعلمه.

غادر الميلي قسنطينة بعد ذلك إلى تونس لمواصلة دراسته بالزيتونة، حيث درس مثل شيخه ابن باديس على أبرز شيوخها من أمثال عثمان خوجة ومحمد النخلي والصادق النيفر ومحمد بن القاضي والطاهر بن عاشور وغيرهم، ثم عاد بعد تخرجه منها إلى الجزائر سنة 1925.[1]

استقر الشيخ مبارك الميلي فور عودته بمدينة قسنطينة ، وعمل مُعلماً في مدرسة قرآنية عصرية تأسست في مسجد سيدي بومعزة الذي كان يقع في نفس شارع مطبعة وإدارة جريدة الشهاب، فبقي في تلك المدرسة إلى بداية سنة 1927، ثم غادر قسنطينة إلى مدينة الأغواط في الجنوب الجزائري، والتي استقبله أهلها استقبالاً كبيرا، فقام فور وصوله إليها بتأسيس مدرسة تولى فيها الإشراف على تعليم أبناء الجزائريين بنفسه [2].

[1]- محمد الميلي: الشيخ مبارك الميلي حياته العلمية ونضاله الوطني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت:2001، ص324-325.

[2]- عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: معجم أعلام الجزائر، ج2، ص 349.

بعد الإقامة مدة بالأغواط غادرها الشيخ مبارك بضغطمن الإدارة الفرنسية واعوانها متجها إلى بلدة بوسعادة ، وقام بالأعمال والنشاطات نفسها، إلا أن حظه مع الإدارة الفرنسية في تلك البلدة لم يكن أفضل من الأولى، حيث أمرته بدورها بمغادرة بوسعادة أيضاً.[1]

بعد سنوات من العمل والنشاط في قسنطينة والأغواط وبوسعادة، عاد الشيخ الميلي إلى ميلة ليستأنف ما بدأه من أعمال منذ عودته من تونس، فاستقر بها، وسعى بمعية بعض أعيانها إلى تأسيس مسجد جامع تُقام فيه الصلوات، فكان هو خط يبه والواعظَ فيه، وقد أُقيم المسجد على جزء من بيت فسيح أهداه أحد أعيان المدينة المناصرين للإصلاح وهو محمد بن ناصف إلى أهل البلدة، ثم أنشأ الإصلاحيون في ميلة بقيادة الشيخ الميلي، جمعيةً باسم "النادي الإسلامي" فانضمت جهودُها إلى ما كان يقوم به ذلك المسجد من أعمال في مجال الإصلاح ، وتوسيعاً لدائرة الأعمال والنشاطات فقد كوّن المسجد والنادي المذكورين جمعيةً أخرى تحت اسم "جمعية حياة الشباب"[2].

كما ساهم الشيخ مبارك الميلي بقلمه في الحياة الصحفية، فأظهر نشاطاً بارزاً فيها، وكان أحدَ أبرز الطاقات التي قامت عليها الصحافة الإصلاحية بصفة خاصة؛ إذ كان من أول المحررين في "المنتقد" و"الشهاب" منذ أيامهما الأولى ثم في "السُنة" و"البصائر" التي تولى إدارة تحريرها بعد تخلي الشيخ الطيب العقبي عنها سنة 1935، فأحسن الإدارة، وأجال قلمه البليغ في ميادينها[3].

وحينما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 بنادي الترقي بعاصمة الجزائر، كان من الطبيعي لشخص بمثل صفات الشيخ مبارك الميلي أن يكون واحداً من أهم أركان ودعائم إدارتها، خاصة وأنه كان قد لازَم الشيخ عبد الحميد ابن باديس-قبل تأسيسها- طالباً جاداً ثم عاملاً ناجحاً في حقل الإصلاح بجانبيه التعليمي والصحفي ، وكنتيجة لتلك المكانة، فقد تم انتخابه عند تأسيس الجمعية عضواً في مجلس إدارتها وأميناً للمال فيها ، ولقد شَهِد له بعض من عرفه عن قرب بالأمانة وحسن التسيير والتدبير في أعماله التي اضطلع بها.[4]

---

[1]- محمد الميلي: المرجع السابق، ص329.

[2]- المرجع نفسه، ص 331-332.

[3]- عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: معجم أعلام الجزائر، ج2، ص 351.

[4]- علي مراد :الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، تر: محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر: 2007، ص 106.

وقد كان الشيخ الميلي يقوم بتلك الأعمال جنباً إلى جنب مع الشيخ ابن باديس إلى أن توفي الأخير، ورغم شدة المرض، وتزايد تأثيراته على بدنه ونشاطه في أيامه الأخيرة، فقد كان الشيخ مبارك الميلي يحاول تحدي ذلك الوضع، ولو بالقيام بالحد الأدنى من الأعمال، فلم تمنعه تلك الظروف الصحية من الحضور والتواجد في مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة بيوم واحد قبل وفاته، حيث نُقِل-بطلب منه- إلى ميلة ليموت بين أهله، ودخل في غيبوبة فارق بعدها الحياة في يوم 9 فبراير 1945.

وشيع جنازتَه الآلاف من المحبين الذين قدِموا من أنحاء مختلفة من البلاد، وأبَّنَه باسم العلماء رئيسُهم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وباسم الهيئات الوطنية فرحات عباس زعيم حزب البيان يومها، و دُفن بجانب قبر شيخه محمد بن معنصر الميلي[1] .

*** الكتاب:**

يعتبر كتاب الميلي الأول من نوعه في التأريخ للجزائر عامة، وفي مختلف العصور بطريقة جديدة، ولذلك فإن الكتاب وصاحبه يستحقان التنويه، و قد ألف تاريخ الميلي في ظروف عصيبة كانت تمر بها الجزائر، حيث اعتقد الكثيرون أنها لم تعد عربية، وأن الفرنسية طغت وتحكّمت فيها، وخيّمت على عقول مثقفيها، حتى غدوا لا يفكرون إلا بها ولا يكتبون بغيرها، فجاء كتاب الميلي ردا على هذه الأباطيل[2].

و اعتُبر كتاب الميلي عملا تأسيسيا للتاريخ الجزائري الحديث، فقد دشن طريقة في كتابة التاريخ بقيت خطوطها العامة تسود الدراسات التاريخية الجزائرية خصوصا المكتوبة منها بالعربية مع تطبيقات متفاوتة في دقتها وتمكنها[3] .

والميلي بتأليفه لهذا التاريخ أثبت أن الأمة الجزائرية لم تمت، وأنها لا تزال متمسكة بماضيها العربي الإسلامي، و لم يؤلف الميلي -كما قال مرتاض- كتابه رغبة في التأريخ فقط بل ألفه بدافع

---

[1] – محمد الميلي: الشيخ مبارك الميلي حياته العلمية ونضاله الوطني، المرجع السابق، ص 342.

[2] – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الدجزائر الثقافي، ج7، ص 409.

[3] – المنور مروش: "القديم والجديد في تاريخ الجزار بين القديم والحديث للشيخ مبارك الميلي"، مجلة نقد، ع 11، ربيع 1998، ص33.

سياسي وطني، فهو أراد أن يرد على ادعاءات الفرنسيين القائلة أن الرومان قد جلبوا الخير للبلاد وأن العرب هم الذين عملوا على تخريبها[1].

من أجل ذلك ورغبة منه في تجميع ما تفرق من أخبار عن التاريخ الجزائري عبر العصور عمد الميلي إلى تدوين هذا العمل الهام، لأنه كان يعلم أن تأثير هذا الكتاب وقيمته النفسية والروحية والأخلاقية يكاد يساوي ثورة عسكرية قائمة بنفسها ضد الاستعمار.[2]

وقد استعان الميلي في ترجمة النصوص التاريخية الفرنسية بثلاثة مترجمين ذكرهم بالاسم في كتابه، ويذكر ابنه الأستاذ محمد الميلي أن والده كانت له طريقة فريدة في ذلك فهو يمنح النص الواحد لمترجمين لا يلتقون مع بعضهم حتى تكون له ثلاث ترجمات مختلفة، ثم يعمد هو لتحريرها بأسلوب عربي سليم[3].

صدر الجزء الأول من تاريخ الجزائر في القديم والحديث سنة 1347 هـ/ 1929 م وظهر اسمه عليه هكذا : مبارك بن محمد الهلالي الميلي، و أعلن عنه قبل صدوره، وتم طبعه في قسنطينة العاصمة الثقافية عندئذ، وحيث بدأت حركة الاحتجاج والعرائض منذ القرن الماضي، ومن ثمة يظهر هنا الارتباط بالتاريخ والتراث والحركة الإصلاحية.

اتبع الميلي منهجا جديدا في المؤلفات العربية عن الجزائر وهي استعمال التبويب وتقنيات البحث الحديثة، وكانت خطة الكتاب المعلنة في الجزء الأول هي اشتماله على ثلاثة كتب، أما الكتاب الرابع الذي لم يظهر فهو:" في مصير أمر الجزائر إلى الأجانب وأحوالها في هذا الدور."[4]

وقد جعل كتابه في كتابين : الأول ويضم مقدمات وثمانية أبواب أو فصول هي: جغرافية الجزائر، وقدماء الجزائريين في العصر الحجري، وأصول البربر وقبائلهم، والفينيقيون وأخبارهم، والبربر وملوكهم، وأحوال البربر مع الرومان، ثم الوندال والروم وعلاقاتهم بالبربر. أما الكتاب

[1]- عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر: 1983، ص 188.

[2]- المرجع نفسه، ص 190.

[3]- محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، ص أ.

[4]- مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، دار الكتاب العربي، الجزائر: 2007، ص 32.

الثاني الذي خصصه للعصر العربي، فيضم ستة أبواب هي: الفتح الإسلامي في افريقية "ويسميه الاستيلاء العربي"[1] .

وقد نوهت بهذا الكتاب عدد من الصحف والنوادي، كما أشاد به ابن باديس وغيره من رجال الإصلاح والسياسيين والوطنيين، وأقيمت للمؤلف حفلة في قسنطينة.

وفي آخر الجزء الأول أورد الميلي رسالة أستاذه عبد الحميد بن باديس في التنويه بالكتاب واقترح عليه تسميته"حياة الجزائر"، واعتبره أول كتاب صوّر الجزائر في لغة الضاد صورة تامة سوية.

ويبدأ الجزء الثاني منه بالكتاب الثاني، ويضم ستة أبواب هي: تكوين الدولة الرستمية، ثم دول أخرى كانت لها علاقات بالجزائر هي: الأدارسة والأغالبة والفاطميون- العبيديون، ثم الحديث عن بني هلال وهجرتهم.

و ضم الجزء الثاني أيضا الكتاب الثالث وهو في العصر البربري، وتناول فيه ثمانية أبواب هي: بقية الفتوحات، والدول الإسلامية المتوالية إلى أن وصل إلى بني زيان والقرن 16، وأراد الميلي الوصول بتاريخه إلى العهد الحديث لكن المنية أعجلته فتوفي دون أن يكمله .

والواقع أن المؤلف كان سيواصل مشروعه إلى أن يصل إلى العصر الحاضر الحقيقي لولا بعض العوائق التي تطرق لها الشيخ أحمد حماني في كتابه صراع بين السنة والبدعة فقال:" ..وشغله في إتمامه أعمال الجمعية الكثيرة والشاقة، وتوالي أزمات المرض الخطير السكري، وجهله باللغات الأجنبية في هذه الفترة من تاريخ الوطن، وقد سألته عام 1938 عن سبب تأخره في إتمام مهمته فذكر لي هذه الأعذار الثلاثة ." [2]

وفي بداية الجزء الثاني أورد الميلي تنويه الأمير شكيب أرسلان بالجزء الأول إذ عبر أرسلان عن إعجابه الكبير به بقوله:" وأما تاريخ الجزائر فوا الله ما كنت أظن أن في الجزائر من يفري هذا الفري، وقد أعجبت به كثيرا".[3]

---

[1]- مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1 ، ص 32-33.

[2]- أحمد حماني : صراع بين السنة والبدعة،ج2، دار البعث،ط1، قسنطينة:1984، ص 123.

[3]- مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1،ص 5.

و قال الميلي إنه يوجه كتابه إلى من يعتبرون ويتبصرون، ويطلب الرجاء بدل البقاء في اليأس، وكان غرضه الحث على العمل من أجل الوطن وسعادته، وهو كمصلح كان غير يائس ولا منتظر لنتائج عاجلة، ولكنه عبر عن أمان وقد أهدى كتابه إلى الشعب الجزائري وشبابه والعاملين من أجله[1].

وجّه الباحثون للميلي عددا من الانتقادات منها انه كان مثلا لا يذكر دائما اسم المرجع الذي ينقل منه الخبر، وإن ذكر المرجع فهو لا يذكر الجزء والصفحة.

كما أشار بعضهم لقضية عدم إتقانه للغة الفرنسية، والتي جعلته يلجأ مثلا إلى الاعتماد على نصوص ابن خلدون في فترة ما قبل التاريخ، عوض النصوص التاريخية الفرنسية والبحوث الأثرية وهي كثيرة في هذا المجال[2].

وثالث الملاحظات على كتاب الميلي أنه كان يمر على بعض الأحداث الهامة دون إعطاء تفاصيلها، في حين نجده يفصل في حوادث أخرى أقل أهمية من الأولى .

ورغم كل هذا فلا يجب التقليل من عمل الميلي وتحميله ما لا يطيق، فكتابه هو الأول في هذا المجال وكل من جاء بعده قد استعان به للتأريخ العام للقطر الجزائري، كما أنه أخرج عملا ضخما في ظروف سياسية حرجة، من رقابة من جانب الاستعمار وأعوانه، وجهل مخيم على عقول الناس وعدم إدراكهم للبعد السياسي للتاريخ[3].

ويبدو الميلي في كتابه ناضجا مقتدرا، حيث كان يتمتع بالجرأة الأدبية التي أعانته في عرضه الكثير من الأحداث التاريخية، فقد ناقش مثلا ظاهرة التصوف والارتباط بالأولياء، وهي الظاهرة التي حاربها التيار الإصلاحي بقوة، فالميلي يتحدث عن التاريخ الوطني والشعب الجزائري الموحد بالتراث والأرض والحركات السياسية والفكرية الماضية والآمال القادمة، وهو يعتبر الفرنسيين أجانب سواء كانوا مدنيين أو عسكريين[4].

---

[1]– مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، ص 7.

[2] -Saadedine Bencheneb : Quelques historiens arabes, Opcit, p 483.

[3]– عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، المرجع السابق، ص 203.

[4]– المرجع نفسه، ص 204-205.

إن الجدية في كتابة الميلي للتاريخ تظهر في عدة أمور، منها المنهج الحديث والتوجيه السياسي، واستعمال المصادر العربية ونقدها، واستعمال المصادر الأجنبية- الفرنسية- عن طريق الترجمة، واستخدام التقنيات مثل الخرائط والرسوم، والرد على النظريات المؤرخين الفرنسيين ومناقشة آرائهم دون إظهار التحيز لذاته. ونبه إلى ضرورة الابتعاد عن كتب الخرافات وتصديق كل ما جاء في الكتب القديمة، ودافع عن كوهن الإسلام نظاما حضاريا متكاملا، وركز على دور الشعب التاريخ و لم يهتم كثيرا بالملوك والأعيان، ومن مراجعة الفرنسية( وعددها اثنا عشر مرجعا) بارجيس وقزال وقوتييه وميرسييه ومرمول، وفيرو[1].

كما أنه رجع إلى الكتب العربية الكلاسيكية( وجملتها 56 مرجعا)منها قرطاجنة في أربعة عصور للمدني، والأزهار الرياضية للباروني، وموجز التاريخ العام لعثمان الكعاك.

و لم يستطع الميلي أن يتخلص من ثقافته التقليدية فالنقول كثيرة، واستخدام أسلوب الرواية متوفر بكثرة، والاستشهاد بالشعر أيضا موجود في كتابه هذا، وإذا كان في الجزء الأول قد استخدم الهوامش، فإنه استغنى عنها تماما في الجزء الثاني، غير أنه في هذا الجزء استعمل فهارس الرجال والنساء وأسماء المدن، واشتمل الكتاب على الأحداث السياسية والتطورات الاجتماعية والاقتصادية، ولكنه اشتمل أيضا على التراث الحضاري للشعب من نظم وأدب ولغة وعقائد.

ورغم أن تاريخ الميلي لم يصل إلى الزمن "الحاضر"، فإنه وضع المؤشرات له، وذلك بخطابه للشعب، وحكمه على الاستعمار الروماني وغيره للجزائريين عبر العصور، وحسبه، كما قال، تنبيه الغافلين ودعوة الشباب والعاملين إلى مواصلة الجهد، رغم أنه لم يكن ينتظر النتائج السريعة.[2]

وليست الأمة الجزائرية جزءا من الأمة الفرنسية في كتاب الميلي، ولا متأثرة بالوجود الروماني وليست أرضا دون رعية .

ورغم أن الميلي رجل دين وفقه وإصلاح قبل أن يكون رجل تاريخ، وأنه لا يتقن الفرنسية التي كتبت بها أهم المصادر التاريخية عن الجزائر، إلا أنه حاول بما أتيحت له من إمكانيات أن يلتزم بالموضوعية في كتابته[3].

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 416.

[2] - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7 ، ص 416-417.

[3]- عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، المرجع السابق، ص 203.

وفي الختام فإن عمل الميلي كان هاما في موضوعه وفي الظرف التاريخي الذي ظهر فيه واستحق معه الميلي صفة المؤرخ الساعي للموضوعية رغم الملاحظات السابقة التي أوردناها، والتي لا تقلل في شيء من عمله الذي اكتسى بعدا وطنيا منذ ظهوره، وهو يمثل نقلة نوعية ومبادرة جديدة في مسار العمل الوطني .[1]

## * أحمد توفيق المدني و كتاباته التاريخية:

### * المؤلف:

هو أحمد توفيق بن محمد بن أحمد بن محمد المدني القبي الغرناطي الجزائري، ولد بتونس في نوفمبر 1899 م، والده هو محمد بن أحمد الذي ولد بالجزائر، وتلقى علومه العربية بالجامع الكبير، على يد عدد من كبار العلماء والمدرسين، وجدّه هو أحمد بن محمد المدني مولدًا، القبي الغرناطي الشريف، كان أمين الأمناء بالجزائر العاصمة[2].

هاجر جدّه من مدينة الجزائر العاصمة مصطحبا عائلته بعد احتلالها من طرف الفرنسيين، فاستقر مؤقتا بمنطقة جرجرة، إلى غاية سنة 1870 م حيث اندلعت الثورة بقيادة المقراني والشيخ الحداد، فشارك فيها الجد والوالد، إلى أن انتهت الثورة بسبب الطرق الوحشية التي استعملها المستعمرون الفرنسيون[3].

وخلال إقامة العائلة بمنطقة القبائل تعارفت مع جده لأمه الصالح الشيخ عمر بويران، الذي كان بدوره قاصدًا مدينة تونس، مهاجرا مع أخيه عبد الرحمن، واشترك هو وأخوه في أعمال الثورة، ثم انتقل الجميع بعد ذلك إلى تونس في قافلة واحدة، وانتهى بهم المطاف لاجئين بتونس.

أدخل أحمد توفيق المدني أحد كتاتيب تونس العاصمة وهو لم يتجاوز الخامسة من العمر، ثم انتقل سنة 1909 م إلى المدرسة الأهلية القرآنية، ومنها إلى الجامع الأعظم للدراسة بجامع الزيتونة سنة 1913 م، وكان شغوفا بالمطالعة مما ساهم في تكوينه تكوينا عصاميا خصوصا في التأريخ[4].

---

1– أحمد مريوش : "مبارك الميلي شيخ المؤرخين الجزائريين"، ضمن كتاب المدرسة التاريخية الجزائرية، نشر إتحاد المؤرخين الجزائريين،1998، ص 119.

2– أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج1، المؤسة الوطنية للكتاب، الجزائر:1988، ص 13.

3– محمد الصالح الصديق: أعلام من المغرب العربي، ج3، موفم للنشر، الجزائر: 2000، ص 1113.

4– أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج1، ص 14.

بدأ نضاله السياسي مبكرا بتونس، فاغتنم أحداث الحرب العالمية الأولى ليكوّن مع رفاقه خلية من الطلبة المناضلين للتحريض على الثورة ضد الاحتلال الفرنسي، فقبض عليه في يوم 14 فبراير 1915 وأُدخل السجن حتى شهر نوفمبر سنة 1918، كما أدى به نضاله إلى التعرف والاحتكاك بزعيم الحركة الوطنية التونسية ذي الأصول الجزائرية عبد العزيز الثعالبي، فكان من بين مؤسسي الحزب الدستوري التونسي سنة 1919 ، وعين أمينا عاما مساعدا للقلم العربي، غير أن هذا الحزب لم يلبث أن انهار تحت ضربات الاستعمار الفرنسي، وتم إبعاد أحمد توفيق المدني من تونس إلى بلده الأصلي الجزائر يوم 5 جويلية سنة 1925 [1].

في سنة 1926 أسس جماعة من المثقفين الجزائريين منهم الحاج مماد المنصالي ومحمود بن ونيش وعمر الموهوب وأحمد توفيق المدني، وبمساعدة غيرهم من الوطنيين ناديا ثقافيا وسياسيا بالجزائر العاصمة، أسموه نادي الترقي، فكان النادي ملتقى النخبة المثقفة، تلقى فيه المحاضرات والمسامرات، وتقام فيه الحفلات، يستضيف المثقفين والمفكرين من مختلف جهات الوطن كالشيخ عبد الحميد ابن باديس، أو حتى الزائرين من الخارج كالشيخ أحمد سكيرج المغربي وغيره.

و في مقر نادي الترقي تكونت اللجنة التحضيرية لتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكان كاتب هذه اللجنة هو أحمد توفيق المدني، ورئيسها عمر إسماعيل، فتأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 5 ماي سنة 1931 م وكان لأحمد توفيق المدني دور هام في تشكيلها وتنظيمها، فتقلد منصب أمينها العام، ورئيس تحرير جريدة البصائر لسان حالها إلى غاية سنة 1956 كما كان قد انضم إلى فريق تحرير جريدة الشهاب لصاحبها عبد الحميد بن باديس[2].

في سنة 1956 سافر مع رفيقه الشيخ عباس بن الشيخ الحسين إلى القاهرة حيث كان يقيم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، فأعلنوا رسميا انضمام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بجبهة التحرير الوطني والتحاقها بصفة تامة بالثورة الجزائرية، فعين عضواً في الوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني، وعضوا في المجلس الوطني للثورة الجزائرية، ثم صار عضواً في الحكومة المؤقتة، حيث أسندت إليه حينئذ وزارة الشؤون الثقافية في تشكيلتها الأولى.

---

[1]- محمد بوذينة: مشاهير التونسين، ط2، دار سيراس للنشر، تونس: 1993، ص 114.

[2]- بوعزة بوضرساية: رواد المدرسة التاريخية الجزائرية، دار الحكمة، الجزائر: 2007، ص 348-349.

وعند استقلال الجزائر سنة 1962 عيّن وزيرا للأوقاف والشؤون الدينية، وساند الحكومة التي أنشأها المجلس الثوري برئاسة العقيد هواري بومدين سنة 1965 ، وعين سفيراً ووزيراً مفوضاً في أكثر من بلد إسلامي، و توفي المدني بالجزائر العاصمة يوم 18 أكتوبر 1983 [1].

ومن آثاره مقالات بمختلف جرائد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كالبصائر والشهاب، وعدد من الكتب التاريخية.

وللمدني مؤلفات عديدة معظمها في التاريخ العام للمغرب العربي (شمال افريقية) والجزائر خاصة ومنها المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا ومسرحية حنبعل الأدبية- التاريخية، وكل كتبه نشرت وهو في الجزائر إلا ثلاثة منها، وهي:تونس وجمعية الأمم، 1923، وهو مترجم إلى الفرنسية، ويعتبر من كتب الدعاية للقضية الوطنية التونسية والحرية ثمرة الجهاد، وهو عن نضال ايرلندا ضد الإنكليز، تونس 1923 والأجزاء الثلاثة الأولى من تقويم المنصور.

أما الكتب التي أصدرها وهو في الجزائر فهي جميعا في تاريخ الجزائر وجغرافيتها إلا ما يظهر من عنوانه أنه خارج عنها أو متصل بها من بعيد مثل حنبعل، وقرطاجنة، وصقلية.

وكان المدني يغتنم الفرصة ويعبر عن رأيه الخاص في التاريخ الوطني، وحتى في الكتب التي تبدو بعيدة عن موضوع الجزائر بعناوينها، ذلك أن أطروحته الرئيسية هي التوجيه السياسي للشباب وبعث الوطنية التي يسميها الملية، في نفوسهم والدعوة إلى التحرر من الاستعمار الحديث بإدانة الاستعمار القديم الروماني، وإظهار شخصيته ببلاد المغرب المزيجة من البربر والعرب، وإبراز علاقاتهم بالمشرق قديما وحديثا. وهذه الأطروحة مكررة في معظم كتابات الشيخ المدني، وكان شعاره هو : الإسلام ديني، والعربية لغتي، والجزائر وطني، وهو الشعار الذي أصبح على لسان الحركة الإصلاحية.[2]

## إسهاماته في التأريخ للقطر الجزائري:

برز أحمد توفيق المدني بمؤلفاته العديدة والغنية، التي تصدرت أعمال النشطين الآخرين للحركة الإصلاحية، تشهد له بالثقافة الواسعة، والموهبة الأدبية الخاصة والمتميزة[3].

---

[1]- بوعزة بوضرساية: المرجع السابق، ص 350.

[2]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 420.

[3]- علي مراد: المرجع السابق، ص 138.

لقد تصدى للكتابة التاريخية في فترة حرجة جدا من التاريخ الوطني، فمنذ عام 1925 م نشط في إخراج عدد من الأعمال التاريخية المختلفة، منها ما كان يصدر في الصحف والمجلات، ومنها ما كان يقدمه إلى المطابع في هيئة كتاب.

كان المؤرخ أحمد توفيق المدني هو المؤرخ الجزائري الوحيد الذي جمع بين الذاتية الجزائرية والإقليمية المغاربة في كتاباته التاريخية وهو من طلائع المؤرخين الجزائريين، الذين بدأوا يبحثون في تاريخ الجزائر قديما وحديثا ومعاصرا في العشرينيات من القرن الماضي"[1]

وكان مؤلفا طويل النفس يتناول مواضيع أكثر ما كانت تاريخية، أو جغرافية، وهذا التنوع يبرز ظاهرة هامة جدا في النهضة الأدبية والثقافية المعاصرة في الجزائر.[2]

والحق أن "توفيق المدني بحث في كثير من المواضيع التاريخية المتفرقة، وهذا ليس معناه أنه حاول أن يجوب بفكره مجاهل التاريخ الإنساني العام، فذلك ما لم يكد يتاح لمؤرخ جزائري في النصف الأول من القرن العشرين، إنما معناه أن الجرل كان ولعا بالدراسة التاريخية التي تتصل بالجزائر، إذ أنه من العسير على أولئك المؤرخين الجزائريين أن يصرفوا وجهتهم إلى التاريخ الإنساني العام، من حيث أن تاريخهم نفسه بحاجة إلى البعث والإحياء، حيث أن تاريخ الجزائر كتب في أغلب الأحوال من وجهة نظر واحدة، وهي استعمارية بحتة، حين كلف المستشرقون وغير المستشرقين من الفرنسيين وغيرهم بكتابة هذا التاريخ، لذلك فلا أحد أجدر من أبنائها.[3]

كتب عبد المالك مرتاض منوّها بمكانة المدني: "يجب أن يعده التاريخ أحد المؤرخين الجزائريين، الذين قامت على أكتافهم النهضة التاريخية في وطننا خلال فترة عصبية، فلم يكد يفتر عن البحث في القضايا التاريخية التي تتصل بالشعب الجزائري، منذ أن بدأ هذه البحوث سنة 1925 إن فضل المدني على التاريخ الوطني الجزائري إذن عظيم."[4]

والواقع أن المدني كان متنوع النشاط بين كثير من الأعمال الأدبية، ولو تخصص للتاريخ وحده، لكان أبرز المؤرخين الجزائريين، لإلمامه باللغة الفرنسية إلماما حسنا، ولنشاطه وحيويته

[1] – عبد الكريم بوصفصاف: المؤرخون الجزائريون ، المرجع السابق، ص 46.

[2] – عبد المالك مرتاض: المرجع السابق، ص 207-211.

[3] – المرجع نفسه، ص 207-208.

[4] – المرجع نفسه، ص 219.

وحماسه، وهذا الانشغال متعدد الوجوه، لم يكن- حسب العديد من الدارسين- صفة لازمت المدني وحده، بل كانت سمة عامة عند كثير من الكتاب، فالرجل كان متأثر بتيار هذه الظاهرة.[1]

كانت الكتابات التاريخية للمدني تلقى نجاحا ملحوظا، غير أن أعماله لم تخل من بعض الهنات كسائر الأعمال الكبرى، وكانت هذه المآخذ خاصة في تعليل الأحداث وتحليلها، رغم أنها مسألة نسبية، حيث يتفق رأي الرجلين في أن المدني كان ذا نزعة دينية في معالجة الوقائع التاريخية، شأنه شأن جميع رفقائه في النهضة[2]، وهو ما لمسناه من خلال استعراضنا لمؤلفاته.

حرر "المدني" مؤلفات قيمة، فتحت آفاقا عريضة وواسعة، شكلت قطيعة كاملة بالنسبة للمنشورات التقليدية في ميدان تاريخ الجزائر والمغرب العربي [3]، والمعلوم أن معظم مؤلفاته نشرها بعد نفيه إلى الجزائر، إلا ثلاثة منها نشرها خلال تواجده بتونس، وسنحاول هنا اختيار ثلاثة نماذج من أعمالية التاريخية وهي المتعلقة بالتأريخ للقطر الجزائر عامة وهي : " **قرطاجنة في أربعة عصور**" الذي صدر سنة 1927 و "**كتاب الجزائر**" الذي صدر سنة " 1931" و" **محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766–1791**" الذي صدر سنة 1937م " و" **هذه هي الجزائر**" الذي صدر سنة 1957.

## 1- قرطاجنة في أربعة عصور أو تاريخ شمال إفريقيا من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي:

طبع بتونس سنة 1927 ضمن 176 صفحة، تناول تاريخ إفريقيا الشمالية خلال أربعة قرون تحت حكم قرطاجنة ، استعمل المدني في هذا الكتاب الخرائط والصور، ووضع رسومه الفنان عمر راسم، وتأثر به الشيخ الميلي في تاريخه وأخذ عنه، وقد نشره في تونس صديقه حسين الجزيري، ووصف هذا التأليف بأنه :" كتاب يحدثك عن تاريخ ومجادة وطنك بما لم يحدثك به سواه.."[4]

---

[1] – عبد المالك مرتاض: المرجع السابق، ص 211.

[2] – عبد الكريم بو صفصاف: المؤرخون الجزائريون ، المرجع السابق، ص 47.

[3] – الجيلالي صاري، محفوظ قداش: الجزائر في التاريخ: المقاومة السياسية 1900–1954 الطريق الإصلاحي والطريق الثوري، ترجمة عبد القادر بن حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1987، ص 244.

[3]– أحمد توفيق المدني : قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي، ط2، الجزائر، م.و.ك1986 ص 5.

ونستنتج من كلام المدني في استهلاله لهذا الكتاب أن من بين دوافعه لتأليف هذا الكتاب هو التعريف بتاريخ هذه البلاد لأن لها " تاريخا زاهرا يخترق العصور إلى ما وراء ثلاثين قرنا ويجمع في صحفه المسطورة جل الحوادث الهائلة والأعمال الجسيمة، وينبئك أنباء خبير، بأنه قد عرفك المعرفة الصادقة ودرسك حق الدراسة قبل أن يعرف غيرك من الأمم التي يملأ اليوم ذكرها أنحاء الأرض".[1]

وذكر المدني أنه قام بتأليف الكتاب استجابة لإرادة بعض أقطاب الحركة الإصلاحية أمثال "عبد الحميد بن باديس" و "الإبراهيمي" و "الميلي" خلال شهر جوان 1925م، حيث طلب منه الرد على مزاعم بعض الكتاب الغربيين والفرنسيين الذين قاموا بدعاية مشوهة لهوية وأصالة المنطقة المغاربية، وخاصة ما قام به "لوي برتران" عضو المجمع العلمي الفرنسي آنذاك الذي أراد إثبات لاتينية بلاد المغرب.[2]

ولقد علقت الشهاب على صدوره الكتاب بالقول:" السفر النفيس الذي ألفه صاحبه في هذا الموضوع، الفقير من الكتابة فيه لساننا العربي، فحرره في أسلوب وترتيب محكم، واستنتاج صحيح، وتعليق معقول، وملاحظات وجيهة فحاجة كل إفريقي إلى هذا الكتاب أكيدة، فنرجو أن يصادف ما ستحقه من الرواج والانتشار" [3].

وأوردت صحيفة الشهاب تنويه المفكر التونسي "محمد الفاضل بن عاشور" بهذا الكتاب بقوله:" كتاب السيد أحمد توفيق المدني الذي سماه قرطاجنة في أربعة عصور سد- والحق يقال- بعض ثلمة كبرى في الخزانة العربية"[4].

لكن رغم هذا التاريخ الضارب في القدم فإن مؤرخي العرب- حسب المدني- قد " تهاونوا بأمر ذلك التاريخ المجيد فلم يذكروه في أسفارهم إلا منذ حلت برحاب المغرب فرسان العرب الفاتحين، وبذلك أضاعوا لهذه البلاد عشرين قرنا من التاريخ لا يعرجون عليها إلا استطرادا ولا يخصونها بأدنى عناية واهتمام".

---

[1]- أحمد توفيق المدني : قرطاجنة في أربعة عصور، ص 7.

[2] – أحمد توفيق المدني: "مبارك الميلي مؤرخ الجزائر"، البصائر، العدد 26، 08 مارس 1948، ص 04.

[3] – الشهاب: ع 115، 29 سبتمبر 1927، ص 21.

[4] – محمد الفاضل بن عاشور: "على هامش قرطاجنة في أربعة عصور، الفتح الإسلامي الأول لإفريقية"، الشهاب، ع 121، 10 نوفمبر 1927، ص 08.

وتلك العصور القديمة حرية — حسب المدني- بالبحث الجاد والدقيق ، وجاء كتاب المدني هذا لسد الفراغ في التاريخ القديم لشمال إفريقيا عامة نظرا لندرة الكتابات باللغة العربية في هذا الجانب، والسبب أن أغلب ما كتب حول هذا التاريخ هو باللغات الأجنبية كاللاتينية واليونانية والفرنسية.

وبالنسبة لهيكل الكتاب، فقد قسمه المدني إلى مقدمة وأربعة أقسام أو كتب كما سماهما هو ووضح في المقدمة دوافع بحثه ومنهجه ثم استعرض وصف بلاد المغرب، من حيث الجغرافيا الطبيعية والبشرية، وخصص القسم الأول لدولة قرطاجة من البدء حتى السقوط والخراب، فتحدث عن نظامها السياسي، وعلاقاتها مع البربر، والحياة العلمية والأدبية على أيامها، ودخولها في صراع مع روما، وما ميز ذلك من حروب وتطورات إلى أن تم تخريب قرطاجة، مفسرا عوامل ازدهارها وخرابها

والثاني حول تاريخ البلاد في ظل الاحتلال الروماني ، والقسم الثاني خصصه للحديث عن قرطاجنة على عهد الحكم الروماني، وما وقع من حروب بين البربر والرومان، وعن الحياة السياسة والنظم الرومانية ثم أبرز نتائج الاحتلال الروماني.[1]

وفي القسم الثالث تطرق لقرطاجنة الوندالية مبينا سياسة الوندال التخريبية بالبلاد إلى أن اصطدموا بالروم الذين ورثوا إفريقيا الشمالية.

أما القسم الرابع والأخير فهو حول مرحلة الاحتلال البيزنطي وحالة البربر في عهدهم، إلى مجيء الفتح الإسلامي العربي، الذي استعرض سيره إلى سقوط الكاهنة.

و كانت خاتمة الكتاب بعنوان العرب والبربر وذكر فيها أسباب تقبل البربر للإسلام وهي حسبه خمسة أسباب[2] وبهذا يكون المدني قد وضع مختصرا شاملا لتاريخ البلاد خلال فترة طويلة.

لم يتبع المدني المنهج الحديث في التهميش بل قلد القدماء في ذكر مراجعه أثناء عرضه لمواضيعه و لم يكن يلتزم دوما بذكر المراجع التي كانت معظمها  ما عدا تاريخ ابن خلدون هذه المراجع هي : ستيفان غزال في " التاريخ القديم لشمال إفريقيا" ، وكتاب الجنرال دوماس [3] ،

---

[1] – أحمد توفيق المدني، قرطاجنة، ص 142.

[2] – المصدر نفسه ، ص 159–161.

[3] – المصدر نفسه، ص 15.

وكتاب الدكتور كونتنو عن "الحضارة الفينيقية " [1] ، وتاريخ بوليب Polybe [2] ، وكتاب الزراعة لماغون القرطاجي، وتقرير رحلة حنون في غرب إفريقيا [3] الذي قام المدني بتعريب قسم منه، وأورده في كتابه هذا [4]، وكتاب ميرسيي حول تاريخ شمال إفريقيا [5] ، وكتاب تيت ليف Tite Live الروماني[6] وكتاب الأستاذ شار فريات والأستاذ بواسيار حول التاريخ الروماني [7] كما اعتمد اعتمد على كتـــــاب بيرونيت [8] و الأستاذ مارس عن جنسريق [9] ، وفيكتور بيكي حول الوندال [10] ، و كتاب قاليبرت[11] وكتاب سيديو حول تاريخ العرب[12] .

ورغم الجهد الكبير الذي بذله المدني في هذا الكتاب إلا أنه بدت فيه بعض الثغرات، فالفترة الزمنية التي عالجها طويلة جدا ولا يمكن لتأليف لم يتعد 157 صفحة أن يلم بكل جوانب الموضوع المدروس ، وهكذا فقد جاء كتابه مركزا على الخصوص على الأحداث السياسية والعسكرية ، و لم يشكّل الجانب الحضاري إلا جزءا محدودا فقط ، كما أن المدني كان كثيرا ما ينقل من المراجع دون ذكرها فقد وجدناه يصمت عن ذكرها ابتداء من الصفحة 51 حتى يعود من جديد فيذكر البعض منها ابتداء من الصفحة 117.

---

[1] - أحمد توفيق المدني، قرطاجنة، ص 24 .

[2] - المصدر نفسه، ص 28 .

3 - المصدر نفسه، ص 37- 38 .

4 - المصدر نفسه: ص 38- 40 .

5 - المصدر نفسه: ص 44 و ص 134 .

6- المصدر نفسه: ص 51 .

7- المصدر نفسه: ص 117 – 118.

[8] - المصدر نفسه: ص 117 119 و ص 145 – 147 و ص 161 .

[9] - المصدر نفسه: ص 126 .

[10] - المصدر نفسه: ص 133 و 142 .

[11] - المصدر نفسه: ص 142 .

[12] - المصدر نفسه: ص 161 .

كما لاحظنا أن أسلوب المدني في هذا الكتاب أقرب إلى الأديب منه إلى المؤرخ حتى إنه أتى بأبيات شعرية حين ذكر قضية إحراق القرطاجيين لهيكل معبد قرطاجة وهم بداخله حين هاجمهم الرومان.[1]

ومن المآخذ التي تعاب على المدني في هذا الكتاب عدم اهتمامه بالإحالة على مصدر الروايات، رغم وضعه لقائمة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها، علاوة على استخدام أسلوب المبالغة أحيانا في وصف الأحداث.[2]

## 2- كتاب الجزائر:

ظهر عام 1931م وجاء ردا على الاحتفالات المئوية الفرنسية الجارحة، وتتويجا لرد فعل الشيخ أحمد توفيق المدني على ذلك، فكان معارضة صريحة للطرح الفرنسي المزيف للتاريخ، وعنوانا لتجذر الوطنية الجزائرية[3].

وهو كتاب شامل لمواضيع عديدة معاصرة مثل النظام الإداري والقضائي، والمحاكم، والحالة الاقتصادية والاجتماعية، وأبرز المدن وعدد سكانها، والحياة التعليمية، وواقع الصحف والنوادي، وما إلى ذلك، أما الجانب التاريخي في الكتاب فضئيل جدا، وهو حسب ابن شنب لا يعدو ربع الكتاب، والمقصود بالجانب التاريخي هو ذكر الدول الماضية ومددها وحضارتها ودور الجزائريين عبر التاريخ وأبرز القبائل التي استوطنت الجزائر من بربر وعرب.

رفع المدني في هذا الكتاب شعارات الهوية الوطنية بوضعه على غلاف الكتاب ثلاثية "الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا "وعالج مشكلة الفراغ الذهني التاريخي لدى الشباب الجزائري، من مثقفين بالفرنسية بعضهم تمزق ذهنه إلى انجذاب نحو التاريخ الدخيل، ونفور من التاريخ الجزائري المشوه، ومن مثقفين بالعربية خانتهم المراجع الرابطة للماضي بالأصالة والنزاهة.[4]

---

[1] – أحمد توفيق المدني، قرطاجنة ، ص 75.

[2] – ميسوم بلقاسم: "كتاب الجزائر لأحمد توفيق المدني دراسة تحليلية"، مجلة المصادر ،ع 16، السداسي الثاني، 2007 ص 220.

[3] - Hassen Remaoun : Les historiens algériens issus du mouvement national, in Insaniyat ,n°25-26, Juillet-Decembre 2004, p 230.

[4] – صالح خرفي: "الأبعاد التاريخية في الشعر الجزائري الحديث"، مجلة الثقافة، ع 01، الجزائر: مارس 1971، ص 53.

قال محمد قنانش عن هذا الكتاب: " كلما رجعت إلى مقدمته أجدها شعلة من الوطنية تتقد حماسة، وتفيض إحساسا وشعورا، وأطوي الكتاب فتطل علي من الغلاف تلك الجمل الثلاث، التي أصبحت شعارا للوطنية، فلا ألبث أرددها معه"[1].

وصفه مؤلفه "المدني" بقوله: "هذا الكتاب صورة حقيقية لقطر الجزائر، لم ترسمها ريشة مصور إنما رسمها قلم باحث جعل همه ذكر الحقائق كما هي[2]".

يتوزع الكتاب على أربعة عشر قسما، يمكن تقسيمها إلى ثلاثة مواضيع هي التاريخ والجغرافيا والحالة الراهنة "1930".

أما التاريخ فيضم الأقسام من 01 إلى 06 وهي تؤرخ للجزائر من أقدم العصور إلى سنة 1930م، ورافقها ذكر التاريخ العلمي والأدبي، وقدم خلاصة عن العنصر البربري من حيث أصوله وعوائده ونظمه وقبائله، ثم العنصر العربي بنفس الكيفية، علاوة على التعرض للعناصر الأخرى المشكلة لسكان الجزائر.

وفيما يتعلق بأقسام الجغرافيا فتضم السابع والثامن، بحيث قدم بطاقة تعريف للطبيعة الجزائرية من حيث الموقع، والحدود، والمساحة، والمظاهر الطبيعية، وأعقبها بعرض للناحية الإدارية وإحصاء السكان، مرفقة بترجمة (72) مدينة من أمهات المدن بالقطر الجزائري.

في حين خصص الأقسام المتبقية وهي من 09 إلى 14 للوضعية السياسية والقضائية والتعليمية، والحالة الاقتصادية العامة.

وعقب صدور الكتاب لقي استحسانا كبيرا، وتلقى مؤلفه رسائل التهنئة والتقدير التي بلغت المئات حسبما ذكره، وقد أشاد به مفكرون، ومؤرخون كبار، ومن ذلك ما كتبه الأمير "شكيب آرسلان" في مجلة الفتح، وما كتبته مجلات "القبس"، ومجلة "البحوث الإسبانية" و"الأهرام"، كما عني بنقده والكتابة عنه والاقتباس منه جمهرة من العلماء والباحثين أمثال "شارل آندري جوليان"، "وجاك بيرك"، و"شارل روبير آجيرون" و "ماسينيون".[3]

---

[1] – محمد قنانش: المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية في فجر النهضة الحديثة ، الشركة الوطنية والتوزيع، الجزائر: بلا تاريخ، ص 113-114

[2] – أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص 373.

[3] – أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 207.

ومن بين التقاريظ العديدة ذات الأثر ما كتبه الشيخ عبد الحميد بن باديس [1]:" الخدمات التي يجب تقديمها للبلاد في مثل هذا الظرف هي نظير ما اختطه المدني، مما يجعل الشباب عارفين لوطنهم... فاكتشاف كل ما كان للوطن من عز وسوء هو عمل مثمر، وتسمو بالوطن إلى كل مكانة يحمدها له العصر الحاضر والظرف الراهن أجل عمل، فالذي يحمل كل فكرة وطنية لا يصدق فيما يقول إلا إذا خدم الوطن من الناحية التي خدمها المدني" .

وقال عنه شكيب أرسلان: ظهر كتاب الجزائر بقلم الوطني الفاضل أحمد توفيق المدني، جمع هذا الكتاب كل ما تلزم معرفته من شؤون الجزائر، بحيث لا يصح أن يخلو منه أحد ممن يريدون حق الإطلاع على أحوال المغرب الأوسط[2].

وكتاب الجزائر مهم لدر اسة الحياة العامة في الجزائر، لأن المؤلف عرض فيه لأول مرة تاريخ الجزائر وواقعها على حسب وجهة النظر الجزائرية العربية الإسلامية، مبديا بشجاعة موقفه من الأوضاع السائدة، ملتزما قدرا كبيرا من الصدق والدقة في تصوير الواقع، وقد استفاد من إتقانه للغة الفرنسية، ومن إطلاعه على القوانين الفرنسية المطبقة، والإحصاءات المسجلة، فالمدني مزج بين التاريخ والوطنية والحضارة مما كان له علاقة بحياة الجزائريين.

وكانت معرفة المدني بالفرنسية قد ساعدته على معرفة تاريخ الجزائر المكتوب بأقلام فرنسية أيضا، ولا سيما فترة الاستعمار التي انعدم فيها التأليف والنشر قبله تقريبا، وهكذا رجع إلى المؤلفات والوثائق الفرنسية التي تتناول الموضوعات المشار إليها وصاغ منها كتابا فيه جزء من التاريخ ولكنه كتاب موجه ومستوحى من احتفال الفرنسيين بالاحتلال وقد أصبح الكتاب مرجعا هاما للدارسين والمطالعين.

يظهر الجانب السياسي للكتاب في اعتماد المدني على بعض الآراء الفرنسية التي تقول بإنصاف الأهالي،واشتمل كتاب الجزائر أيضا على إحصاءات مرجعها الوثائق الفرنسية،ولكن لغته وأسلوبه وعاطفته كلها في صالح الهوية العربية- الإسلامية للجزائر، وهو يقف ضد الاندماج، ويقف إلى جانب ابن باديس في دعوته إلى مساواة بين الفرنسيين والجزائريين.

---

[1] - عبد الحميد بن باديس: "كتاب الجزائر كذلك وبمثل ذلك يؤدى الواجب أيها الجزائري الناشئ"، الشهاب، ج3، م 8، مارس 1932، ص 160.

[2] - ميسوم بلقاسم: المرجع السابق، 119.

وكان المدني من دعاة التجديد، فقد تحدث عن التعليم والمرآة والصحافة والشباب، وحث على تكوين المدارس والتخرج في المهن وإتقان الفلاحة والتجارة، وانتقد المدارس الثلاث الرسمية لتقاعسها، وبعض الطرق الصوفية لتخاذله ا، كما انتقد الإدارة الاستعمارية، ولكن بشيء من الاعتدال غير متوقع في تلك المرحلة. فكتابه يكاد يكون محايدا.

يلتقي المدني مع الميلي في هذا الكتاب كما قال سعد الدين بن شنب في إظهار شخصية البربري والعربي عبر التاريخ على أنها شخصية لا تذوب في الغير، وأن هؤلاء القوم يقطنون المنطقة منذ القديم وبينهما علاقات راسخة تجعلهم شعبا واحدا

## 3- محمد عثمان باشا داي الجزائر1766-1791:

صدر الكتاب سنة 1937 وهو عن حياة أطول الدايات حكما، ويقع في 191 صفحة، وكان الهدف من تأليفه إماطة اللثام عن حقيقة الوجود العثماني بالجزائر، وتكذيب الخرافات التي اصطنعها الاستعمار من أجل تشويه ذلك الوجود.[1]

والمعروف أن المدرسة التاريخية الفرنسية قد شنت حملة واسعة لتبرير التواجد الاستعماري بإلصاق الأحكام المزيفة عن ذلك العهد، وتصويره بالتخلف الحضاري واللصوصية.[2]

تضمنت مقدمة الكتاب إهداء أفرده المؤلف للشيخ "عبد الحميد بن باديس" مما جاء فيه: "إلى الرجل الذي أيقظ أمة، وأنشا جيلا، وربط بين ماضي الوطن وحاضره، وهيأ به مستقبله في ميدان العلم والشرف، فكان شخصه الكريم نقطة الاتصال بين الجزائر الغابرة الماجدة والجزائر الحاضرة المجاهدة والجزائر المقبلة الخالدة"[3].

اشتمل الكتاب على مقدمة وهي تمهيد لدراسة التاريخ التركي في القطر الجزائري، وأربعة أقسام عرض في القسم الأول منها خلاصة عن الولاة والحوادث في العصر التركي من عام 1515 إلى 1830.

---

[1] – أحمد توفيق المدني: مذكرات نقيب الأشراف، ص 07.

[2] – ناصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، الفترة الحديثة المعاصرة ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1984، ص 37.

[3] – أحمد توفيق المدني: محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1986، ص 05.

وخص القسم الثاني للحديث عن سيرة محمد عثمان باشا، وهو أهم جزء تعرض فيه إلى توليه الحكم، وسيرته، ونشاطاته الداخلية والخارجية.

أما القسم الثالث فنقل من خلاله إلينا أهم ما كتب بدفتر التشريفات، وهو السجل الرسمي الحكومي الذي كانت الإدارة التركية بالجزائر ترسم فيه أعمالها ومذكراتها العامة.

وعالج في القسم الأخير مقتطفات من مذكرات المستشرق الفرنسي "فونتير دي باردي" والمتعلقة بعصر عثمان باشا، وقد دعم المؤلف الكتاب بعشرين صورة متنوعة.

وبعد ظهور الكتاب قرضه الإمام عبد الحميد بن باديس في ركن ثمار العقول والمطابع بمجلة الشهاب قائلا: "هذا اسم السفر الجليل الذي ألفه الأخ الأستاذ أحمد توفيق المدني، لخص فيه تاريخ الجزائر التركي، وبين حالتها الاجتماعية والأدبية والسياسية بأسلوب بديع، جمع الفصاحة والتناسق، وعرض للتاريخ بين دلائل العلم ومباهج الفن وبروح إسلامية لا تعرف إلا الصدق، عربية لا تفارقها العزة والشهامة، وإذا كان الوطن هو تاريخ الوطن... ولا حياة لأمة إلا بإحياء ماضيها... فالأخ الأستاذ المدني بكتابه هذا، لم يكن كاتبا بليغا ومؤلفا مبدعا ومؤرخا حكيما فحسب، بل كان فوق ذلك من خير من بعثوا أوطانا وأحيوا أمما". [1]

ودعا ابن باديس الشباب المسلم إلى مطالعته قائلا:" إنه يتحتم على كل مسلم جزائري أن يقرا هذا الكتاب وإنك- إذا ختمته أيها المسلم الجزائري- لابد أن تخرج منه تحب من يجب أن تحب، وتبغض من يجب أن تبغض" [2].

ويعد هذا التقريض أحسن اعتراف بأهمية الكتاب من لدن زعيم الحركة الإصلاحية في الجزائر.

استطاع المدني أن يقدم دراسة هامة تتصف بقدر كبير من الموضوعية في معالجة الوجود التركي بالجزائر، وأن يتصدى بحزم قل نظيره للأطروحا ت الغربية المناهضة، وتزداد أهمية العمل قيمة خاصة إذا علم المرء الظروف الصعبة المصاحبة لصدوره تحت السيطرة الاستعمارية القائمة على تكميم الأفواه.

---

[1] - عبد الحميد بن باديس: "محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791"، الشهاب، ج7، م 13، سبتمبر 1937، ص 356.

[2] - المصدر نفسه، ص 358.

## 4- هذه هي الجزائر:

نشر هذا الكتاب بالقاهرة سنة 1957، وهو عبارة عن تعريف بتاريخ الجزائر وثورتها، وقد أهداه المدني لشهداء الثورة التحريرية " اعتراف بفضلهم ، وتخليدا لذكراهم وشهادة لهم أمام الله والناس أجمعين بأنهم استحقوا تقدير الوطن والتاريخ وتمجيد العروبة والإسلام" كما كتب في صفحة الإهداء[1].

ووضع المدني تمهيدا وضح فيه دافعه لتأليف هذا الكتاب وهو تعريف العالم وخصوصا العالم العربي بالشعب الجزائري.

وقال:" فأنا لم أكتبه للدعاية وإنما كتبته تسجيلا للوقائع وتعريفا علميا بهذا القطر" وذكر المدني انه ألف كتابه هذا بطلب من الأستاذ محمد فؤاد جلال سكرتير عام مجلس الخدمات ورئيس مؤتمر الخريجين العرب .

أما مصادره فقال عنها المدني:"..فهو[أي الكتاب] يعتمد على الصادق من أنباء التاريخ، وعلى الثابت من أرقام الإحصاء ، ويصف الحالة الحقيقية كأنها صورة طبق الأصل، فلا مبالغة ولا تهويل فإذا صبر القارئ عليه وتلاه حتى نهايته وجد نفسه ملما بكل ما يجب أن يعرفه عن هذا القطر، وعن هذا الشعب، وعن هذا الجهاد." [2]

وقسم المدني كتابه إلى أقسام، خصص القسم الأول منها للتعريف بالبلاد الجزائرية فتحدث عن أصل تسمية الجزائر وساحلها وحدودها ومساحتها والتل والساحل والنجود والصحراء والملحقات وبلاد الطوارق وتحدث عن المناخ والتضاريس والموارد المائية.[3]

وخصّص القسم الثاني لسكان القطر الجزائري فقدم إحصاء لهم عام 1948 وذكر أقسامهم من مسلمين وهم العرب والأمازيغ ولا يتمتعون بأي حقوق، وفرنسيين وما لهم من امتيازات وعن اليهود والمكانة التي تبوئوها بعد مرسوم كريميو[4].

---

[1]- أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة: 1957، ص 4.

[2] - المصدر نفسه، ص 7.

[3]- المصدر نفسه، ص 9-26.

[4] - المصدر نفسه، ص 27-41.

وأعطى للقسم الثالث عنوانا هو: " فيما يجب أن يعرف عن تاريخ الوطن الجزائري" فقدم لمحة تاريخية عن الجزائر وما مرت به من مراحل تاريخية والدول التي تداولت عليها وهي الفينيقية والنوميدية والاستعمار الروماني ثم البيزنطي ومن بعده الوندالي ثم الفتح العربي لبلاد المغرب والدول التي ظهرت وهي الرستمية والفاطمية والحمادية والموحدية والزيانية.[1]

وانتقل لما سماه :" الجمهورية الجزائرية العثمانية " وختم بالحديث عن الاحتلال الفرنسي للجزائر الذي اعتبره " نكبة شرقية عامة" لأنه عجل بوقوع باقي الأقطار العربية تحت نير الاحتلال الأجنبي[2].

وانتقل لما سماه روح النضال فتحدث عن مقاومة الشعب الجزائري للمستعمر ووضع مبحثين الأول لمقاومة أحمد باي والثاني لمقاومة الأمير عبد القادر، ثم تحدث عن " فضائع وأهوال وموبقات " وهي بعض جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر من خلال أمثلة تاريخية[3].

والقسم الرابع عنونه بـــ" تحطيم أمة" تحدث فيه عن الحكومة والإدارة والمجالس، فذكر ما انجر عن الاحتلال الفرنسي من عمليات استيطان، ثم التنظيم الإداري الاستعماري من مجالس بلدية ومجالس عمالات والمجلس الجزائري الذي جاء به دستور 1947.

وانتقل للحديث عن النشاط الاقتصادي في الجزائر خلال هذه الفترة، فقدم بعض المعلومات عن النشاط الفلاحي وتربية الماشية والثروة المعدنية والصناعة والتجارة.

وخلص لما سماه:" نتائج المأساة الاقتصادية" وهي الانعكاسا ت السلبية للنظام الاستعماري على الجزائريين، وهي تدني الأجور وانتشار البطالة، والمسكن التقليدي الهش والهجرة.

وتعرض للنظام القضائي وسياسة التجهيل، والتعليم الفرنسي الرسمي والتعليم الحر الذي حملته جمعية العلماء، والدين الإسلامي وسيطرة الفرنسيين على الأوقاف الإسلامية.[4]

وانتقل لقسم آخر خصصه للمقاومة الحربية مثل ثورات الزعاطشة وأولاد سيدي الشيخ وجرجرة و الأوراس والمقاومة السياسية في دورها الأول عبر العرائض السياسية والصحافة.

---

[1] - أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، المصدر السابق ، ص 45-66.

[2] - المصدر نفسه ، ص 76-88.

[3]- المصدر نفسه، ص 89-95.

[4] - المصدر نفسه 135-150.

ثم المقاومة السياسية في دورها الثاني بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وظهور حركة الأمير خالد وحزب نجم شمال إفريقيا وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

وتحدث عن برنامج فيوليت والمؤتمر الإسلامي ومجازر ماي 1945 والدستور الجزائري 1947 ثم التنكيل بحزب الشعب بعد اكتشاف جناحه العسكري وانقسام الحزب وظهور اللجنة الثورية للوحدة والعمل[1] لينتهي إلى التحضير للثورة التي خصص لها القسم الأخير من كتابه هذا تحدث فيه عن ظهور جبهة التحرير وبيان أول نوفمبر وانتشار الثورة في مناطق مختلفة من الوطن ووضح في النهاية شروط الجبهة للتفاوض مع الفرنسيين[2].

وختاما لكل هذا فإن المدني قدم مساهمات هامة في التأريخ للقطر الجزائري عامة رغم اشتغاله بالسياسة والأدب والصحافة، هذه المساهمات التي يجب أن توضع في مكانها الطبيعي بين الكتابات التاريخية الجزائرية ذات البعد الوطني.

## * سليمان الصيد و كتابه تاريخ الجزائر القديم:

### *المؤلف:

ولد سليمان بن بلقاسم بن سليمان الصيد بطولقة الواقعة في الشمال الغربي لمدينة بسكرة، في شهر ديسمبر من سنة 1929م، وقد حمل اسم جده لأبيه الذي وافته المنية ليلة مولده، وتربى في كنف والده الفلاح، فمارس زراعة النخيل، والتجارة في قريته الصغيرة طولقة.[3]

حفظ سليمان الصيد القرآن الكريم في سن مبكرة، ثم دخل المدرسة الابتدائية وبعدها تلقى دروسا عليا في العلوم والآداب العربية وانتقل إلى الزيتونة بتونس ونال منها الشهادة الأهلية سنة 1948 ثم شهادة التحصيل سنة 1951 .[4]

---

[1] - أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، المصدر السابق، ص 151- 191.

[2] - أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر ، المصدر السابق، ص 191- 199.

[3] - فائزة سليمان الصيد ، الأستاذ الكاتب المؤرخ سليمان الصيد.....في ذكراه ، منتدى سير أهل_الابداع، الثلاثاء 25 سبتمبر 2007، ص 1.

[4] - عبد الكريم بو الصفصاف وآخرون : معجم أعلام الجزائر ،ج2، ص 202.

وتتلمذ على يد شيوخ منهم الشيخ سي قدور والشيخ نعيم النعيمي في مدارس قريته، وأتم تعليمه الابتدائي هناك، وكان قد سجّل تفوقا في تحصيل العلم، و بدا نبوغه واضحا في سن مبكرة.[1]

أقبل الصيد على قراءة كتب اللغة و الأدب و التاريخ و الفقه و السير بنهم شديد، مما أكسبه عادة المطالعة و القراءة و مجالسة الكتاب فيما بعد، أرسله والده إلى مدينة تونس رفقة شقيقه مصطفى لإتمام مشوارهما الدراسي، و كانت الوجهة جامع الزيتونة منارة العلم في المغرب العربي، فأقبل على النهل من الفنون و العلوم و الآداب المختلفة، على يد شيوخ أفاضل منهم: الفاضل بن عاشور، عثمان الكعاك.[2]

نال شهادة الأهلية عام 1948 وبعدها شهادة التحصيل عام 1951 م، و أتاحت له رحلته إلى مدينة تونس، و في ربوع جامع الزيتونة الالتقاء بعدد كبير من العلماء و الشيوخ الأفاضل أمثال: مولود قاسم نايت بلقاسم ، والمؤرخ الكبير أبو القاسم سعد الله، والشيخ أبو جمعة جعلاب وغيرهم كثير.

بدأ ميله إلى حب التراث و التاريخ و البحث يتشكل ليتعمق و ينضج مع الأيام، و يصبح جزءا أصيلا من شخصية الأستاذ سليمان الذي لم ينقطع عن زيارة تونس و جامعها ومكتباتها على مدار حياته، كانت رحلته إليها في كل مرة رحلة ثقافية بامتياز كما كان يحلو له أن يدعوها.

ولدى عودته إلى الوطن عام 1952 م تولى مهمة التدريس في مدارس جمعية العلماء المسلمين بمدينة بسكرة، ثم بقسنطينة، و كان بذلك من أوائل المعلمين الأحرار الذين حملوا على كاهلهم مسؤولية المشاركة في ثورة التحرير الوطني، بنداء مارس 1955 المنشور في جريدة البصائربتاريخ1955/3/11.

التحق بصفوف جبهة التحرير مناضلا عاملا، ثم سافر إلى فرنسا، و منها إلى المغرب رفقة

---

[1]– سليمان الصيد: مدرسة الإخاء في بسكرة ودورها في نشر الثقافة العربية الإسلامية في منطقة الزيبان،طبع سنة 2003 ، ص 22.

[2]– فائزة سليمان الصيد: المرجع السابق، ص 1.

أسرته الصغيرة، فزاول هناك دراسة القانون، و تحصل على شهادة الليسانس في الحقوق من جامعة الرباط.[1]

كانت مهنة سليمان الصيد الأولى التدريس، حيث مارسها في الجزائر عبر مدارسها الحرة، و ثانوية ابن باديس بقسنطينة، و جامعة منتوري، تحديدا في معهد الحقوق، و في المغرب أيضا عبر بعض ثانوياتها في مدن: تطوان و الرباط و طنجة.

التحق الصيد بسلك العدالة ليكون أول محام باللغة العربية بمدينة قسنطينة عام 1964، و لقب بالعميد، وترأس وفد المحامين الجزائريين في مؤتمر المحامين العرب في مصر ثم سوريا، واستطاع أن يجعل من هذه المهنة فضاءً آخر لتفعيل قيمه التي يحملها، كما استطاع أن يكون بحق رجل عدالة بدرجة عالية.

اهتم سليمان الصيد بالبحث عن التراث و دراسة المخطوطات، و تتبع أماكن وجودها ، واختص بتحقيقها و جمعها و دراستها، ونشر في كثير من الجرائد و المجلات ككاتب في التاريخ الجزائري القديم و الحديث بمقالات متنوعة: جريدة البصائر، النصر، الشعب، مجلة النصر التطوانية المغربية، العروية، الملتقى و شارك في الملتقيات و المؤتمرات الوطنية و الدولية بمداخلات تحول بعض منها إلى كتب مطبوعة، و له كتاب الفتح الإسلامي في شمال إفريقيا مخطوط، وترك غير هذا عددا من الملفات تحتوي على الجذاذات والمخططات، والأفكار الأساسية سواء في مجال التأليف أو التحقيق.

كانت كتاباته كتابات علمية وأدبية طريفة، تتميز بالنقد والتحقيق والتدقيق والمقارنة، وكان يبحث دائما عن الجديد ويغوص في المجهول من الوثائق والمخطوطات، ومختلف التراكمات التاريخية والثقافية والسياسية.[2]

واستمر سليمان الصيد في البحث والعطاء العلمي إلى غاية وفاته في 14 سبتمبر 2005 ودفن بالمقبرة المركزية بمدينة قسنطينة وكان عمره 75 سنة [3].

---

[1]- فائزة سليمان الصيد: المرجع نفسه، ص 2.

[2]- عبد الكريم بوصفصاف: معجم أعلام الجزائر، ج2، ص 203.

[3]- فائزة سليمان الصيد: المرجع السابق، ص 2.

*** الكتاب:**

صدرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب " **تاريخ الجزائر القديم"** سنة 1953 وطبعته المطبعة الإسلامية بقسنطينة، ثم أعيد طبعه بعد الاستقلال سنة 1966 وكان باكورة تآليفه، قدّم له الشيخ الحفناوي هالي كاتب لجنة التعليم لجمعية العلماء المسلمين، و تغنّى شاعر الجزائر الأول محمد العيد آل خليفة بالمؤرخ الشاب فخاطبه قائلا: " أيها الكاتب ، المؤرخ...شكرا ! " ، وقد أعيد طبعه مرة أخرى، و اعتمد من طرف وزارة التربية و التعليم ككتاب مدرسي في مادة التاريخ للسنة الخامسة و السادسة من الطور الابتدائي لسنوات 1966 — 1967 - 1968 .[1]

وهذا الكتاب كان ضمن مشروع كبير سطره سليمان الصيد لكتابة تاريخ الجزائر عبر العصور، فقد وعد في نهايته إنه سيعمل على إخراج جزء ثان في تاريخ الفتح الإسلامي في شمال إفريقيا والذي ظل مخطوطا لم ينشر كما ذكرت ابنته في ترجمته.

والمرجّح أن الصيد قد تأثر بعمل الشيخ مبارك الميلي فأراد أن يحذو حذوه ، وقد أهدى المؤلف كتابه لأقطاب الحركة الإصلاحية في عهده وهم: البشير الإبراهيمي والعربي التبسي ومحمد خير الدين[2].

وجاء هذا الكتاب بتصدير لكاتبين الأول هو الشاعر محمد العيد آل خليفة والثاني هو الكاتب الحفناوي هالي كاتب لجنة التعليم بجمعية العلماء[3].

وقال في المقدمة :" إن من دواعي الغبطة والسرور أن تتجه أفكار نخبة من رجال الجزائر العاملين إلى التفكير في إحياء تراث الجزائر التاريخي عمليا، ذلك التاريخ الذي أصبح في العصر الحاضر يلعب دورا هاما في تكوين الأمة واندفاعها إلى الأمام."

وذكر أن لجنة التعليم بجمعية العلماء قررت في منهاجها لتدريس تاريخ الجزائر قديما وحديثا للناشئة، فقرر هو وضع الكتاب، وقال إنه كان منكبا على مطالعة كتب التاريخ منذ أن كان يدرس في تونس ، فأراد كما قال أن يزيح الستار عن تاريخه الحافل قدر الإمكان[4].

---

[1]- فائزة سليمان الصيد: المرجع السابق، ص3.

[2]- سليمان بلقاسم الصيد: تاريخ الجزائر القديم، المطبعة الجزائرية الإسلامية، قسنطينة:1953، ص 3.

[3]- المصدر نفسه، ص 4-10.

[4]- المصدر نفسه، ص 11-12.

وأما عن مصادره فقال الصيد:" وقد اعتمدت في كتيبي الصغير تاريخ الجزائر القديم على عدة مصادر مهمة" وذكر أثناء عرضه أسماء عدد منها[1].

وتطرق في بداية الكتاب لبلاد المغرب ليبين حدودها الطبيعية ثم وضح حدود القطر الجزائري ومساحته وميزاته عن باقي الأقطار.[2]

وتحدث بعد ذلك عن السكان القدماء في الجزائر في العصر الحجري وذكر آثارهم وحياتهم وديانتهم ولغتهم.[3]

وانتقل للحديث عن البربر فذكر أصلهم وامتزاجهم بقبائل أخرى وحياتهم من مأكل وملبس ومظهر عام وديانتهم ولغتهم وأخلاقهم[4].

ثم أفرد فصلا للمالك البربرية وهي الدول التي ظهرت في بلاد المغرب كماصيصيليا ونوميديا وجيتوليا وعن مدنها الكبرى وهي قرطة ويول وهيبون.[5]

وعن انتشار الديانة المسيحية ببلاد المغرب [6] وعن ملوك البربر المشهورين وذكر منهم مطوس ونارفاس وغولة قايا وأصالساس ولكوماسيس وصيقاقس وماصينيصا ومصيبسا ويوغرطة وذلك في أثناء ذلك الحروب التي نشبت بين بعض الملوك والتي ادت الى زيادة ضعف البلاد واتاحة الفرصة للاحتلال الأجنبي للبلاد[7].

وتطرق في فصل آخر لما سماه :" الاستيلاء الفينيقي" تحدث فيه عن أصل الفينيقيين وسبب قدومهم للبلاد وتأسيسهم لقرطاجة وبعض أعمالهم الاقتصادية و مآثرهم العمرانية [8] وجوانب من الحياة الفكرية والأدبية في عهدهم.[9]

---

[1] – سليمان بلقاسم الصيد: تاريخ الجزائر القديم المصدر السابق، ص 13.

[2] – المصدر نفسه، ص 14-15.

[3] – المصدر نفسه، ص 16-17.

[4] – المصدر نفسه، ص 19-22.

[5] – المصدر نفسه، ص 23-25.

[6] – المصدر نفسه ، ص 25.

[7] – المصدر نفسه، ص 26 – 43.

[8] – المصدر نفسه ، ص 44-47.

[9] – المصدر نفسه، ص 48-49.

والحروب التي خاضوها في صقلية والحروب البونيقية ضد الرومان والتي انتهت بهزيمة الفينيقيين وتدمير الرومان لقرطاجة واستيلائهم على بلاد المغرب.[1]

وانتقل للحديث عن الاحتلال الروماني فعرف بالرومان وأطوار دولتهم واستيلائهم على قرطاجة وأعمالهم الاستيطانية ونظمهم الإدارية والعسكرية.[2]

وحياتهم العامة وتأسيسهم للمدن بالبلاد وتمتعهم بكامل الحقوق والامتيازات مع استبعاد البربر من كل ذلك، وعن التأثير الروماني على حياة البربر وأخلاقهم وذكر جملة من مشاهير البربر في ذلك العصر.[3]

وانتقل لضعف الرومان وسقوط دولتهم بيد الوندال واستيلاء هؤلاء على بلاد المغرب وأعمالهم ، وبين قبل ذلك أصل الوندال ونظامهم الإداري وجوانب من حضارتهم إلى غاية سقوطهم بيد البيزنطيين.[4]

وعقد مبحثا لما سماه التدخل الرومي ويقصد به البيزنطي تحدث فيه عن أصل البيزنطيين واستيلائهم على إفريقيا وبعض إمارات البربر في تلك الفترة، وسقوطهم بعد ذلك تحت ضربات الفاتحين المسلمين، وأنهى الكتاب بتقديم نبذة عن الفتح العربي لبلاد المغرب وحملات المسلمين وموقف البربر منها.[5]

والكتاب بهذه الصورة جاء عرضا شاملا لتاريخ الجزائر القديم، و قد وجدنا كما قلنا سابقا إن الصيد تأثر بمنهج وأسلوب الشيخ مبارك الميلي وبدا كتابه وكأنه اختصار لكتاب الميلي حتى يستطيع تلاميذ جمعية العلماء استيعاب أفكاره .

---

[1] – سليمان بلقاسم الصيد: تاريخ الجزائر القديم المصدر السابق ، ص 54.

[2] – المصدر نفسه، ص 57.

[3] – المصدر نفسه ، ص 61.

[4] – المصدر نفسه ،ص 61-71.

[5] - المصدر نفسه، ص 72-77.

## *عبد الرحمن الجيلالي[1] و تاريخ الجزائر العام:

صدر تاريخ الجزائر العام في جزئين سنة 1953، تناول فيه مؤلفه التاريخ الجزائري من أقدم العصور إلى العهد العثماني، وكان دافعه أيضا وطنيا فقد أهداه إلى عقبة بن نافع، ووجهه إلى الشباب، وكان ذلك رمزا لربط الحاصر بالماضي، فعقبة رمز للفتح الإسلامي، والشباب رمز اليقضة الوطنية، وكان هدف المؤلف أن يقتدي الجيل الجديد بأجدادهم، ولا ينغمسوا في الحضارة الأجنبية وينسوا ماضيهم، وتدل ثقافة الجيلالي على هذا [2].

ويختلف تاريخ الجيلالي عن عمل الميلي في كون الأخير أكثر غزارة وأوضح في المنهج العلمي والعرض التاريخي من تاريخ الميلي، وذلك راجع لتقدم الأول تاريخيا عن الثاني، وعدم وجود ركائز صلبة يرتكز عليها في دالك الحين حيث لم يؤلف أي كتاب يتناول موضوعه بتلك الطريقة التي تناول بها هو.

وضح الجيلالي في حوار له مع جريدة المنار إثر صدور الكتاب مباشرة أن من دوافعه لهذا التأليف غموض التاريخ الجزائري وتشعبه وتشتته، وانه لم يدرس دراسة واضحة فأراد أن يطهره من هذه العيوب التي جعلت الناس يجهلونه، وحرص على أن يظهر لهذه الأمة " تاريخا ماجدا تستطيع أن تفتخر به" كما قال.

وأفاد الجيلالي أنه شرع في تأليف هذا الكتاب عند نشوب الحرب العالمية الثانية سنة 1939 مستغلا ظروف الحرب وانزواء الناس إذ ذاك واشتغالهم بشؤون الحرب، كما وضح أنه اعتمد على مصادر مخطوطة ومصادر باللغة الأجنبية[3].

وقد ركز في بداية كتابه على تعريف التاريخ وعلاقاته بالقومية، وخصص جزءا ضئيلا منه لتاريخ الجزائر قبل الفتح الإسلامي قبل أن يدخل في موضوعه فقد لجأ الجيلالي إلى تمهيدات ومقدمات ويرى مرتاض أنها كانت ضرورية لفهم السياق العام لموضوعه " لان المؤرخ لا يستطيع

---

[1] – سبق التعريف بالمؤلف في الفصل الثاني.

[2] – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 424.

[3] – كاتب مجهول: تاريخ الجزائر العام، مجلة المنار، السنة 3، ع 45، يوليو 1953، ص2.

أن يحدثك عن الفتوحات العربية في شمال إفريقيا حتى يعرج على تاريخ الإسلام فيحدثك منه بطرف، فالقارئ هو الغانم المستفيد." [1]

وتاريخ الجيلالي غزير المادة غني المعارف لا يخرج منه قارئه فقط بإلمامة شاملة عن تاريخ الجزائر بل يستطيع أن يلم بطرف من تاريخ الإسلام وكثير من أحوال الدول التي تداولت على حكم الجزائر خلال العصور البعيدة .

كما أن الجيلالي تميز بالدقة في تدوينه للتاريخ وحرص على إخراج عمله في أحسن حالة فهو لا يكتفي بعرض الأحداث كرونولوجيا بل انه يقدم في نهاية كل فصل جدولا تاريخيا لأهم ما عرفته الدولة التي ذكرها .

كما تميز تاريخ الجيلالي عن سابقيه بتناوله للنواحي الثقافية والفكرية للجزائر كتراجم العلماء وذكر مؤلفاتهم، والإشارة كذلك لبعض النواحي الاقتصادية

وهو يعد بحق موسوعة ضخمة للمعارف التاريخية وهو خليق أن يفيد القارئ إفادة عميقة إذ كان عبارة عن عرض مفصل وطويل لسائر الأحداث التاريخية الهامة التي كانت لها صلة مباشرة أو غير مباشرة بتاريخ الجزائر عبر العصور.

توسع الجيلالي في التاريخ منذ الفتح، ورجع إلى عدة مراجع، منها العربي هو الغالب( 61 مرجعا) واعتمد على بعض المخطوطات،و الجيلالي لا يعرف الفرنسية إلا قليلا، ولذلك اعتمد على تراجمه فيما أخذه منها وهو في هذا يلتقي مع الميلي، كما يلتقي معه ومع المدني في الرؤية الوطنية للتاريخ وتوظيفه لخدمة الشباب والجيل الجديد عموما وضرورة بعث التاريخ لخدمة الحاضر[2].

ويمتاز تاريخ الجيلالي بالتبويب المحكم، وترتيب الأدوار التاريخية، وذكر جداول الدول وتراجم بعض المشاهير، وقد دعا أيضا إلى المحافظة على الهوية الوطنية واحترام الأسلاف، والارتباط بالدين والوطن، وشمل تاريخه أيضا ذكر الأسباب في ظهور الدول واختفائها، ودوام النظم وانقراضها، بالإضافة إلى التعرض للوضع الاقتصادي والحضاري.[3]

---

[1] – عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، المرجع السابق، ص 238.

[2] -Saadedine Bencheneb : Op.cit, p 483.

[3] -Ibid, p 485.

وحاول الجيلالي أن يكون موضوعيا في عرضه للكثير من الأحداث التاريخية وان كانت قضية الموضوعية المطلقة بالنسبة لمؤرخ قضية مستبعدة بحكم ارتباطه بأمته وانفعاله مع قضاياها.

والجيلالي يستشهد بنصوص كثيرة ومختلفة، وحتى الأدبية منها للتعبير عن الحالة الفكرية للدول التي تطرق لتاريخها فغالبا ما يكون الأدب وخصوصا منه الشعر أحسن تعبير للحياة الفكرية لأمة من الأمم.

ومن مآخذ كتاب الجيلالي إطنابه في بعض المواضيع البعيدة عن موضوعه كموضوع تاريخ العرب والسيرة النبوية[1] التي كان من المفترض أن تذكر غرضا فقط لينتقل بعدها لصلب الموضوع

و وقع الجيلالي رغم حرصه فيما وقع فيه الميلي من إهماله أحيانا ذكر مصادره أو إهمال صفحاتها في حال ذكرها[2]

ومهما يكن فان الجيلالي قد أنفق وقتا كبيرا وجهدا معتبرا في إخراج كتابه هدا وهو ما تشهد عليه مادته الخصبة ومعارفه الواسعة فهو كتاب هام لا غنى عنه لأحد يريد أن بلم بتاريخ الجزائر خلال أطوار التاريخ المتباعدة التي عالجها.[3]

## * البشير الإبراهيمي وكتاباته عن تاريخ الجزائر:

### * المؤلف:

هو محمد بن البشير بن محمد السعدي بن عمر بن محمد السعدي بن عبد الله بن عمر الإبراهيمي، ولد بـــأولاد إبراهيم التي كانت تتبع قيادة قصر الطير في قبيلة ريغة الشهيرة بسطيف، و يرتفع نسبه إلى إدريس بن عبد الله مؤسس دولة الأدارسة في المغرب[4].

ولد البشير الإبراهيمي سنة 1889 و تلقى دروسه الأولى عن أبيه وعمه، ثم في زاوية ابن علي الشريف في شلاّطة بجبال القبائل، ثم هاجر إلى المدينة المنورة سنة 1911م، فأتم دراسته العليا فيها، ثم انتقل إلى دمشق سنة 1917 وعمل أستاذا للأدب العربي بالمدرسة السلطانية، وكان من

---

[1]- عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، المرجع السابق، ص 238.

[2]- عبد الرحمن الجيلالي: المصدر السابق، ج1، ص 189،300.

[3]- عبد الملك مرتاض: نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، المرجع السابق، ص 238.

[4]-محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، المصدر السابق،ص163.

الزعماء العرب وقادة الفكر فيهم الذين التفوا حول الأمير فيصل ابن الحسين وبايعوه زعيما للثورة العربية الكبرى إثر إعدام جمال باشا السفاح لأحرار العرب في دمشق وبيروت سنة 1916م،كما شارك في تأسيس المجمع العلمي العربي سنة 1921، وفي نفس السنة عاد إلى الجزائر وانقطع للخدمة العامة مع رائد النهضة ابن باديس وصحبه.[1]

ولما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 كان من أبرز مؤسسيها وانتخب نائبا للرئيس عبد الحميد بن باديس ، وفي مطلع الحرب العالمية الثانية سنة 1940 نفاه الفرنسيون إلى "آفلو" في جنوب الجزائر، ومات ابن باديس في نفس السنة ، فانتخب لرئاسة جمعية العلماء خلفا له وهو في منفاه، واستمر معتقلا ما يزيد على ثلاث سنوات، ثم اعتقل وسجن وعذب سنة 1945، وفي هذه الفترة من حياته أنشأ عددا كبيرا من المدارس العربية وأهمها معهد عبد الحميد بن باديس الثانوي بقسنطينة ،كما تولى مسؤولية جريدة "البصائر" الذائعة الصيت في المغرب والمشرق والتي كانت من أقوى الصحف العربية دفاعا عن قضايا العروبة و الإسلام، وفي سنة 1952 رحل إلى المشرق وجال في أكثر بلدانه ثم استقر بالقاهرة[2].

ولما اندلعت الثورة الجزائرية انتدب من قبل قيادتها للقيام بمهمات لدى الدول العربية والإسلامية، فقام بها أحسن قيام، وإثر استقلال الجزائر سنة 1962 عاد إليها وأقام بالعاصمة مريضا وقد هده الجهاد و الإعياء إلى أن توفي. من آثاره "عيون البصائر" طبع منها مجلدان ، و "الاطراد و الشذوذ في اللغة " و"أسرار الضمائر في العربية " و"التسمية بالمصدر" و"كاهنة الأوراس " و"رسالة الضب " و "فصيح العربية من العامية الجزائرية " و"أرجوزة " في 36 ألف بيت ضمنها تقاليد الشعب الجزائري وعاداته، كما له مقالات كثيرة نشرت في صحف المغرب والمشرق [3].

## كتاباته في التاريخ العام لجزائر:

ألقى البشير الإبراهيمي مجموعة من المحاضرات التاريخية في القاهرة في شهر ماي 1955 وهي محاضرات استعرض فيها تاريخ الجزائر وأظهر فيها ثقافته التاريخية.

---

[1]– محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، المصدر السابق، ص 163-167.

[2]– عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص 13.

[3]– عبد الملك مرتاض: فنون النثر الأدبي في الجزائر: 1931-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 1983، ص507.

ووضع في البداية أن اسم الجزائر مشتق من قبيلة بني مزغنى البربرية التي كانت تقيم بساحل الجزائر، ثم وضع عنوانا هو :" فتح العرب لإفريقيا الشمالية" تحدث فيه عن الفتح الإسلامي لبلاد المغرب والمراحل التي مر بها ذاكرا مجموعة من التواريخ ولكن دون أن يذكر مصادره في ذلك[1].

وانتقل لما سماه "حقبة المد والجزر للجزائر بين تونس ومراك ش"وضح فيه ظهور تصارع الأمويين والعلويين وما آل إليه دلك من نشوء الدولة الإدريسية بالمغرب الأقصى

وقال أن الجزائر " المغرب الأوسط" كانت في غلب عهودها الإسلامية موزعة بين مراكش وتونس فكان القسم الشرقي منها يتبع في الغالب لتونس ويتبع القسم الغربي للمغرب الأقصى ، ومضى في تعداد الدول الإسلامية التي ظهرت بإقليم المغرب الأوسط بادئا بالدولة الرستمية التي نشأت عام 144 هـ/ 761 م وانقرضت عام 296 هـ/ 908 م [2].

ثم ذكر الدولة الصنهاجية الزيرية التي ظهرت بجبل التيطري عام 324 هـ/ 935 م وانقرضت عام 547 هـ/ 1152 م ، والدولة الفاطمية رغم أنها اسبق من الزيرية، وتحدث عن نجاح دعوتها بين قبائل كتامة ونشأتها عام 297 هـ / 909 م وانقطاع دعوتها من القيروان عام 341 هـ/952 م باستقلال الدولة الباديسية الصنهاجية عنها[3].

وتحدث عن الدولة الزيانية بتلمسان التي نشأت عام 633 هـ/1235 م، وانقرضت عام 957 هـ/ 1546 م باستيلاء الأتراك عليها، وذكر ما عانته هده الدولة من جانب الممالك المجاورة لها وهي الحفصية في الشرق والمرينية في الغرب[4].

وانتقل للحديث بعد ذلك عن الدولة التركية، والظروف التي نشأت فيها بفعل تدهور أحوال المغرب الأوسط واستغلال الأتراك لتلك الفرصة لتوطيد أركان دولتهم وخصص لهذه الدولة عددا من الصفحات تحدث فيها عن خير الدي ن بربروس وبعض خلفائه، وجهادهم ضد

---

[1]–محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5، ص 102-105.

[2]– المصدر نفسه، ص 105-107.

[3]– المصدر نفسه، ص 107-109.

[4]– المصدر نفسه ، ص 109-111.

الإسبان ومراحل الحكم التركي بالجزائر، ووصف حالة البلا د العلمية على عهدهم بالصفحة السوداء في تاريخ الجزائر العلمي لتدهورها[1].

وتطرق للحديث عن الاحتلال الفرنسي للجزائر، ومقاومة الأمير عبد القادر ونهايتها واستمرار المقاومة الشعبية بعد ذلك، وتحدث عن ثورة المقراني عام 1871 التي قال عنها:" وقد شهدها جدي ووالدي وعمره سبع عشرة سنة حاملين السلاح واستشهد فيها جماعة من قبيلتنا وكان المقراني يعتمد على قبيلتنا لسكان الجوار والعصبية .."[2]

وقسم الإبراهيمي حالة الجزائريين مع الاستعمار الفرنسي بحسب تأثيرهم فيه وتأثرهم به إلى ثلاث مراحل رئيسية هي:

المرحلة الأولى : 1830-1871 وهي مرحلة الثورات المتصلة الحلقات في اغلب نواحي القطر كما قال.

المرحلة الثانية: 1871- 1914 وهي مرحلة تدهور الحالة النفسية لشعب الجزائري وتحكم المستوطنين في مصيره.

المرحلة الثالثة: 1914- 1954 وهي مرحلة تأثير الحرب العالمية الأولى على الجزائريين وظهور الحركة الوطنية وتأسيس جمعية العلماء، [3]وخصص من المرحلة الأخيرة حيزا هاما أشار فيه لظروف نشأة الجمعية ومبادئها وصولا إلى اندلا ع الثورة التحريرية ضد النظام الاستعماري الفرنسي.[4]

## المبحث الثالث : لمحة عن حركة التأليف التاريخي في الجزائر المستقلة:

نظرا للأهمية التي يتبوأها التاريخ في حياة الأمم، وعلى اعتبار أن الثورة التحريرية قد قامت على منطلقات تاريخية ترفض دمج المجتمع الجزائري في المجتمع الفرنسي، وتركز على استقلاليته وهويته، فقد أولت الجزائر المستقلة اهتماما وعناية كبيرين للتاريخ في البرامج الدراسية، فكان من

[1] - محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج5 ، ص 111-118.

[2]- المصدر نفسه، ص 118-122.

[3] - المصدر نفسه، ص 125-137.

[4] - المصدر نفسه، ص 137- 147.

بين أول المواد التي تم تعريبها، كما أعيد النظر في البرامج الفرنسية التي تلغي دور المجتمع الجزائري في حركة التاريخ.[1]

وكان من أهداف الدولة الوطنية غداة الاستقلال الاعتماد على التاريخ لتكريس إيديولوجيتها الثورية والاشتراكية، أو ما يعرف بأدلجة التاريخ، ودلك لجعل الأجيال تعتز بماضيها وأمجاده فتحترمه، وتسعى لسبر أغواره وكشف الجوانب الغامضة والمجهولة فيه.[2]

وفي مجال التدريس الأكاديمي الجامعي لتاريخ فقد تقرر البدء في تدريس التاريخ الجزائري خلال السنة الجامعية 1962-1963 بكلية الآداب بجامعة الجزائر، وكانت لغة التدريس هي الفرنسية،كما لوحظ استمرار عدد من الأساتذة الفرنسيين في التدريس بالجامعة الجزائرية وإشرافهم على بحوث الطلبة الجزائريين وتوجيهها حسب إيديولوجيتهم [3] موجهين العناية الكبرى لتدريس النواحي الاقتصادية والاجتماعية[4] مهملين الجوانب الثقافية وإسهامات علماء الجزائر فيها مع استبعاد المواضيع التي تتطرق للمقاومة ومساوئ النظام الاستعماري.

ومع تكوين عدد من الأساتذة الجزائريين في الخارج بدأت عملية التأليف التاريخي الأكاديمي تأخذ منحى مغايرا بالتركيز على الخصوص على التاريخ الجزائري في مختلف أبعاده وجوانبه.

وحاولت الدولة الجزائرية الفتية تدارك الوضع ففسحت المجال لتعريب التعليم الجامعي ونشأ أول قسم معرب في جامعة الجزائر إلى جانب القسم المفرنس عام 1966[5].

وظهرت في تلك المرحلة مجموعة من الدوريات التي اهتمت بالتاريخ منها مجلة تاريخ وحضارة المغرب التي ظهر منها 13 عددا في الفترة ما بين 1966-1976، ومجلة الوثائق الوطنية

---

[1]– منصف الوناس: الدولة والمسألة الثقافية في المغرب الأقصى ، المؤسسة الوطنية لترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، قرطاج، 1991، ص 164.

[2]– محمد مزين :"منهج كتابة التاريخ القومي: إشكالية تاريخ المغرب العربي"، أنوال الثقافي، الرباط: 1988، ص 6-7.

[3]– ناصر الدين سعيدوني: الجزائر منطلقات وآفاق، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 2000، ص 440.

[4]– أنظر مثلا في هدا المجال قائمة المواضيع المعالجة في قسم التاريخ كرسائل جامعية في مجلة تاريخ وحضارة المغرب ، ع 5، يوليو 1968 ، ص 131.

[5]–ناصر الدين سعيدوني: الجزائر منطلقات وآفاق، ص 440.

التي صدر منها 10 أعداد ما بين 1973 – 1981 ، كما صدرت مجلات الأصالة والثقافة اللتان أفردتا للبحوث التاريخية مكانة خاصة .

ولكن ميزة عدد من هذه المجلات أنها كانت تصدر في فترات غير منتظمة، و لم تستمر طويلا ، وذلك راجع لسوء التسيير والصراع السياسي بين المعربين والمفرنسين الذي ألقى بتداعياته على الساحة الثقافية، وأثر على حركة التدوين التاريخي.[1]

والملاحظ أن الكتابات التاريخية الجزائرية غير الأكاديمية في هذه الفترة لم تخرج كثيرا عن النمط والمنهج العام الذي سارت عليه مثيلتها خلال الحقبة الاستعمارية وظل التاريخ يخضع لعواطف وأهواء المؤلفين .

وهنا بدأت النداءات لإعادة كتابة تاريخ الجزائر كتابة موضوعية والخروج به من الدائرة الضيقة التي وجد فيها عبر استخدام تقنيات البحث الحديثة والاستفادة من الإرث الاستعماري في مجال المنهج والتدوين لإعادة كتابة تاريخ شامل للأمة الجزائرية عبر مختلف عصورها[2].

وقد ظهرت ثلاث اتجاهات رئيسية لكتابة التاريخ الجزائري خلال مرحلة ما بعد الاستقلال حاول كل منها استغلال معارفه التاريخية وتكوينه العلمي لخدمة اتجاهه، وهذه الاتجاهات هي:

اتجاه أول ارتبط أصحابه بحكم تكوينهم الدراسي بالمشرق العربي فدوّنوا تاريخ الجزائر وربطوا أغلب أحداثه بما يقع في الشرق بل اعتبروا أن النهضة الجزائرية الحديثة ما هي إلا نتيجة لمثيلتها في الشرق مهملين دور العوامل المحلية في ذلك[3].

وركز أصحاب الاتجاه الثاني المتأثرين بالمدرسة الفرنسية على ضرورة الاستفادة من الجوانب الايجابية في الاستعمار الفرنسي، كاللغة والمناهج العلمية الحديثة، لكنهم بالمقابل انساقوا أمام بعض الآراء الاستعمارية، كالقول مثلا أن الأتراك مستعمرين وأن نظامهم هو نظام استبدادي

---

[1] - Hassen Remaoun : L'intervention et son impact sur la pratique historiographique en Algerie, in Insaniyat, n° 19-20 ,Janvier-Juin 2003, p 12.

[2] –محمد الشريف ساحلي: تخليص التاريخ من الاستعمار، تر: محمد هناد ومحمد الشريف بن دالي حسين، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال ، الجزائر:2002، ص 110.

[3] – ناصر الدين سعيدوني:" نحو نظرة جديدة لتاريخنا الجزائري"، مجلة الثقافة، السنة 14، ع84، نوفمبر –ديسمبر1984، ص 47.

وهي نفس الأقوال التي كان يرددها الكتاب الفرنسيون، كما نفى بعضهم وجود الدولة الجزائرية الحديثة واعتبر أن سنة 1962 هي سنة الظهور الأول لتلك الدولة[1].

وأما أصحاب الاتجاه الثالث وهو ما عرف بالاتجا ه الوطني فقد رأوا أن التاريخ الجزائري يجب أن يدرس انطلاقا من معطيات محلية مع عدم استبعاد التأثيرات الخارجية .

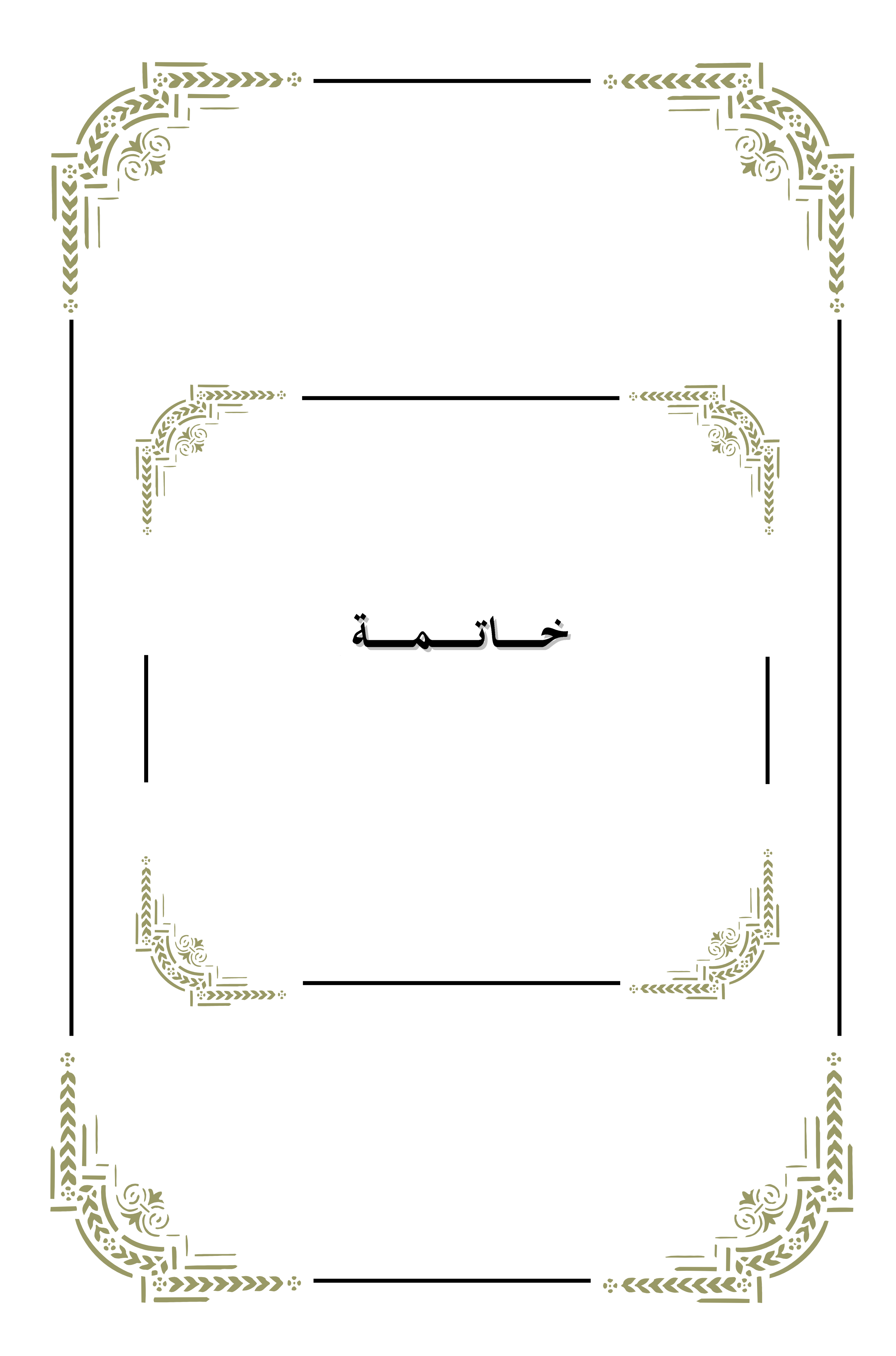
وقد عرفت هذه الفترة استخدام التاريخ كوسيلة إقناع سياسي ونضال إيديولوجي وتوجيه ثقافي تطلبته تنظيما ت الدولة المركزية وتصورات مواثيق الثورة، وقد عمل الإنتاج التاريخي الجزائري في فترة الاستقلال سوا ء كان بالعربية أو بالفرنسية على تجاوز مساهمة ذوي الميول للمدرسة الغربية، وذوي الميول للمدرسة التقليدية ذات الطابع الوطني الحماسي، إذ حاول تناول قضايا التاريخ الجزائري من خلال نظرة يمكن أن توصف بأنها أكثر اعتدالا وأقرب إلى الحياد[2].

وهكذا فإن حركة التدوين التاريخي قد تطورت تطورا ملحوظا مع ظهور الحركة الوطنية ونمو الوعي الوطني الذي أثر بدوره على نمو الوعي التاريخي.

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني: نحو نظرة جديدة لتاريخنا الجزائري، المرجع السابق، ص 49.

[2]- ناصر الدين سعيدوني:ورقات جزائرية، دار الغرب الإسلامي،ط1، بيروت:2000، ص 15.



# خــــاتـــمــــة

## خـــاتمـــة:

بعد عرضنا لأهم الكتابات التاريخية الجزائرية وتحليل مضمونها والتعريف بمصنفيها أخلص في الأخير إلى تقييم عام لهذه الكتابات التاريخية ، ووضعها في إطارها الصحيح مع تقييم الجهد الذي بذله المؤرخون الجزائريون للوصول إلى تحقيق أسمى أهدافهم، وهو حفظ الروايات والوثائق التاريخية من الضياع، ومن خلال ما سبق عرضه وتحليله ومناقشته في هذه الأطروحة يمكن استخلاص جملة من النتائج يمكن عرضها كما يلي:

ظهر في الفترة الاستعمارية عدد كبير من المؤرخين الذين وضعوا مؤلفات تاريخية، و لم يتقيدوا في الغالب بشروط الكتابة العصرية، وإنما كانت كتاباتهم تلك تعبيرا عن روح عصرهم.

ترجم عدد كبير من هذه الكتابات التاريخية الجزائرية إلى الفرنسية من طرف ضباط فرنسيين، وضاعت الأصول العربية لها في الأغلب مع هؤلاء الضباط، وبالتالي كان لزاما علي التعامل مع هذه الترجمات مع ما قد يكون فيها من تحريف ودس، وهو ما لاحظته على بعض الترجمات التي لم تضع أصولها العربية، ولكن المشكلة ظلت مطروحة بالنسبة للتقاييد التي ضاعت أصولها، وذلك في انتظار ظهور أصول هذه الكتابات في الأرشيف الفرنسي، أو عند أُسر هؤلاء المؤرخين.

رغم أن بعض هذه الكتابات كانت بإيعاز من الضباط الفرنسيين إلا أن ذلك لم يفقدها أهميتها التاريخية كمصادر محلية معاصرة للفترة، ورغم صغر حجم الكثير من هذه الكتابات فإن أصحابها حاولوا تقديم معلومات مركزة عن بعض قضايا عصرهم رغم الظروف القاسية التي كانت تعرفها البلاد في تلك الفترة.

كانت الكتابة عن الأنساب من أهم الكتابات التاريخية في تلك المرحلة، وقد أولاها المؤرخون الجزائريون كغيرهم من أهل المغرب عنايتهم، نظرا للحظوة التي نالها المنتسبون لأهل البيت وكانت هذه الكتابات من الأشكال التقليدية الهامة للكتابة التاريخية في فترة الاحتلال وذلك لما للنسب في حياة الأفراد من أهمية، حيث كان الأفراد يتفاخرون بالنسب الشريف وهو أنبل

الأنساب لما لآل البيت من فضل ومكانة عند كامل الفرق الإسلامية، وظهرت في هذا العصر عدد من المصنفات بعضها ضاع والبعض الآخر لا يزال مخطوطا .

كما ألف الجزائريون في المناقب والتراجم والسير والمذكرات، فالمناقب أظهرت طغيان الفكر الصوفي على مؤرخي المرحلة، وانسياقهم أمام العوالم الغيبية للمترجم له، والتراجم خصّصت معظمها لرجال الدين وأصحاب الزوايا ومشاهير الرجال من أصحاب المناصب المرموقة.

ومن فنون التاريخ التي عالجها المؤرخون الجزائريون في هذه الفترة فن التراجم بجميع أنواعه فقد ألفوا كتبا في التراجم العامة، ترجموا فيها لمجموعة من الرجال القدامى والمعاصرين، كما أفردوا لشخصيات تأثروا بها تراجم خاصة، وهناك مجموعة أخرى من الكتب التاريخية يضم الواحد منها ترجمة واحدة أو سيرة رجل واحد وهذه جميعا تؤرخ لبعض البارزين من الرجال الجزائريين في القرن التاسع عشر، ويضاف إلى هذا بعض السير الشخصية أي التي أرخ فيها أصحابها لأنفسهم وضمنوها معلومات عن حياتهم، وموقفهم من عدد من قضايا عصرهم.

و قد ظهر في هذه الفترة لون آخر من ألوان التأليف التاريخي التي ألف فيها المؤرخون الجزائريون لأول مرة في القرن التاسع عشر هو كتابة المذكرات الشخصية، وكان ظهور هذا الصنف من الكتابات التاريخية نتيجة لتأثر أصحابها بالسياسة بمعناها الحديث، واشتراكهم في أحداثها واضطلاعهم بمسؤوليات الحكم أو قيادة الرأي العام، ولهذا وجدنا كتاب المذكرات من هذا الصنف من الرجال أي من رجال الحكم أو قادة الثورات.

وحظيت بعض المواضيع الخاصة بتآليف تاريخية هامة، وكانت هذه المواضيع سواء التأريخ للحروب والمعارك أو بعض القضايا ذات البعد الاجتماعي والاقتصادي، كالمجاعات والأوبئة أو القضايا المرتبطة بالنواحي الثقافية والدينية كالتأريخ للزوايا، أو بعض المواضيع ذات الطابع الشخصي كالتأريخ للعائلات الشهيرة وإبراز دورها عبر العصور.

وألف الجزائريون في تاريخ المدن سواء في الإقليم الشرقي أو الغربي أو الصحراء الجزائرية فظهرت تآليف عن تاريخ قسنطينة ووهران وغيرها من المدن الجزائرية وحرص مؤلفو هذه التآليف على تقديم لمحة شاملة عن المدينة من وجهة نظرهم وبحسب ما أتيح لهم من الوثائق.

وقد وجدنا أن مدنا هامة كمدينة الجزائر لم تحض بتأليف تاريخي يجمع أخبارها وسير علمائها، وأرجعنا ذلك إلى كونها أول مدينة تعاني من أهوال الاستعمار وما تبعه من هجرة علمائها إلى الدواخل أو إلى خارج الجزائر.

و قد بدأت الكتابة التاريخية مع مرور الوقت تأخذ شكل المقاومة الثقافية للسياسة الاستعمارية خصوصا مع كتاب جمعية العلماء كالمدني ومبارك الميلي، رغم أن منهجها العام لم يخرج عن الطريقة التقليدية في كتابة التاريخ الوطني، وربطه بالشعور والانفعال العاطفي، مما يفقده في كثير من الأحيان صفة الموضوعية .

وقد استفاد بعض المؤرخين الجزائريين من المناهج الغربية الحديثة في كتابة التاريخ، ومن النواحي الهامة التي استفادوا منها في هذه الفترة في منهجهم وطريقتهم استعمالهم للعلوم المساعدة في تفسير التاريخ وفهمه مثل الوثائق والمسكوكات والآثار والنقوش وغيرها من الوسائل الحديثة التي تثري البحث التاريخي، وتعطي لوقائع التاريخ تفسيرا واقعيا ومنطقيا بدل الاعتماد على التخمين والفرضيات غير المؤسسة التي لطالما اشتكى منها البحث التاريخي في الجزائر، وهذه أمور قل أن استعملها سابقوهم، وكل ذلك بفعل الاحتكاك مع المؤلفين الفرنسيين والتأثر بمناهجهم العلمية الحديثة في البحث التاريخي.

وعرف أسلوب المؤرخين هو الآخر تطورا ملحوظا، فمؤرخو القرن العشرين قد اختلف أسلوبهم كثيرا عن مؤرخي القرن التاسع عشر الغارقين في المدح والإطناب، وإن وجدنا أن بعض الكتابات التاريخية المتأخرة قد استمرت في التأثر بالمدرسة الكلاسيكية في التدوين التاريخي، إلا أن ظهور الحركة الوطنية الإصلاحية، وما صاحبها من إعادة نظر في تدوين التاريخ واستخدامه سلاحا في المعركة ضد المستعمر، كل ذلك أعطى للكتابات الوطنية التي ألفها المنتسبون للحركة الإصلاحية السبق في التطور في مجال الوعي بالتاريخ الجزائري الذي لطالما احتكرت كتاباته أقلام فرنسية لم تكن كلها موضوعية في عرضه.

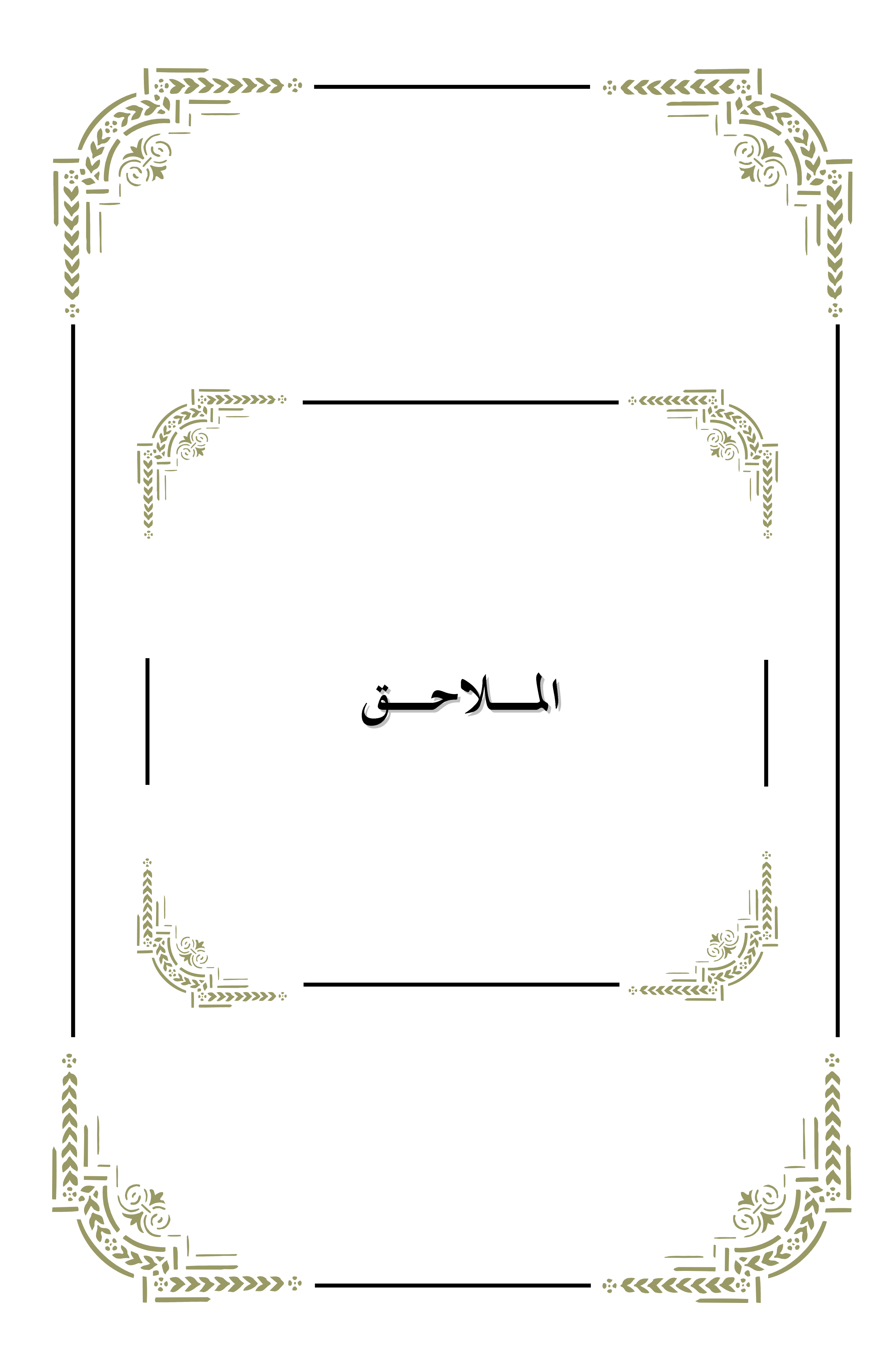
وغاب السجع من عناوين الكتب، وبدأ المؤرخون الجزائريون ينحون منحى جديدا في كتابة تاريخ بلادهم، وهو المنحى الذي حرّر هذه الكتابات من أسر بعض المؤثرات السلبية من

روابط الماضي العتيق، فبدأ النقد يظهر جليا في عدد من الكتابات خصوصا الكتابات المتأخرة التي انبثقت أفكار أصحابها من الفكر الوطني الإصلاحي.

وقد نضجت الكتابات التاريخية الجزائرية منذ منتصف العشرينات من القرن العشرين لتتخذ بعدا وطنيا واضحا بالتأكيد على وجود تاريخ عريق للأمة الجزائرية لا صلة له بتاريخ فرنسا سوى أن هذه الأخيرة قد سلبت الشعب الجزائري حريته وقيدت أفكاره.

إن الإرث التاريخي الضخم الذي خلفه المؤرخون الجزائريون صار جديرا بالجمع وإعادة التصنيف مع عدم الانسياق أمام الظروف السياسية التي كتب فيها بعضه، والتي جعلت هؤلاء المؤرخين يقدمون عرضا للوقائع لا تحظى بإجماع الباحثين في التاريخ.

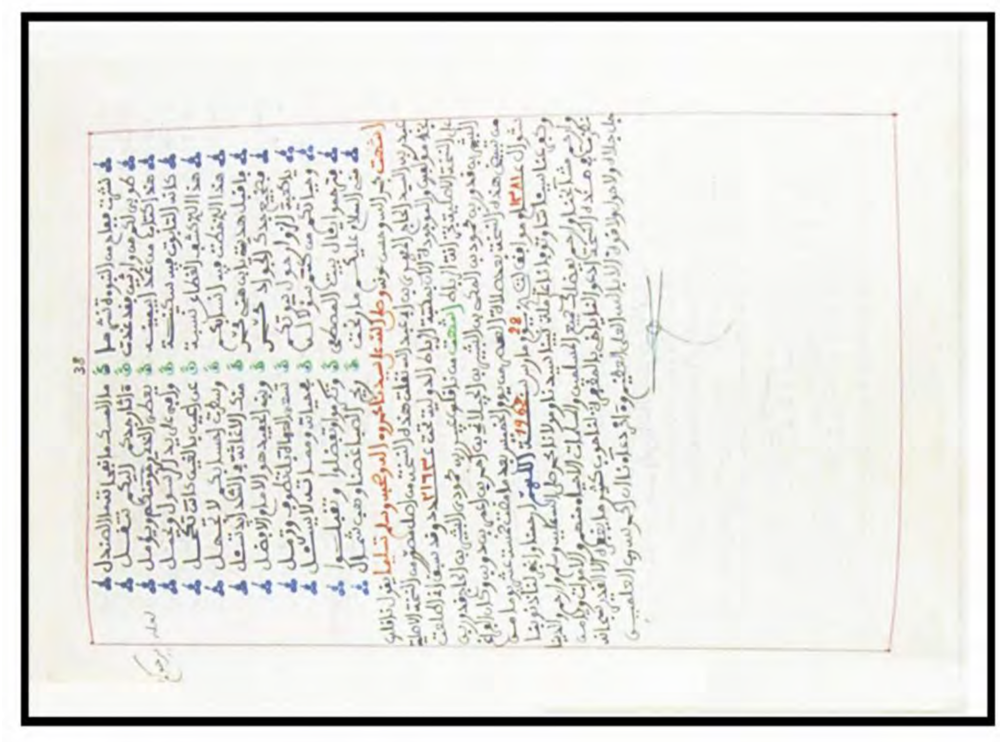
وفي الأخير تبقى الاستفادة من المصادر التاريخية الجزائرية في الأبحاث والدراسات الأكاديمية وإعطاءها حقها من الاهتمام، ضرورة قصوى لتكوين قاعدة صلبة لبناء مدرسة تاريخية جزائرية مستقلة، يكون هدفها الأسمى وضع تقييم موضوعي لمختلف مراحل التاريخ الجزائري انطلاقا من الواقع الملموس.



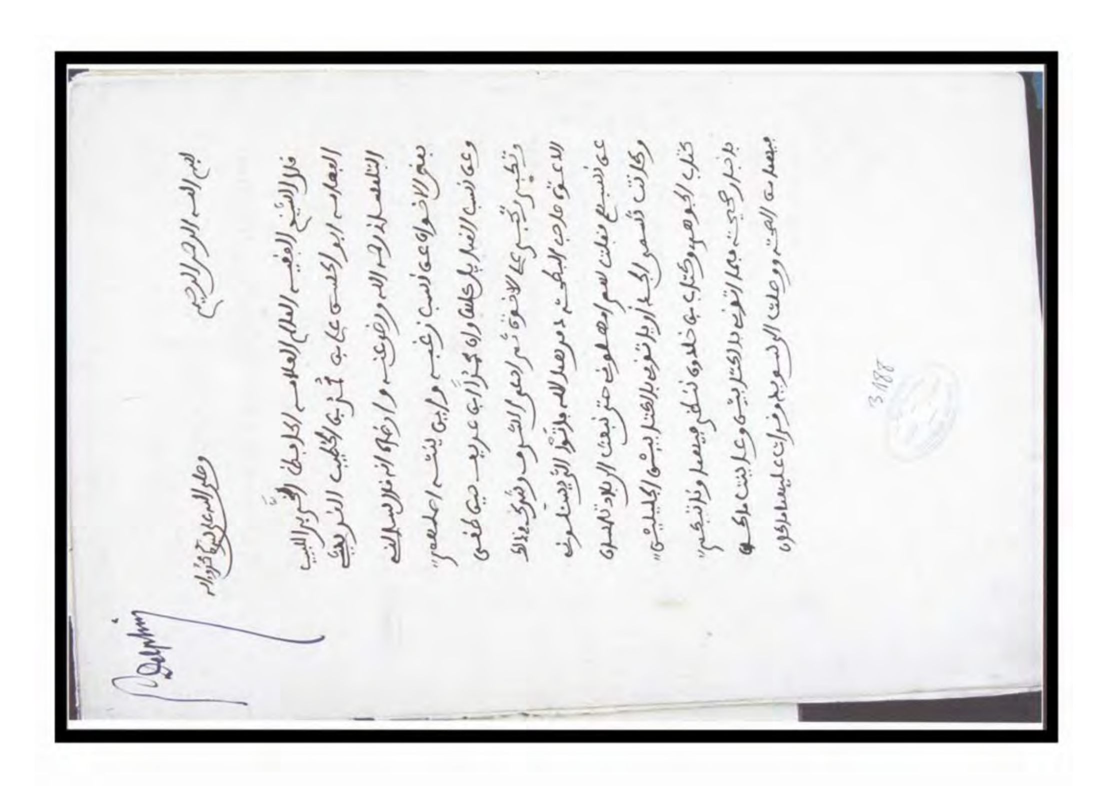
# المـــلاحـــق

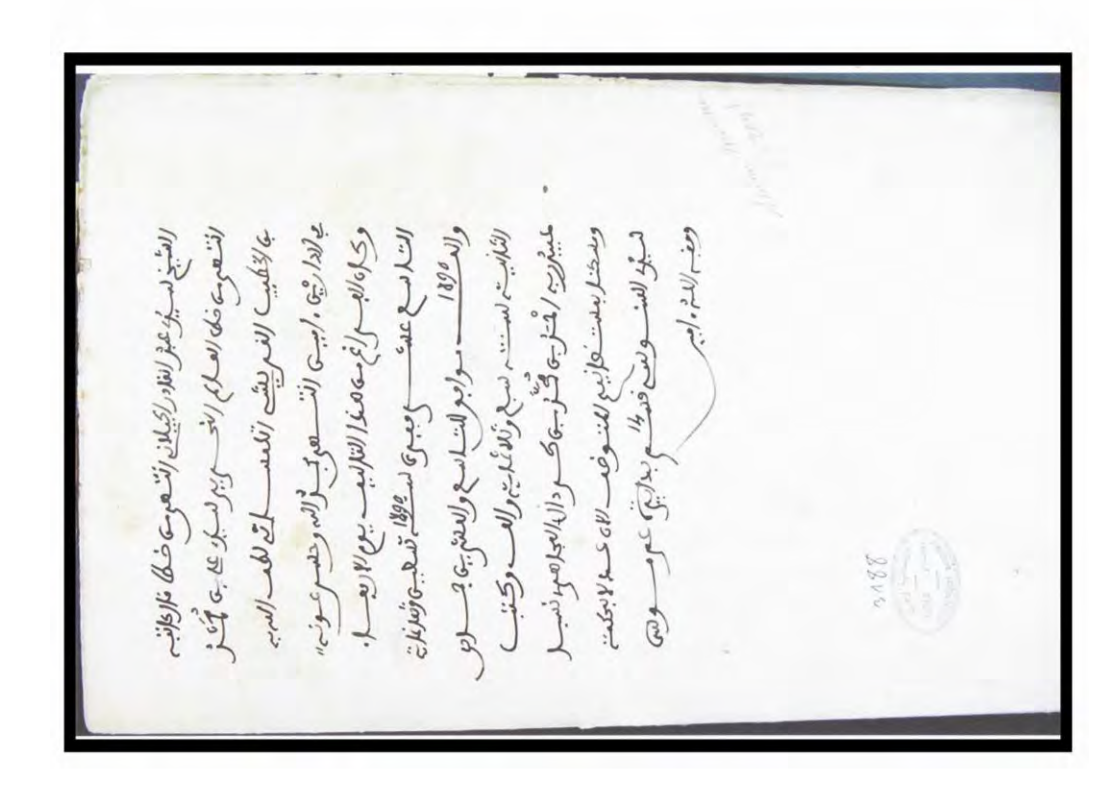
الملحق رقم **01**: صورة للصفحتين الأولى والأخيرة من مخطوط ياقوتة النسب للمشرفي:



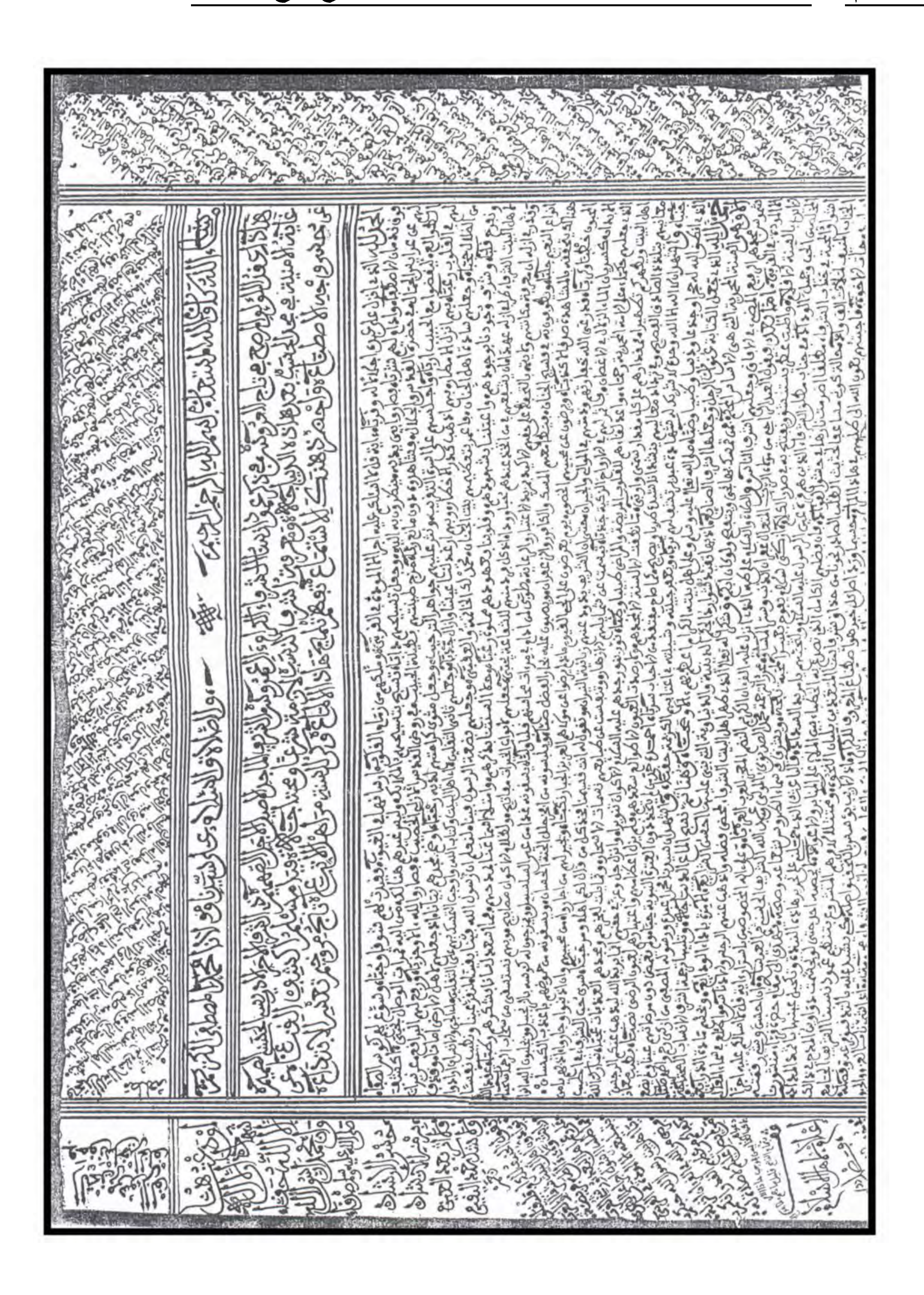


**الملحق رقم <u>02</u>: <u>صورة للصفحتين الأولى والأخيرة من مخطوط أنساب قبائل تلمسان:</u>**

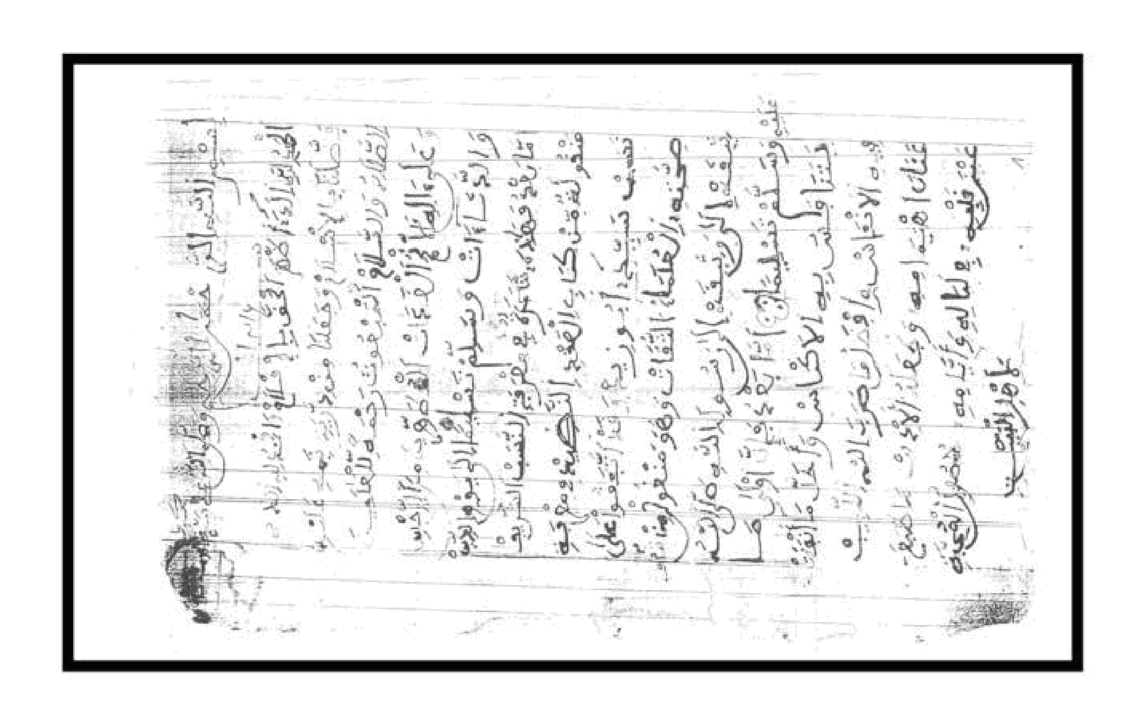


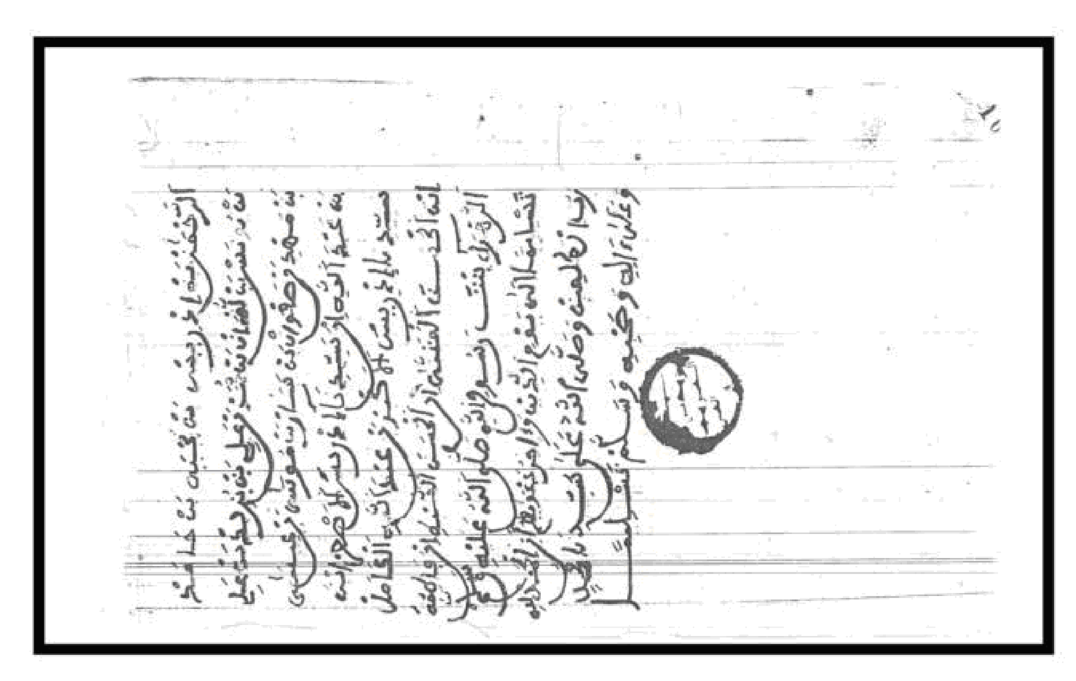


**الملحق رقم 03: صورة للصفحة الأولى من مخطوط عقد اللؤلؤ المرصع بتاج العروس:**

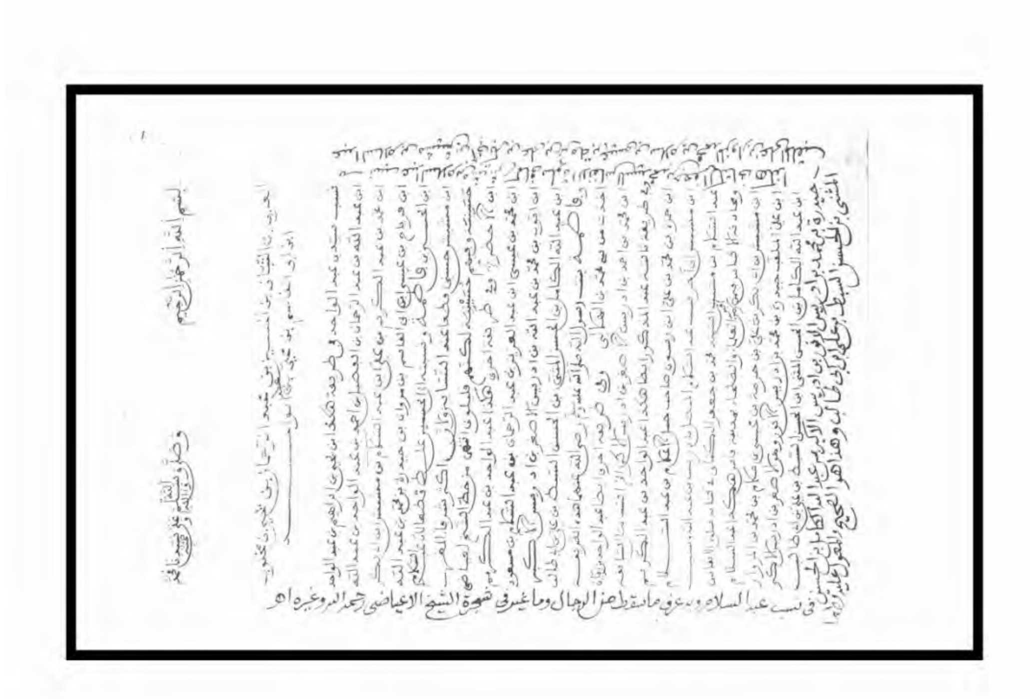


الملحق رقم **04**: صورة للصفحتين الأولى والأخيرة من مخطوط العقد النضيد :



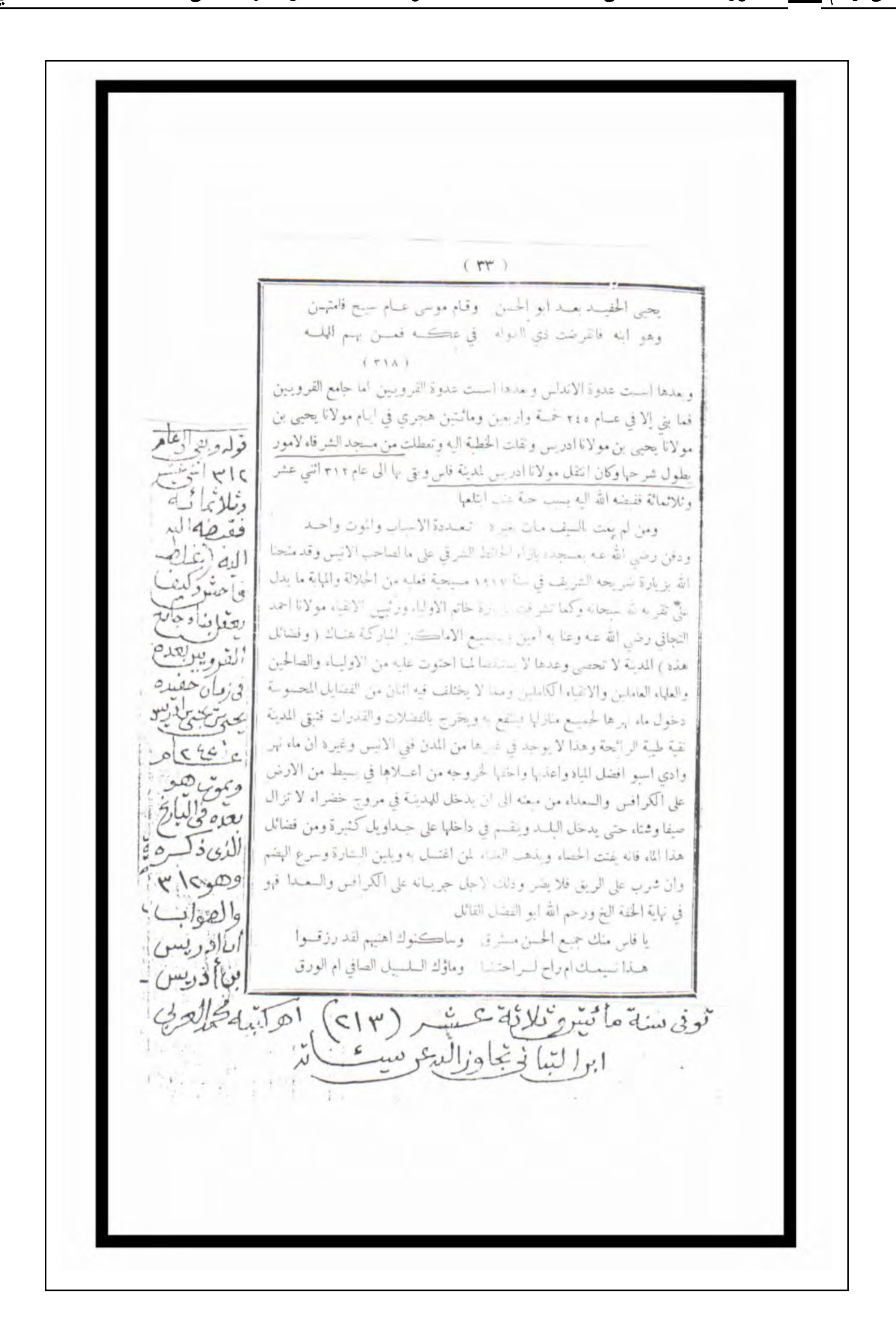


**الملحق رقم 05: صورة للصفحتين الأولى والأخيرة من مخطوط تقييد في نسب أولاد عبد الواحد:**





**الملحق رقم 06: صورة لصفحة من كتاب سلسلة الأصول لحشلاف وعليها بعض تعليقات خطية للتباني:**



( ٣٣ )

يحيى الحفيد بعد ابو الحسن وقام موسى عام سبح فامتهن
وهو ابنه فانقرضت ذي الدولة في عكسه فمن بهم الهله

( ٣١٨ )

وبعدها اسست عدوة الاندلس وبعدها اسست عدوة القرويين اما جامع القرويين فما بني إلا في عام ٢٤٥ خمسة واربعين ومائتين هجري في ايام مولانا يحيى بن مولانا يحيى بن مولانا ادريس وتمت الخطبة اليه وتعطلت من مسجد الشرفاء لامور يطول شرحها وكان انتقل مولانا ادريس لمدينة فاس وبقي بها الى عام ٣١٢ اثني عشر وثلاثمائة فقبضه الله اليه بسبب حبة عنب ابتلعها

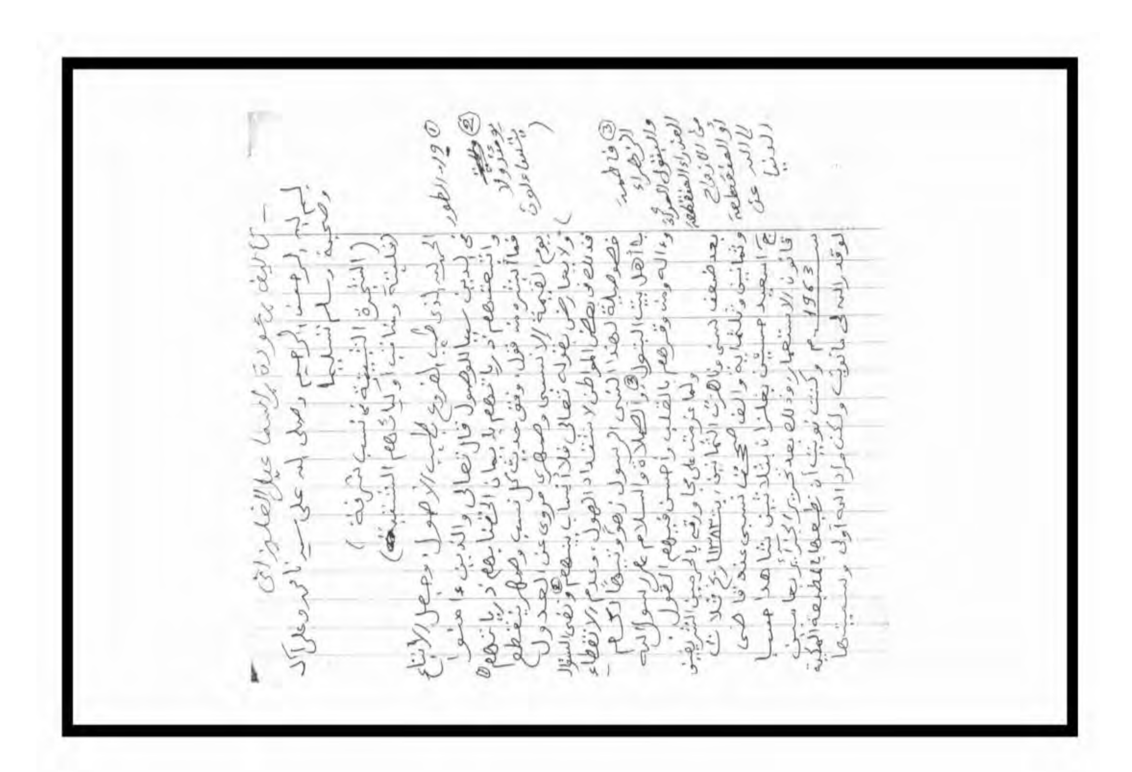
ومن لم يمت بالسيف مات بغيره تعددت الاسباب والموت واحد

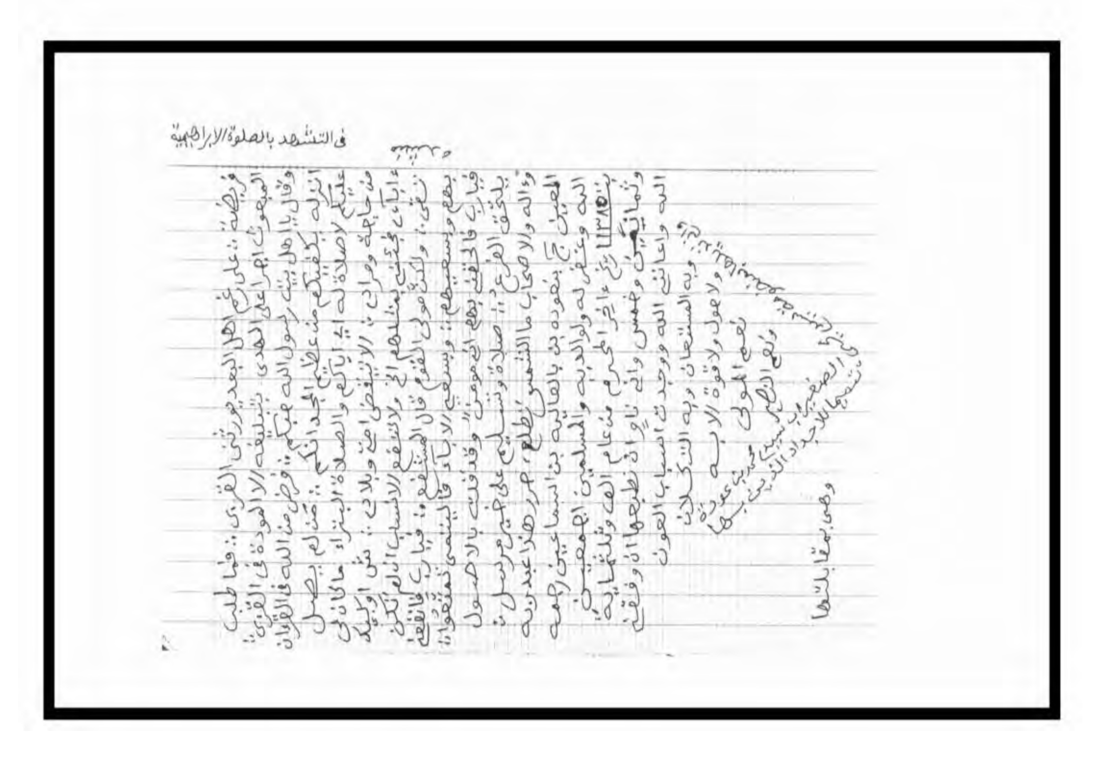
ودفن رضي الله عنه بمسجده بازاء الحائط الشرقي على ما لصاحب الانيس وقد منحنا الله بزيارة ضريحه الشريف في سنة ١٩١٧ مسيحية فعليه من الجلالة والمهابة ما يدل على تقربه لله سبحانه وكما تشرفنا بزيارة خاتم الاولياء ورئيس الاتقياء مولانا احمد التجاني رضي الله عنه وعنا به آمين وبجميع الاماكن المباركة هناك ( وفضائل هذه ) المدينة لا تحصى وعدها لا يستقصا لما احتوت عليه من الاولياء والصالحين والعلماء العاملين والاتقياء الكاملين ومما لا يختلف فيه اثنان من الفضايل المحسوسة دخول ماء نهرها لجميع منازلها تنتفع به ويخرج بالفضلات والقذرات فتبقى المدينة نقية طيبة الرائحة وهذا لا يوجد في غيرها من المدن في الانيس وغيره ان ماء نهر وادي اسبو افضل المياه واعذبها واخفها لخروجه من اعلاها في بسيط من الارض على الكرافس والسعداء من منبعه الى ان يدخل للمدينة في مروج خضراء لا تزال صيفا وشتاء حتى يدخل البلد وينقسم في داخلها على جداويل كثيرة ومن فضائل هذا الماء فانه يفتت الحصاء ويذهب الغذاء لمن اغتسل به ويلين البشارة وسرع الهضم وان شرب على الريق فلا يضر وذلك لاجل جريانه على الكرافس والسعدا فهو في نهاية الخفة الخ ورحم الله ابو الفضل القائل

يا فاس منك جميع الحسن مسترق وساكنوك اهنيهم لقد رزقوا
هذا نسيمك ام راح لراحتنا وماؤك السلسبيل الصافي ام الورق

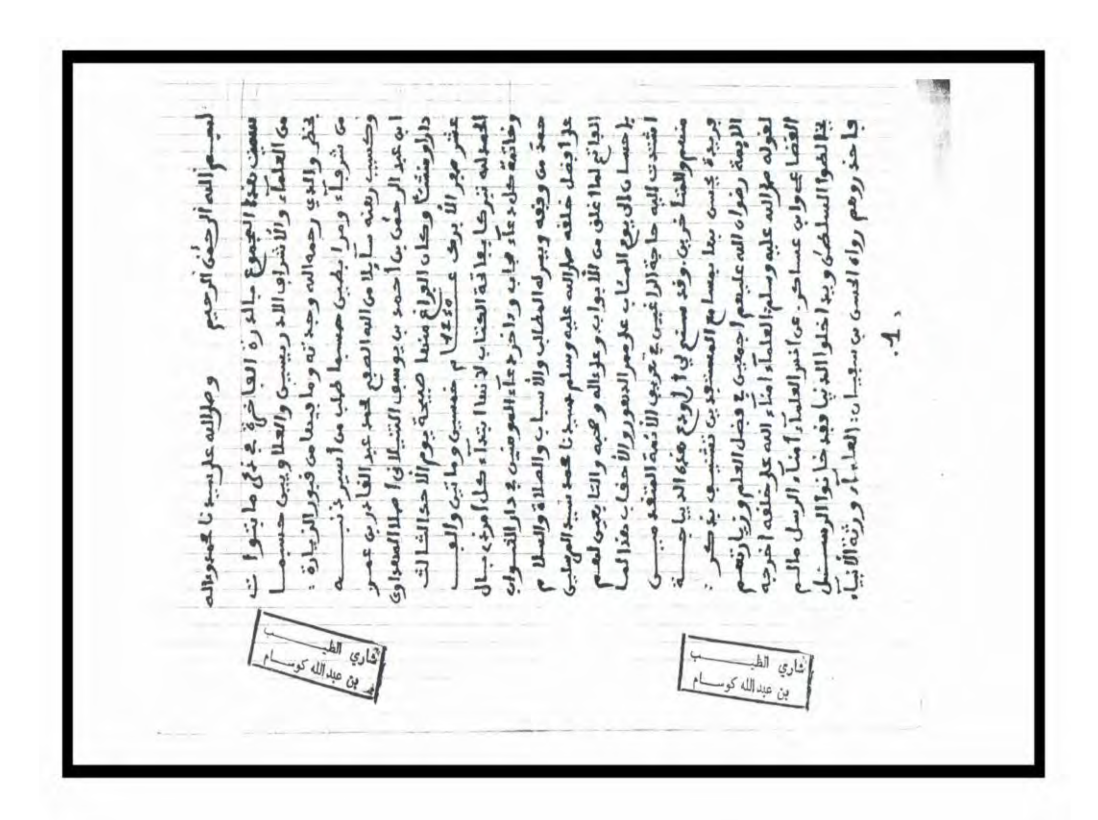
قوله وبقي الى عام ٣١٢ اثني عشر وثلاثمائة فقبضه الله اليه (غلط فاحش وكيف يعقل ان واضع القرويين بعدم في زمان حفيده يحيى بن يحيى بن ادريس عام ٢٤٥ ويموت هو بعده في التاريخ الذي ذكره وهو ٣١٢ والصواب ان ادريس بن ادريس توفي سنة مائتين وثلاثة عشر (٢١٣) اهـ كتبه محمد العربي ابن التباني تجاوز الله عن سيئاته

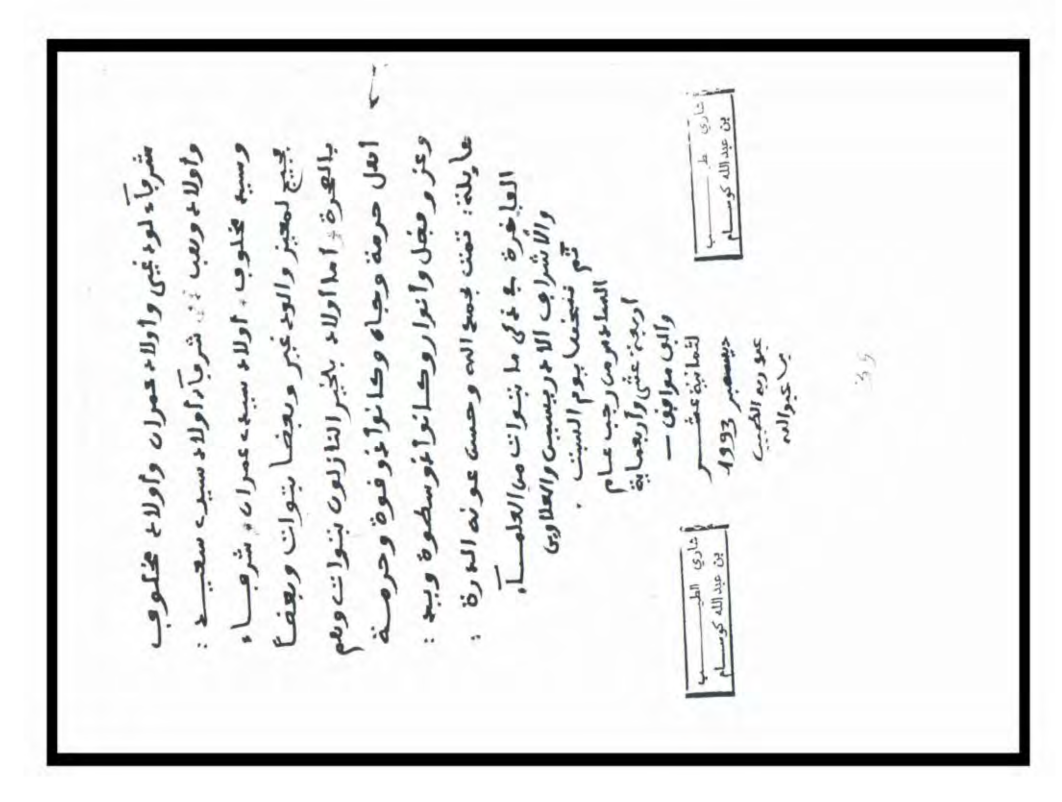
الملحق رقم **07**: صورة للصفحتين الأولى والأخيرة من مخطوط الشجرة الثبيتة:





**الملحق رقم 08: صورة للصفحتين الأولى والأخيرة من مخطوط الدرة الفاخرة:**





**الملحق رقم <u>09</u>: صورة للصفحتين الأولى والأخيرة من مخطوط سيرة محي الدين:**





**الملحق رقم 10: صورة للصفحة الأولى من مخطوط العقد الجوهري:**

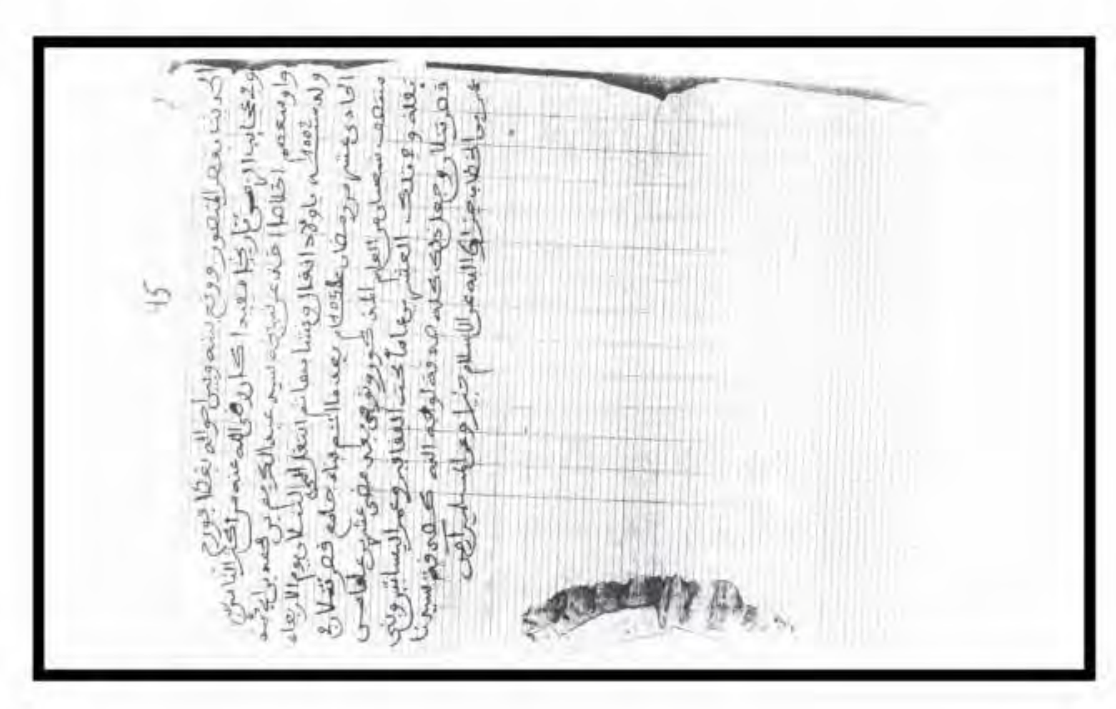
الحمد لله وحده بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

العقد الجوهري في تعريف القطب عبد الرحمن الشهير بالأخضري

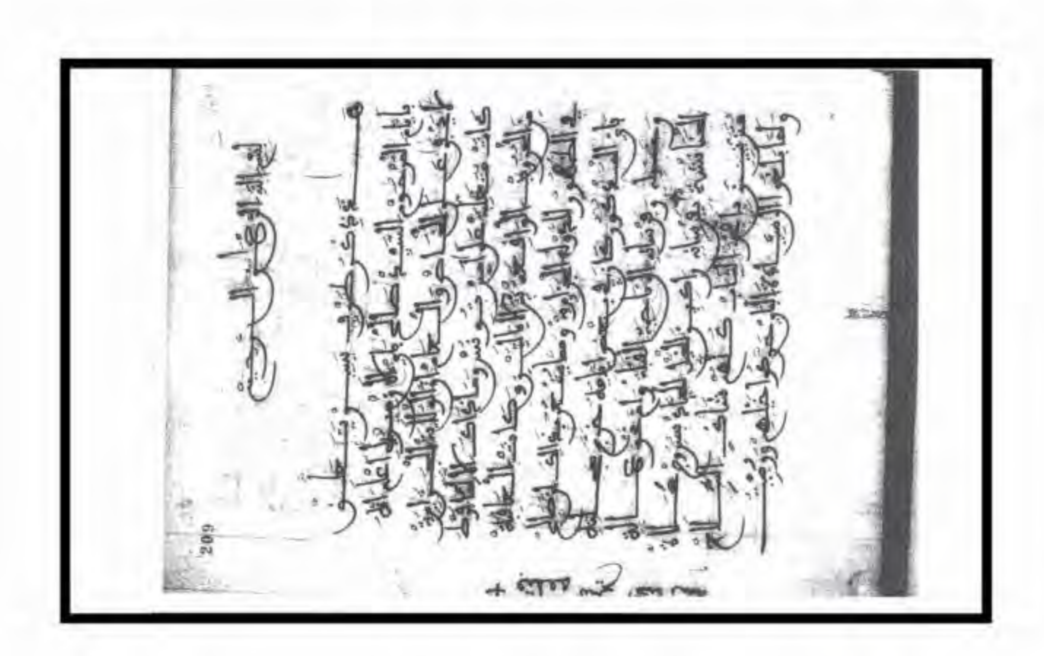
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وأصحابه
الأعلام والتابعين. أما بعد فيقول عبد ربه الغني الودود أبو محمد
أحمد بن داود قد أمرني من لا تسعني مخالفته أن أجعل له كتابة كالترجمة
تتضمن تاريخ ولادة العالم النحرير والقطب الشهير الشيخ أبي زيد
عبد الرحمن الأخضري وأوضح له تاريخ وفاته وأبين له تلامذته
فأجبته لذلك سالكا مسلك الاختصار والاقتصار آخذا فوائدها
من كتب ورسائل ومن أفواه الثقات الأبرار مستعينا على هذا الرمز
والتقرير بمولانا المهيمن العزيز القدير. وسميتها بالعقد الجوهري
في تعريف الشيخ عبد الرحمن الشهير بالأخضري. قلت هو العالم
الجليل الفاضل والحبر البحر الكامل قطب دائرة زمانه وغوثها
وتاج رجالها وعنصرها عبد الرحمن بن محمد الصغير بن محمد
عامر الشهير بالأخضري من قبيلة بني سليم من سلالة فحول الناس
أصحاب الحرب العباس بن مرداس وأن في تسميته عبد الرحمن احتمالين
الأول يحتمل أن في أصوله من يقال له عبد الرحمن فسماه والده باسمه
كما هي عادة العرب والحديث الثاني يحتمل سماه به اتباعا فيما رواه مسلم
وأبو داود والترمذي وابن ماجه عن ابن عمر أحب الأسماء إلى الله
عبد الله وعبد الرحمن الحديث. وولد رحمه الله سنة ٩٢٠ عشرين
وتسعمائة هجرية الموافقة لسنة ١٥٠٢ اثنين وخمسمائة وألف مسيحية
ويدل على تحقيق هذا القول رضي الله عنه في أرجوزته المنطقية حيث

**الملحق رقم 11:صورة للصفحتين الأولى والأخيرة من مخطوط جوهرة المعاني للبكراوي:**





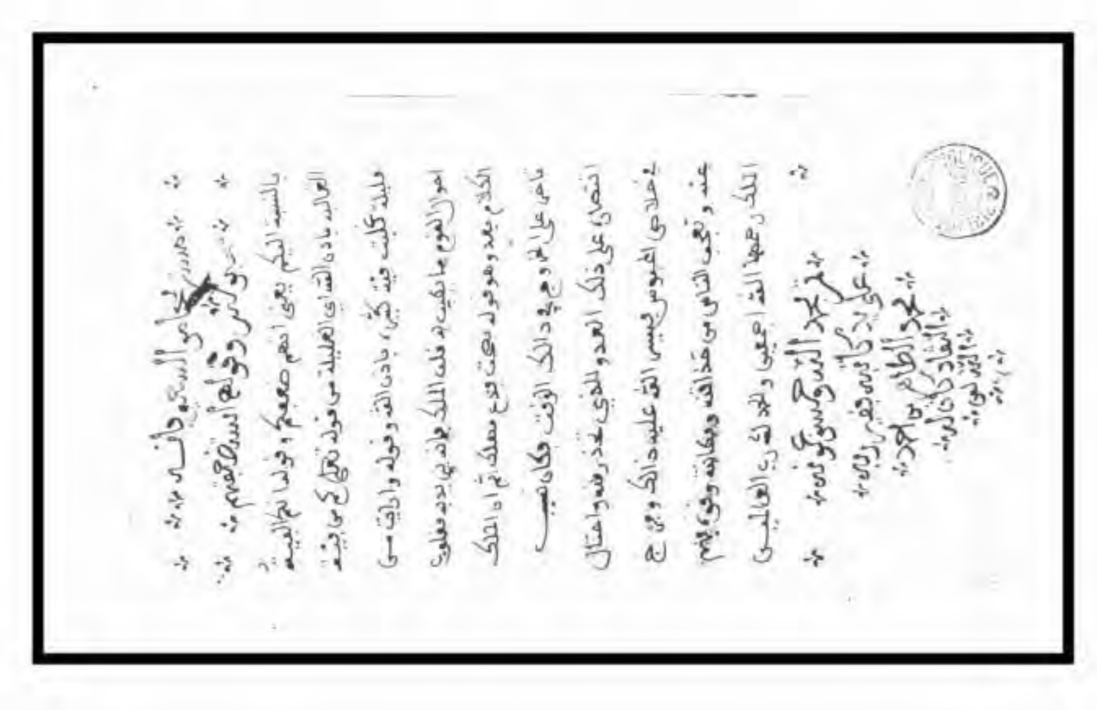
**<u>الملحق رقم 12: صورة للصفحتين الأولى والأخيرة من مخطوط ابن اسماعيل حول صالح باي:</u>**





**الملحق رقم 13: صورة للصفحتين الأولى والأخيرة من مخطوط النقاد حول صالح باي:**



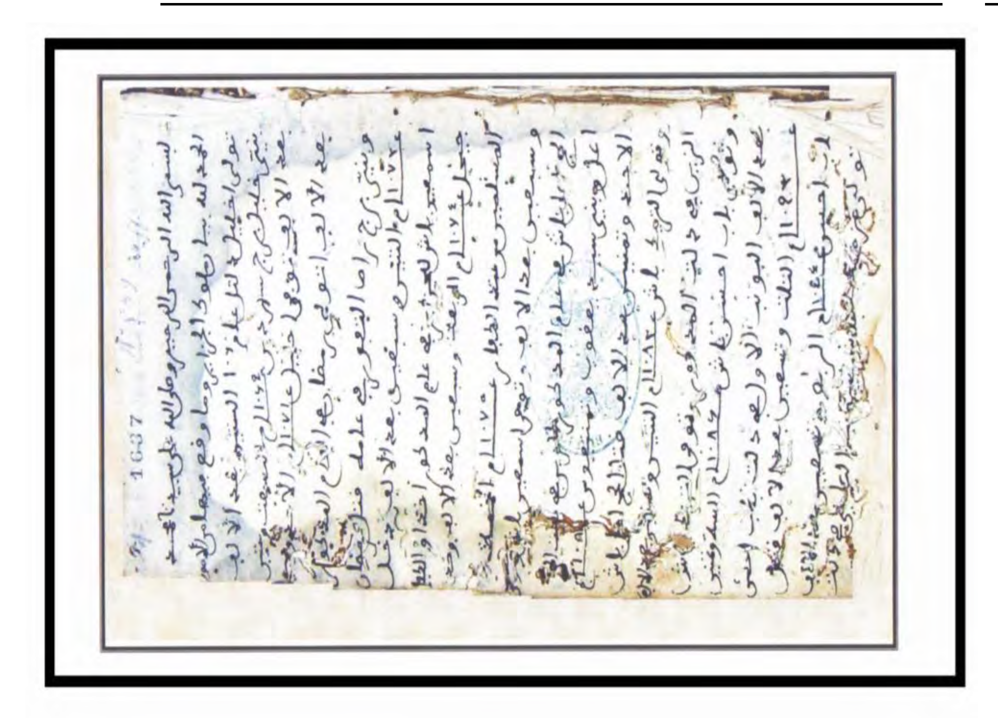


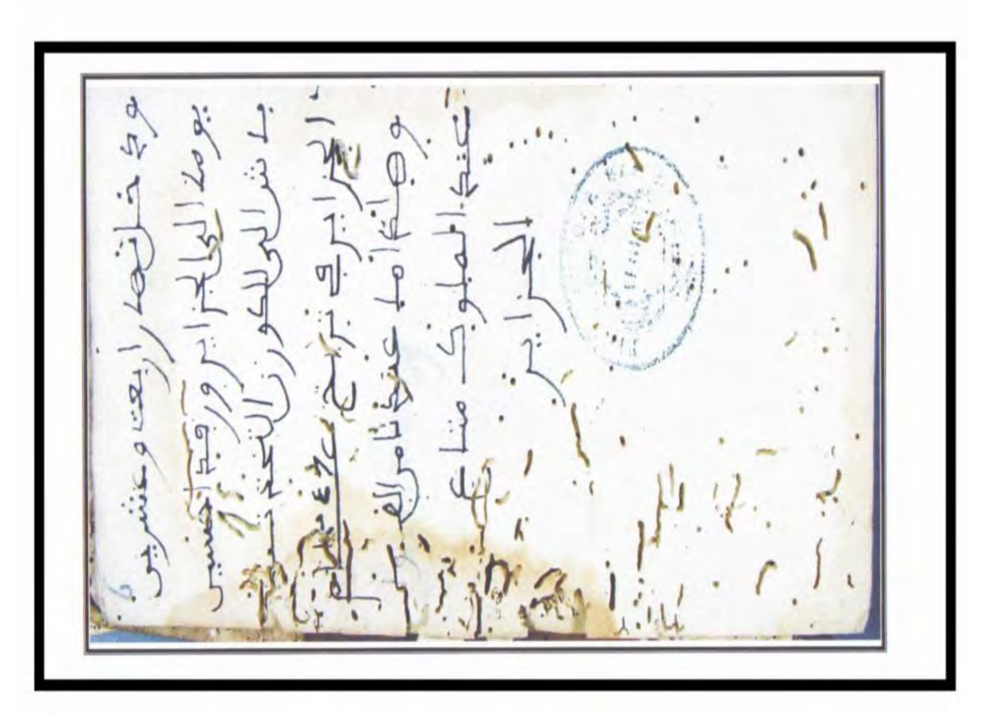
**الملحق رقم 14: صورة للصفحة الأولى من مخطوط بن محاية حول ثورة 1879 بالأوراس:**



**الملحق رقم 15:صورة للصفحتين الأولى والأخيرة من مخطوط حول حوادث 8 ماي 1945 لبلقريني:**

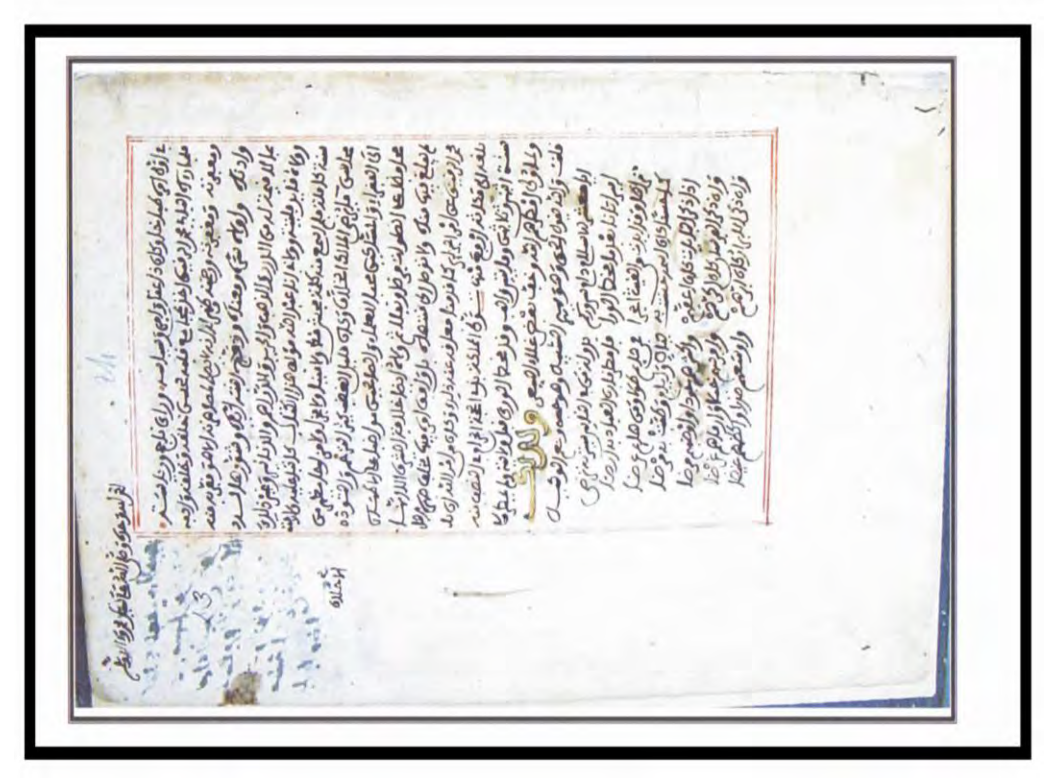
الملحق رقم **16**: صورة للصفحتين الأولى والأخيرة من مخطوط أخبار ملوك الجزائر:





الملحق رقم **17**:صورة للصفحتين الأولى والأخيرة من مخطوط تاريخ بايات وهران لحسن خوجة:





**الملحق رقم 18: صورة للصفحة الأولى من مخطوط درة الأقلام للبكراوي:**



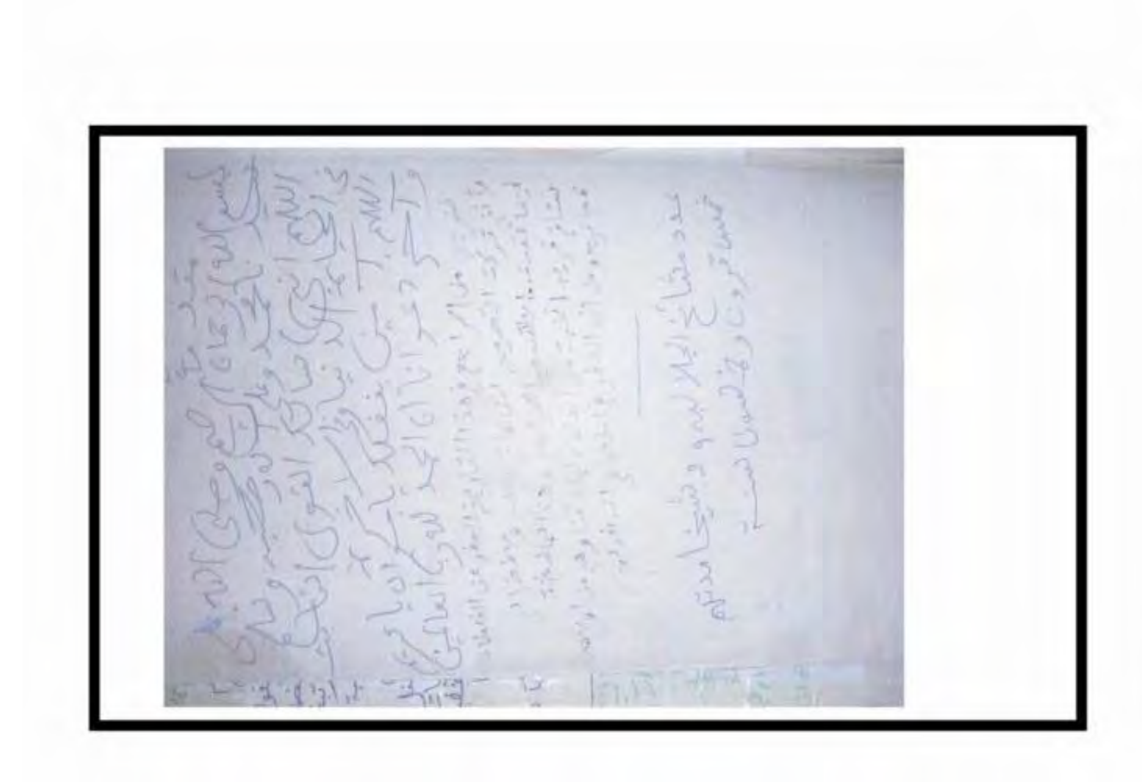
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

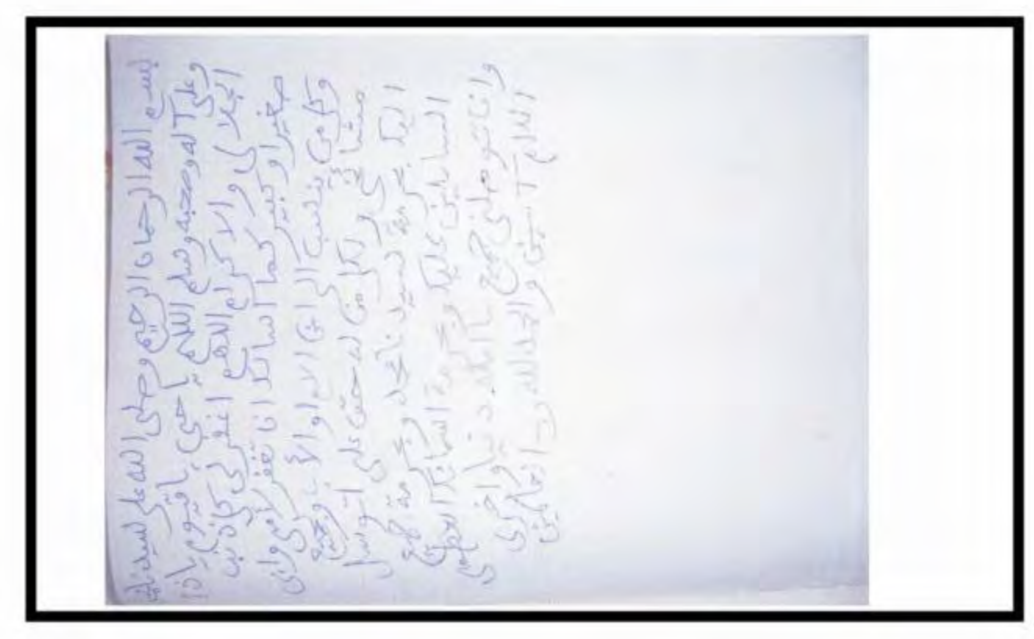
كتاب درة الأقلام في أخبار
المغرب بعد الإسلام للعالم
العلامة سيدي محمد بن عبد الرحمن
بن عبد الكريم [illegible]
رحمه الله آمين

أما بعد فتوات من صحراء بلاد المغرب ذات نخيل
وأشجار وعيون بينها وبين سجلماسة ثلاثة
عشر يوما جنوبا وغربا عشرون يوما أو من السودان
ومن أغدامس عشرون يوما ومن بلاد الزاب عشرة
أيام شرقا ومن ناحية أولاد عيسى مقدار أسبوع
أسراعها البلد الأبيض سيد الشيخ وعدد قصورها
في القرن الثاني عشر ما كان قصرا أو [illegible]
و[illegible] تسكنها فهذه القصور هي عدة توات
لم يزل سكن قضاة الجماعات بأحد هذه القصور
الثلاثة من أجل تقرير الأحكام الشرعية التي
تعلم جدا ورشدا، فهذه الواسطة أهل سياسة
وقوة جاش وذكاء ورشاد، تدكلت قبلة
توات أهل فخر وخيلاء، وقورة توات وكثيرها
في قرارة تيميمون وقاعدة قرارة تيميمون وقد

1

**الملحق رقم 19 :صورة للصفحتين الأولى والأخيرة من مخطوط مذكرة حول واحة تقرت :**





**الملحق رقم 20: صورة للمؤرخ حمدان خوجة:**



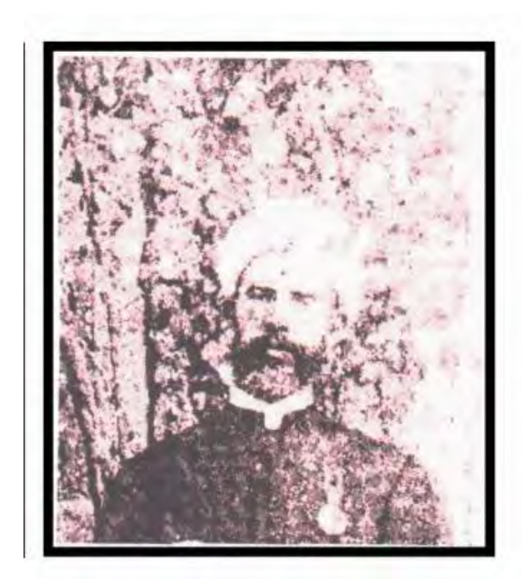
**الملحق رقم 21: صورة للمؤرخ محمد الصغير بن المختار مع ابنه عبد الحميد:**



**الملحق رقم 22: صورة للمؤرخ أبي القاسم الحفناوي:**



**الملحق رقم 23:- صور لبعض مؤرخي فترة الدراسة:**



بأى عٌلى الزواوي



الطِب المهاج ً

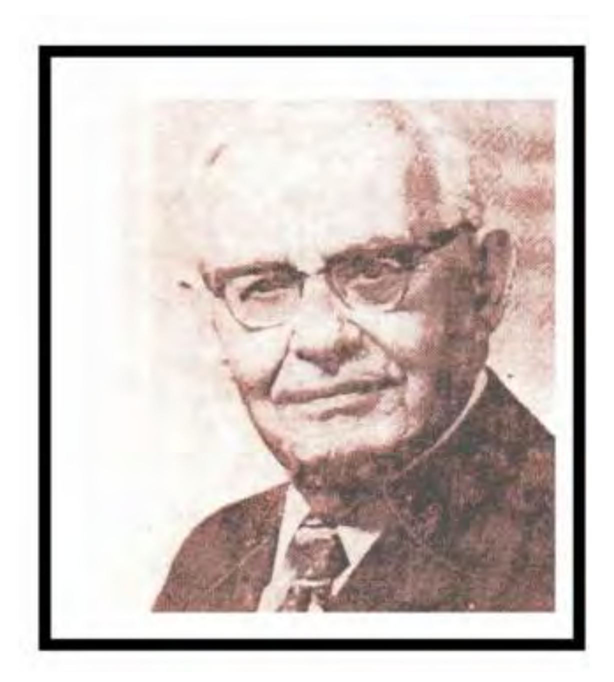
الملحق رقم **24**: صورة للمؤرخ بوعزيز بن قانة:



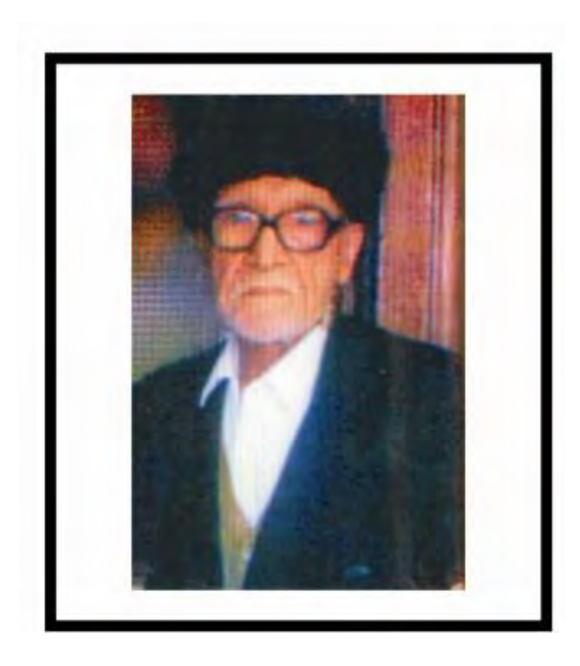
**الملحق رقم 25: صور لرواد التاريخ الوطني الثلاثة:**



الشيخ مبارك الميلي



أحمد توفيق المدني



الشيخ عبد الرحمن الجيلالي



# فهارس البحث

| فهرس الأعلام |
| --- |

فهرس المواضيع: